al-Mutanabbī, Abū al-Ṭayyib

شرح

ديوان المتنبّي

Sharḥ dīwān al-Mutanabbī

وضعه

عبد الرحمن البرقوقي

وقد امتازت هذه الطبعة بالدقة والتبسّط والاستيعاب، بحيث تلاقت في هذا الشرح جميع شروح المتنبي وشرحت فيه الشواهد والنظائر وما إليها وصار بذلك مغنياً عن جميع الشروح

الجزء الثالث

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر
لصاحبها: مصطفى محمد

مطبعة السعادة
ميدان احمد ماهر باشا (باب الخلق سابقا)
١٣ شارع الجداوى ت ٧٩٤٢٩ ص. ت ٨٠٧٨

وقال يمدح عبد الواحد بن العباس بن أبي الأصبع الكاتب :

أَرَكَائِبَ الأَحْبَابِ إِنَّ الأَدْمُعَا ... تَطِسُ الْخُدُودَ كَمَا تَطِسْنَ الْيَرْمَعَا (١)

فَاعْرِفْنَ مَنْ حَمَلَتْ عَلَيْكُنَّ النَّوَى ... وَامْشِينَ هَوْناً فِي الأَزِمَّةِ خُضَّعَا (٢)

قَدْ كَانَ يَمْنَعُنِي الْحَيَاءُ مِنَ الْبُكَا ... فَالْيَوْمَ يَمْنَعُهُ الْبُكَا أَنْ يَمْنَعَا (٣)

حَتَّى كَأَنَّ لِكُلِّ عَظْمٍ رَنَّةً ... فِي جِلْدِهِ وَلِكُلِّ عِرْقٍ مَدْمَعَا (٤)

وَكَفَى بِمَنْ فَضَحَ الْجَدَايَةَ فَاضِحاً ... لِمُحِبِّهِ وَبِمَصْرَعِي ذَا مَصْرَعَا (٥)

(١) أركائب . أى ياركائب ؛ والركائب : جمع الركوب ، وهى الإبل تركب ؛ وتطس : تدق ؛ والوطس : الدق ؛ واليرمع : حجارة بيض صغار رخوة . يقول : إن الدموع تفعل بالخدود فعل أخفاف الإبل بالحجارة التى تطؤها : يعنى أن تأثير الدموع فى الخدود كتأثير الإبل فى الحجارة .

(٢) النوى : البعد ، فاعل حملت ، وهى مؤنثة ، والأزمة جمع زمام ما تقاد به الدابة . يقول للابل : اعرفن قدر الحبيبة التى حملها البعد عليكن ، واعرفن لينها ورقتها ، وأنها لا تصبر على احتمال الأذى ، فامشين بها رويداً خضعاً حتى لا تتأذى بسيركن ومرحكن .

(٣) البكا : ـ يمد ويقصر ـ والأشهر : المد . يقول : قد كان حيائى يغلب بكائى ، واليوم غلب بكائى حيائى .

(٤) الرنة : فعلة من الرنين ، وهو صوت الباكى ، والضمير فى جلده : للعظم ؛ ويحتمل أن يكون للعاشق على الالتفات . والمدمع : مجرى الدمع ؛ يقول : لكثرة بكائى صار كأن كل عظم من عظامى يرن رنينا ، وكل عرق لى يبكى : أى غلب البكاء حتى صارت حالتى بهذه الصفة . قال ابن وكيع : وفيه نظر إلى قول ابن المعتز :

وَمُتَيَّمٍ جَرَحَ الْفِرَاقُ فُؤَادَهُ ... فَالدَّمْعُ مِنْ أَجْفَانِهِ يَتَرَقْرَقُ

وإلى قول الآخر :

وَكَأَنَّ لِى فِى كُلِّ عُضْوٍ وَاحِدٍ ... قَلْباً يَرِنُّ وَنَاظِراً مَا يَطْرِفُ

(٥) الجداية : الظبية ، وفاضحا : تمييز ، والمصرع : المقتل ، مصدر ميمى ـ من صرعه : أى طرحه على الأرض ـ يقول : من فضح الجداية بحسنه كفى فاضحاً لمن يحبه وكفى بمصرعى فى حبه مصرعا ؛ يعنى أنه غاية فى الحسن وأنا غاية فى الحب والعشق .

سَفَرَتْ وَبَرْقَعَهَا الْفِرَاقُ بِصُفْرَةٍ ... سَتَرَتْ مَحَاجِرَهَا وَلَمْ تَكُ بُرْقُعَا (١)
فَكَأَنَّهَا وَالدَّمْعُ يَقْطُرُ فَوْقَهَا ... ذَهَبٌ بِسِمْطَىْ لُؤْلُؤٍ قَدْ رُصِّعَا (٢)
نَشَرَتْ ثَلَاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا ... فِي لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لَيَالِيَ أَرْبَعَا (٣)
وَاسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا ... فَأَرَتْنِيَ الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعَا (٤)
رُدِّي الْوِصَالَ سَقَى طُلُولَكِ عَارِضٌ ... لَوْ كَانَ وَصْلُكِ مِثْلَهُ مَا أَقْشَعَا (٥)

(١) يقول : سفرت ـ كشفت عن وجهها للوداع ، وقد ألبسها وجل الفراق صفرة كأنها برقع يستر محاجرها ـ ما حول العين ـ ويخفى محاسنها ، ولم تكن برقعا على الحقيقة ؛ يعنى أنها جزعت للفراق حتى اصفر لونها .

(٢) السمط : خيط القلادة . والضمير من كأنها : للصفرة . يقول : كأن صفرتها والدمع فوقها ذهب مرصع بسمطين من اللؤلؤ من كل عين سمط . شبه صفرة وجهها بالذهب والدمع باللؤلؤ .

(٣) يقول : صارت الليلة بذوائبها الثلاث أربع ليال ، لأن كل ذؤابة منها كأنها ليلة لسوادها . والذوائب : جمع ذؤابة ، وهى الخصلة من الشعر ؛ والأصل ذآئب ، فأبدل من الهمزة الأولى واواً تخفيفا .

(٤) قال الواحدى : يجوز أن يريد بالقمرين : القمر والشمس ، وهى وجهها ، وجعل وجهها شمسا فى الحسن والضياء ؛ ويجوز أن يشبه وجهها بالقمر ، فهما قمران فى وقت واحد . وهذا كقول الآخر .

وإذا الغزالةُ فى السماء ترفعتْ ... وبَدَا النهارُ لوقته يترحّلُ
أبدَتْ لوَجْهِ الشمس وجها مِثله ... يَلقَى السماء بمثلِ ما تَستقبلُ

ويقول صريع الغوانى :

فَبِتُّ أُسِرُّ البدرَ طوراً حديثها ... وطَوراً أناجى البدرأحسبها البدرا
إلى أن رأيتُ الليل منكشف الدجى ... يُودِّعُ فى ظلمائهِ الأنجم الزُّهرا

وهذا المعنى كثير فى كلامهم .

(٥) الطلول : جمع طلل ، وهو رسم الدار ؛ والعارض : السحاب المعترض فى الأفق ؛ وأقشع : أقلع وتفرق . يقول : أعيدى لنا وصالك ، ثم دعا للطلول بالسقيا وقال لو كان وصالك مثل السحاب الذى أعناه للطلول ـ أى دائما لا يتفرق ـ لكان دائما لا ينقطع .

زَجَـــلٌ يُرِيكَ الجَوَّ ناراً وَالمَلاَ ... كالْبَحْرِ وَالتَّلَعاتِ رَوْضاً مُمْرِعا(١)
كَبنانِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْغَدَقِ الَّذِى ... أَرْوَى وَآمَنَ مَنْ يَشَــاء وَأَفْزَعا(٢)
أَلِفَ المُرُوءَةَ مُذْ نَشَــا فَكَأَنَّهُ ... سُقِىَ اللِّبَانَ بِها صَــبِيًّا مُرْضَعا(٣)

(١) زجل : يسمع له زجل ، وهو الصوت : يعنى صوت الرعد ؛ والملا : المتسع من الأرض أو الصحراء ؛ والتلعات : جمع تلعة ، التل يجرى منه الماء إلى الوادى والممرع المخصب . يصف هذا السحاب يقول : إنه يملأ الجو ببرقه حتى يرى نارا ، ويملأ المتسع من الأرض ماء حتى يرى كالبحر ، ويخصب التلال بمائه حتى تصير كالروض الخصيب ؛ وقد جمع فى هذا البيت مافرقه غيره وأبدع فيه ، قال أبو تمام .

* آضَ لنا ماء وكان بارقا *

[أى رجع ماء بعد البرق] وقال ابن دريد :

كأنما البَيْداءُ غِبَّ صَــوبه ... بحرٌ طما تيّارُهُ ثم سَــجَا

(٢) الغدق : الكثير قال تعالى « لأسقيناهم ماء غدقا » أى كثيراً . شبه ذلك السحاب الذى وصفه ببنان ـ أصابع ـ الممدوح الكثير الجود ، وهذا مخلص حسن ؛ ومثله للبحترى :

كأنها حين لجّتْ فى تدفُّقها ... أيدى الخليفة لمّا سالَ واديها

(٣) المروءة : الكرم ؛ واللبان : جمع اللبن ، وصبيا حال . يقول : ألف الكرم ناشئا ، فكأنه غذى به مع اللبن الذى شربه رضيعا . وهذا من قول أبى تمام :

لبسَ الشجاعة إنها كانت له ... قِدْماً نَشوغاً فى الصبا وَلَدُودا

«النشوغ : الوجور والسعوط يقال نشغت الصبى وجوراً فانتشغه جرعه جرعة بعد جرعة واللدود مايصب بالمسعط من السقى والدواء فى أحد شقى الفم ولديد الفم جانباه » وإليك طرفة نحوية للعكبرى النحوى الكوفى ، قال : مذ ومنذ عندنا أنهما يرتفع الاسم بعدهما بإضمار فعل مقدر محذوف . وقال البصريون : هما اسمان يرتفع ما بعدهما لأنه خبر عنهما ، ويكونان حرفين جارين فيكون ما بعدهما مجروراً بهما ، وحجتنا أنهما مركبان من «من» و«إذ» تغيرا عن حالهما فى أفراد كل واحد منهما، فحذفت الهمزة ووصلت «من» بالذال وضمت الميم للفرق بين حالة الإفراد والتركيب . والدليل على أنها مركبة من « من » « وإذ » أن من العرب من يقول فى «منذ» منذ —

نُظِمَتْ مَوَاهِبُهُ عَلَيْهِ تَمَائِمًا ... فاعْتَادَها فإذا سَقَطْنَ تَفَزَّعا[١]

تَرَكَ الصَّنَائِعَ كَالْقَوَاطِعِ بارِقا ... تٍ وَالمَعَالِيَ كَالعَوَالِي شُرَّعا[٢]

مُتَبَسِّمًا لِعُفَاتِهِ عَنْ وَاضِحٍ ... تَغْشَى لَوَامِعُهُ الْبُرُوقَ اللُّمَّعَا[٣]

بكسر الميم — فدل على أنها مركبة وإذا ثبت أنها مركبة كان الرفع بعدها بتقدير فعل، لأن الفعل يحسن بعد « إذ » والتقدير: ما رأيته مذ مضى يومان ومذ مضى شهران؛ وإذا كان الاسم بهما مخفوضا كان الخفض بهما اعتباراً بـ « من »، ولهذا المعنى كان الخفض بمنذ أجود لظهور نون « من » فيها؛ والرفع بـ « مذ » أجود لحذف النون منها تغليباً لإذ؛ ويدل على أن أصل « مذ » و « منذ » واحد: أنك لو سميت بهما قلت فى تصغير مذ: منيذ وفى تكسيره: أمناذ؛ فترد النون المحذوفة، لأن التكسير والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها: وحجة البصريين أنهما معناهما الأمد، إذا قلت ما رأيته مذيومان: فمعناه أمد انقطاع الرؤية يومان؛ والأمد فى موضع رفع بالابتداء فكذلك ما قام مقامه وإذا ثبت أنهما مرفوعان بالابتداء وجب أن يكون ما بعدهما خبراً.

(١) التمائم: جمع تميمة: العوذة تعلق على الصبي للوقاية من العين، قال الواحدى: من روى نظمت — بضم النون — فالمعنى أن هباته وما يفعل من الإعطاء جعلت له بمنزلة التمائم التى تعلق على من خاف شيئاً، فإذا سقطت عنه عاد الخوف: أى أنه ألف الإعطاء واعتاده، حتى لو ترك ذلك كان بمنزلة من سقطت تمائمه؛ ومن روى بفتح النون: فإنما يعنى ما حصلت له المواهب من الحمد والثناء والمدح والأشعار وأدعية الفقراء، فهو إذا لم يسمع ما تعود أنكر ذلك، وكان كمن ألقى تميمته فيفزع؛ وهذا من قول أبى تمام:

تكاد عطاياه يُجَنُّ جنونُها ... إذا لم يعوِّذها بِنَغْمة طالب

(٢) الصنائع: الأيادى والنعم والمعروف. والقواطع: السيوف، وبارقات مشرقات والعوالى: الرماح؛ وشرعا: منتصبة مرتفعة. يقول: جعل نعمه وأياديه مشرقة لامعة كالسيوف، ومعاليه مرتفعة كالرماح لاشتهارها بين الناس وقال ابن جنى: يحارب أعداءه وحساده بأياديه كما يحارب بالسيوف والرماح.

(٣) متبسما: حال من فاعل ترك؛ والعفاة: جمع عاف: السائل؛ وعن واضح: أى عن ثغر واضح؛ وتغشى: تغطى. ولوامعه: ثناياه. يقول: يبتسم للسائلين عن عن ثغر واضح يذهب لمعانه بضوء البرق، ويروى، تعشى: أى تذهب نور أبصارها؛ وهو من قول العباس بن الأحنف:

مُتَكَشِّفاً لِعُدَاتِهِ عَنْ سَطْوَةٍ ... لَوْ حَكَّ مَنْكِبُهَا السَّماء لَزَعْزَعا[١]
أَلْحَازِمَ الْيَقِظَ الأَغَرَّ الْعَالِمَ الْـ ... ـفَطِنَ الأَلدَّ الأَريحىَّ الأَرْوَعَا[٢]
أَلْكَاتِبَ اللَّبِقَ الْخَطِيبَ الْوَاهِبَ النَّدُسَ اللَّبِيبَ الْهِبْرِزِىَّ الْمِصْقَعَا[٣]
نَفْسٌ لَهَا خُلُقُ الزَّمَانِ لأَنَّهُ ... مُفْنِي النُّفُوسِ مُفَرِّقٌ ما جَمَّعا[٤]
وَيَدٌ لَهَا كَرَمُ الغَمَامِ لأَنَّهُ ... يَسْقِي العِمارَةَ وَالْمَكَانَ الْبَلْقَعا[٥]

مُتَسَرْبِلِينَ سَوَابِغاً ماذِيَّةً ... تغشى القوانسُ فوقها الأبصارا[١]

(١) حك : يروى صك ؛ والمعنى : زاحم : يقول : إنه يظهر للأعداء سطوة لوزاحم منكبها السماء لزعزها : أى أنه يجاهر الأعداء بالقدرة عليهم ولا يكاتمهم العداوة ؛ واستعار لسطوته منكباً لما جعلها تزاحم السماء ، لأن الزحام يكون بالمناكب .

(٢) و (٣) الحازم : ذو الحزم فى أموره ؛ واليقظ : الكثير التيقظ الذى لا يغفل عن أموره والأغر : الشريف ، ويروى الأعز ؛ والألد : الشديد الخصومة ، والاريحى : الذى يرتاح للمعروف والكرم : أى يهتز لهما ويتحرك ؛ والأروع : الذى يروعك بجماله أو الحاد الذكى ؛ واللبق : الخفيف فى الأمور ؛ والندس : الفطن . والهبرزى : السيد الكريم ؛ والمصقع : الخطيب البليغ .

(٤) يقول : إن الزمان من خلقه إفناء الأشياء ، وكذلك هـذا الممدوح يفنى أعداءه كما يفنى ماله ، فهو جواد كثير الغارات ، وهذا قريب من قول أبي نواس :

وما هو إلا الدهرُ تأتى صُرُوفُهُ ... على كلِّ مَنْ يشقَى به ويُعادِى

(٥) العمارة — بكسر العين — الأرض العامرة ؛ والبلقع : المكان الخالى الذى لا عمارة فيه . يقول : إنه يعطى كل أحد أ كان غنيا أم فقيراً ، كما أن الغمام يسقى كل موضع : أعامراً أم غامراً . ومثله لا بن المعتز :

ويُصيبُ بالجود الفقيرَ وذا الغنَى ... كالغَيْثِ يَسقِي مُجدِباً ومَرِيعاً

ولآخر يخاطب الغيث :

وليس يَخُصُّ أرضاً دُون أرض ... وكَفَّاهُ تعمَّانِ البلادا

وروى الخوارزمى : العمارة — بفتح العين — وقال : يعنى القبيلة ، كأنه قال يسقى المكان الذى به الناس والخالى .

---

(١) القوانس : جمع قونس ، وقونس البيضة من السلاح : مقدمها أو أعلاها ، والماذية : الدرع البيضاء أو السهلة اللينة .

أبدًا يُصدِّعُ شَعْبَ وفْرٍ وافرٍ ويلمُّ شَعْبَ مكارمٍ متصدِّعا(١)
يَهْتَزُّ للجدْوَى اهْتِزَازَ مُهنَّدٍ يَوْمَ الرَّجاءِ هزَزْتَه يَوْمَ الوَغَى(٢)
يا مُغْنِياً أمَلَ الفقيرِ لقاؤُهُ ودُعاؤُهُ بعْدَ الصَّلاةِ إذا دعا(٣)
أقصِرْ ولسْتَ بمُقصِرٍ جُزْتَ المَدَى
وبلغْتَ حيْثُ النَّجْمُ تحْتَكَ فارْبَعا(٤)

---

(١) الشعب: الشمل؛ ويصدع: يفرق؛ والوفر: الغنى؛ ويلم: يجمع. يقول: إنه أبداً يفرق شمل المال بالعطاء. ويجمع مفرق المكارم، وقد جمع فى هذا البيت بين التطبيق والتجنيس، وقال أبو تمام:

له كلَّ يومٍ شملُ مجدٍ مؤلفٍ وشملُ ندًى بينَ العفاة مُشتَّتِ

وقال البحترى:

ومعال أصارها لاجتماعٍ شملُ مال أصاره لافتراقِ

(٢) الجدوى: العطا؛ والمهند: السيف؛ ويوم الرجاء: متعلق بيهتز؛ والوعى - بالعين والغين - جلبة الحرب وصوتها؛ والجملة قبله: صفة لمهند. يقول: يهتز للجدوى يوم الرجاء اهتزاز المهند يوم الحرب. وهذا من قول الحطيئة:

كسوبٌ ومتلافٌ إذا ما سألته تهلّل واهتز اهتزاز المهنّد

ولمتمم بن نويرة:

تراه كنَصْل السيف يهتز للندَى إذا لم تجدْ عند امرىء السوء مَطمعا

(٣) لقاؤه: فاعل مغنيا. يقول: إن لقاء الفقير إياك ودعاءه لك حين يدعو بعد الصلاة يغنيان أمل الفقير لما عرف عنك من فرط السخاء وإغاثة البائسين.

(٤) أقصر عن الشىء: تركه مع القدرة عليه. وقوله فاربعا: أراد فاربعن، فوقف بالألف؛ ومعناه: كف حسبك. وقوله: ولست بمقصر. جملة اعتراضية. قال الواحدى: يحتمل أمرين: أحدهما: أنى أعلم أنك لا تقصر وإن أمرتك بالإقصار، والآخر: أنك وإن أقصرت لست بمقصر لتجاوزك المدى - الغاية - وهذا قريب من قول أبى تمام:

يا ليت شعرى مَنْ هَـذى مناقبه ماذا الذى ببُلوغ النجم ينتظر

وَحَلَلْتَ مِنْ شَرَفِ الْفَعَالِ مَوَاضِعاً
لَمْ يَحْلُلِ الثَّقَلَانِ مِنْهَا مَوْضِعاً(١)

وَحَوَيْتَ فَضْلَهُمَا وَمَا طَمِعَ امْرُؤٌ فِيهِ وَلَا طَمِعَ امْرُؤٌ أَنْ يَطْمَعَا(٢)

نَفَذَ الْقَضَاءُ بِمَا أَرَدْتَ كَأَنَّهُ لَكَ كُلَّمَا أَزْمَعْتَ شَيْئاً أَزْمَعَا(٣)

وَأَطَاعَكَ الدَّهْرُ الْعَصِيُّ كَأَنَّهُ عَبْدٌ إِذَا نَادَيْتَ لَبَّى مُسْرِعَا(٤)

أَكَلَتْ مَفَاخِرُكَ الْمَفَاخِرَ وَانْثَنَتْ عَنْ شَأْوِهِنَّ مَطِيُّ وَصْفِي ظُلَّعَا(٥)

---

(١) لك أن تقرأ الفعال بفتح الفاء : اسم للفعل الحسن ؛ وبكسرها : جمع فعل ؛ والثقلان : الجن والإنس :

(٢) يقول : حويت فضل الثقلين ـ الجن والإنس ـ وهذا الفضل لم يطمع فى نيله أحد ولا حدثته به نفسه لبعد مناله .

(٣) أزمع الشيء عزم عليه . يقول : كأن القضاء لك ، فكلما أردت شيئا وأزمعته أنفذه، فقوله: لك ،خبر كأن: أى كأنه موافق لك ولك أن تجعل لك : صلة أزمع : أى أن القضاء منفذ لما تريد ، فكلما أزمعت أمرا أزمع هو ذلك الأمر لأجلك . هذا : وقد قال الخليل : أزمعت على الأمر فأنا مزمع عليه : إذا مضيت فيه وثبت عزمك عليه . وقال الكسائى : يقال أزمعت الأمر ، ولا يقال أزمعت عليه ؛ قال الأعشى :

أأزمعتَ من آلِ ليلى ابتكارا وشطّتْ على ذى هوًى أن تَزارا

وقال الفراء : أزمعته وأزمعت عليه بمعنى ، مثل أجمعته وأجمعت عليه :

(٤) العصى : العاصى ، فعيل بمعنى فاعل . يقول : والدهر الذى لا يطيع أحدا قد أطاعك فيما أردت منه طاعة العبد السريع الإجابة .

(٥) انثنت ؛ رجعت ؛ والشأو : الغاية ؛ والمطى : جمع مطية : الركوبة ؛ والظلع جمع الظالع ، الذى يغمز من يد أو رجل . يقول : غلبت مفاخرك مفاخر الناس حتى أفنتها فليس لأحد منهم فخر ، وانصرفت مطايا وصفى قاصرة عن غايتها ـ أى لم يبلغ قولى وصف مفاخرك ، وفى هذا يقول أبو تمام :

هدمَت مساعيه المساعى وانثنت خُطَطُ المكارم فى عِراص الفرقدِ

وَجرَيْنَ مَجْرَى الشَّمْسِ فى أفلاَكِهَا فَقطَعْنَ مَغرِبهَا وَجُـزْنَ الْمَطْلَعا(١)
لَوْ نِيطتِ الدُّنْيَا بِأُخْـرَى مِثْلِهَا لَعَمَمْنَهَا وَخَشِينَ أنْ لاَ تَقْنَعا(٢)
فَمَتَى يُكَذَّبُ مُدَّعٍ لَكَ فَوْقَ ذا وَاللهُ يَشْهَدُ أنَّ حَقًّا مَا ادَّعَى(٣)
وَمَتَى يُؤَدِّى شَرْحَ حَالِكَ نَاطِقٌ حَفِظَ الْقَلِيلَ النَّزْرَ مِمَّا ضَيَّعا(٤)

(١) يقول : وجرت مفاخرك فى الأرض مجرى الشمس فى الفلك حتى قطعت المشرق والمغرب . قال ابن وكيع : هذا مأخوذ من قول حبيب :

أمطلعَ الشمس تبغى أن تؤمَّ بنا فقلت كلا ولكن مطلعَ الجود

وهذا تعسف من ابن وكيع ، وقد كان من المولعين بنقد المتنبي وإصغاء إنائه ، وإلا فأى تناسب بين البيتين ؟ وإنما بيت أبى تمام فيه حسن التخلص وكان الأقرب أن يقول : إنه من قول على بن الجهم :

وسارت مسير الشمس فى كلِّ بلدة وهبّت هبوب الريح فى البرِّ والبحر

أو من قول أبى قيس بن أبى رفاعة ـ شاعر جاهلى ـ يصف قصيدة :

تسير مسيرَ الشمس شرقاً ومغرباً ويحلو بأفواهِ الرجال نشيدها

(٢) يقول : لو قرنت الدنيا بدنيا أخرى مثلها وضمت إليها لعمتها مفاخرك أيضا وخافت أن لاتقنع منها بذلك . وروى لعممتها ـ والضمير للممدوح ـ وخشيت ـ بضم التاء ـ والضمير للمتنبي : أى لعممتها بهمتك وسعة صدرك وخفت أنا أن لاتقنع بها لأن همتك تقتضى فوقها .

(٣) يقول : لايكذب من ادعى لك فوق هذا ، لأن الله يشهد بتصديقه ، وذلك ماخلقه الله فيك من علو الهمة والفضائل المتوافرة ، وكان الوجه أن يقول : إن ما ادعى حق ، فجعل الخبر الذى هوى نكرة ـ وهو حق ـ فى موضع الاسم ونصبه بأن ، وجعل الاسم الموصول ـ ما ادعى ـ فى محل الخبر ، وذلك جائز فى ضرورة الشعر .

(٤) النزر . هو القليل ، فهو توكيد معنوى : يعنى نفسه . يقول : إنما يحفظ القليل من أحوال مفاخره ، لأنها أكثر من أن يمكنه حفظها ـ على حد قول أبى نواس :

* حفظت شيئاً وغابتْ عنك أشياء *

إنْ كانَ لا يُدْعَى الْفَـتى إلاّ كذَا رَجُلاً فَسَمِّ النَّاسَ طُرًّا إِصْبَعا[(١)]
إنْ كَانَ لا يَسْعَى لِجُـودٍ ماجِدٌ إلاّ كذَا فَالْغَيْثُ أَبْخَلُ مَنْ سَعَى[(٢)]
قَدْ خَلَّفَ الْعَبَّاسُ غُـرَّتَكَ ابْنَهُ مَرْأًى لنَا وَإلى الْقِيامَةِ مَسْـمَعَا[(٣)]

* * *

وحفظ القليل مما ضيعا : أى من جنس ماضيعه ، لأن المحفوظ لا يكون من المضيع، ولـكن يكون من جنسه .

(١) رجلا : مفعول ثان ليدعى ؛ وطرا : أى جميعاً ، حال . يقول : إن كان لا يدعى الفتى رجلا إلا إذا كان كذا : أى كهذا الممدوح فسم الناس جميعاً إصبعا ، لأنهم لو وزنوا بإصبعك ماوفوا ؛ أو لأنهم بالقياس إليك كالإصبع من الرجل، قال . الواحدى : وكان هذا الممدوح يلقب بذى الإصبع ، وكان له إصبع زائدة : وروى الخوارزمى أضبعا — جمع الضبع — يريد . كلهم بالإضافة إليك ضباع لأنك حزت شرفا وقدراً لم ينله إلا أنت . قال ابن وكيع : وهو من قول أبى النجم :

لو كانَ خَلق اللهِ جنباً واحداً وكنتَ فى جَنبٍ لـكنتَ زائداً

ومن قول عمر بن أبى ربيعة :

ولوْ سلكَ الناس فى جانب من الأرض واعتزلْتَ جانبا
ليَمَّمت جانبهـــا إننى أرى قربها الْعَجَبَ العاجبا

(٢) يقول : إن كان لا يصح سعى ماجد لجود حتى يفعل مثل فعلك ، فالغيث أبخل الساعين لبعد ما بينه وبينك ووقوعه دونك ؛ وجعل الغيث أبخل الساعين مبالغة ، قال ابن وكيع :

سقيت فـكان الغيث أدنى مســافة وأضــيقَ باعا مِن نداك وأقصرا

(٣) ابنه — بحذف حرف النداء — أى ياابنه ؛ وغرة الشخص : طلعته : ومرأى ومسمعا : حالان . يقول : قد خلف أبوك العباس لنا طلعتك لنشاهد فضلك وكرمك وليبقى ذكرها إلى يوم القيامة .

وقال يرثى أبا شجاع فاتكا ، وقد توفى بمصر سنة خمسين وثلاثمائة ، وكانت هذه المرثية بعد خروجه من مصر :

أَلْحُزْنُ يُقْلِقُ وَالتَّجَمُّلُ يَرْدَعُ ... وَالدَّمْعُ بَيْنَهُمَا عَصِيٌّ طَيِّعُ (١)
يَتَنَازَعَانِ دُمُوعَ عَيْنِ مُسَهَّدٍ ... هٰذَا يَجِيءُ بِهَا وَهٰذَا يَرْجِعُ (٢)
أَلنَّوْمُ بَعْدَ أَبِي شُجَاعٍ نَافِرٌ ... وَاللَّيْلُ مُعْيٍ وَالْكَوَاكِبُ ظُلَّعُ (٣)
إِنِّي لَأَجْبُنُ مِنْ فِرَاقِ أَحِبَّتِي ... وَتُحِسُّ نَفْسِي بِالْحِمَامِ فَأَشْجُعُ (٤)
وَيَزِيدُنِي غَضَبُ الأَعَادِي قَسْوَةً ... وَيُلِمُّ بِي عَتْبُ الصَّدِيقِ فَأَجْزَعُ (٥)

---

(١) يقول : الحزن لأجل المصيبة يقلقنى ، والتجمل — تكلف الصبر — يمنعنى عن التهالك والجزع ، والدمع بين الحالين عاص لدى التجمل فيحتبس مطيع للقلق فينسكب ، وبذاك يعصى صاحبه تارة ويطيعه أخرى .

(٢) عنى بالمسهد — أى الكثير السهاد ، الممنوع عنه النوم — نفسه . يقول : الحزن والصبر يتنازعان دموع عينى فالحزن يجىء بها — أى يجريها والتجمل يردها .

(٣) يقول : النوم بعد أبى شجاع لا يألف العين : أى لا تنام العيون بعده حزنا عليه ، والليل يطول فلا ينقضى ، كأنه قد أعيا عن المشى — كل من التعب — فانقطع ؛ والكواكب ظلع — كالعرجى — لا تقدر أن تقطع الفلك فتغرب . يريد طول الليل لاستيلاء الحزن عليه والهم على قلبه . وعبارة ابن جنى : لو كان الليل والكواكب مما يؤثر فيهما حزن لأثر فيهما موته . وقال الخطيب : إنما أراد أن الليل طويل لفقده فالليل معى والكواكب ظلع ما تسير . يريد طول الليل للحزن .

(٤) الحمام : الموت . يقول : أنا جبان عند فراق الأحبة أخافه خوف الجبناء ، وأشجع عند الموت فى ميدان الوغى فلا أهابه : يعنى أن الفراق أعظم خطبا عنده من الموت ، كما قال أبو تمام .

جليد على عتب الخطوب إذا عرت ... ولستُ على عتب الاخلاء بالجَلْدِ

(٥) يقول : إنه صعب على أعدائه لا يلين لهم ، بل يزداد عليهم قسوة إذا غضبوا ، ويجزع عند عتب الصديق فلا يطيق احتماله ، كما قال أشجع السلمى :

يُعطِى زمامَ الطوع إخوانَهُ ... ويلتوى بالملكِ القادرِ

تَصْفو الْحَيَاةُ لِجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ عَمَّا مَضَى فِيهَا وما يُتَوَقَّعُ(١)
ولِمَنْ يُغَالِطُ فى الْحَقَائِقِ نَفْسَهُ وَيَسُومُهَا طَلَبَ الْمُحَالِ فَتَطْمَعُ(٢)
أَيْنَ الَّذِى الْهَرَمَانِ مِنْ بُنْيَانِهِ مَا قَوْمُهُ مَا يَوْمُهُ مَا الْمَصْرَعُ(٣)
تَتَخَلَّفُ الْآثَارُ عَنْ أَصْحابِهَا حِيناً وَيُدْرِكُهَا الْفَناءُ فَتَتْبَعُ(٤)

وبعد : فإن المتنبى يريد بهذين البيتين عطفه ورقة قلبه عند الموادة والملاينة ، وشدته عند المباطشة والمقاومة .

(١) قوله عما مضى : متعلق بغافل ؛ ويتوقع : ينتظر . يقول : إنما تصفو الحياة لجاهل لا يدرك أحوالها ومصايرها ، أو غافل عما مضى فيها من العبر وما ينتظر فى العواقب من انقضائها أو أحداثها التى لا يطيق لها احتمالا ، أما العاقل الفطن الذى ينظر إلى الدنيا بعين المعرفة ويتأملها تأمل الدراية ويمثل صوارفها وتصاريفها فإنها لاتصفوله .

(٢) يسومها : يكلفها ؛ ويعنى بالحقائق : ما لا شك فيه للعاقل ، وهو أن الدنيا على الحقيقة دار غرور وأخطار ، والإنسان فيها على خطر عظيم ، وأن الحياة ، فانية فمن غالط فى هذا نفسه ومناها السلامة والبقاء صفا له العيش حين ألقى عن نفسه الفكر فى العواقب وسام نفسه طلب المحال من البقاء فى السلامة مع نيل المراد فطمعت فى ذلك .

(٣) الهرمان : هما الهرم الأكبر والهرم الأوسط ـ وهما معروفان ، وكل مايتعلق بهما ، وبمن بناهما ، والغاية التى بنيا لها : معروف ، فراجعه إن شئت : يقول أين من بناهما ؟ وأين قومه ؟ ومتى كان يوم موته ؟ وكيف كان مصرعه ؟ يعنى أنهما بقيا بعد من بناهما واندرس ذكره وذكر قومه ، فما يعرفون ولا يعرف بأى ميتة هلك ، ولا فى أى وقت لطول ممر الدهر عليه . يريد أن الدنيا مفنية لأهلها منكرة على من اغتر بها،وأن الفناء حتم فى رقاب العباد ، وأن الجميع صائرون إلى الفناء . وعبارة العكبرى : قوله أين الذى الهرمان من بنيانه : استدل ببنائهما على تمكنه وأقامهما شاهدين على قوته وقدرته : أى أين هو وقوته ؟ وأين قومه وكثرتهم ؟ وأين عددهم وعددهم ؟ أما عفت الدنيا آثار ملكه وأفنته ؟ أما فرقت شمله وشتته ؟ أما فى بطن الأرض غيبته ؟ وكأنه فى هذا ينظر إلى قول عدى بن زيد :

أين كسرى كسرى الملوك أنو شر وانَ أم أين قبله سابورُ

يريد أن الفناء حتم فى رقاب العباد ، وأن الجميع صائرون إلى الفناء .

(٤) يقول : إن الآثار تبقى بعد أصحابها حيناً من الدهر تدل على تمكنهم وقوتهم

لَمْ يُرْضِ قَلْبَ أبي شُجَاعٍ مَبْلَغٌ قَبْلَ المَمَاتِ وَلَمْ يَسَعْهُ مَوْضِعُ(١)
كُنَّا نَظُنُّ دِيَارَهُ مَمْلُوءَةً ذَهَبًا فَمَاتَ وَكُلُّ دَارٍ بَلْقَعُ(٢)
وإذا المَكَارِمُ والصَّوَارِمُ والقَنَا وَبَنَاتُ أَعْوَجَ كُلُّ شَيْءٍ يَجْمَعُ(٣)
أَلْمَجْدُ أَخْسَرُ والمَكَارِمُ صَفْقَةً
مِنْ أَنْ يَعِيشَ لَهَا الكَرِيمُ الأَرْوَعُ(٤)

وسطوتهم ثم ينالها بعدهم ما نالهم من الفناء فتذهب كما ذهب أصحابها وهذه شنشنة الدنيا مع أهلها ، والمعهود من تصاريفها .

(١) يقول : إنه ـ لبعد مرتقى همته ـ لم يكن يرضى بمبلغ يبلغه فى العلا حتى يطلب ما فوقه ، ولم يكن ليسعه موضع من الأرض لأنه لا يشبع طموحه .

(٢) البلقع : الخالى . يقول : كنا نظنه صاحب ذخائر من الأموال فلما مات لم يخلف مالا لأنه كان جواداً معطاء .

(٣) وإذا : عطف على وكل دار بلقع ـ فى البيت السابق ـ وكل روى بالرفع وبالنصب والتقدير على الرفع . كل شىء يجمعه وعلى النصب يجمع كل شىء من هذه الأشياء . يقول : وإنما كل ما كان يجمعه فى حياته المكارم والأسلحة والخيل ، أما الذهب فلا ، لأنه كان يفرقه بالعطاء ، فبنات أعوج : يعنى الخيل ؛ وأعوج : فحل مشهور من خيل العرب ، تنسب إليه الخيل الأعوجية ؛ قيل سمى بذلك لأن غارة وقعت على أصحابه ليلا وكان مهرا ، ولضنهم به حملوه فى وعاء على الإبل حين هربوا من الغارة، فاعوج ظهره وبقى فيه العوج ، فلقب بالأعوج ؛ وقد جاء فى معنى بيت المتنبى شعر كثير للجاهليين ومن بعدهم ، وقد قائلهم :

إذا خزن المالَ البخيلُ فإنما خزائنه خطّيَّة ودروع

وقال مروان بن أبى حفصة فى معن بن زائدة يرثيه :

ولم يكُ كنزُه ذهبًا ولكن حديدَ الهند والحلقَ المُذالا

(٤) الأروع : الذكى الفؤاد . يقول : إن المجد والمكارم أخسر صفقة وأنقص حظا من أن يعيش لها هذا المرثى ؛ يعنى أنها شقيت لذهاب من كان يحفظها ويجمع شملها وقال العكبرى ـ عند إعراب قوله المجد أخسر والمكارم صفقة : إذا جعلت التقدير المجد والمكارم أخسر صفقة اختل ، لأنك تفصل بالمكارم بين أخسر وبين صفقة ،

. . . .

وهى منصوبة بأخسر ـ التى هى عطف على المجد ـ وهذا غير جائز ، لأن صفقة تحل من أخسر محل الصلة من الموصول ؛ ألا ترى أنه لا يجوز أن تقول زيد أحسن وعمرو وجها ، ولكن لك أن تصرفه إلى وجه آخر ، وهو أن تجعل المكارم عطفا على الضمير فى أخسر ؟ فإن عطفته على الضمير الذى فيه لم يكن أجنبيا منه ، فلا يعد فصلا بينه وبين صفقة ، فيصير نحو قولك . مررت برجل آكل وعمرو خبزا ، بعطف عمرو على الضمير فى آكل ونصب خبزا بآكل ، وفى نوادر أبى زيد :

نخير نحنُ عند البأس منكم إذا الدَّاعى المثوِّبُ قال يالا(١)

فلا يجوز أن يكون نحن : مرفوعا بالابتداء ، ومنكم : متعلق بخير ـ على أن يكون «خير» خبر المبتدأ ـ لئلا يفصل «نحن» بين «خير» ومنكم ، ولكن يجوز أن يكون «نحن» توكيداً للضمير فى «خير» ويكون «خير» خبر مبتدأ محذوف ، فكأنه قال : فنحن خير عند الناس منكم ؛ وحسن حذف «نحن» الأولى التى هى مبتدأ لمجىء الثانية توكيدا للضمير فى «خير» ، ويجوز وجه آخر وهو أن تنصب «صفقة» بفعل مضمر يدل عليه «أخسر» ، وتجعل «المكارم» عطفا على «المجد» ـ لا على الضمير فى «أخسر» فلا تكون على هذا قد فصلت بين ما يجرى مجرى الصلة والموصول ، فيصير التقدير : المجد أخسر والمكارم أيضا كذلك ، ثم قال صفقة وكأنه قال خسرت صفقة فدل أخسر على خسرت كما دل أعلم فى قوله تعالى «إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله» على يعلم

---

(١) بعده :

ولم تَثِقِ العوَاتِقُ مِن غَيورٍ بغَيرتِهِ وخَلّين الحِجـــالا

وقد نسب أبو زيد فى نوادره هذين البيتين لزهير بن مسعود الضبى ولأئمة النحاة فى إعراب «نخير نحن» كلام كثير لا متسع لإيراده هنا والبأس : الشدة والقوة : والمثوب : الذى يدعو الناس يستنصرهم ؛ والأصل فيه أن المستغيث إذا كان بعيداً يتعرى ويلوح بثوبه رافعاً صوته ليرى فيغاث ؛ ويالا : أراد يالفلان ، أو يالبنى فلان . وجملة لم تثق : عطف على مدخول إذا ؛ والعواتق : جمع عاتق ، وهى التى خرجت عن خدمة أبويها وعن أن يملكها الزوج ، والحجال : جمع حجلة ، وهو بيت كالقبة . يريد أنهن فى يوم فزع أو غارة لا يثقن بأن يحميهن الأزواج والآباء والإخوة ، فنحن عندهن أوثق منكم

والنَّاسُ أنْزَلُ فى زَمانِكَ مَنْزِلاً مِنْ تُعَايِشُهُمْ وقَدْرُكَ أرْفَعُ (١)
بَرِّدْ حَشَاىَ إنِ اسْتَطعتَ بِلَفْظَةٍ فَلَقَدْ تَضُرُّ إذا تَشَاءُ وتَنْفَعُ (٢)
ما كَانَ مِنْكَ إلى خَليلٍ قَبْلَهَا مايُسْتَرابُ بِهِ ولا ما يُوجِعُ (٣)
ولقَدْ أرَاكَ وما تُلِمُّ مُلِمَّةٌ إلاَّ نفَاهَا عَنْكَ قَلْبٌ أصْمَعُ (٤)
ويَدٌ كأنَّ قِتَالَها ونَوَالَهَا فَرْضٌ يَحِقُّ عَلَيْكَ وهْوَ تَبَرُّعُ (٥)

أو علم ، فيكون «من يضل» : منصوبا بالفعل الذى دل عليه «أعلم»،وإنما حملناه على ذلك هربا من أن يكون «من يضل» فى موضع جر بالإضافة إلى «أعلم» ، لأن الأعلم أفعل ، وأفعل إذا أضيف إلى شىء كان بعضا له ؛ نحو قولك زيد أكرم الناس ، فلابد أن يكون من الناس ؛ ولا تقل زيد أفضل النعام لأنه ليس من النعام ، فكذلك لايجوز أن تضيف «أعلم» إلى « من يضل» لأن الله تعالى لا يكون بعض الضالين .

(١) يقول : إن الناس فى زمانك أقل قدرا من أن تكون بينهم تخالطهم وتعاشرهم، وقدرك أجل من أن تعايش أهل هذا الزمان .

(٢) يقول : كلمنى كلمة وأسمعنى منك لفظة إن قدرت عليها ليسكن مافى قلبى من لوعة الحزن ، فلقد كنت فى حياتك تضر — إذا تشاء — أعداءك ، وتنفع أولياءك : أى فانفعنى بكلامك .

(٣) يقال استراب به : أى رأى منه مايريبه ؛ أى يقلقه . يقول : لم يكن منك إلى أخلائك قبل هذه المرة : أى قبل أن تفجعهم بنفسك : ما يريبهم منك أو يوجعهم ، فلما فقدت أوجعت قلوبهم وأبكيت عيونهم .

(٤) الأصمع : الذكى الحاد ؛ وقوله وماتلم : حال . يقول : كنت أراك فى حال حياتك وما تنزل بك نازلة من نوازل الدهر إلا دفعها عنك قلب ذكى .

(٥) يقول : ونفاها عنك يد شنشنتها إعطاء الأولياء وقتال الأعداء حتى لكأن النوال والقتال واجبان عليها ، وهما تبرع لا وجوب ، وفى هذا يقول أبو تمام :

ثوَى مالهُ نَهْبُ المعالى فأوجبت عليه زكاةُ الجود ماليس واجبا

ويقول ابن الرومى :

ملكٌ لا يرى الَّلها تستحق الوسائلا

يامَنْ يُبَدِّلُ كُلَّ يَوْمٍ حُلَّةً ... أَنَّى رَضِيتَ بِحُلَّةٍ لاَ تُنْزَعُ (١)
ما زِلْتَ تَخْلَعُهَا عَلى مَنْ شاءَهَا ... حَتَّى لَبِسْتَ اليَوْمَ مالاَ تَخْلَعُ
مازِلْتَ تَدْفَعُ كُلَّ أَمْرٍ فَادِحٍ ... حَتَّى أَتَى الأَمْرُ الَّذِى لاَ يُدْفَعُ (٢)
فَظَلِلْتَ تَنْظُرُ لاَ رِمَاحُكَ شُرَّعٌ ... فِيماَ عَرَاكَ وَلا سُيُوفُكَ قُطَّعُ (٣)
بِأَبِي الوَحِيدُ وَجَيْشُهُ مُتَكَاثِرٌ ... يَبْكِى وَمِنْ شَرِّ السِّلاَحِ الأَدْمُعُ (٤)
وَإِذَاحَصَلْتَ مِنَ السِّلاَحِ عَلَى البُكَا ... فَحَشاكَ رُعْتَ بِهِ وَخَدَّكَ تَقْرَعُ (٥)

وَيَراها فرائضًا ... وتُسَمّى نوافلاَ

ويقول آخر :

أغرُّ متى تَسْأَلْهُ جاد فريضة ... وإن أنت لم تسأله جاد تبرعا

(١) يريد : يامن كان فى حياته يلبس كل يوم لباساً جديداً . . إذ يخلع الملبوس على من يقصده — كيف ترضى أن تلبس الآن حلة لا تخلع ؟ يعنى الكفن — والحلة : اللباس من ثوبين — إزار ورداء — ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين .

(٢) الفادح : الذى يثقل حمله ، وفى هذا المعنى يقول الحماسى :

دفعنا بكَ الأيَّامَ حتى إذا أتَتْ ... تُرِيدُكَ لم نَسطِع لها عنك مَدفعا

(٣) عراك : أصابك ونزل بك ؛ وشرع الرمح : بسط اليد به وسدده . يقول : ظللت — أقمت — تنظر إلى الموت نظر العاجز لم تعمل رماحك ولا سيوفك فى دفع مانزل بك ؛ إذ لا مدفع للموت .

(٤) بأبى : تفدية . وقوله وجيشه متكاثر : حال من ضمير الوحيد ؛ ومتكاثر : خبر أول لجيشه ؛ ويبكى : خبر ثان . يقول : إنه — مع كثرة جيوشه — كان وحيداً من الأنصار ، فلم يكن لجيوشه غناء فيما نزل به غير البكاء ، ولا عدة غير الدموع ، مع أن الدموع من شر الأسلحة ، لأنها تضر صاحبها ولا تغنى شيئاً عند المصيبة . وقد فسر هذا فى البيت التالى .

(٥) رعت : أفزعت وأخفت ؛ وتقرع : تضرب . يقول : إذا لم يكن لك سلاح غير البكاء فلا غناء فى البكاء ؛ إنما تروع به القلب وتقرع به الخد : أى أنه لا يجدى ولا يدفع شيئاً .

وَصَلَتْ إِلَيْكَ يَدٌ سَوَاءٌ عِنْدَهَا الْـــبَازِى الْأُشَيْهِبُ وَالْغُرَابُ الْأَبْقَعُ (١)
مَنْ لِلْمَحَافِلِ وَالْجَحَافِلِ والسُّرَى فَقَدَتْ بِفَقْدِكَ نَيِّرًا لا يَطْلُعُ (٢)
وَمَنِ اتَّخَذْتَ عَلَى الضُّيُوفِ خَلِيفَةً ضَاعُوا وَمِثْلُكَ لا يَكَادُ يُضَيِّعُ (٣)
قُبْحًـــا لِوَجْهِكَ يا زَمَانُ فإِنَّهُ وَجْهٌ لَهُ مِنْ كُلِّ قُبْحٍ بُرْقُعُ (٤)

---

(١) الأشيهب ـ تصغير الأشهب ـ وهو الذى غلب عليه البياض ؛ والأبقع : الذى فى صدره بياض ، وهو فى الطير والكلاب ، كالأبلق فى الدواب . يقول : وصلت إليك ـ يخاطب المرثى ـ يد ـ يريد يد المنية ـ سواء لديها الصغير والكبير والشريف والوضيع فالبازى مثل للشريف ، والغراب مثل للوضيع . ويروى ألباز الاشهب ـ بقطع همزة أل : من الباز ـ ووصل همزة أشهب بناء على أن همزة أل قد وقعت فى أول الشطر الثانى ، فكأنه أخذ فى بيت ثان ، كما قال حسان :

لَتَسْمَعُنَّ وَشِيكًا فى دِيَارِكُمُ اللهُ أكبر يا ثاراتِ عثمانا

وقال الآخر :

حتى أتين فتى تأبَّطَ خائفًا ألسيفَ فهوَ أخو لقاه أرْوَعُ

(٢) المحافل : جمع محفل ، وهو المجتمع ؛ والجحافل : جمع جحفل ، العسكر العظيم . والسرى : يريد سير الجيوش ليلا للغارة ، والنير : الكوكب الكثير النور ؛ والنيران : الشمس والقمر . يقول ـ متفجعاً عليه ـ : من للمحافل فى إرشاد جماعتها ، والجحافل فى تصريف كتائبها ، والسرى عند انتهاز فرص الحرب ، وطلب الغرة من الأعداء فى الغزو ، ولقد فقدت بفقدك المرشد الذى كانت تستمد برأيه ، والنير الذى كانت تهتدى بضوئه ، فعدمت ما كانت تعهده عنده ، وغرب غروبا لا يطلع بعده ، قاله العكبرى .

(٣) يقول : ومن الذى اتخذته خليفة لك على ضيوفك الذين كنت تسر بقراهم ؟ لقد ضاع قصادك بعدك ومثلك من لا يضيع فى حياته قاصده .

(٤) يقول: قبح الله وجهك يازمان فإن وجهك وجه توافرت فيه القبائح ؛ فكأنه اتخذ القبائح برقعا . فقوله : قبحا ، مفعول مطلق نائب عن عامله ـ من قولهم قبحه الله : أى أقصاه ونحاه عن الخير ؛ واللام من قوله . لوجهك : لبيان المفعول . كما يقال سقيا له ؛ والقبح ـ فى المصراع الثانى ـ الحسن .

أَيموتُ مِثلُ أبى شُجاعٍ فاتِكٌ ... وَيَعيشُ حاسِدُهُ الخَصِىُّ الأَوْكَعُ(١)

أَيْدٍ مُقطَّعةٌ حوالَىْ رأسِهِ ... وقفًا يصيحُ بها ألاَ مَنْ يَصْفَعُ(٢)

أَبْقَيْتَ أَكْذَبَ كاذِبٍ أَبقيتَهُ ... وَأَخذتَ أَصْدَقَ مَنْ يقولُ وَيسمَعُ(٣)

وَتَرَكْتَ أَنْتَنَ رِيحَةٍ مَذْمومَةٍ ... وسَلَبْتَ أَطْيَبَ رِيحَةٍ تَتَضَوَّعُ(٤)

فاليَوْمَ قَرَّ لِكُلِّ وَحْشٍ نافِرٍ ... دَمُهُ وَكَانَ كأَنَّهُ يَتَطَلَّعُ(٥)

---

(١) الأوكع فى الأصل : الذى أقبلت إبهام رجله على السبابة حتى يرى أصلها خارجا كالعقدة ، وأكثر ما يكون ذلك للاماء اللواتى يكددن فى العمل ، ويقولون أمة وكعاء : أى حمقاء ، وعبد أوكع : أى أحمق أو لئيم . والاستفهام هنا : للتعجب ، يتعجب من موت أبى شجاع فاتك فى جوده وفضله مع بقاء حاسده ـ يعنى كافورا ـ الأحمق أو اللئيم . وفاتك : يروى بالرفع . وبالجر ؛ فالرفع على أنه بدل من مثل ، والجر بدل من أبى شجاع .

(٢) يقول : إن كافورا لسقوطه أهل للاذلال ، فكأن قفاه يصيح ألا من يصفع ؟ ولكن الأيدى التى حوله مقطعة لا تقدر على صفعه : أى ليس عنده من فيه خير . إذ رضوا بأن يملك عليهم مثله . يهجو من حوله من أصحابه لرضاهم بمثله وتأخرهم عن الإيقاع به . وهذا استطراد من المتنبى ، إذ خرج إلى هجاء كافور وأصحابه من رثاء فاتك .

(٣) يخاطب الزمان . يقول أبقيت أكذب الكاذبين الذين أبقيتهم ؛ أى هو ـ كافور ـ أكذب من بقى من الكاذبين ؛ وأخذت أصدق القائلين والسامعين ـ أى أصدق الناس ـ يعنى المرثى . فقوله أبقيته : صفة لكاذب ، و«من» : نكرة موصوفة بالجملة بعدها .

(٤) الريحة والريح : واحد ، وتتضوع : تفوح .

(٥) يقول : بعد موتك قرت دماء الوحوش ، وكانت كأنها تتطلع للخروج من أبدانها خوفا منك وجزعا . يعنى أنه كان صاحب طرد وصيد بمواصلته الغزوات وتبديه فى الفلوات ، فبموته قرت دماء الوحوش . فدمه : فاعل قر . وقوله وكان : الضمير للدم . والواو : واو الحال . ويقال دابة نافر ، ولا يقال نافرة ، والتطلع : الاستشراف

وَتَصَالَحَتْ ثَمَرُ السِّيَاطِ وَخَيْلُهُ ... وَأَوَتْ إِلَيْهَا سُوقُهَا وَالأَذْرُعُ (١)

وَعَفَا الطِّرَادُ فَلَا سِنَانٌ رَاعِفٌ ... فَوْقَ القَنَاةِ ولا حُسَامٌ يَلْمَعُ (٢)

وَلَّى وَكُلُّ مُخَالِمٍ وَمُنَادِمٍ ... بَعْدَ اللُّزُومِ مُشَيِّعٌ وَمُوَدِّعُ (٣)

مَنْ كَانَ فِيهِ لِكُلِّ قَوْمٍ مَلْجَأً ... وَلِسَيْفِهِ فى كُلِّ قَوْمٍ مَرْتَعُ (٤)

إِنْ حَلَّ فى فُرْسٍ فَفِيهَا رَبُّهَا ... كِسْرَى تَذِلُّ لَهُ الرِّقَابُ وَتَخْضَعُ (٥)

أَوْ حَلَّ فى رُومٍ فَفِيهَا قَيْصَرٌ ... أَوْ حَلَّ فى عُرْبٍ فَفِيهَا تُبَّعُ (٦)

---

(١) ثمر السياط : العقد التى تكون فى عذباتها . وأوت : عادت إليها ورجعت . والسوق : جمع ساق . يقول : حصل بموته الصلح بين الخيل والسياط لأنه أبدا كان يضربها بسياطه لتركض فى قصد عدو أو طرد أو إغاثة مستصرخ ، وهى ـ فى شدة جريها أو كثرته ـ كأن سوقها وأذرعها ليست منها ، كأنها كانت ترميها عن أنفسها . والآن لما ترك ركضها صارت أيديها وأرجلها كأنها عادت إليها .

(٢) يعنى بالطراد : مطاردة الفرسان فى الحرب ؛ وعفا : درس وذهب ؛ والراعف الذى يسيل منه الدم ـ من رعاف الأنف ـ والقناة : الرمح . والحسام : السيف القاطع يقول : ذهب ذلك واندرس بموته ؛ قال ابن وكيع : ومعنى البيتين من قول التميمى :

تَرَكْتَ المَشْرَفِيَّةَ والعَوالِي ... مُحَلَّاةً وقد حان الورود

وغادَرْتَ الجِيادَ بكل مَرْجٍ ... عواطِلَ بعدزِينتها تَرُودُ

(٣) و (٤) المخالم : الصديق ؛ وأصل الخلم : مربض الظبية أو كناسها تتخذه مألفا وتأوى إليه ، فهو من هذا ؛ والمنادم : النديم ؛ وشيع الرجل : خرج معه عند الوداع ؛ و «من» ـ فى البيت الثانى ـ فاعل ولى ؛ والمرتع : المرعى . يقول : ولى وذهب من كان ملجأ أوليائه ، وكان لسيفه مرتع فى كل قوم من أعدائه وكل من كان يؤمه ويعول عليه وينادمه مشيعون غير مؤانسين ومودعون غير ملازمين . وذلك عند تشييعه إلى القبر .

(٥) و (٦) يقول ؛ إنه كان عظيما أينما كان حتى لو حل فى العجم لكان ملكهم كسرى ، وكذلك فى كل قوم ؛ فقوله ففيها : أى فهو فيها ؛ ومثله فى البيت الثانى ؛ وكسرى : بيان لرب ؛ والجملة بعده : حال .

قَدْ كَانَ أَسْرَعَ فارِسٍ فى طَعْنَةٍ ... فَرَساً وَلٰكِنَّ الْمَنِيَّةَ أَسْرَعُ(١)
لا قَلَّبَتْ أَيْدِى الْفَوارِسِ بَعْدَهُ ... رُمْحاً وَلا حَمَلَتْ جَوَاداً أَرْبَعُ(٢)

* * *

وقال فى صباه :

بِأَبِى مَنْ وَدِدْتُهُ فَافْتَرَقْنا ... وَقَضَى اللهُ بَعْدَ ذاكَ اجْتِماعَا(٣)
فَافْتَرَقْنا حَوْلاً فَلَمَّا الْتَقَيْنا ... كانَ تَسْلِيمُهُ عَلَىَّ وَداعَا(٤)

* * *

---

(١) فرساً : نصب على التمييز . يقول : كان أسرع الفرسان فى الطعان ؛ أى كان إذا طعن لم يدرك ، ولكن المنية كانت أسرع منه فأدركته .

(٢) يقول : إن الفرسان لايحسنون الركض ولا الطعان بعده ؛ فهو يقول ــ على طريق الدعاء ــ : لا حمل الفرسان بعده رمحاً ولا حملت الخيل قوائمها .

(٣) بأبى : هذه الباء باء التفدية ؛ أى أفدى بأبى من وددته : أى جعل فداء له .

(٤) يقول : كان تسليمه على عند اللقاء توديعا لفراق ثان . وفى هذا يقول على ابن جبلة العكوك :

رَكِبَ الأهوالَ فى زَورتِهِ ... ثم ما سلّم حتى ودّعا

ويقول الآخر :

بأبِى وَأُمِّى زائر مُتقنِّع ... لم يخفِ ضوءُه البدرِ تحتَ قِناعِهِ
لَمْ أستتمَّ عِناقه لِلقائِهِ ... حتى ابتدأت عِناقه لِوَداعِه

قافية الفاء

وقال وقد سأله سيف الدولة عن وصف فرس يهديه إليه :

مَوْقِعُ الْخَيْلِ مِنْ نَدَاكَ طَفِيفُ
وَلَوَ انَّ الْجِيَادَ فِيهَا أُلُوفُ(١)
وَمِنَ اللَّفْظِ لَفْظَةٌ تَجْمَعُ الْوَصْفَ وَذَاكَ الْمُطَهَّمُ الْمَعْرُوفُ(٢)
مَالَنَا فِى النَّدَى عَلَيْكَ اخْتِيَارٌ
كُلُّ مَا يَمْنَحُ الشَّرِيفُ شَرِيفُ(٣)

* * *

---

(١) الطفيف : القليل الحقير - من قولهم : طف له الشيء ، وأطف ، واستطف : إذا أمكن ؛ فالطفيف : الممكن غير المتعذر . يقول : إن عطاياك من الكثرة بحيث يعد ما أهديته من الخيل بالقياس إليها نزرا قليلا ، ولو كان فى الخيل التى تهبها ألوف من الجياد .

(٢) المطهم : التام الجمال . يقول : إن من الألفاظ التى توصف بها الخيل لفظة واحدة تجمع أوصافها ، وتلك اللفظة هى لفظة المطهم ؛ يعنى أنك أمرتنى أن أختار وصف فرس تهبه الى ، والذى أختاره هو المطهم ، وهو المعروف عند أهله : أى أنه متى أطلق عند أرباب الخيل عرف أن ما يوصف به هو التام المحاسن الخالى من العيوب والإشارة بقوله وذاك ، إلى الوصف ، لأن المطهم وصف .

(٣) يقول : إنك سألتنى الوصف ، فذكرت وصفا واحداً امتثالا لأمرك ، فأما الذى عندى فهو أنه لا اختيار لنا عليك فيما تهب ، لأن ما تمنحه جليل شريف ، لأنك جليل شريف .

وأهدى إليه رجل يعرف بأبى دلف بن كنداج هدية وهو معتقل بحمص ، وكان قد بلغه أنه ثلبه عند الوالى الذى اعتقله ؛ فكتب إليه من السجن (*) :

أَهْوِنْ بِطُولِ الثَّوَاءِ وَالتَّلَفِ وَالسِّجْنِ وَالقَيْدِ يَا أَبَا دُلَفِ (١)

غَيْرَ اخْتِيَارٍ قَبِلْتُ بِرَّكَ بِي وَالْجُوعُ يُرْضِي الْأُسُودَ بِالْجِيَفِ (٢)

(*) كان أبو دلف هذا سجان الوالى الذى اعتقله وكان صديقا له من قبل . قال صاحب الصبح المنبى : لما اشتهر أمر المتنبى ، وشاع ذكره ، وخرج بأرض سلمية – من عمل حمص فى بنى عدى – قبض عليه ابن على الهاشمى فى قرية يقال لها « كوتكين » وجعل فى رجله وعنقه خشبتين من خشب الصفصاف، فقال المتنبى .

زعمَ المقيمُ بكوتكينَ بأنه من آلِ هاشم بن عبد منافِ

فأجبتهُ مذ صِرْتَ من أبنائهم صارت قيودهمُ من الصفصافِ

ولما طال اعتقاله فى الحبس كتب إلى الوالى .

بيدِى أيُّها الأميرُ الأريب لا لشىء إلا لأنى غريب

أو لأمٍّ لها إذا ذكرتنى دَم قلبٍ بدمع عينٍ يَذوب

إنْ أكن قبل أنْ رأيتك أخطأ تُ فإنى على يديكَ أتوب

عائبٌ عابنى لديكَ ومنه خُلِقَتْ فى ذَوى العيوبِ العيوب

وهاتان القطعتان ليستا فى الديوان وتجدهما فى التذييل .

(١) أهون بكذا . أى ما أهونه – صيغة تعجب – والثواء . الإقامة . يريد مقامه فى السجن . يقول . ما أهون على هذه الأشياء ! أى أنى وطنت نفسى عليها ، ومن وطن نفسه على شىء هان عليه – وإن اشتد – كما قال كثير .

فقلت لها يا عزّ كل مصيبة إذا وُطِّنَتْ يوماً لها النفس ذَلَّتِ

ولأنه شجاع قوى القلب صبور لا يهوله ذلك .

(٢) غير اختيار : حال ؛ والمصدر : فى تأويل اسم الفاعل ؛ والبر . الإحسان . يعنى به الهدية . وكان أبو دلف هذا قد بر المتنبى وهو فى السجن وأهدى إليه هدية .

كُنْ أيُّها السِّجْنُ كَيفَ شِئْتَ فَقَدْ وَطَّنْتُ لِلْمَوْتِ نَفْسَ مُعْتَرِفِ (١)
لوْ كَانَ سُكْنَاىَ فِيكَ مَنْقَصَةً لم يَكُن الدُّرُّ سَاكِنَ الصَّدَفِ (٢)

***

يقول : قبلت برك بى اضطرارا ـ لا اختيارا ـ لاحتياجى إليه ، كالأسد يرضى بأكل الجيف إذا لم يجد غيرها لحما . وفى مثل هذا يقول المهلبى الوزير .

ما كنتَ إلا كلحمِ ميْتٍ دَعا إلى أكلهِ اضطِرارُ

ومثله لأبى على البصير :

لعمْرُ أبيكَ ما انتسب المُعلّى إلى كرمٍ وفى الدنيا كريمُ
ولكنَّ البلاد إذا اقشعرّت وصوّحَ نبتها رُعِىَ الهشيمُ

ومثله قول الآخر :

فلا تحمَدونى فى الزيارةِ إننى أزورُكمُ إذ لا أرى متعَللا

ومثله :

خذ ما أتاكَ من اللئا مِ إذا نأى أهل الكرمْ
فالأُسْد تفترس الكلا بَ إذا تعذّرتِ الغنمْ

(١) المعترف : الصابر على ما يصيبه ، ووطن نفسه : مهدها وذللها . يقول ـ للسجن ـ : كن كيف شئت من الشدة ، فإنى صابر عليك .

(٢) السكنى . اسم بمعنى السكون . يقول : لو كان نزولى فيك يلحق بى نقصا لما كان الدر على شرف قدره ساكنا فى الصدف الذى لا قدر له . شبه نفسه فى السجن بالدر فى الصدف . قالوا : وهو من قول أبى هفان .

تَعجبَتْ دُرٌّ من شيبى فقلت لها لا تعجبى فطلوع البدر فى السُّدَفِ
وزادها عجباً أنْ رُحتُ فى سَمَلٍ وما دَرَتْ دُرٌّ أن الدرَّ فى الصَّدَفِ

وقال يمدح أبا الفرج أحمد بن الحسين القاضى :

لَجِنِّيَّة أَمْ غَادَةٍ رُفِعَ السَّجْفُ لِوَحْشِيَّةٍ لاَ مَا لِوَحْشِيَّةٍ شَنْفُ(١)
نَفُورٌ عَرَتْهَا نَفْرَةٌ فَتَجَاذَبَتْ سَوَالِفُهَا وَالحَلْىُ وَالخَصْرُ وَالرِّدْفُ(٢)

---

(١) لجنية : أراد ألجنية ؟ فحذف همزة الاستفهام ؛ وقد جاء مثله فى الشعر ، أنشد سيبويه للأسود بن يعفر :

لَعَمْرُكَ ما أَدْرِى وإِنْ كنتُ دارياً شُعَيثُ بنُ سَهمٍ أم شعيثُ بنُ مِنْقَرِ(١)

ولعمر بن ربيعة .

لَعَمْرُكَ ما أدرى وإن كنت دارياً بِسبعٍ رَمَيْنَ الجَمرَ أَمْ بِثمانِ(٢)

والغادة والغيداء : المرأة الناعمة ؛ والسجف : جانب الستر إذا كان بنصفين ، وقوله لوحشية : يجوز أن يكون استفهاما ـ كالأول ـ ويجوز أن يكون جوابا لنفسه ، كأنه قال : ليس لجنية ولا لغادة ، بل هو لوحشية ـ أى لظبية وحشية ـ ثم رجع منكراً على نفسه فقال : ما لوحشية شنف ـ والشنف : ما يعلق فى أعلى الأذن ـ يعنى أن السجف الذى رفع إنما رفع لإنسية لأن عليها شنوفا ، والوحشية لا شنف لها . يتعجب من محاسن المحبوبة يقول : هذه التى رفع لها السجف جنية أم امرأة حسناء ؟ والعرب إذا بالغت فى مدح شىء جعلته من الجن ، كما قال قائلهم :

جِنِّيَّةٌ أو لها جِنٌّ يُعلمها رَمْىَ القلوبِ بقوس مالها وَتَرُ

(٢) السوالف : جمع السالفة ، صفحة العنق . وعرتها : أصابتها ؛ والمراد بالحلى هنا : عقدها . يقول : هى نفور طبعا وأصابتها نفرة حادثة فاجتمعت نفرتان : نفرة أصلية ، ونفرة من رؤية الرحال فتجاذبت سوالفها والحلى : يعنى أن العقد الذى كانت تتحلى به جذب عنقها بثقله ، والعنق أمسكه ، فحصل التجاذب ، وردفها يجذب خصرها لعظم الردف ودقة الخصر . هذا : والحلى مفرد حلى وحلى .

---

(١) يقول : ما أدرى أشعيث من بنى سهم أم هم من بنى منقر ؟ وشعيث حى من تميم ثم من بنى منقر ، فجعلهم أدعياء ، وشك فى كونهم منهم أو من بنى سهم ، وسهم هنا حى من قيس . قال الشنتمرى : ويروى شعيب ـ بالباء ـ وهو تصحيف :

(٢) يقول : ألهانى النظر إليهن واشتغال البال بهن عن تحصيل رميهن الجمار بـ«منى» وعلم عدد المرات : أهى سبع أم ثمان ؟

وَخُيِّلَ مِنْهَا مِرْطُها فَكَأَنَّمَا تَثَنَّى لنا خُوطٌ وَلاَ حَظَنَا خِشْفُ(٢)

زِيَادَةُ شَيْبٍ وَهْيَ نَقْصُ زِيَادَتِى وَقُوَّةُ عِشْقٍ وَهْيَ مِنْ قُوَّتِى ضَعْفُ(٣)

هَرَاقَتْ دَمِى مَنْ بى مِنَ الْوَجْدِ مَابِهَا

مِنَ الْوَجْدِ بِى وَالشَّوْقُ لى وَلَهَا حِلْفُ(١)

---

(١) المرط : كساء من صوف أو خز ؛ وخيل منها مرطها : أى مثلها — من قوله تعالى : « يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى » أى يرون ذلك كالخيال . فالجار من قوله منها : زائد ، كما فى قولهم : جاء يهز من عطفيه ؛ والخوط : الغصن ؛ والخشف : ولد الظبية . يقول . إن مرطها — ثوبها — أرانا ومثل لنا صورتها لدى تلك النفرة ، فإذا هى كغصن بان يتثنى ، وظبى يرنو — ينظر — وخص القامة واللحظ لأن المرط ستر محاسنها ولم يستر القد ولا اللحظ . وروى ابن جنى : وخبل — بالباء الموحدة — والمخبل : الذى قطعت يداه ، هذا أصله ؛ والمراد أن مرطها ستر محاسنها ، فكأن ذلك خبل منه لها . قالوا : وهو ينظر إلى قول ابن الرومى :

إنْ أقبلتْ فالبدر لاحَ وإنْ مَشَتْ فالغصنُ مال وإنْ رنت فالرِّيمُ

(٣) يقول : حالى — أو شأنى — زيادة شيب ، وهذه الزيادة على الحقيقة نقص زيادتى أى نقص ما ازددت من الشباب ، وقوة عشق ، وهذه القوة ضعف : أى كلما قوى العشق ضعفت قوة البدن ، كما قال القائل :

وأُسَرُّ فى الدنيا بكلِّ زيادة وزيادتى فيها هو النقص

وكما قال المتنبى — وقد تقدم — :

متى ما ازددْتُ من بعدِ التناهى فقد وقع انتقاصِى فى ازديادى

(٢) هراقت : أراقت ، والهاء : بدل من الهمزة ؛ والحلف : الملازم . يقول : أراقت دمى بحبها تلك التى أجد بها من الحب ما تجد بى والشوق لى ولها ملازم ، أى أنى أحبها كما تحبنى ، وأشتاق إليها كما تشتاق لى . قال ابن جنى : لو أمكنه أن يقول : بى من الوجد بها ما بها من الوجد بى لكان أشد اعتدالا ، لكنه — للوزن — حذف بعضه للعلم . كما قال أبو تمام :

وإذا تأملت البــلادَ رأيتها تُثْرِى كما تُثْرِى الرجال وتعدِمِ

أراد كما يعدمون ، فحذف .

وَمَنْ كُلَّمَا جَرَّدْتَهَا مِنْ ثِيَابِهَا ... كَسَاهَا ثِيَابًا غَيْرَهَا الشَّعَرُ الْوَحْفُ (١)
وَقَابَلَنِي رُمَّانَتَا غُصْنِ بَانَةٍ ... يَمِيلُ بِهِ بَدْرٌ وَيُمْسِكُهُ حِقْفُ (٢)
أَكَيْدًا لَنَا يَا بَيْنُ وَاصَلْتَ وَصْلَنَا ... فَلاَ دَارُنَا تَدْنُو وَلاَ عَيْشُنَا يَصْفُو (٣)
أُرَدِّدُ وَيْلِي لَوْ قَضَى الْوَيْلُ حَاجَةً ... وأُكْثِرُ لَهْفِي لَوْ شَفَى غُلَّةً لَهْفُ (٤)
ضَنًى فِى الْهَوَى كَالسُّمِّ فِى الشَّهْدِ كَامِنًا ... لَذِذْتُ بِهِ جَهْلاً وَفِى اللَّذَّةِ الْحَتْفُ (٥)
فَأَفْنَى وَمَا أَفْنَتْهُ نَفْسِى كَأَنَّمَا ... أَبُو الْفَرَجِ الْقَاضِى لَهُ دُونَهَا كَهْفُ (٦)

---

(١) الوحف : الكثير الملتف . يقول : إن لها من الشعر الكثيف الملتف ما يقوم لها فى سترها إذا عريت من الثوب مقام الثوب ، وهذا ينظر إلى قول القائل :

رأت عينَ الرقيب على تدان ... فأسبلت الظلام على الضياء

(٢) الحقف : ما اعوج من الرمل ؛ وأراد بالرمانتين : ثدييها ؛ وبالغصن : قدها وبالبدر : وجهها ؛ وبالحقف : ردفها ، يعنى : أنها قامت عند الوداع بحذائى فقابلنى من ثدييها رمانتان على قد كالغصن عليه وجه كالبدر ؛ والمعنى أنها إذا قصدت شيئا بوجهها مالت إليه نحو الوجه ، فكأن وجهها يميل قامتها ، ثم يمسك الردف بثقله قامتها الخفيفة، فلا تقدر على سرعة الحركة .

(٣) أكيداً : أى أتكيد كيداً ؟ فهو منصوب على المصدر . يقول : أتكيد لنا أيها البين ـ البعد ـ فتواصل وصلنا ـ أى تلازمه ؟ ـ أى كلما تواصلنا تعرض لنا فتفرقنا فلا تدنو لنا دار ولا يصفو لنا عيش ؟ ومثله للبحترى :

فوا أسفى لو قاتل الأسفُ الجوى ... ولَهفى لوَ أن اللهف من ظالمى يُجدى

(٤) ويل : كلمة يقولها كل واقع فى هلكة ؛ واللهف : التحسر على ما فات ؛ والغلة: العطش وحرارة الجوف . يقول : إنى أكثر القول بهاتين الكلمتين لو نفع القول بهما وترديدى إياهما ، وهذا على حكاية ما كان يقول .

(٥) ضنى : مبتدأ محذوف الخبر : أى بى ضنى ، وهو شبه الهزال من المرض ؛ وكامنا : حال من السم ؛ وجهلا : مفعول له ؛ والحتف : الموت . يقول : بى ضنى مستتر كما يكمن السم فى الشهد ـ العسل ـ إذا مزج به ، وقد استلذذت الهوى جهلا بذلك الضنى وحتفى فى تلك اللذة .

(٦) فأفنى : أى الضنى . والكهف ـ هنا ـ الملجأ ، ففاعل أفنى : ضمير الضنا ؛ وفى

قَلِيلُ الكَرَى لَوْ كَانَتِ البِيضُ وَالْقَنَا ... كَآرَائِهِ مَا أَغْنَتِ الْبَيْضُ وَالزَّغْفُ(١)

يَقُومُ مَقَامَ الْجَيْشِ تَقْطِيبُ وَجْهِهِ ... وَيَسْتَغْرِقُ الأَلْفَاظَ مِنْ لَفْظِهِ حَرْفُ(٢)

وَإِنْ فَقَدَ الإِعْطَاءَ حَنَّتْ يَمِينُهُ ... إِلَيْهِ حَنِينَ الإِلْفِ فَارَقَهُ الإِلْفُ(٣)

الكلام تنازع : لك أن تجعل نفسى فاعل أفنت ، فيكون مفعول أفنى ضميرها محذوفا لتأخر مرجعه لفظاونية : أى فأفناها ، وما أفنته نفسى ؛ ولك أن تجعلها مفعول أفنى ، فيكون فاعل أفنت ضميرها مستترا . وكهف : خبر عن أبو الفرج . وله : حال مقدمة عن كهف . والضمير : للضنى، ودونها :صلة كهف . يقول:فأفنى الضنى نفسى وما أفنيته ، كأن الممدوح كهف له دون نفسى فليست تقدر على إفنائه . وهذا من حسن التخلص .

(١) الكرى : النوم . والبيض الأولى ـ بكسر الباء ـ السيوف . والثانية ـ بفتح الباء ـ جمع بيضة : الخوذة من حديد . والقنا : الرماح . والزغف : جمع زغفة ، الدرع اللينة . يقول : هو قليل النوم لاشتغاله بتدبير الحكم وسياسة الدولة وبما يعمل على حصوله من المجد والعلاء ، وهو نافذ الآراء حتى لو كانت السيوف والرماح كآرائه فى النفاذ لما أغنت الدروع والخوذ عن أصحابها شيئا ؛ وفى مثل هذا المعنى يقول أبو تمام :

يَقظانُ أحصدت التجارب عَقدَه ... شَزْراً وثُقِّفَ عزمه تثقيفا

واستلّ من آرائه الشُعَلَ التى ... لو أنهن طُبِعنَ كنّ سيوفا

(٢) يقال : قطب وجهه : إذا جمع ما بين عينيه عبوساً . يقول : هو مهيب إذا عبس روع الناس غضبه فلجأوا إلى الطاعة فقام ذلك مقام الجيش ، وإذا قال قام القليل من كلامه مقام الخطب الطوال ، فهو لبلاغته يجمع المعانى الكثيرة فى الألفاظ القليلة . وفى مثل هذا يقول البحترى :

وإذا خِطابُ القومِ فى الخَطْبِ اعتلى ... فَصَلَ القضيّةَ فى ثلاثةِ أحرُفِ

(٣) يقول : ألفت يده الإعطاء حتى لو لم يعط لاشتاقت يده إلى الإعطاء كما يحن الإلف إلى الإلف إذا فارقه . وفى مثله يقول أبو تمام .

واجدٌ بالعطاء من برحاء الشو ... قِ وِجدانَ غـيره بالحبيبِ

ويقول غيره :

يَحِنُّ إلى المعروف حتى يُنِيلَهُ ... كما حَنّ إلفٌ مستهامٌ إلى إلفِ

أَدِيبٌ رَسَتْ لِلْعِلْمِ فِى أَرْضِ صَدْرِهِ ... جِبَالٌ جِبَالُ الأَرْضِ فى جَنْبِهَا قُفُّ(١)
جَوَادٌ سَمَتْ فِى الْخَيْرِ وَالشَّرِّ كَفُّهُ ... سُمُوًّا أَوَدَّ الدَّهْرَ أَنْ اسْمَهُ كَفُّ(٢)
وأَضْحَى وَبَيْنَ النَّاسِ فى كُلِّ سَيِّدٍ ... مِنَ النَّاسِ إِلاَّ فِى سِيَادَتِهِ خُلْفُ(٣)
يُفَدُّونَهُ حَتَّى كَأَنَّ دِمَاءَهُمْ ... لِجَارِى هَوَاهُ فِى عُرُوقِهِمِ تَقْفُو(٤)
وُقُوفَيْنِ فى وَقْفَيْنِ شُكْرٍ وَنَائِلٍ ... فَنَائِلُهُ وَقْفٌ وَشُكْرُهُمُ وَقْفُ(٥)

(١) رست : ثبتت ؛ والقف : الغليظ من الأرض لايبلغ أن يكون جبلا ، واستعار لعلمه اسم الجبال لكثرة علمه وزيادته على علم الناس وشدة رسوخه ومتانته ، ولما استعار له اسم الجبال استعار لصدره الأرض ، لأن الجبال تكون على الأرض ثم فضلها على جبال الأرض فضل الجبال على القفاف ، يعنى أن جبال الأرض تصغر فى جنب جبال العلم التى فى صدره .

(٢) الجواد : الكريم المعطاء . وسمت : علت وارتفعت . وأود الدهر حمله على أن يود ويتمنى . والدهر : وعاء الخير والشر ، والعرب تعزو إليه ما يوجد فيه . يقول : إن لكفه الذكر العالى فى كل خير لاوليائه وشر لأعدائه ـ لأنهما يصدران منه ـ حتى إن الدهر يتمنى أن يسمى كفا ليشارك كفه ـ الذى هو مجمع الخير والشر ـ فى الاسم ، فيسمى الكف ولا يسمى الدهر ، لأن كفه أغلب فيهما من الدهر .

(٣) أضحى هنا : تامة ؛ والخلف : الاختلاف ؛ وخلف : مبتدأ ؛ خبره : بين الناس ؛ والجملة : حال . يقول : أضحى والناس مجمعون على سيادته لا يدافع فى ذلك اثنان ، أما سيادة غيره ففيها اختلاف .

(٤) تقفو: تتبع . يقول : من حب النفس إياه يقولون له: نفديك بأنفسنا ،فكأن هواه جرى أولا فى عروقهم قبل الدم ثم تبعه الدم : أى أن حب الناس إياه أشد من حبهم أنفسهم ، قالوا : إنه ينظر إلى قول أبى تمام:

لو أن إجماعنا فى فضل سُؤْدُدِهِ ... فى الدين لم يختلف فى الملةِ اثنان

وقول البحترى :

وأرى الناسَ مجمعينَ على فضـــلكَ مابين سَيِّدٍ ومَسُودِ

(٥) وقوفين : نصب على الحال منه ومن الناس،والعامل فيه يفدونه، كما تقول رأيتك راكبين : أى أنا راكب وأنت راكب ؛ وأراد بالوقوف : الواقف . مصدر يوصف به الواحد والجمع، والوقف : ما حبس على جهة مخصوصة ؛ وشكر : بدل تفصيل من

وَلَمَّا فَقَدْنَا مِثْلَهُ دَامَ كَشْفُنَا
عَلَيْهِ فَدَامَ الفَقْدُ وَانْكَشَفَ الكَشْفُ (١)

وَمَا حَارَتِ الأَوْهَامُ فِي عُظْمِ شَأْنِهِ بِأَكْثَرَ مِمَّا حَارَ فِي حُسْنِهِ الطَّرْفُ (٢)

وَلاَ نَالَ مِنْ حُسَّادِهِ الغَيْظُ وَالأَذَى بِأَعْظَمَ مِمَّا نَالَ مِنْ وَفْرِهِ العُرْفُ (٣)

تَفَكُّرُهُ عِلْمٌ وَمَنْطِقُهُ حُكْمٌ وَبَاطِنُهُ دِينٌ وَظَاهِرُهُ ظَرْفُ (٤)

وقفين ؛ ونائل : عطف عليه ؛ والنائل : العطاء . يقول : إن الناس والممدوح فريقان واقفان فى شيئين وقفين ـ محبوسين ـ أحدهما على الناس منه وهو العطاء ، والثانى على الممدوح من الناس وهو الثناء ؛ يعنى أنه أبداً يعطى والناس أبداً يشكرونه ، وفى مثل هذا يقول البحترى .

أعيال لهم بنو الأرض أم ما لَهُمْ راتبٌ على الناس وقف

ويقول : ابن الرومى :

أمواله وقف على تنقيلنا وثناؤنا وقف على تحقيقهِ

[تنقيلنا : إصلاحنا ـ من نقل الخف أو النعل : رقعه وأصلحه] .

(١) كشفنا : بحثنا ؛ والضمير فى عليه للمثل . يقول : لما لم نجد مثله فى المجد والسخاء جعلنا نبحث عن أحد يشا كله ، وحاولنا ذلك واستفرغنا الجهد فدام الفقد : أى لم نجد أحداً وانكشف : افتضح أو زال وبطل ، الكشف أى البحث ـ لأنا يئسنا من وجود مثله فهو منقطع النظير .

(٢) يقول : حارت الأوهام فى عظم شأنه ، والطرف ـ النظر ـ فى حسنه وجماله ، وليست حيرة الأوهام بأكثر من حيرة الطرف : أى أنه بلغ الغاية فى العظمة والحسن

(٣) الوفر : المال ؛ والعرف : الجود واصطناع المعروف . يقول : إن الحسد قد نال من حساده وأثر فيهم نقصاً وهزالا كما نال عطاؤه من ماله ونقصه ، وليس ذلك النقصان بأكثر من هذا . ومثله لديك الجن :

فعلت مقلتاك بالصبِّ ما تفـعَلُ جدْوى الأمير بالأموالِ

(٤) يقول : إذا فكر فإنما يفكر فى العلم ، وإذا نطق نطق بالحكمة . وباطنه ينطوى على الدين ويظهر للناس الظرف والكياسة ومحاسن الأخلاق . قال الحريرى :

أَمَاتَ رِيَاحَ اللُّؤْمِ وَهْيَ عَوَاصِفٌ
وَمَغْـنَى الْعُلَى يُودِى وَرَسْمُ النَّدَى يَعْفُو (١)

فَلَمْ نَرَ قَبْـلَ ابْنِ الْحُسَيْنِ أَصَابِعاً
إِذَا مَا هَطَلْنَ اسْتَحْيَتِ الدِّيَمُ الْوُطْفُ (٢)

وَلاَ سَاعِياً فِي قُلَّةِ الْمَجْدِ مُدْرِكاً بِأَفْعَالِهِ مَا لَيْسَ يُدْرِكُهُ الْوَصْفُ (٣)

وَلَمْ نَرَ شَيْئاً يَحْمِلُ الْعِبْءَ حَمْلَهُ وَيَسْتَصْغِرُ الدُّنْيَا وَيَحْمِلُهُ طِرْفُ (٤)

فَتًى جهرُهُ ظَرفٌ و باطِنهُ تُقًى تزَيَّنَ ما يُخفِى بصالح ما يُبْدِى

قال ابن جنى : هذه القصيدة من الضرب الأول من الطويل ، وعروض الطويل أبداً تجىء مقبوضة على مفاعلن ، إلا أن يصرع البيت ويكون ضربه مفاعيلن أوفعولن فيتبع العروض الضرب ، وليس هذا البيت مصرعا ، وقد جاء عروضه على مفاعيلن ، وهو تخليط منه . وأقرب ما يصرف إليه أن يقال إنه رد مفاعل إلى أصلها وهى مفاعيلن لضرورة الشعر ، كما أن للشاعر إظهار التضعيف وصرف مالا ينصرف وإجراء المعتل مجرى الصحيح وقصر الممدود ونحو ذلك مما ترد فيه الأشياء إلى أصولها. قال الواحدى: ولو هو قال ومنطقه هدى أوتقى : لصح الوزن .

(١) اللؤم : ضد الكرم ـ أى الخسة ـ والمغنى : المنزل؛ ويودى: يهلك، والرسم: أثر الديار؛ ويعفو : ينمحى ؛ والواو — فى قوله ومغنى العلا ـ واو الحال . ولما استعار للؤم رياحاً استعار للعلى مغنى وللندى رسما ؛ إذ أن الرياح تعفو الرسوم وتمحو المغانى . يقول سكن الممدوح رياح اللؤم بعد شدة هبوبها عن مغنى العلى ورسم الندى وقد كادت تعفوها وتذهب بهما أى أن اللؤم كاد يغلب العلى والجود فأذهب بكرمه قوة اللؤم .

(٢) هطلت السماء . اشتد انصباب مائها ؛ والوطف . جمع الوطفاء ،وهى السحابة المسترخية الجوانب لكثرة مائها ؛ والديم . جمع الديمة ، وهى المطر يدوم أياماً . يقول : لم ير قبل هذا الممدوح أحد إذا أعطى استحيت السحب وخجلت من عطائه . وفى هذا يقول أبو نواس :

إن السَّحَابَ لتَستَحْيِي إذا نظرتْ إلى نَدَاكَ فقاسَتْهُ بمـا فيها

(٣) قلة المجد : أعلاه يقول : إن الممدوح أدرك بمساعيه الجسام وأفعاله الضخام فى قلة المجد مالا يدركه الوصف ، وقد انفرد بذلك دون غيره .

(٤) العبء : الحمل الثقيل ، وحمله : مفعول مطلق ؛ والطرف . الفرس الكريم .

وَلاَ جَلَسَ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ لِقَاصِدٍ ... وَمِنْ تَحْتِهِ فَرْشٌ وَمِنْ فَوْقِهِ سَقْفُ (١)
فَوَاعَجَبًا مِنِّى أُحَاوِلُ نَعْتَهُ ... وَقَدْ فَنِيَتْ فِيهِ الْقَرَاطِيسُ وَالصُّحْفُ (٢)
وَمِنْ كَثْرَةِ الْأَخْبَارِ عَنْ مَكْرُمَاتِهِ ... يَمُرُّ لَهُ صِنْفٌ وَيَأْتِى لَهُ صِنْفُ (٣)
وَتَفْتَرُّ مِنْهُ عَنْ خِصَالٍ كَأَنَّهَا ... ثَنَايَا حَبِيبٍ لاَ يُمَلُّ لَهَا رَشْفُ (٤)
قَصَدْتُكَ وَالرَّاجُونَ قَصْدِى إِلَيْهِمِ ... كَثِيرٌ وَلٰكِنْ لَيْسَ كَالذَّنَبِ الْأَنْفُ (٥)

يقول : إنه يحمل من أثقال المهمات مالا يستطيع غيره حمله ويرى الدنيا صغيرة ، وهو مع ذلك يحمله طرف ، وذلك لعظمة نفسه . وبعد مرتقى همته وقوة نجدته ؛ إذ العبرة بذلك لا ببسطة الجسم .

(١) جعله كالبحر المحيط بالدنيا فى كثرة عطاياه وغزارة نداه . يقول : لم يجلس قبله البحر لمن يقصده ومن تحته فرش يقله ومن فوقه سقف يظله .

(٢) الضمير من «فيه» للنعت والقراطيس : جمع قرطاس ، الورق ، والصحف جمع الصحيفة : الكتاب . يقول : أعجب من نفسى كيف أحاول أن أبلغ وصفه وقد وصفه غيرى حتى فنيت القراطيس والصحف ولم يستوف حقه ؟ وفى مثل هذا المعنى يقول أبو تمام :

تَرَكْتهم سِيَرًا لو أنها كتبت ... لم تُبقِ فى الأرض قرطاساً ولاَ قلما

(٣) يقول : إن أخبار مكرماته كثيرة متوافرة لا حد لها ، ولذلك تتجدد ، يمر صنف منها ويأتى غيره . وهكذا حتى لا آخر لها ؛ ويجوز أن يكون الصنف من القصاد الذين يقصدونه : أى لكثرة ما يسمعون من تلك الأخبار يمر صنف قد صدروا عنه ويأتى صنف يقصدونه ، وقوله : له أى لأجله .

(٤) وتفتر : أى الأخبار ؛ أى تسفر وتنجلى ؛ وأصله الابتسام إذا بدت له الأسنان والثنايا: الأسنان فى مقدم الفم؛ والرشف: المص؛ شبه خصاله ـ فى حسنها وحلاوتها ـ بثنايا حبيب لايمل مص ريقها .

(٥) يقول : إنى قصدتك والحال أن الذين يرجون أن أقصدهم وأمدحهم كثير ، ولكنى آثرتك عليهم لأنك تفضلهم كما يفضل الأنف الذنب ، وفيه نظر إلى قول الحطيئة .

وَلاَ الْفِضَّةُ الْبَيْضَاءُ والتِّبْرُ واحِـدٌ   نَفُوعَانِ لِلْمُـكْدِى وَبَيْنَهُمَا صَرْفُ(١)
وَلَسْتَ بِدُونٍ يُرْتَجَى الْغَيْثُ دُونَهُ   ولا مُنْتَهَى الْجُودِ الَّذِى خَلْفَهُ خَلْفُ(٢)
وَلا وَاحِداً فِى ذَا الْوَرَى مِنْ جَمَاعَة   وَلاَ الْبَعْضُ مِنْ كُلٍّ وَلـكِنَّكَ الضِّعْفُ(٣)

قومٌ همُ الأنفُ والأذنابُ غيرهمُ   ومن يُسَوِّى بأنف الناقة الذَّنبا

وقد كان الحطيئة مدح بهذا قوما كانوا ينبزون بأنف الناقة وكانوا يكرهونه ، فلما قال فيهم هذا فخروا بلقبهم .

(١) نفوعان : أى هما نفوعان ؛ والبيضاء من النعت المراد به التأكيد كما فى أمس الدابر ؛ والتبر : الذهب . والمكدى : الفقير الذى لا خير عنده والصرف : الفضل ؛ تقول له على صرف : أى فضل ؛ والمراد بينهما تفاوت . يقول : ليس الذهب والفضة سواء وإن اجتمعا فى المنفعة ، وكذلك الفرق بينك وبينهم ؛ ومثل هذا لابن الرومى :

وجدتـكُم مثلَ الدنانير فيهم   وسائرَ هذا الخلق مثلَ الدراهم

(٢) الدون : الخسيس ؛ وقوله خلفه خلف ؛ فخلفه : خبر مقدم ، منصوب على الظرفية ؛ وخلف : مرفوع بالابتداء . يقول : لست خسيسا فيرتجى الغيث دونك ولا ترتجى أنت : أى أنت والغيث سواء فى رجاء الخير . وليس وراءك للجود منتهى ، يعنى أن الجود مقصور عليك لا يرتجى الجود دونك ولا يتجاوز عنك ، أى أنك الغاية القصوى للجود التى من بلغ إليها لم يبق له مذهب وراءها ، كما قال بعضهم :

ما قَصَّرَ الجودُ عنكم يا بنى مطر   ولا تجاوزكم يا آلَ مسـعود
يَحُلُّ حيثُ حللتم لا يفارقـكم   ما عاقب الدهر بين البيض والسود

وقال أشجع السلمى :

فما خلفَه لامرئ مطمعُ   ولا دونه لامرئ مَقنعُ

وقال أبو تمام :

إليك تناهَى المجدُ من كل وِجهة   يصير فما يعدوك حيث تصـير

وقد زاد أبو الطيب على هذا المعنى فأساء العبارة ، ورفع خلف لأنه جعله اسما لا ظرفا .

(٣) ولا واحداً : عطف على خبر ليس — فى البيت السابق — . يقول : ولست واحداً من جماعة الناس ولا بعضاً من كلهم ، ولكنك ضعف جميعهم ، أى أنت تغنى غناءهم وتزيد عليهم زيادة ضعف الشىء على الشىء .

وَلا الضِّعْفَ حَتَّى يَتْبَعَ الضِّعْفَ ضِعْفُهُ ... وَلا ضِعْفَ ضِعْفِ الضِّعْفِ بَلْ مِثْلَه أَلْفُ (١)

أَقَاضِينَا هَـذَا الَّذِى أَنْتَ أَهْـلُهُ ... غَلِطْتُ وَلا الثُّلْثَانِ هٰذَا وَلاَ النِّصْفُ (٢)

وَذَنْبِيَ تَقْصِيرِى وَمَا جِئْتُ مَادِحاً ... بِذَنْبِي وَلَـكِنْ جِئْتُ أَسْأَلُ أَنْ تَعْفُو (٣)

***

---

(١) يقول : ولست أيضا ضعف الورى حتى يكون ذلك الضعف ضعفين ، فتكون أنت ضعف ضعف الضعف . ثم تزيد على ذلك بأضعاف كثيرة حتى تبلغ ألفا: أى تكون ألف ضعف من هذا الضعف . والمعنى أنك فوق الورى بكثير ، ونصب مثله لأنه نعت نكرة ــ وهو ألف ــ قدم عليها ، ونعت النكرة إذا قدم عليها انتصب على الحال ، كما قال القائل :

* لمية مُوحِشاً طللُ (١) *

وألف : خبر مبتدأ محذوف ؛ أى بل أنت ألف مثله . وفى هذا البيت من الغثاثة والتكلف والغلو ماترى .

(٢) يقول : أنت أهل لما أثنيت به عليك ، ثم قال: غلطت ــ ليس هذا ثاتى ماأنت أهله ولا نصفه ؛ ولا الثلثان : عطف على محذوف ، دل عليه ماتقدم : أى لا الذى أنت أهله هذا ولا الثلثان منه . والهمزة فى أقاضينا : للنداء .

(٣) يقول : إن تقصيرى فى مدحك ذنب لى والذنب لا يمدح به ، فأنا لم أجئ مادحا ولكن جئت سائلا العفو عن هذا الذنب ، قال :

وعنــدى أيادٍ جمّة لم أجِدْ لها ... بإحصائها عنــدى لسانا معبّرا

ولكنّ جهدى أن أقول وما عسى ... لذى الجهد إلا أن يقول فَيُعذرا

ولأبى تمام :

وما كنت إلا مذنبا يوم أنتحى ... ســواك بآمالى فجئتك تائبا

---

(١) عجزه :

* يَلوحُ كأنهُ خللُ *

وهو لذى الرمة . والخلل ــ بالكسر ــ جمع خلة . قال الجوهرى : الخلة واحدة خلل السيوف ، وهى بطائن يغشى بها أجفان السيوف منقوشة بالذهب .

وأخرج له أبو العشائر جوشناً حسناً(*) فقال كيف تراه فقال مرتجلا :

بِهِ وَبِمِثْلِهِ شُقَّ الصُّفُوفُ وَزَلَّتْ عَنْ مُبَاشِرِهِ الْحُتُوفُ(١)
فَدَعْهُ لَقًى فَإِنَّكَ مِنْ كِرَامٍ جَوَاشِنُهَا الأَسِنَّةُ وَالسُّيُوفُ(٢)

***

وكان أبو العشائر قد غضب على أبي الطيب فأرسل غلماناً له ليوقعوا به فلحقوه بظاهر حلب ليلا فرماه أحدهم بسهم وقال خذه وأنا غلام أبي العشائر ، فقال أبو الطيب(*) :

وَمُنْتَسِبٍ عِنْدِي إِلَى مَنْ أُحِبُّهُ وَلِلنَّبْلِ حَوْلِي مِنْ يَدَيْهِ حَفِيفُ(٣)

---

* الجوشن : الدرع .

(١) يقول : إن لابس هذا الجوشن ـ الدرع ـ يشق صفوف الأعداء يوم القتال آمنا على نفسه لحصانته ، ولا تعمل الحتوف ـ المنايا ـ فى من لبسه .

(٢) لقى : أى ملقيا . يقول : ألقه ولا تلبسه فإن مثلك يدفع عن نفسه بالرماح والسيوف لمكانه من الشجاعة ولا يحتاج إلى الدروع ، وفى مثله يقول الآخر :

ونحنُ أناسٌ لاحُصونَ بأرضِنا تَلوذُ بها إلاَّ القَنا وَالقواضِبُ

* وكان ذلك بعد أن فارق أبو الطيب أبا العشائر واتصل بسيف الدولة ، وكان سيف الدولة قد رفع منزلته وأغدق عليه عطاياه ، فأوغر ذلك صدور قوم من حساده ، فسعوا به عند سيف الدولة حتى غيروه عليه ، فأنشده أبو الطيب القصيدة الميمية التى مطلعها :

واحر قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمى وحالى عنده سقم

وفيها يعرض ببنى حمدان أبناء عم سيف الدولة ، وكان ذلك بحضر من أبى العشائر فلما خرج أبو الطيب ألحق به أبو العشائر بعض غلمانه ليوقعوا به ، وقد تقدم ذلك فى موضعه .

(٣) إلى من أحبه : يعنى أبا العشائر ـ يقول : هو منتسب إلى من أحبه ، ولكنه مع ذلك أراد قتلى ، فللنبل حوالى من يديه صوت يخف بى .

فَهَيَّجَ مِنْ شَوْقِي وَمَا مِنْ مَذَلَّةٍ ... حَنَنْتُ وَلَكِنَّ الْكَرِيمَ أَلُوفُ(١)
وَكُلُّ وِدادٍ لا يَدُومُ عَلَى الأذَى ... دَوَامَ وِدَادِي لِلْحُسَيْنِ ضَعِيفُ(٢)
فإنْ يَكُنِ الفِعْلُ الَّذِي ساءَ وَاحِداً ... فَأَفْعالُه اللَّائِي سَرَرْنَ أُلُوفُ(٣)
وَنَفْسِي له نَفْسِي الْفِدَاءُ لِنَفْسِهِ ... وَلَكِنَّ بَعْضَ المَالِكِينَ عَنِيفُ(٤)

* * *

وقال فى عبده إذ أخذ فرسه وأراد قتله :

أَعْدَدْتُ لِلْغَادِرِينَ أَسْيَافَا ... أَجْدَعُ مِنْهُمْ بِهِنَّ آنافَا(٥)

---

(١) «من» الأولى : زائدة ؛ والثانية : للتعليل ، متعلقة بحننت . يقول : لما ذكر اسم أبى العشائر هاج شوقى وحنينى إليه ، وما كان شوقى إليه فى هذه الحال ذلة ومهانة ولكن كرم طبع ، لأن الكريم طبعه الألفة .

(٢) على . بمعنى مع ؛ ودوام : نصب على المصدر ؛ وللحسين . متعلق بودادى ؛ وضعيف . خبر كل . يقول : إن كل وداد لا يدوم مع معاناة الأذى كما دام ودادى للحسين — أبى العشائر — هو وداد ضعيف .

(٣) واحداً : خبر يكن . يريد أن إحسانه أكثر من إساءته والقليل لا يعفى الكثير ولا يغلبه . يقول : إن ساءنى بفعل واحد فقد سرنى بأفعال كثيرة ؛ وفيه نظر إلى قول الآخر .

أيذهبُ يومٌ واحدٌ أن أساءَتُه ... بصالح أيامى وحُسْنِ بلائيا

(٤) نفسى له : أى أنا مملوك له إذ أسرنى بإحسانه ، لكنه مالك عنيف لا يرفق بى ، كما قال الآخر :

* أريد حباءهُ ويريد قتلى *

وقوله: نفسى الفداء لنفسه : دعاء ؛ أى أفديه بنفسى .

(٥) يعنى بالغادرين عبيده الذين أرادوا أن يسرقوا خيله . يقول : أعددت لهم سيوفا أجدع — أقطع — بها أنوفهم ، يعنى أذلهم بها وأنكل .

لا يَرْحَمُ اللهُ أَرْؤُساً لَهُمْ أَطَرْنَ عَنْ هَامِهِنَّ أَقْحَافا(١)
مَا يَنْقِمُ السَّيْفُ غَيْرَ قِلَّتِهِمْ وَأَنْ تَكُونَ المِئُونَ آلافَا(٢)
يا شَرَّ لَحْمٍ فَجَعْتُهُ بِدَمٍ وَزَارَ لِلْخَامِعَاتِ أَجْوَافا(٣)
قَدْ كُنْتَ أُغْنِيتَ عَنْ سُؤَالِكَ بِي مَنْ زَجَرَ الطَّيْرَ لِي وَمَنْ عَافَا(٤)
وَعَدْتُ ذَا النَّصْلِ مَنْ تَعَرَّضَهُ
وَخِفْتُ لَمَّا اعْتَرَضْتَ إِخْلافَا(٥)

---

(١) الهام : جمع هامة ، أعلى الرأس ؛ والأقحاف : جمع قحف ـ بكسر القاف ـ العظم الذى فوق الدماغ . يقول : لارحم الله رءوسهم التى أطارت السيوف قحوفها عن هامها ، فضمير « أطرن » للسيوف .

(٢) يقول : ما ينقم السيف ـ أى ما ينكر ويعيب ويكره ـ إلا قلة عددهم أى أن السيف يريد أن يكونوا أكثر حتى يأتى عليهم ويقتلهم جميعاً ؛ وأن تكون المؤن منهم آلافا حتى يقتل كل غادر وكل عبد سوء فى الدنيا . فقوله : وأن تكون أى وأن لا تكون ، فحذف « لا » وهو يريدها .

(٣) فجعه : أوجعه بشىء يكرم عليه ؛ والخامعات : الضباع ، لأنها تخمع فى مشيها ـ أى تمشى مشى الأعرج . يقول ـ لمن قتل من عبيده ـ : يا شر لحم أسلت دمه ففجعته بذهاب دمه وتركته ملقى للضباع حتى أكلته فدخل أجوافها .

(٤) كأن هذا العبد سأل عائفاً عن حال المتنبى فذكر له من حاله مازين له الغدر به . وقوله : سؤالك بى أى عنى ، كما قال تعالى «فاسأل به خبيراً» وزجر الطير وعيافتها ضرب من التكهن كانت العرب تذهب إليه ، فكانت تنفر الطير ؛ فإن نفر عن يمين تفاءلت ، أو عن شمال تشاءمت . يقول ـ للعبد الذى قتله ـ لقد كنت فى غنى عن أعمال الزجر والعيافة فى إقدامك على وتعرضك للغدر بى .

(٥) يقول : وعدت هذا السيف ـ يعنى سيفه ـ أن أضرب به من تعرض له وأحوج إلى ضربه ، ولما اعترضت لسيفى بالغدر بى وأخذ خيلى خفت إن تركت قتلك إخلاف ما وعدت السيف : أى أن لا أفى بوعدى إياه . فذا اسم إشارة ؛ ومن : مفعول ثان لوعدت ؛ وتعرضه : أى تعرض له ؛ والإخلاف : ترك الوفاء بالوعد ، وهو مفعول خفت .

لا يُذْكَرُ الخَيْرُ إنْ ذُكِرْتَ وَلا تَبْكِيكَ المُقْلَتَانِ تَوْكَافَا[١]

إذا امْرُؤٌ رَاعَنِي بِغَدْرَتِهِ أَوْرَدْتُهُ الغَايَةَ الَّتِي خَافَا[٢]

* * *

(١) التوكاف : تفعال من الوكف ، وهو قطران الماء ـ جريانه ـ يقول : لم يكن فيك خير تذكر به ولا تبكى عليك العين .

(٢) يقول : إذا راعنى ـ خوفنى ـ امرؤ بغدرته كافأته بالقتل وهو غاية ما يخافه المرء

قافية القاف

وقال يمدح سيف الدولة وقد أمر له بفرس دهماء وجارية :

أَيَدْرِى الرَّبْعُ أَىَّ دَمٍ أَرَاقَا ... وَأَىَّ قُلوبِ هَذَا الرَّكْبِ شَاقَا(١)

لَنَا وَلأَهْلِهِ أَبَدًا قُلوبٌ ... تَلاَقَى فى جُسُومٍ ما تَلاَقَى(٢)

وَمَا عَفَتِ الرِّيَاحُ لَهُ مَحَلاًّ ... عَفَاهُ مَنْ حَدَابِهِمِ وَسَاقَا(٣)

---

(١) أراق : سفك ؛ والركب : جماعة الركبان ، وهذا استفهام إنكار واستعظام لما فعله الربع من قتله بشوقه إلى أحبته . يقول : هل يدرى هذا الربع – ربع الأحبة – ما فعل من إراقة دمى وما هاج فى قلبى من الشوق ، وذلك أن وقوفه بالربع هيج شوقه وجدد له ذكر الأحبة ، فكان البكاء والنحيب ، وكانت اللوعة والأسى . وكان حق الكلام أن يقدم «شاق» على «أراق» ، لأن الربع إذا لم يشق لم يرق الدم ، لكن الواو لا توجب الترتيب ؛ أو تقول إنه ابتدأ مالاهم ثم عاد إلى ذكر سببه ، وهو الشوق ، وشاقه يشوقه : حمله على الشوق .

(٢) تلاقى : أى تتلاقى ، فحذف إحدى التاءين . يقول : لنا وللذين كانوا أهل هذا الربع – يعنى الأحبة – قلوب تتلاقى فى جسوم ماتتلاقى ، يعنى نحن نذكرهم وهم يذكروننا ، فكأننا نتلاقى بالقلوب وإن لم نتلاق بالأشخاص كما قال ابن المعتز :

إنَّا عَلَى البِعادِ والتفرُّقِ ... لنلتقى بالذكرِ إنْ لم نَلتقِ

(٣) عفته الريح : درسته . يقول : لم تدرس الرياح لهذا الربع منزلا ، فلا ذنب للريح فى دروس منازله ، إنما عفاه الحادى الذى ساق الإبل بأهله فلو لم يخرجوا منه لما درس الربع . وهذا كما قال أبو الشيص :

ما فرّقَ الأُلاَّفَ بَعْ ... دَ اللهِ إلا الإبلُ

والناسُ يلحَوْنَ غُرَا ... بَ البَينِ لمَّا جهلوا

وَما إذا صاحَ غــرا ... بٌ فى الدِّيارِ احتمَلوا

ولا عَلَى ظَهرِ غــرَا ... بِ البَينِ تُطْوَى الرّحلُ

فَلَيْتَ هَوَى الأَحِبَّةِ كَانَ عَدْلاً   فَحَمَّلَ كُلَّ قَلْبٍ مَا أَطَاقَا(١)
نَظَرْتُ إِلَيْهِمِ وَالعَيْنُ شَكْرَى   فَصَارَتْ كُلُّهَا لِلدَّمْعِ مَاقَا(٢)
وَقَدْ أَخَذَ التَّمَامَ الْبَدْرُ فِيهِمْ   وَأَعْطَانِي مِنَ السَّقَمِ الْمُحَاقَا(٣)
وَبَيْنَ الْفَرْعِ وَالقَدَمَيْنِ نُورٌ   يَقُودُ بِلاَ أَزِمَّتِهَا النِّيَاقَا(٤)

وما غرابُ البينِ إلا ناقةٌ أوْ جَمَلُ

(١) يريد أن العشق بلغ منه الغاية، وأن الهوى حمله مالا يطيق فجار عليه يشير إلى أنه أعشق العشاق، وهذا ينظر إلى قول الآخر:

فيارَبِّ قدْ حَمّلتني فوْقَ طَاقتي   مِنَ الحُبِّ حِمْلاً قَاتِلِي فوْق ما بيَا
وإلا فساوِ الحبَّ يارَبِّ بَيننا   يكونُ سواءً لا عليَّ ولا ليَا

(٢) عين شكرى: ملأى بالدمع؛ والمـاق: طرف العين مما يلى الأنف وهو مخرج الدمع من العين. يقول: نظرت إلى الأحبة لدى ارتحالهم والعين ممتلئة بالدموع فسال الدمع من جميع جوانبها لامتلائها به حتى كأن جميع الجوانب ماق يسيل الدمع منه، يشير إلى غلبة البكاء من لوعة الفراق.

(٣) المحاق – بضم الميم، وكسرها – نقصان القمر آخر الشهر؛ والتمام: الكمال، وقد طابق بين التمام والمحاق. يقول: لما ارتحلوا أخذ الحبيب الذى هو كالبدر فيهم الكمال فى الحسن والإشراق، وأنا لسقمى كأنه أعطانى المحاق يعنى: أن الحبيب كان فى الحسن كالبدر كله نور وبهاء وكنت أنا فى الدقة والنحول كالقمر فى المحاق، وقد أخذ هـذا القائل:

يامَنْ يحاكى البدْرَ عِنْدَ تمامِه   ارْحَمْ فتًى يحكيهِ عندَ مُحاقِهِ

(٤) الفرع: الشعر؛ والأزمة: جمع زمام، ما تقاد به الدابة، والنياق: جمع ناقة. وقوله: بين الفرعين والقدمين ظرف لنور وما يليه فى البيتين التاليين، والضمير فى أزمتها: للنياق، وجاز تقديمه لأنه مؤخر فى الرتبة. لما جعله بدراً والبدر لا يخص النور بعضه وصفه بأنه من فرقه إلى قدمه نور، وأن نياق الركب تهتدى بنوره فكأنه يقودها بلا أزمة؛ ويجوز أن يريد بالنور وجهه، وذلك أنه أراد أن يذكر تفاصيل المحاسن التى بين شعره وقدميه، فبدأ بالوجه ثم ثنى بالطرف ثم ثلث بالخصر، وفى هذا البيت نظر إلى قول أبى العتاهية:

وَطَرْفٌ إنْ سَقَى الْعُشَّاقَ كَأْساً بِهَا نَقْصٌ سَقَانِيهَا دِهَاقَا(١)
وَخَصْرٌ تَثْبُتُ الأبْصَارُ فِيهِ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ حَدَقٍ نِطَاقَا(٢)
سَلِي عَنْ سِيرَتِي فَرَسِي وَسَيْفِي وَرُمْحِي وَالْهَمَلَّعَةَ الدِّفَاقَا(٣)
تَرَكْنَا مِنْ وَرَاءِ الْعِيسِ نَجْدًا وَنَكَّبْنَا السَّمَاوَةَ وَالْعِرَاقَا(٤)
فَمَا زَالَتْ تَرَى وَاللَّيْلُ دَاجٍ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْمَلِكِ ائْتِلَاقَا(٥)

وَلَوْ أنَّ رَكْباً يَمَّمُوكَ لَقَادَهُمْ نَسِيمُكَ حَتَّى يَسْتَدِلَّ بِكَ الرَّكْب

(١) دهاقا : ملأى . يقول : وله طرف ساحر إذا سقى عشاقه كأساً ناقصة سقانيها مترعة ، يعنى أنه أعشق العشاق له ، وفيه نظر إلى قول القائل :

وَمَا لَبِسَ الْعُشَّاقُ مِنْ حُلَلِ الهوى ولا أَخْلَقوا إلا الثيابَ التى أُبلِي
ولا شَرِبُوا كأساً مِنَ الحب حُلوةً ولا مُرَّةً إلا شَرابُهُم فَضْلِي

(٢) يقول : إن الأبصار تثبت فى خصره استحسانا له وتكثر عليه من الجوانب حتى تصير كالنطاق عليه . وفى هذا المعنى يقول بشار :

وَمُكَلَّلَاتٍ بالعُيُو نِ طَرَقْنَنِي وَرَجَعْنَ مُلْسَا

[يريد بشار أنهن ـ لحسنهن ـ تعلو الأبصار إلى وجوههن ورءوسهن حتى كأن لهن إكليلا من العيون . وملسا : أى لم يعلق بهن أذى ولا ريبة] ويقول أبو العتاهية :

أحاطَتْ عُيُونُ العَاشِقين بِخَصْرِه فَهُنَّ لهُ دُونَ النطَاقِ نِطَاق

(٣) الهملعة : الناقة السريعة ؛ والدفاق : المتدفقة فى السير . يخاطب محبوبته يقول : سلى عن حال سيرى هذه الأشياء تخبرك بإقدامى وتجلدى للأهوال ؛ يعنى أنه كان وحده لم يصحبه غير ما ذكر فلا يستخبر عن سيره غير الفرس والرمح والسيف والناقة .

(٤) العيس : الإبل البيض ؛ ونكبه : عدل عنه ؛ والسماوة : فلاة بين الشام والعراق . يقول : خلفنا ـ فى قصدنا إلى الممدوح ـ نجدا وراءنا وملنا عن طريق السماوة وطريق العراق ومنتوانا حلب .

(٥) ترى : أى العيس ؛ ودجى الليل : أظلم ؛ والائتلاق : البريق والالتماع ؛ يقال : ائتلق البرق وتألق : إذا لمع . يقول : لم تزل العيس ترى نور وجه سيف الدولة فى ظلمة الليل يسطع لها فتستصبح به ويقتادها ، وهذا من قول سحيم :

أَدِلَّتُهَا رِيَاحُ المِسْكِ مِنـــهُ ... إِذَا فَتَحَتْ مَنَاخِرَهَا انْتِشَاقَا[١]

أَبَاحَكِ أَيُّهَا الوَحْشُ الأَعَادِي ... فَــلِمْ تَتَعَرَّضِينَ لَهُ الرِّفَاقَا[٢]

إذا نحنُ أدلَجنا وأنتَ أمامَنا ... كفى لمطايانا بوجهِكَ هادِيا

ومثله قول أبي الطمحان القيني :

أَضَاءَتْ لَهم أَحْسَابُهم وَوُجُوهُهمْ ... دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الجِزْعَ ثَاقِبُهُ[١]

(١) انتشاقا : حال ، أو مفعول له . يقول : أدلة العيس فى طريقها إلى سيف الدولة انتشاقها رياح المسك منه إذا فتحت مناخرها ، وفى مثل هذا المعنى يقول ابن الرومى :

فَهَدَتْ عُيونَهُمُ له أَضْوَاؤُهُ ... وَهَدتْ أُنوفَهم له أرواحه

ويقول أيضاً :

إنْ جاء مَنْ يَبغِى لنا مَنزِلاً ... فَقُلْ له يمشى وَيَسْتَنشِقُ

ولعلهم يريدون المعنى المجازى فيريدون بريحه طيب ثنائه ويريدون بائتلاقه مجده ومكارمه ؛ فعبروا عن المعنوى بالحسى مبالغة فى ظهوره حتى أدركته النياق فاهتدت به إليه .

(٢) التعرض : القصد ؛ والرفاق : جمع رفقة ، وهى الجماعة فى السفر . يقول : ـ للوحش ـ إن سيف الدولة أباحك أعداءه بأن قتلهم وجعلهم طعمة لك ، فلم تقصدين الرفاق التى تسير إليه ؟ وهو يشير بذلك إلى كثرة إيقاعه بمن يخالفه وشدة استظهاره على من يعارضه ويخفر ذمته ،قال الواحدى قوله : فلم تتعرضين الرفاقا ، تقديره فلم تتعرضين الرفاق له : أى رفاقه .

---

(١) الجزع ـ بفتح الجيم ، وكسرها ـ ضرب من الخرز اليمانى فيه بياض وسواد تشبه به العيون . وقبل البيت :

وإنى من القوم الذين هم هم ... إذا مات منهم سيد قام صاحبه

نجوم سماء كلما غار كوكب ... بدا كوكب تأوى إليه كواكبه

وبعده :

وما زال منهم حيث كانوا مُسَوَّد ... تسير المنايا حيث سارت ركائبه

إلى أبيات يمدح بها أبو الطمحان بجير بن أوس بن حارثة بن لأم الطائى .

وَلَوْ تَبِعْتَ مَا طَرَحَتْ قَنَاهُ ... لَكَفَّكَ عَنْ رَذَايَانَا وَعَاقَا[١]
وَلَوْ سِرْنَا إِلَيْهِ فِي طَرِيقٍ ... مِنَ النِّيرَانِ لَمْ نَخَفِ احْتِرَاقَا[٢]
إِمَامٌ لِلْأَئِمَّةِ مِنْ قُرَيْشٍ ... إِلَى مَنْ يَتَّقُونَ لَهُ شِقَاقَا[٣]
يَكُونُ لَهُمْ إِذَا غَضِبُوا حُسَاماً ... وَلِلْهَيْجَاءِ حِينَ تَقُومُ سَاقَا[٤]
فَلَا تَسْتَنْكِرَنَّ لَهُ ابْتِسَاماً ... إِذَا فَهِقَ الْمَكَرُّ دَماً وَضَاقَا[٥]

---

(١) تبع : بمعنى اتبع ، والقنا : الرماح . والرذايا : المهازيل من الإبل ، واحدها رذية : ما هزل من الإبل وانقطع عن السير فلا يستطيع براحا ، يقول : لو تتبعت أيها الوحش ما طرحت رماحه من القتلى لكفك ذلك عن مطايانا ولكان لك فيه غناء عن التعرض لنا — لكثرته .

(٢) يقول : نحن آمنون فى طريقنا إليه حتى لو سرنا فى النيران ما قدرت على إحراقنا ، يريد أن الخوف من سطوته شامل فالسالكون إليه فى أمن وطمأنينة . ومثله لأبى تمام :

فَمَضى لَوَ انَّ النار دونك خاضها ... بالسيف إلا أن تكونَ النارا

« يريد جهنم » ولأبى حية النميرى :

لو أن جَمْر النار دون بلادهم ... لعلمتَ أنِّى جَمْرَها مُتَخَوِّضُ

(٣) من قريش : حال من الأئمة . يقول : هو إمام للخلفاء — يعنى خلفاء بنى العباس — إذا شاقهم عدو — أى تمرد عليهم — يحذرون شقاقه — خلافه وعصيانه — تقدمهم اليه وكفاهم ذلك العدو ، وذلك لعلو قدره وارتفاع أمره وشدة سطوته . فقوله إلى من يتقون : متعلق بما فى إمام من معنى التقدم ، وقد بين هذه الإمامة فى البيت التالى .

(٤) يقول : فهو سيفهم الذى يبطشون به عند غضبهم ، وإذا قامت حرب فهو ساقها الذى تعتمد عليه .

(٥) الفهق : الامتلاء ، ومنه المتفيهق الذى يفهق فمه بالكلام . والمكر : مجال الحرب . يقول : لا تنكر تبسمه فى أهوال ساعة الحرب — وهو عند ضيق المكر بازدحام الأبطال وامتلائه بالدم ، يعنى أنه ملك عظيم إذا رام مطلباً أدركه بالأسلحة والخيل ، ثم بين علة ترك الإنكار لتبسمه فى البيت التالى وفى مثل هذا يقول البحترى :

فَقَدْ ضَمِنَتْ لَهُ الْمُهَجَ الْعَوَالِي ... وَحَمَّلَ هَمَّهُ الْخَيْلَ الْعِتَاقَا(١)
إِذَا أُنْعِلْنَ فِي آثَارِ قَوْمٍ ... وَإِنْ بَعُدُوا جَعَلْنَهُمُ طِرَاقَا(٢)
وَإِنْ نَقَعَ الصَّرِيخُ إِلَى مَكَانٍ ... نَصَبْنَ لَهُ مُؤَلَّلَةً دِقَاقَا(٣)
فَكَانَ الطَّعْنُ بَيْنَهُمَا جَوَابًا ... وَكَانَ اللَّبْثُ بَيْنَهُمَا فُوَاقَا(٤)

ضَحوكٌ إلى الأبطال وَهْوَ يَرُوعُهُم ... وللسَّيفِ حَدٌّ حين يَسطو ورَوْنَقُ

(١) المهج : الأرواح ، والعوالى : الرماح ؛ وهمه : همته؛ والعتاق : الخيل الكرام يقول : لا تنكر ابتسامه فى هذه الحالة لأنه لا كلفة عليه فى الحرب إذ أن الرماح قد ضمنت له أرواح أعدائه ، وإذا هم بأمر أدركه على ظهور خيله ، فقد حملت همته ، وقد كشف عن هذا المعنى فى البيت التالى .

(٢) إنعال الخيل : تصفيح أيديها بالحديد ، والطراق : نعل تحت نعل . يقول : إذا أنعلت خيله لقصد قوم أدركتهم فداستهم بحوافرها حتى تصير جلودهم ولحومهم طراقا لنعالها وإن بعد المطلوبون ، ومثل هذا لأبى الأخزر الحمانى :

لَمْ تشكُ خيلهمُ الوَجَى مِن رَوْحَةٍ ... إلا انْتَعَلْنَ مِنَ الدماءِ قَتيلاَ

(٣) نقع : ارتفع صوته وبعد . والصريخ : المستغيث . وضمير نصبن للخيل والمؤللة المحددة ، يريد آذانها وآذان الخيل توصف بالدقة . قال الشاعر :

يَخْرُجْنَ مِن مُسْبَطِرِّ النقعِ دَامِيَةً ... كَأَنَّ آذَانَهَا أَطْرَافُ أَقلامِ

يقول : إذا سمعت الخيل صوت المستغيث نصبت آذانها المرهفة لاستماعه لأنها تعودت إجابة المستغيث وإن كان يدعو غيرها ، وهذا معنى قوله إلى مكان : أى إلى مكان سوى مكانهن .

(٤) الضمير فى بينهما للصريخ والخيل : والفواق ـ بضم الفاء ، وفتحها ـ مقدار ما بين الحلبتين ، ويضرب مثلا فى السرعة . والفواق أيضاً : الشهقة الغالبة للانسان يقول : إن خيله متى دعاها المستغيث كان جوابها الطعان من غير بطء فى إجابته فتجعل الطعن جوابا ، ومقدار اللبث بين الإجابة وبين دعاء المستغيث مقدار فواق ناقة، أو فواق إنسان : أى لا لبث بينهما . ولله سلامة بن جندل حين يقول :

كنّا إذَا مَا أتانَا صَارِخٌ فزِعٌ ... كَانَ الصُّراخُ له قرْعَ الظَّنَابِيبِ(١)

---

(١) يقول : إذا استغاث بنـا مستغيث ، كان جوابه الجد فى نصرته ، ويقال قرع

مُلاَقِيَــــةً نَوَاصِيهَا المَنَايَا ... مُعَــــوَّدَةً فَوَارِسُهَا العِنَاقَا[١]
تَبِيتُ رِمَاحُهُ فَوْقَ الهَوَادِي ... وَقَدْ ضَرَبَ العَجَاجُ لَهَا رِوَاقَا[٢]
تَمِيلُ كَأَنَّ فِي الأَبْطَالِ خَمْراً ... عُلِلْنَ بِهَا اصْطِبَاحاً وَاغْتِبَاقَا[٣]
تَعَجَّبَتِ المُدَامُ وَقَدْ حَسَاهَا ... فَلَمْ يَسْكَرْ وَجَادَ فَمَا أَفَاقَا[٤]

---

(١) النواصى : جمع ناصية : شعر مقدم الرأس ؛ وملاقية ومعاودة : حالان من الخيل ؛ والعامل فيهما : المصدر ـ من قوله وكان الطعن يقول: إن خيله تلق نواصيها المنايا مقدمة عليها بوجهها مسرعة وقد اعتادت فواسها معانقة الأبطال فى الحرب ، قالوا : والمعانقة آخر حالة فى الحرب ؛ وأولها الملاقاة من بعيد ، ثم المراماة بالسهام ، ثم المنازلة بالرماح ، ثم المنازلة إلى الاقران ، ثم المعانقة .

(٢) أراد ــ ـ بالهوادى : أعناق الخيل ؛ والعجاج : الغبار . يقول : تبيت رماحه معروضة فوق أعناق خيله فى سراه إلى عدوه فلا ينزل بالليل أخذا بالحزم ، وكأنها من الغبار الذى تثيره تحت رواق ، وهو من قول ابن الرومى :

وإعمالى إليك بها المطايا ... وقد ضرب العَجاجُ بها رواقا

(٣) العلل : الشرب مرة بعد أخرى ؛ والاصطباح : الشرب فى الصباح ؛ والاغتباق الشرب فى العشى . يقول : تميل هذه الرماح كأن دم الأبطال خمر علت بها صباحاً وغبوقا فهى لسكرها تميل ، وميلانها إنما هو للينها وفيه إشارة إلى أنه كثير الغارات لا تفتر خيله جائلة غدواً وعشياً وفى مثل هذا يقول البحترى :

يتعثرن فى النحور وفى الأو ... جُه سكْراً لمّا شربْنَ الدماء

(٤) حساها : شربها . يقول : شرب سيف الدولة الخمر فلم تغلبه الخمر على عقله حتى تعجبت حين لم تقدر عليه ، وذلك لقوته ومتانته ، ولما جاد بالمال لم يفق من سكر الجود ولم يصح من أريحيته ، وقد أحسن البحترى فى هذا المعنى إذ يقول :

تــكرمْتَ مِنْ قَبلِ الــكئوس عَليهِمِ ... فما اسْطَعْنَ أن يُحدِثْن فيك تــكرما

لهذا الأمر ظنبوبه : إذا جد فيه ؛ والظنبوب : طرف العظم اليابس من الساق فجعل قرع الصوت على ساق الخف قرعا للظنبوب .

أَقَامَ الشِّعْرُ يَنْتَظِرُ الْعَطَايَا ... فَلَمَّا فَاقَتِ الْأَمْطَارَ فَاقَا(١)
وَزَنَّا قِيمَةَ الدَّهْمَاءِ مِنْهُ ... وَوَفَّيْنَا الْقِيَانَ بِهِ الصَّدَاقَا(٢)
وَحَاشَا لِارْتِيَاحِكَ أن يُبَارَى ... وَلِلْكَرَمِ الَّذِي لَكَ أَنْ يُبَاقَى(٣)
وَلَكِنَّا نُدَاعِبُ مِنْكَ قَرْماً ... تَرَاجَعَتِ الْقُرُومُ لَهُ حِقَاقَا(٤)
فَتًى لَا تَسْلُبُ الْقَتْلَى يَدَاهُ ... وَيَسْلُبُ عَفْوُهُ الْأَسْرَى الْوَثَاقَا(٥)

---

(١) يقول : أقام الشعر ببابه ينتظر عطاياه ، فلما فاقت عطاياه الأمطار في كثرتها فاق الشعر الامطار كذلك ؛ يعني كثرت عطاياه وكثرت الأشعار في مدحه .

(٢) الدهماء : يريد الفرس الدهماء ؛ أي السوداء ؛ والقيان : جمع قينة ، الجارية للمغنية وغير المغنية . والصداق مهر المرأة . وكان سيف الدولة أعطاه فرساً وجارية يقول : وزنا قيمة الفرس من الشعر وبذلنا مهر الجارية منه : أي ملكنا الفرس والجارية بالشعر . يريد أنه كافأ هبته بمدحه . قال العكبري : وسمى قيمة الجارية صداقا لأن القيمة للأمة ، كالصداق للحرة ؛ لأنها تستحل بالثمن كما تستحل الحرة بالمهر .

(٣) حاشا : كلمة للاستثناء والتبعيد للشيء ؛ والارتياح : الاهتزاز للبذل ويبارى : يجارى . ويباق : يغالب من البقاء . وقد استدرك في هذا البيت ما ذكره في البيت السابق من أنه كافأه بالشعر . يقول : حاشا لارتياحك للعطاء أي لجودك ، أن يبارى بشيء ، فهو أكثر من أن يعارضه شيء . وحاشا لكرمك أن يباهى بالبقاء فهو أبقى من كرم غيرك ، يعني أن جوده وكرمه أكثر وأبقى من شعرنا الذي نجازيهما به .

(٤) منك تجريد ؛ والقرم : الفحل الكريم من الإبل ، ثم أطلق على السيد الشريف ؛ والحقاق : جمع حقة ، وهي التي دخلت في السنة الرابعة من النوق فاستحقت الركوب والحمل . يقول : يريد أني قلت ذلك — أي أنا وزنا قيمة الفرس والجارية من الشعر — ممازحة ، فنحن نداعب منك سيداً كل سيد ، في جنبه يتصاغر حتى يصير كالحقة في جنب الفحل الكريم .

(٥) يقول : إذا قتل قتيلا لم يأخذ سلبه ترفعاً عن ذلك ولكن عفوه يسلب أسراه أغلالهم وقيودهم : أي يعفو عنهم ويطلقهم ؛ والأصل في هذا المعنى قول عنترة :

يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ أَنَّنِي
أَغْشَى الْوَغَى وأَعِفُّ عِنْدَ الْمَغْنَمِ

وَلَمْ تَأْتِ ٱلْجَمِيلَ إِلَيَّ سَهْواً ۝ وَلَمْ أَظْفَرْ بِهِ مِنْكَ ٱسْتِرَاقَا(١)
فَأَبْلِغْ حَاسِدِيَّ عَلَيْكَ أَنِّي ۝ كَبَا بَرْقٌ يُحَاوِلُ بِي لَحَاقَا(٢)
وَهَلْ تُغْنِي ٱلرَّسَائِلُ فِي عَدُوٍّ ۝ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ ظُبًى رِقَاقَا(٣)
إِذَا مَا ٱلنَّاسُ جَرَّبَهُمْ لَبِيبٌ ۝ فَإِنِّي قَدْ أَكَلْتُهُمُ وَذَاقَا(٤)
فَلَمْ أَرَ وُدَّهُمْ إِلَّا خِدَاعاً ۝ وَلَمْ أَرَ دِينَهُمْ إِلَّا نِفَاقَا
يُقَصِّرُ عَنْ يَمِينِكَ كُلُّ بَحْرٍ ۝ وَعَمَّا لَمْ تُلِقْهُ مَا أَلَاقَا(٥)
وَلَوْلَا قُدْرَةُ ٱلْخَلَّاقِ قُلْنَا ۝ أَعَمْداً كَانَ خَلْقُكَ أَمْ وِفَاقَا(٦)

---

(١) يقول : إنك لم تحسن إلى غفلة منك وإنما عن علم وتجربة أحسنت إلى ، ولم أظفر بإحسانك من غير استحقاق كمن يسرق شيئاً ، ولكنى كنت أهلا لما أسديت وكنت أنت مصيباً فيما أوليت .

(٢) يقول : أبلغ هؤلاء الذين يحسدوننى عليك أنهم لا يلحقوننى ولا يبلغون شأوى لأن البرق إذا حاول اللحاق بى كبا على وجهه ــ عثر وسقط ــ وإذا لم يلحقنى البرق فكيف يلحقوننى هم ؟ قال الواحدى : وتحميله الممدوح الرسالة إلى أعدائه قبيح لولا قوله ــ حاسدى عليك .

(٣) الظبى : جمع ظبة ، وهى حد السيف . وهذا استفهام إنكار . يقول : إن حاسدى لا تكفى أمرهم الرسائل إنما يكفى أمرهم السيوف ، يعنى ليس يشفينى منهم الرسالة ، إنما يشفينى منهم القتل بالسيف .

(٤) يقول إنى أعرف المجربين الألباء بأحوال الناس ، لأن غيرى إذا كان قد ذاقهم فإنى قد ذقت وذقت حتى صرت كالآكل والآكل أعرف بالمأكول من الذائق .

(٥) ألاق الشىء : أمسكه ، قال الشاعر :

كفاكَ كفٌّ ما تُليقُ دِرهما ۝ جُوداً وأُخرَى تُعطِ بالسيف الدِّمَا

يقول : كل بحر لا يبلغ شأوك فى الجود ، وما يمسكه من مائه على كثرته أقل مما لم تمسكه وجدت به .

(٦) يقول : لولا أن الله سبحانه قادر على أن يخلق ما يشاء لساورنا الشك هل أنت خلقت وفاقا ــ اتفاقا ــ أو عن عمد ، لاستبعاد الوهم أن يكون مثلك فى جوده وتناهى محاسنه قد خلق .

فَلاَحطَّتْ لَكَ الْهَيْجاء سَرْجاً ‏ وَلاَ ذَاقَتْ لَكَ الدُّنْيَا فِرَاقَا (١)

* * *

وقال يمدحه ويذكر الفداء الذى طلبه رسول ملك الروم وكتابه إليه :

لِعَيْنَيْكِ مَا يَلْقَى الْفُؤَادُ وَمَا لَقِى ‏ وَلِلْحُبِّ مَالَمْ يَبْقَ مِنِّى وَمَا بَقِى (٢)
وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ يَدْخُلُ الْعِشْقُ قَلْبَهُ ‏ وَلَـكِنَّ مَنْ يُبْصِرْ جُفُونَكِ يَعْشَقِ (٣)
وَبَيْنَ الرِّضَا وَالسُّخْطِ وَالقُرْبِ وَالنَّوَى ‏ مَجَالٌ لِدَمْعِ الْمُقْلَةِ الْمُتَرَقْرِقِ (٤)

---

(١) يدعو له . والهيجاء : الحرب : قالوا : وهذا منقول من قول البحترى :

حُطَّتْ سروج أبى سَعِيدٍ وَاغْتَدَتْ ‏ أسيافه دون العَـــدوِّ تشام

(٢) يقول . إن عينيك هما دائى فكل ما لقيه قلبى من برح الهوى وما سيلقاه إنما هو لأجل عينيك وما تضمنتاه من السحر . وإن الحب هو الذى أذاب جسمى وأكل لحمى فالذى لم يبق منى — وهو الذاهب — وما بقى ، كلاهما له يفنيه ويذهبه : فاللام — فى قوله لعينيك — للتعليل : ومن قوله للحب : للملك ويروى بدل للحب : للشوق .

(٣) يذكر أنه عزهاة يعزف عن النساء ولا يميل إلى الغزل والعشق ولكن جفون عينى حبيبه فتانة لمن يراها فتضطر من لم يعشق إلى العشق ، وفى هذا نظر إلى قول صريع الغوانى :

وقَدْ كانَ لا يصْبو ولـكنَّ عينَهُ ‏ رَأَتْ مَنظرًا يُضْنِى القلوبَ فرَانَها

وقوله ولـكن من يبصر : أراد ولـكنه — بضمير الشأن — فحذفه وجزم بعده على الشرط .

(٤) يقول : إنه يبكى فى كل حال رضى عنه المحبوب أو سخط عليه ، قرب منه أو بعد عنه . لأنه فى حالة الرضا يخاف السخط وعند قربه يخاف البعد ؛ فالنوى : البعد . والمترقرق الذى يجول فى العين ولا ينحدر . وعبارة العكبرى : ما بين ماأرجوه من رضا من أحبه وأحذره من سخطه وما أتمناه من اقترابه وأخافه من بعده مجال للدموع التى تترقرق فى المقل كلفا بالحبيب وحذارا من الرقيب ، وقد شرح هذا المعنى الحماسى حين يقول :

وما فى الأرض أشقى من مُحِبٍّ ‏ وإن وَجد الهوَى حُلوَ المذاقِ

وَأَحْلَى الْهَوَى مَا شَكَّ فِي الْوَصْلِ رَبُّهُ   وَفِي الْهَجْرِ فَهْوَ الدَّهْرَ يَرْجُو وَيَتَّقِي (١)
وَغَضْبَى مِنَ الإِدْلَالِ سَكْرَى مِنَ الصِّبَا   شَفَعْتُ إِلَيْهَا مِنْ شَبَابِي بِرَيِّقِ (٢)

تَرَاهُ بَاكِياً فِي كُلِّ وَقْتٍ   مَخَافَةَ فُرْقَةٍ أَوْ لاشْتِيَاقِ
فَيَبْكِي إِنْ نَأَوْا شَوْقاً إِلَيْهِمْ   وَيَبْكِي إِنْ دَنَوْا خَوْفَ الفِرَاقِ
فَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّنَائِي   وَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّلَاقِي

(١) ربه : صاحبه ؛ والدهر : ظرف . يقول : أحلى الهوى وأعذبه ما كان صاحبه شاكا بين الوصل والهجر ، لأنه إذا كان كذلك كان للوصل أشد اغتناماً ، أما إذا تيقن الوصل فإنه لا يلتذ به عند حصوله وإذا كان يائساً منه فقد لذة الرجاء ، فالهوى عليه بلاء كله ، كما قال الآخر:

تَعَبٌ يَطُولُ مَعَ الرَّجَاءِ بِذِي الْهَوَى   خَيْرٌ لَهُ مِنْ رَاحَةٍ مَعَ يَاسِ

وفي هذا المعنى يقول قيس بن الرقيات :

تَرَكْتِنِي وَاقِفاً عَلَى الشَّكِّ لَمْ   أُصْدَرْ بِيَأْسٍ مِنْكُمْ وَلَمْ أَرِدِ

ويقول ابن أبي زرعة الدمشقي :

فَكَأَنِّي بَيْنَ الوِصَالِ وَبَيْنَ الْـ   ـهَجْرِ مِمَّنْ مُقَامُهُ الأَعْرَافُ
فِي مَحَلٍّ بَيْنَ الْجِنَانِ وَبَيْنَ النَّا   رِ أَرْجُو طَوْراً وَطَوْراً أَخَافُ

قال العكبري : وأصل البيت من قول الحكيم : الرجاء تمن والشك توقف ، وهما أصل الأمل . وقال الآخر : أحلى الهوى وأعذبه ما كان صاحبه بين يأس وطمع ومخافة وأمل ، فهو يحذر الهجر ويتقيه ويؤمل الوصل ويرجيه. ولقد أحسن أبو حفص الشطرنجي في قوله :

وَأَحْسَنُ أَيَّامِ الْهَوَى يَوْمُكَ الَّذِي   تُهَدَّدُ بِالتَّحْرِيشِ فِيهِ وَبِالعَتْبِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحُبِّ سُخْطٌ وَلَا رِضًى   فَأَيْنَ حَلَاوَاتُ الرَّسَائِلِ وَالْكُتْبِ

(٢) وغضبى : أي ورب غضبى . وريق الشباب : أوله ، ومنه ريق المطر : أوله . جعلها غضبى لفرط دلالها ، فهي ترى من نفسها الغضب دلالا على عاشقها ، وجعلها سكرى من الصبا والحداثة فهي مزهوة مختالة . ثم جعل شبابه شفيعاً إليها كما قال محمود الوراق :

وَأَشْنَبَ مَعْسُولِ الثَّنِيَّاتِ وَاضِحٍ ... سَتَرْتُ فَمِى عَنْهُ فَقَبَّلَ مَفْرِقِى (١)
وَأَجْيَادِ غِزْلاَنٍ كَجِيدِكِ زُرْنَنِى ... فَلَمْ أَتَبَيَّنْ عَاطِلاً مِنْ مُطَوَّقِ (٢)
وَمَا كُلُّ مَنْ يَهْوَى يَعِفُّ إِذَا خَلاَ ... عَفَافِى وَيُرْضِى الْحِبَّ وَالْخَيْلُ تَلْتَقِى (٣)

كَفاكَ بالشَّيْبِ ذَنْباً عِنْدَ غانِيَةٍ ... وَبالشَّبابِ شَفِيعاً أَيُّها الرَّجلُ

وقال البحترى :

أَأُخيبُ عِنْدَكِ والصِّبا لِى شافعٌ ... وأُرَد دونَكِ والشبابُ رَسولى

وقال أيضاً :

وإذا تَوَسَّلَ بالشَّبابِ أَخُو الهوَى ... أَلفاهُ نِعْمَ وسِيلَةَ المتوَسِّلِ

(١) وأشنب : عطف على غضبي ؛ والأشنب : الأبيض الأسنان الحسنها والمعسول : الحلو الذى كأن فيه عسلا . والثنيات الأسنان التى فى مقدم الفم ، والمفرق موضع افتراق الشعر من الرأس . يقول : ورب حبيب حسن الأسنان حلو رضاب الثنايا واضح الوجه ـ مشرقه ـ تعففت عنه وتصونت بستر الفم منه عفة وتورعا كيلا يقبلنى فقبل رأسى إجلالا لى وميلا إلى . يريد أنه أحب وصله وتعفف هو عما لا يليق به .

(٢) الأجياد : جمع جيد ، العنق . والعاطل : الذى لا حلى عليه ، والمطوق الذى قد تطوق بالحلى . يصف نفسه بالعفة والنزاهة ، وأنه قد زاره من الحسان عاطلات وحاليات ، فلم يعرف ذات الحلى ممن لا حلى عليها .

(٣) الحب ـ بكسر الحاء ـ المحبوب ؛ وعفافى مفعول مطلق . وقوله : والخيل تلتقى حال . يقول : ليس كل عاشق عفيفاً مثلى وقت الخلوة بالمحبوب ومع أنى عفيف أرضى المحبوب فى الوغى ـ الحرب ـ بشجاعتى ؛ قال ابن جنى : سألته ـ المتنبى ـ عن معناه وقت القراءة عليه ، فقال : المرأة من العرب تريد من صاحبها أن يكون مقداماً فى الحرب فترضى حينئذ عنه . ومنه قول عمرو بن كلثوم :

يَقُتْنَ جِيادَنا وَيَقُلْنَ لَسْتُمْ ... بُعولتنا إذا لم تمنعونا (١)

وفى مثل هذا المعنى يقول القائل

---

(١) من معلقته . يقول : يعلفن خيلنا ويقلن لنا : لستم أزواجنا إذا لم تمنعونا من سبى الأعداء إيانا .

سَقَى اللهُ أيّامَ الصِّبا ما يَسُرُّها ... وَيَفْعَلُ فِعلَ البابِلِيِّ المُعتَّقِ (١)
إذا ما لَبِسْتَ الدّهرَ مُسْتَمتِعاً بهِ ... تَخرّقْتَ وَالمَلْبُوسُ لَمْ يَتَخَرّقِ (٢)
وَلَمْ أرَ كَالألحاظِ يَوْمَ رَحِيلِهِمْ ... بَعَثْنَ بكُلّ القَتْلِ مِن كُلّ مُشْفِقِ (٣)

أخَذْتُ لطَرْفِ العَينِ مما تصيبهُ ... وأخليتُ مِنْ كفّى مكانَ المخالخَل

ويقول الآخر .

لِي ما حَوَاهُ قِناعها مِنْ فوْقِ ما ... حوَتِ الجيوبُ ولى مكانُ ثَرَاها
لم تُلف مُعتنقَيْنِ لَيْسَ عليهما ... حرَجٌ سِوَاىَ مع الهوى وسِوَاها

وقال العكبرى : هذا البيت من الحكمة ، قال الحكيم : لسنا نمنع محبة ائتلاف الأرواح إنما نمنع محبة اجتماع الأجسام فإنما ذلك من طباع البهائم .

(١) ما يسرها : مفعول ثان لسق ؛ والبابلى : الخمر نسبة إلى بابل . يدعو لأيام الصبا . يقول : سقاها الله ما يورثها السرور والطرب ويفعل فعل الخمر المعتقة ؛ وهذا على عادة العرب من الدعاء بالسقيا . وهو مجاز ، لأن الأيام ليست مما يسق :

(٢) يقول : إن الدهر مشتمل على ناسه اشتمال الثوب على لا بسه ، بيد أن هذا الثوب ـ الدهر ـ باق لا يبلى ـ أما لابسه ـ وهو الإنسان ـ فإنه يبلى ويفنى . ومن ثم يسمى الدهر الأزلم الجذع ـ أى أنه باق على حاله لا يتغير على طول إناه ، فهو أبداً جذع لا يسن . قال الأخطل :

يا بِشْرُ لو لم أكن منكم بمنزلةٍ ... ألقى علىَّ يدَيه الأزلمُ الجذعُ

وفى مثل هذا المعنى يقول ابن دريد فى مقصورته :

إن الجديدَين إذا ما استوليا ... على جديد أدنياه للبِلَى

(٣) الكاف ـ فى قوله كالألحاظ ـ اسم بمنزلة مثل ، مفعول به . وجملة بعثن حال؛ وبكل القتل : أى بقتل فظيع . يقول : لم أر مثل الألحاظ ولا مثل فعلها يوم رحيل الذين أحبهم ! بعثت لنا القتل ؛ أى قتلتنا بسحرها دون أن يقصد ذلك من أدارها ، والأصل فى هذا قول النابغة :

فى إثر غانيةٍ رَمَتْكَ سِهامُها ... فأصابَ قلبَكَ غير أنْ لم تُقْصِدِ

[رماه فأقصده . قتله فى المكان]

أَدَرْنَ عُيُونًا حَائِرَاتٍ كَأَنَّهَا مُرَكَّبَةٌ أَحْدَاقُهَا فَوْقَ زِئْبَقِ (١)

عَشِيَّةَ يَعْدُونَا عَنِ النَّظَرِ الْبُكَا وَعَنْ لَذَّةِ التَّوْدِيعِ خَوْفُ التَّفَرُّقِ (٢)

نُوَدِّعُهُمْ وَالْبَيْنُ فِينَا كَأَنَّهُ قَنَا ابْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ فِي قَلْبِ فَيْلَقِ (٣)

---

(١) الضمير — فى أدرن — للحبيبات ، لدلالة المقام . والأحداق : جمع حدقة — سواد العين . يقول : أكثرن من إدارة عيونهن وتقليبها لصعوبة الموقف وترقب ما يكون من الفراق فلم تستقر الأعين حتى كأن أحداقها مركبة على زئبق . وهو معروف أن الزئبق يوصف بقلة الثبات وبالترجرج ، وقال بعضهم يصف عقعقا — طائر على شكل الغراب أو هو الغراب :

يُقلِّبُ عينينِ فى رأسِهِ كأنَّهما قطرتا زِئبَقِ

(٢) يعدونا : يمنعنا ويصرفنا ، والبكاء يمنع من النظر ، لأن الدمع إذا امتلأت به العين غاض البصر ؛ كما قال القائل :

نظرتُ كأنى مِنْ وراء زُجاجةٍ إلى الدارِ مِنْ فرْطِ الصَّبابة أنظرُ

وخوف الفراق كذلك يمنع من لذة الوداع ، ألا ترى إلى قول البحترى :

لا تعذُلَنّى فى مسيرى يوْم سِرْتُ ولم أُلاقِكْ

إنى خَشِيت مواقفاً للبَيْن تَسفح غرْبَ ماقِكْ

وَذَكرْت ما يجِد المودِّ دع عِندَ ضَمِّكَ واعتناقِكْ

فتركْت ذاكَ تعمُّداً وَخرَجْت أهْرُبُ مِنْ فِراقِكْ

ومن هذا قول الآخر :

يوْم الفراقِ شكرت تركَ وَداعكمْ والعذر فِيهِ موسَّعٌ توْسِيعاً

أوَهلْ رأيْتَ وهل سَمِعْتَ بِواحدٍ يمشى يُوَدِّع رُوحَهُ توْديعاً

وقول الآخر :

صدَّنى عن حلاوةِ التشْييع حَذَرى مِن مرَارةِ التوْدِيع

لمْ يَقُمْ أُنسُ ذا بوَحشةِ هذا فرأيْتُ الصَّوابَ ترْكَ الجميع

(٣) القنا : الرماح . وأبو الهيجاء : هو والد سيف الدولة ؛ والفيلق : الكتيبة

قَوَاضٍ مَوَاضٍ نَسْجُ دَاوُدَ عِنْدَهَا إِذَا وَقَعَتْ فِيهِ كَنَسْجِ الْخَدَرْنَقِ (١)
هَوَادٍ لِأَمْلَاكِ الْجُيُوشِ كَأَنَّهَا تَخَيَّرُ أَرْوَاحَ الْكُمَاةِ وَتَنْتَقِي (٢)
تَقُدُّ عَلَيْهِمْ كُلَّ دِرْعٍ وَجَوْشَنٍ وَتَفْرِي إِلَيْهِمْ كُلَّ سُورٍ وَخَنْدَقِ (٣)

من الجيش . يقول : إن البين ـ البعد ـ يفتك بنا فتك رماح سيف الدولة بجيوش أعدائه . وهذا من حسن التخلص وهو بديع .

(١) قواض : قواتل ، يعنى الرماح ، وهو خبر عن محذوف ضمير القنا ، ومواض : نوافذ ؛ ونسج داود : الدروع ؛ والخدرنق ـ بالدال والذال ـ العنكبوت وإذا جمعته حذفت آخره فقلت خدارن ؛ وفى الصحاح : بالدال المهملة ؛ وأنشد أبو عبيدة للزفيان السعدى :

وَمَنْهَلٍ طَامٍ عليه الغَلْفَقُ يُنير أَوْ يُسْدِى بِهِ الخدرنق (١)

يقول : هى ـ أى رماح سيف الدولة ـ قواتل من يقصدها نوافذ فى دروع الأبطال تخرقها إليهم ، كأنها تخرق نسج العنكبوت .

(٢) هواد ـ من الهداية ـ يقال هداه فهدى ، والأملاك الملوك : وتخير بحذف إحدى التاءين أى تتخير ، والكماة جمع كمى : البطل المستتر فى سلاحه . يقول : إن هذه الرماح تهدى أربابها أو تهتدى هى بنفسها إلى الملوك فتقتلهم كأنها تتخير الأبطال فتأبى إلا خيارهم وسادتهم ، وفى مثل هذا يقول أبو تمام :

قَفَا سِنْدَبَايَا والمَنَايَا كأنها تَهَدَّى إلى الرُّوحِ الخفىِّ فتهتدى (٢)

(٣) الجوشن : الدرع . يقول : لا تحصنهم منها الدروع فإنها تقدها — تقطعها — ولا الأسوار والخنادق فإنها تفريها — تقطعها — وتأتى عليها وذلك لشدة طعن فرسان الممدوح وشجاعتهم .

---

(١) الغلفق الطحلب: الخضرة على رأس الماء ، يقال : ينبت فى الماء ذو ورق عريض
(٢) قال ياقوت : سندبايا : موضع بأذربيجان بالبذ ، من نواحى بابك الخرمى .

قال أبو تمام يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف :

رَمَى الله منه بابَكاً وولاتَه بقاصمةِ الأصلاب فى كل مَشهد
فتًى يومَ بذ الخرمية لم يكن بِهيَّابَة نكسٍ ولا بمعرِّد
قفا سِندبَايا والرماح مُشيحَة تهدى إلى الروح الخفى فتهتدى

يُغِيرُ بِهَا بَيْنَ اللُّقَانِ وَوَاسِطٍ   وَيُرْكِزُهَا بَيْنَ الْفُرَاتِ وَجِلَّقِ (١)
وَيُرْجِعُهَا حُمْراً كَأَنَّ صَحِيحَهَا   يُبَكِّي دَماً مِنْ رَحْمَةِ الْمُتَدَقِّقِ (٢)
فَلَا تُبْلِغَاهُ مَا أَقُولُ فَإِنَّهُ   شُجَاعٌ مَتَى يُذْكَرْ لَهُ الطَّعْنُ يَشْتَقِ (٣)
ضَرُوبٌ بِأَطْرَافِ السُّيُوفِ بَنَانُهُ   لَعُوبٌ بِأَطْرَافِ الْكَلَامِ الْمُشَقَّقِ (٤)
كَسَائِلِهِ مَنْ يَسْأَلُ الْغَيْثَ قَطْرَةً   كَعَاذِلِهِ مَنْ قَالَ لِلْفَلَكِ ارْفُقِ (٥)

---

(١) اللقان : بلد من بلاد الروم . وواسط : بلد بالعراق بناها الحجاج وجلق : دمشق أو غوطتها . قال الواحدى : وكان أوقع ببنى البريدى بواسط ، يريد كثرة غاراته وفشوها فى البلاد من العراق إلى أقاصى الروم ، وانتشار عساكره إذا عادوا إلى ديارهم ما بين الفرات إلى أقاصى الشام .

(٢) المتدقق : المتكسر . يقول : يرد الرماح من القتال متلطخة بالدماء تقطر منها ، كأن صحاحها تبكى على ما تكسر منها من شدة الطعن رثاء لها ورحمة ويبكى كبكى . والتشديد للمبالغة .

(٣) فلا تبلغاه أى الممدوح ، يقول — مخاطباً صاحبيه على عادة العرب — لاتبلغاه ما أقول فإنه لحبه الحرب وشجاعته متى ذكر له وصف الحرب والطعان اشتاق إليهاوحن والبيت منقول من قول كثير :

فَلَا تُذْكِرَاهُ الْحَاجِبِيَّةَ إنه   مَتَى تُذْكِرَاه الحاجبية يَحْزَنِ

(٤) بنانه : فاعل ضروب ؛ والكلام المشقق : الذى شق بعضه من بعض ويقال شقق الكلام : إذا أخرجه أحسن مخرج. يقول: إنه شجاع فى الحرب بليغ لدى القول قادر عليه حسن التصرف فيه مبدع ، قال العكبرى : وقد نقل هذا المعنى فى الهجاء إلى المدح من قول الأول :

فباعِدْ يزيداً مِن قِراعِ كتيبةٍ   وأَدْنِ يزيداً مِن كلامٍ مُشقّقِ

(٥) يقول : إن من يسأل الغيث قطرة يتكلف ما هو فى غنى عنه ، إذ أن قطر الغيث مبذول لمن أراده ، كذلك من يسأل الممدوح يتكلف مالا حاجة به إليه ، إذ أنه يعطى بلا سؤال ، ولما كان الممدوح مطبوعا على الجود لم يكن فى استطاعته العدول عنه ، وإذن يكون عاذله عليه ، كمن يقول للفلك ارفق فى حركتك ؛ فقوله كسائله : خبر مقدم ومن يسأل : مبتدأ مؤخر ومثله كعاذله من قال . وذهب ابن جنى إلى أن المعنى : كما أن

لَقَدْ جُدْتَ حَتَّى جُدْتَ فى كُلِّ مِلَّةٍ ‏ وَحَتَّى أَتَاكَ الْحَمْدُ مِنْ كُلِّ مَنْطِقِ (١)

رَأَى مَلِكُ الرُّومِ ارْتِيَاحَكَ لِلنَّدَى ‏ فَقَامَ مَقَامَ الْمُجْتَدِى الْمُتَمَلِّقِ (٢)

وَخَلَّى الرِّمَاحَ السَّمْهَرِيَّةَ صَاغِراً ‏ لِأَدْرَبَ مِنْهُ بِالطِّعَانِ وَأَحْذَقِ (٣)

وَكَاتَبَ مِنْ أَرْضٍ بَعِيدٍ مَرَامُهَا ‏ قَرِيبٍ عَلَى خَيْلٍ حَوَالَيْكَ سُبَّقِ (٤)

وَقَدْ سَارَ فى مَسْرَاكَ مِنْهَا رَسُولُهُ ‏ فَمَا سَارَ إِلَّا فَوْقَ هَامٍ مُفَلَّقِ (٥)

الغيث لاتؤثر فيه القطرة ؛ كذلك سائله لايؤثر فى ماله وجوده ، قال العروضى ـ ناقداً ـ : وهذا على خلاف العادة فى المدح لأن العرب تمدح بالعطاء على القلة والمواساة مع الحاجة إليه ، قال تعالى : «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» وقال الشاعر :

ولم يَكُ أكثرَ الفتيانِ مالا ‏ ولكن كانَ أرحبَهم ذِراعا

والذى فسره — أى ابن جنى — مدح بكثرة المال لا الجود . . . وإنما أراد — أى المتنبي — : من عادته وطبعه الجود كعادة الغيث أن يقطر — أى يمطر — فسائله مستغن عن تكليفه ما هو فى طبعه .

(١) يقول : لقد عم جودك أهل كل ملة وأهل كل لغة حتى حمدوك جميعاً لما نالوا من برك وإحسانك .

(٢) الارتياح : الانبساط ؛ والندى : الجود ؛ والمجتدى : طالب العطاء ؛ والمتملق : المتودد ، أو الذى يخضع ويلين كلامه — مأخوذ من الصخرة الملقة ، وهى الملساء — يقول : لما علم ملك الروم انبساطك للجود وأريحيتك له تملق إليك تملق السائل ؛ وفى هذا نظر إلى قول القائل :

ولو لم تُناهِضْهُ وأبصرَ عُظْمَ ما ‏ تُنيلُ من الجَدْوَى لجاءكَ سائلا

(٣) الرماح السمهرية : نسبة إلى سمهر ، زوج ردينة ، كانا يقومان الرماح ؛ وأدرب : من الدربة ، وهى العادة ؛ يقال درب بالشىء : اعتاده وضرى به . والحاذق : الخبير بالشىء . يقول : وترك ملك الروم الرماح صغارا لا اختيارا لمن هو أحذق بالطعان وأجرى عادة به منه ـ يعنى سيف الدولة ـ يعنى ترك الحرب صاغرا واستأمن بالكتاب .

(٤) يقول : استأمن إليك من أرضه البعيدة لعلمه أنها لا يبعد على خيلك السبق فإنك تدركه بهامتى أردت . وقوله بعيد: يروى بالجر ،على أنه نعت سببى لأرض . ومرامها — أى مطلبها . . . فاعل له ؛ ويروى بالرفع على أنه خبر مقدم ، والجملة : نعت أرض .

(٥) المسرى : الموضع الذى يسار فيه ليلا : والهام : الرءوس . يذكر كثرة قتلاه

فَلَمَّا دَنَا أَخْفَى عَلَيْهِ مَكَانَهُ   شُعَاعُ الْحَدِيدِ الْبَارِقِ الْمُتَأَلِّقِ (١)
وَأَقْبَلَ يَمْشِي فِي الْبِسَاطِ فَمَا دَرَى   إِلَى الْبَحْرِ يَمْشِي أَمْ إِلَى الْبَدْرِ يَرْتَقِي (٢)
وَلَمْ يَثْنِكَ الْأَعْدَاءُ عَنْ مُهَجَاتِهِمْ   بِمِثْلِ خُضُوعٍ فِي كَلَامٍ مُنَمَّقِ (٣)
وَكُنْتَ إِذَا كَاتَبْتَهُ قَبْلَ هَذِهِ   كَتَبْتَ إِلَيْهِ فِي قَذَالِ الدُّمُسْتُقِ (٤)

فى أرض الروم ، وأن رسوله سار إليك عند قصده إياك فى طريقك فما سار إلا فوق رءوس القتلى . وهذا ينظر إلى قول أبى تمام :

بِكُلِّ مُنْعَرَجٍ مِنْ فارسٍ بَطَلٍ   جَناجِنٌ فِلَقٌ فيها قَناً قِصَدُ (١)

وقول الأول :

بكل قرارةٍ وبكل نجدٍ   بَنانُ فتًى وجُمْجُمَةٌ فَليقُ

(١) يقول : لما قرب الرسول أعشى بصره لمعان الحديد والسلاح حتى لم ير مكان سيف الدولة ولم يبصر موضعه لشدة لمعان الأسلحة حواليه . وقال العكبرى : الضمير فى « مكانه » للرسول : أى حتى لم يبصر طريق نفسه لشدة لمعان الحديد فى عسكر سيف الدولة .

(٢) فى البساط : يروى فى السماط ؛ والسماط : صف يقومون بين يدى الملك . وقوله إلى البحر : أى أإلى البحر ، فحذف همزة الاستفهام . ويرتقى : يصعد ، يقول : وأقبل الرسول يمشى إليك بين السماطين فغشيه من هيبتك مالا يعرض مثله إلا لمن قصد إلى البحر أو ارتفع إلى البدر ، لعظم ما عاين .

(٣) لم يثنك : لم يصرفك ؛ والمهجة : الروح ؛ ونمق الكلام : زينه : يقول : لم يجد الأعداء شيئا يصرفونك به عن العبث بأرواحهم وإراقة دمائهم مثل أن يخضعوا لك فى كتاب يكتبونه إليك لأنك لاتدفع بالمقاومة. ولعله من قول أبى تمام :

نَخَاطَ لهُ الأقرارُ بالذنب رُوحَه   وجُثمانَه إذْ لم تَحُطْه قبائله

وقوله أيضاً :

عدا خائفا يستنجد الكتب مذعنا   عليك فلا رُسْلٌ ثَنَتْكَ ولا كُتُبُ

(٤) الإشارة بهذه : إلى المرة ؛ والقذال : مؤخر الرأس : والدمستق : القائد من قواد الروم . يقول : كنت قبل استغاثته بك إذا أردت مكاتبته كتبت إليه بما تحدثه

---

(١) الجناجن : عظام الصدر : ويروى جماجم .

فَإِنْ تُعْطِهِ مِنكَ الأَمَانَ فَسَائِلٌ ... وَإِنْ تُعْطِهِ حَدَّ الحُسَامِ فَأَخْلِقِ (١)
وَهَلْ تَرَكَ الْبِيضُ الصَّوَارِمُ مِنْهُمُ ... أَسِيراً لِفَادٍ أَوْ رَقِيقاً لِمُعْتِقِ (٢)
لَقَدْ وَرَدُوا وِرْدَ القَطَا شَفَرَاتِهَا ... وَمَرُّوا عَلَيْهَا زَرْدَقاً بَعْدَ زَرْدَقِ (٣)
بَلَغْتُ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ النُّورِ رُتْبَةً ... أَنَرْتُ بِهَا مَا بَيْنَ غَرْبٍ وَمَشْرِقِ (٤)
إِذَا شَاءَ أَنْ يَلْهُو بِلِحْيَةِ أَحْمَقٍ ... أَرَاهُ غُبَارِى ثُمَّ قَالَ لَهُ الْحَقِ (٥)

سيوفك فى قذال الدمستق من الجراحات : أى إن هذه الجراحات التى تصيبه وهو منهزم كالكتاب إليه ، لانه يتبين بها كيفية الامر كما تتبين بالكتاب ـ وكان الدمستق قدجرح فى بعض وقائع سيف الدولة ، فأشار المتنبى إلى ذلك ودل به على ضرورة ملك الروم إلى ماأظهره من الخضوع ، وقد فصل ذلك أبو تمام وما أبدعه :

كَتَبْتَ أَوجُهَهُمْ مَشْقاً ونمنَمَةً ... ضَرْباً وطَعْناً يُقاتُ الهامَ والصُّلُفا
كِتابةً لاتَنِى مقروءةً أبداً ... وما خَطَطْتَ بها لاماً ولا ألِفا
فإنْ ألَطُّوا بإنكارٍ فقدْ تُرِكَتْ ... وُجُوهُهمْ بالذى أولَيْتَهم صُحُفا

[المشق : مد الحروف ؛ والنمنمة : النقش ؛ والصلف : جمع صليف ، صفحة العنق وألطوا بإنكار ـ بالطاء والظاء ـ لازموه ولم يفارقوه] :

(١) أخلق صيغة تعجب من قولهم فلان خليق بهذا أى جدير به . يقول : فإن أعطيته مايطلب من الأمان فهوسائل يسألك ؛ وأنت لاتخيب سائلا ، وإن قتلته فهوجدير بذلك لأنه حربى مباح الدم .

(٢) البيض : السيوف ؛ والصوارم : القواطع ؛ والرقيق : العبد . يقول : إنك عممتهم بالقتل فلم تترك أسيرا يفدى أو رقيقا يعتق .

(٣) الضمير فى شفراتها : للبيض الصوارم ؛ وشفرة السيف : حده ؛ والزردق : الصف من الناس ـ تعريب رسته . يقول : إنهم وردوا شفرات السيوف كما ترد القطا مناهل الماء ومروا عليها صفا بعد صف حتى أفنتهم . وفيه نظر إلى قول بعضهم :

لقد ورَدُوا وِرْدَ القَطا بنُفوسِهم ... رِضاَ اللهِ مَصْفُوفَ القنا المُتَشاجِرِ

(٤) وصفه بالنور لبعد صيته وشهرة اسمه فى الناس كشهرة النور المستضاء به . يقول: هو نور وقد بلغت بخدمته رتبة ارتفع بها ذكرى واشتهر صيتى اشتهار النور فى المشرق والمغرب .

(٥) الأحمق : الجاهل الذى لاعقل له . يقول : إذا أراد سيف الدولة أن يسخرمن

وَمَا كَمَدُ الْحُسَّادِ شَيْئاً قَصَدْتُهُ ... وَلَكِنَّهُ مَنْ يَزْحَمِ الْبَحْرَ يَغْرَقِ (١)

وَيَمْتَحِنُ النَّاسَ الْأَمِيرُ بِرَأْيِهِ ... وَيُغْضِى عَلَى عِلْمٍ بِكُلِّ مُمَخْرِقِ (٢)

وَإِطْرَاقُ طَرْفِ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَافِعٍ ... إِذَا كَانَ طَرْفُ الْقَلْبِ لَيْسَ بِمُطْرِقِ (٣)

أحمق من الشعراء أمره باللحاق بى ؛ فهو بحمقه يظن أنه يقدر على إدراك شأوى وليس يقدر ، والغبار واللحاق استعارة من سباق الخيل .

وهذا ينظر إلى قول أبى تمام :

يا طالباً مَسْعاتَهُمْ لينالَها ... هيهاتَ مِنكَ غُبارُ ذاكَ الموكِبِ

قيل إن الخالديين ـ أبا بكر وأخاه عثمان ـ قالا لسيف الدولة : إنك لتغالى فى شعر المتنبى ، اقترح علينا ماشئت من قصائده حتى نعمل أجود منها ، فدافعهما زمانا ، ثم كررا عليه ، فأعطاهما هذه القصيدة : فلما أخذاها قال عثمان لأخيه أبى بكر : ماهذه من قصائده الطنانات فلأى شىء أعطانا ؟ ثم فكرا ، فقال أحدهما لصاحبه : والله ما أراد إلا هذا البيت ، فتركا القصيدة ولم يعاوداه ولم يعملا شيئا .

(١) يقول : لست أقصد أن أكمد حسادى لأنى لا آبه لهم ولا أحفل إلا أنهم لما تعرضوا لى لم يطيقوا مزاحمتى فكمدوا وحزنوا لذلك ، فكانوا كمن زاحم البحر فغرق فى تياره . وقال الخطيب التبريزى . المعنى : وما الإزراء على أهل الحسد أردت بما أبدعته ولا التعجيز لهم قصدت فيما خلدته ، ولكنى كالبحر الذى يغرق من يزاحمه غير قاصد ويهلك من اعترضه غير عامد ، وهو منقول من قول زياد الأعجم :

وَإِنَّا وما يُهْدَى بهِ مِنْ هِجائِنا ... لَكالبحْرِ مهْمَا يُرْمَ فى البحْرِ يَغرَقِ

(٢) المخرق : لغة عراقية مولدة يراد بها صاحب العبث والأباطيل : مأخوذة من المخراق ، وهو شىء يلعب به : إما منديل يلف أو خشب . ومنه قول عمرو ابن كلثوم :

كأنَّ سُيُوفنا فِينا وفيهمْ ... مَخارِيقٌ بأيْدِى لاعِبِينا

يقول : يمتحن الناس بعقله ليعرف ماعندهم ثم يغضى مع علمه بذى العبث منهم فلا يفضحه لكرمه .

(٣) الإطراق : أن ترمى ببصرك إلى الأرض ؛ وطرف العين : نظرها . يقول : إن إغضاءه عن هؤلاء العابثين لاينفعهم إذا كان يعرفهم بقلبه فلا يخفى عليه حالهم ؛ وعبارة العكبرى : يريد هو يغضى للمخرق إغضاء تجاوز وحلم لا إغضاء غيظ وسوء ، وغض العين

فيَا أيُّهَا المَطْلُوبُ جاوِرْهُ تَمْتَنِـعْ ، وَيَا أيُّهَا المَحْرُومُ يَمِّمْهُ تُرْزَقِ (١)
وَيَا أجْبَنَ الفُرْسَانِ صَاحِبْهُ تَجْتَرِئْ وَيَا أشْجَعَ الشُّجْعَانِ فَارِقْهُ تَفْرَقِ (٢)
إذَا سَعَتِ الأعْـــداءُ فى كَيْدِ مَجْدِهِ سَعَى جَدُّهُ فى كَيْدِهِمْ سَعْىَ مُحْنَقِ (٣)
وَمَا يَنْصُرُ الفَضْلُ المُبِينُ عَلَى العِدَا إذَا لَمْ يَكُنْ فَضْلَ السَّعِيدِ المُوَفَّقِ (٤)

***

لطرفها وكفها للحظها لاينفع المموه المغالط والقصر المخرق ، إذا كان طرف القلب يلحظه وينظر إليه . وفى هذا نظر إلى قول ابن الرومى :

والفؤاد الذكى للناظر المُطْـــرِق عينٌ يُرَى بها مِنْ وراء

ولابن دريد :

ولم يَرَ قبلى مُغْضِياً وَهْو ناظِرٌ ولم يَرَ قبلى ساكتاً يتكلّمُ

(١) يقول : يامن يطلب فيخاف طالبه كن جاراً له حتى تصير منيعاً لايصل إليك سوء ، ويامن حرم حظه من الرزق اقصدة سائلا تصر مرزوقا ، فهو ذو نجدة يحمى الذمار معطاء .

(٢) يقول : إن من صاحبه صار جريئا إما لأنه يعديه بشجاعته وإما ثقة بنصرته . ومن فارقه ـ وإن كان شجاعا ـ فرق ـ خاف وفزع ـ وصار جبانا ؛ قال على بن جبلة :

بهِ عَلِمَ الإعْطاءَ كلُّ مُبخَّلٍ وأقدمَ يومَ الرّوعِ كلُّ جبانِ

وقال البحترى :

يَسْخُو البخيلُ ـ إذ رآكَ ـ بنفسه والنِّكسُ يملأ مَضربَ الصَّمصامِ

(٣) المحنق : المغضب . يقول : إذا سعت أعداؤه ليكيدوا مجده ويبطلوه سعى جده ـ سعده ـ فى إبطال كيدهم سعى محنق ، ويروى سعى جده فى مجده : أى فى تشييد مجده أى أن جده يرفع مجده إذا قصد الأعداء وضعه .

(٤) المبين : الظاهر البين ، يقال أبنت الشىء ، وأبان هو ؛ واسم يكن : ضمير الفضل الأول : أى إذا لم يكن ذلك الفضل فضل السعيد . يقول : لايغنيك فضلك الظاهر إذا لم يعنك جدك القاهر ، أى أنه إذا لم يكن مع الفضل سعادة وتوفيق لم يغن ذلك الفضل صاحبه شيئا ، قال حسان :

وقال يمدحه ويذكر إيقاعه ببنى عقيل وقشير وبنى العجلان وكلاب لما عاثوا فى نواحى أعماله، وقصده إياهم، وإهلاكه من أهلكه منهم، وعفوه عمن عفا بعد تضافرهم وتضامهم عن لقائه سنة ٣٤٤ .

تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ العُذَيْبِ وَبَارِقِ
مَجَرَّ عَوَالِينَا وَمَجْرَى السَّوَابِقِ (١)

وَصُحْبَةَ قَوْمٍ يَذْبَحُونَ قَنِيصَهُمْ بِفَضْلَةِ مَا قَدْ كَسَّرُوا فى المَفَارِقِ (٢)

وَلَيْلاً تَوَسَّدْنَا الثَّوِيَّةَ تَحْتَهُ كَأَنَّ ثَرَاهَا عَنْبَرٌ فى المَرَافِقِ (٣)

رُبَّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ المَا لِ وَجَهْلٍ غَطَّى عَلَيْهِ النَعِيمُ

[الحلم : العقل ؛ والجهل : الحمق وعدم العقل] وقال ابن دريد :

لا يَرْفَعُ الجَدُّ بِلا لبٌّ ولا يَحُطُّكَ الجهلُ إذا الجدُ عَلا

(١) العذيب وبارق : موضعان بظاهر الكوفة ؛ والعوالى : الرماح ؛ والسوابق : الخيل ؛ ومابين : لك أن تجعله ظرفا لتذكرت ، ومجر عوالينا بدل منه بدل اشتمال ؛ كأنه قال مجر عوالينا فيه . ولك أن تجعل « ما » زائدة وبين العذيب : ظرفا لمجر ، ومجرى ــ بفتح الميم وضمها ــ وهو ومجر : مصدران ميميان . يقول تذكرت نزولنا بين هذين الموضعين حين كنا نجر رماحنا عند مطاردة الفرسان ونتسابق على الخيل . يعنى أنه تذكر أرضه ومنشأه ومطاردة الفرسان وإجراء الخيل.

(٢) القنيص : الصيد ؛ والمفارق : جمع مفرق ، موضع افتراق الشعر من الرأس . يقول : وتذكرت صحبة قوم صعاليك كانوا من البطولة والشجاعة بحيث كانوا لايكسرون سيوفهم إلا فى جماجم الأبطال ، وكانوا من الأيد وشدة السواعد وإجادة الضرب بحيث يذبحون مايصيدون بفضول مابقى من سيوفهم التى كسرت فى رؤوس الأعداء .

(٣) الثوية : موضع بقرب الكوفة ؛ وتوسد الشىء : جعله كالوسادة تحت رأسه ؛ والمرافق : جمع مرفق ، مرفق اليد ؛ وثراها : ترابها . يقول : وتذكرت ليلا اتخذنا فيه هذا المكان مخدات لنا : أى نمنا عليه وكان طيب التراب ، فكأن ترابه الذى ارتفقنا به حين اتكأنا عليه عنبر فى المرافق ، وقال ابن جنى : المرافق جمع مرفقة وهى الوسادة . وهذا غير موائم للمقام ، لأنه يصف تصعلكه وتصعلك أصحابه وجلدهم على

بِلادٌ إذَا زَارَ ٱلْحِسَانَ بِغَيْرِهَا حَصَا تُرْبِهَا ثَقَّبْنَهُ لِلْمَخَانِقِ (١)
سَقَتْنِي بِهَا ٱلْقُطْرُبُلِّيَّ مَلِيحَةٌ
عَلَى كَاذِبٍ مِنْ وَعْدِهَا ضَوْءُ صَادِقِ (٢)
سُهَادٌ لِأَجْفَانٍ وَشَمْسٌ لِنَاظِرٍ وَسُقْمٌ لِأَبْدَانٍ وَمِسْكٌ لِنَاشِقِ (٣)

مشقة السفر وأن الفضلات المكسرة من السيوف مداهم والأرض وسائدهم ، ولا يفتخر الصعلوك بوضع الرأس على الوسادة والبيت من قول البحترى :

فى رَأْسِ مُشْرِفَةٍ حَصَاهَا لُؤْلُؤٌ وَتُرَابُهَا مِسْكٌ يشابُ بِعَنْبَرِ

(١) بغيرها : حال من الحسان ؛ وحصى : فاعل زار ؛ والمخانق : جمع مخنقة ، وهى القلادة . يقول : هذه البلاد بلاد إذا حمل حصاها إلى النساء الحسان بأرض غيرها ثقبنه كما يثقب اللؤلؤ وجعلنه قلائد لهن لحسنه ونفاسته ؛ وقال الخطيب التبريزى : إنما أراد مايوجد حول الكوفة من الحصا الفرومى أى أن تراب تلك الأرض ينوب عن العنبر ، وحصباءها ينوب عن الدر والياقوت ،كأن النساء يتحلين به وينظمنه فى عقودهن. وفيه نظر إلى قول دعبل :

فكأنما حَصْبَاؤُهَا فى أرضِهَا خَرَزُ العَقِيقِ نُظِمْنَ فى سِلْكِ

(٢) قطربل : ضيعة من أعمال بغداد ، تنسب إليها الخمر القطربلية ، وعلى كاذب خبر مقدم على ضوء ؛ ومن وعدها ؛ نعت لكاذب يقول. سقتنى الشراب القطربلى امرأة مليحة على وعدها الكاذب ضوء الوعد الصادق : أى يستحسن كلامها فيقبل كذبها قبول الصدق ؛ ويجوز أن يريد أنها تقرب الأمر وتعد كأنها تريد الوفاء بذلك ، فهو ضوء الصدق ؛ ويجوز أن يريد ، أن الوعد الكاذب منها محبوب مطلوب ، وفى مثله يقول منصور النمرى :

تُعَلِّلُهُ منها غداةَ يَرَى لها ظَوَاهِرَ صِدْقٍ والبواطِنِ زُورُ

(٣) قال ابن جنى : أى قد اجتمعت فيها — أى المليحة — الأضداد ، فعاشقها لاينام شوقا إليها ، وإذا رآها فكأنه يرى بها الشمس ، وهى سقام لبدنه ، ومسك عند الشم ، فذهب ابن جنى — كما ترى — إلى أن البيت صفة المليحة ؛ وقال العروضى : إنما يصف القطربلى — الخمر — والخمر تجمع هذه الأوصاف ، فإن من اشتغل بشربها لها عن النوم ،وهى ـ بشعاعها ـ كالشمس للناظر ، وهى ترخى الأعضاء فيصير شاربها كالسقيم لعجزه عن النهوض ، وهى طيبة الرائحة فهى مسك لمن شمها ، والأظهر ماذهب إليه ابن جنى . وقد عاب ابن وكيع على المتنبى هذا ، وقال ينبغى : أن يقول :

وَأَغْيَدُ يَهْوَى نَفْسَـــهُ كُلُّ عَاقِلٍ
عَفِيفٍ وَيَهْوَى جِسْمَهُ كُلُّ فَاسِـــقِ (١)

أَدِيبٌ إِذَا مَا جَسَّ أَوْتَارَ مِزْهَـــرٍ
بِلاَ كُلُّ سَمْـــعٍ عَنْ سِوَاهَا بِعَائِقِ (٢)

يُحَدِّثُ عَمَّـــا بَيْنَ عَادٍ وَبَيْنَهُ وَصُدْغَاهُ فِى خَدَّىْ غُلَامٍ مُرَاهِقِ (٣)

وَمَا الْحُسْـــنُ فِى وَجْهِ الْفَـــتَى شَرَفًا لَهُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِى فِعْلِهِ وَالْخَـــلاَئِقِ (٤)

سُهاد لأجفان ونوم لساهرٍ وسقم لأبدان و بُرء سقام

حتى يصح التقسيم والطباق .

(١) وأغيد : عطف على مليحة ؛ ويروى بالجر — على إضمار رب — والأغيد : الناعم المتثنى لينا . يقول : وسقانى أغيد جمع بين خفة الروح وحسن الجسم ، فالفاسق يميل إليه حبا لجسمه ، والعاقل العفيف — الذى لا يفسق — يصبو إلى روحه لخفته وظرفه . وهذا ينظر إلى قول أبى نواس :

فتنتنى وَصِـــيفةٌ كالغـــلام المراهقِ
هِمَّةُ النـــاسكِ العفـــيفِ وسُؤْل المنـــافقِ

(٢) المزهر : العود ؛ والعائق : المانع . يقول : إذا تناول العود فجس الأوتار أتى بما يشغل كل سمع عما سوى الأوتار لحذقه وجودة ضربه ، كما قال الآخر :

إذا ما حَنَّ مِزْهَـــرُها إليها وَحَنَّتْ نحوَه أُذنَ الـــكِرامُ
وأصـــغَوْا نحوَها الأسمـــاعَ حتى كأنهمُ — وما ناموا — نِيام

ووصفه بالأدب : إما لأن ضرب العود من آداب اليد ، وإما لأنه يحفظ الأبيات الحلوة والأشعار النادرة ؛ ويؤكد هذا البيت التالى .

(٣) عاد : هى تلك القبيلة العربية القديمة ؛ والمراهق : الذى قد راهق الحلم ـ أى داناه وقاربه ـ يقول : إنه يأتى بالألحان القديمة والاشعار التى قيلت فى الدهور الماضية ، فهو بغنائه محدّث عما بين زمان عاد وبين زمانه مع أنه غلام لم يبلغ الحلم ؛ وعبارة ابن جنى : هو أديب حافظ لأيام الناس وسيرهم .

(٤) ضمير يكن : للحسن . والخلائق : كالشمائل — الخصال — أى الأخلاق .

وَمَا بَلَدُ الْإِنْسَانِ غَـيْرُ الْمُوَافِقِ ... وَلاَ أَهْلُهُ الْأَدْنَوْنَ غَيْرُ الْأَصَادِقِ (١)

وَجَائِزَةٌ دَعْوَى الْمَحَبَّةِ وَالْهَوَى ... وَإِنْ كَانَ لاَ يَخْفَى كَلاَمُ الْمُنَافِقِ (٢)

يقول : إذا لم تكن أفعال الفتى وأخلاقه حسنة جميلة فليس حسن وجهه شرفا له ، قال العباس بن مرداس :

وَما عِظَمُ الرِّجالِ لهم بفخرٍ ... ولـكن فخرُهم كرَمٌ وخيرُ

وقال الفرزدق :

ولا خيرَ فى حُسْنِ الجسومِ وطولها ... إذا لم يَزِنْ حسنَ الجسـوم عُقول

وقال دعبل :

وما حُسْنُ الجسـومِ لهم بزَيْنٍ ... إذا كانت خـلائقُهم قِبـاحَا

(١) الأدنون : الأقربون ـ جمع أدنى ـ والأصادق : جمع أصدقاء ، جمع صديق قال الواحدى : هذا حث على السفر والتغرب . يقول : ليس بلد الإنسان إلا مايوافقه، ولا أقاربه إلا أصدقاؤه ، يعنى أن كل مكان وافقه وطاب به عيشه فهو بلده ، وكل قوم صادقوه وأصفوا له المحبة فهم رهطه الأدنون . قال العكبرى : وأخـذ صدره من قول القائل :

يُسْرُ الفَـتَى وطنٌ لهُ ... والفقْرُ فى الأوْطانِ غُربَهْ

وأخذ عجزه من قول الآخر :

دَعوتُ وقدْ دهَتنى داهياتٌ ... وَللأيّام داهِيَـة طَروقُ

صَدِيقاً لا شَقيقاً فيهِ غِلٌّ ... ألا إنَّ الصَّديقَ هو الشَّقيقُ

(٢) يقول : يجوز أن يدعى المحبة من لا يعتقدها ويتظاهر بها من لا يلتزمها ، ولكن المنافق لا يخفى اضطراب لفظه . قال العكبرى : وهذا إشارة إلى أن شكره لسيف الدولة ليس كشكر من يتصنع له ولا يخلص له حقيقة وده ؛ وقال الواحدى : يعرض فى هذا بمشيخة من بنى كلاب إذ طرحوا أنفسهم على سيف الدولة لما قصدهم يبدون له المحبة غير صادقين . وفى مثل هذا يقول الآخر :

والعينُ تعْـلم مِنْ عَيْنَىْ محدِّثِها ... مَنْ كَانَ مِنْ حِزْبِها أوْمِنْ أعادِيها

ويقول القائل :

خَليـلَىَّ لِلبغضاء حال مُبينةٌ ... وَلِلحبِّ آياتٌ ترَى ومَعارِفُ

بِرَأْيِ مَنِ انْقَادَتْ عُقَيْلٌ إِلَى الرَّدَى ... وَإِشْمَاتِ مَخْلُوقٍ وَإِسْخَاطِ خَالِقِ (١)
أَرَادُوا عَلِيًّا بِالَّذِي يُعْجِزُ الْوَرَى ... وَيُوسِعُ قَتْلَ الْجَحْفَلِ الْمُتَضَايِقِ (٢)
فَمَا بَسَطُوا كَفًّا إِلَى غَيْرِ قَاطِعٍ ... وَلَا حَمَلُوا رَأْسًا إِلَى غَيْرِ فَالِقِ (٣)
لَقَدْ أَقْدَمُوا لَوْ صَادَفُوا غَيْرَ آخِذٍ ... وَقَدْ هَرَبُوا لَوْ صَادَفُوا غَيْرَ لَاحِقِ (٤)
وَلَمَّا كَسَا كَعْبًا ثِيَابًا طَغَوْا بِهَا ... رَمَى كُلَّ ثَوْبٍ مِنْ سِنَانٍ بِخَارِقِ (٥)
وَلَمَّا سَقَى الْغَيْثَ الَّذِي كَفَرُوا بِهِ ... سَقَى غَيْرَهُ فِي غَيْرِ تِلْكَ الْبَوَارِقِ (٦)

---

(١) عقيل بن كعب : قبيلة من قبائل قيس عيلان ، ومنهم كان رؤساء الجيش الذى أوقع بهم سيف الدولة . يقول : من الذى أشار على عقيل هـــذه أن يعصوك ويتمردوا عليك حتى ألقوا بأيديهم إلى التهلكة وأشمتوا أعداءهم وأسخطوا الله سبحانه ؟ يعنى أنهم أساءوا فى هذا التدبير .

(٢) على : هو سيف الدولة ؛ ويوسع : يكثر ؛ والجحفل : الجيش العظيم ؛ والذى يعجز الورى : هو عصيان سيف الدولة . يقول : أرادوا عصيانك الذى يعجز الناس — لأنه لا يقدر أحد على أن يعصيك — والذى يكثر به قتل الجيش العظيم المتضايق لكثرته وازدحامه ؛ يعنى أنه لا يقدر أحـد على عصيانه ولا يقدر جيش على ملاقاته .

(٣) يقول حين عصوه وقاتلوه بسطوا أكفهم إلى من قطعها وحملوا رءوسهم إلى من فلقها — يريد بنى عقيل — وأنهم كانوا فى تلك الحرب جزر السيوف وغرض الحتوف .

(٤) يقول : لقد أقدموا على الحرب ، ولـكنهم وجدوا منك من أخذهم عند الإقدام ولحقهم عند الهرب ، فلم ينفعهم الإقدام ولا الهرب ؛ يعنى أنهم لم يؤتوا من ضعف فى حربهم ولا من تقصير فى هربهم ، ولـكنهم رأوا من لا يواقف فى حرب ولا يمتنع منه بهرب .

(٥) كعب : قبيلة منهم ؛ وطغوا تمردوا ؛ والسنان : الرمح . يقول : لما أنعم عليهم فألبسهم ثياب نعمته طغوا وتمردوا ولم يشـكروا نعمته فسلبهم النعمة بالإغارة عليهم وتقتيلهم ، فـكأنه خرق بأسنته ما ألبسهم من ثياب نعمته .

(٦) أراد بالغيث : إنعامه عليهم . والبوارق : جمع بارق ، وهو السحاب فيه برق . وقوله: سقى غيره : أى سقاهم كأس الموت فى غير بوارق الغيث؛ يعنى فى بوارق السيوف .

وَمَا يُوجِعُ الْحِـــرْمَانُ مِنْ كَفِّ حَارِمٍ
كَمَا يُوجِعُ الْحِـــرْمَانُ مِنْ كَفِّ رَازِقِ (١)

أَتَاهُمْ بِهَا حَشْوَ الْعَجَاجَةِ وَالْقَنَا ... سَنَابِكُهَا تَحْشُو بُطُونَ الْحَمَالِقِ (٢)

عَوَابِسَ حَلَى يَابِسُ الْمَاءِ حُزْمَهَا ... فَهُنَّ عَلَى أَوْسَاطِهَا كَالْمَنَاطِقِ (٣)

والمعنى لما أمطر عليهم الخير والجود وكفروا به أمطر عليهم العذاب لأنه أتاهم من عسكره فى مثل السحائب البارقة ، فكانت ضد السحائب التى أحسن إليهم بها فكفروها . وفى مثل هذا يقول البحترى :

لقدْ نشأتْ بالشام منك سَحَابةٌ ... تؤمّل جَدْوَاهَا ويُخشَى دَمارُها

فإن سالَموا كانت غمــامةَ وابلٍ ... وغيثاً وإلا فالدمارُ قِطــارُها

(١) يقول : إن إساءته إليهم أوجع من إساءة غيره لأنه كان محسنا إليهم وهم تعودوا إحسانه ، فإذا تنكر لهم كان أشد عليهم . فهو يقول — موبخا لبنى كعب لما حرمت أنفسها فضل سيف الدولة ، الذى كان عندهم عادة دائمة ونعمة سابغة — : وما يوجع الحرمان ممن لا يرتقب فضله ، ولا يؤلم المنع ممن لا يؤمل بذله ، كما يوجع ذلك ممن قد أنست النفوس إلى كريم عوائده وسكنت القلوب إلى جميل عواطفه . يريد أنهم كانوا أصدقاءه فحرموا فضله ورفده .

(٢) بها : أى بالخيل — وإن لم يجر لها ذكر — ؛ وحشو : حال ، كأنه قال : محشوة ، والعجاجة : واحدة العجاج : الغبار . والقنا : الرماح ؛ والسنابك : أطراف الحوافر ؛ والحمالق ـ بحذف الياء ، لأنها الحماليق ـ جمع حملاق : بطن جفن العين . يقول : أتاهم بالخيل وقد أحاطت بها الرماح والغبار فهى حشو هذين ، وحوافرها تحشو العيون بما تثير من الغبار . وقال العروضى : أبلغ من هذا أن الخيل تطأ رءوس القتلى فتحشو حماليقها بسنابكها ، كما قال :

* وَمَوْطِئُها مِنْ كل باغ مَلاغمه *

فأما أن يرتفع الغبار فيدخل فى العيون فلا كثير افتخار فى هذا .

(٣) عوابس : حال ـ أى كالحة لما أصابها من الجهد ـ ؛ وحلى : من الحلية . وأراد يابس الماء : ما جف من العرق ، وعرق الخيل إذا جف ابيض ؛ والحزم : جمع حزام ؛ والمناطق : جمع منطقة ، ما يشد به الوسط . يقول : أتتهم الخيل كالحة وقد جف العرق على حزمها فابيض ، فصارت الحزم كأنها المناطق المحلاة بالفضة .

فَلَيْتَ أَبَا الْهَيْجَا يَرَى خَلْفَ تَدْمُرٍ ... طِوَالَ الْعَوَالِي فِي طِوَالِ السَّمَالِقِ (١)
وَسَوْقَ عَلِيٍّ مِنْ مَعَدٍّ وَغَيْرِهَا ... قَبَائِلَ لَا تُعْطِى الْقُفِيَّ لِسَائِقِ (٢)
قُشَيْرٌ وَبَلْعَجْلَانِ فِيهَا خَفِيَّةٌ ... كَرَاءَيْنِ فِي أَلْفَاظِ أَلْثَغَ نَاطِقِ (٣)
تُخَلِّيهِمِ النِّسْوَانُ غَيْرَ فَوَارِكٍ ... وَهُمْ خَلَّوُا النِّسْوَانَ غَيْرَ طَوَالِقِ (٤)
يُفَرِّقُ مَا بَيْنَ الْكُمَاةِ وَبَيْنَهَا ... بِضَرْبٍ يُسَلِّى حَرُّهُ كُلَّ عَاشِقِ (٥)
أَتَى الظُّعْنَ حَتَّى مَا تَطِيرُ رَشَاشَةٌ ... مِنَ الْخَيْلِ إِلَّا فِي نُحُورِ الْعَوَاتِقِ (٦)

---

(١) أبو الهيجا : كنية والد سيف الدولة ؛ وتدمر : البلد القديم المعروف ؛ والعوالى الرماح ؛ والسمالق : جمع سملق ، للفازة المستوية الأرض المترامية الأطراف . يقول : ليت أباك حى فيراك وقد خلفت تدمر تطارد قبائل العرب برماحك الطويلة فى المفاوز الطوال.

(٢) القفى : جمع قفا ؛ وعلى : اسم سيف الدولة . يقول : وبراك تسوق أمامك من بنى معد وغيرهم قبائل لاتنهزم من أحد ولا تولى أقفيتها من يسوقها ، يعنى ؛ إنك أذللت من العرب من لم يذلله غيرك . واللام فى لسائق : زيادة فى التوكيد .

(٣) بلعجلان : يريد بنى العجلان ، فحذف النون لمشابهتها اللام ، كما قالوا فى بنى الحارث : بلحارث . وقوله فيها : أى القبائل . يقول : إن هاتين القبيلتين قد تبدد شملهما بين ماتبدد من القبائل التى هربت بين يديك ، فقلتا وخفيتا فيها خفاء راءين فى لفظ ألثغ إذا كررها ؛ وفيه إشارة الى كثرة الجموع التى ظهر عليها سيف الدولة من العرب ، ومع هذا إنما اعتصموا منه بالهرب .

(٤) فركت المرأة : اذا أبغضت الزوج ، فهى فارك ؛ والطوالق : جمع طالق . يقول : لشدة مالحقهم من الخوف وتشتتهم فى كل وجه تركت النساء أزاجهن من غير بغضة ، والرجال النساء من غير طلاق ؛ وهذا ينظر إلى قول النابغة :

دعانا النساء إذ عرفن وجوهنا ... دعاء نساء لم يفارقن عن قلى

(٥) الضمير فى يفرق : لسيف الدولة : والكماة : الأبطال عليهم السلاح — جمع كمى — والضمير فى بينها للنسوان . يقول : يفرق سيف الدولة بين الأبطال وبين نسائهم بضرب شديد ينسى العاشق معشوقه : أى أن شدة ذلك الضرب أنستهم حياطة أحبتهم وحملهم على إسلام ذريتهم ، وكل هذا مما يقيم لهم العذر فى هربهم منه .

(٦) الظعن : جمع ظعينة ، وهى النساء فى الهوادج ؛ والرشاشة : واحدة الرشاش،

بِكُلِّ فَلَاةٍ تُنْكِرُ الإِنسَ أَرْضُـــــهَا
ظَعَائِنُ حُمْرُ الْحُلِي حُمْـــرُ الأَيَانِقِ (١)

وَمَلْمُـومَةٌ سَـيْفِيَّةٌ رَبَعِيَّةٌ يَصِيحُ الْحَصَى فِيهَا صِيَاحَ اللَّقَالِقِ (٢)

بَعِيدَةُ أَطْرَافِ الْقَنَا مِنْ أُصُولِهِ قَرِيبَةُ بَيْنِ الْبَيْضِ غُبْرُ الْيَلَامِقِ (٣)

ماترشرش من الدم ونحوه ؛ والعواتق : جمع عاتق ، وهى الجارية التى قد أدركت وشبت فى بيت أبيها . يقول : إن خيل سيف الدولة لحقت بنساء هؤلاء القوم فكان فرسانه إذا طعنوا تناضح الدم فى نحور النساء ، وإذا لحقوا بالعواتق فهو أعظم من لحاقهم بغيرهن لأنهن أحق بالصون والحماية . هذه رواية ابن جنى وتفسيره . وروى ابن فورجه: أتى الطعن حتى ما يطير رشاشه : الطعن — بالطاء المهملة ؛ ورشاشه : بالهـاء ضمير الطعن أى طاعن الأعداء وهم فى بيوتهم حتى يطير رشاشه فى نحور النساء : أى أنه غزا العدو فى عقر داره .

(١) بكل : خبر مقدم ، وظعائن : مبتدأ مؤخر . والظعائن : جمع ظعينة ، وهى النساء المحمولات فى الهوادج ، وحمر الحلى : أى أن حليهن الذهب ، والأيانق : جمع أينق ، جمع ناقة : أى أنهن من الأشراف . ذوى اليسار حليهن الذهب ومركوبهن النياق الحمر — وهى أكرم النياق عنـد العرب — يقول : إنهم أبعدوا فى الهرب حتى انتشرت نساؤهم فى كل فلاة منقطعة لاعهد لها بالأنس ، ومع ذلك أدركهم ، فما ينفعهم هربهم ؛ أو تقول : حمر الحلى وحمر الايانق من الرشاش الذى أصاب نحور العواتق فحمر حليهن ونوقهن ؛ فيكون الـكلام متصلا بما قبله .

(٢) وملمومة : عطف على ظعائن ؛ والـكتيبة : الملمومة المجتمعة ؛ وسيفية نسبة إلى سيف الدولة : وربعية ؛ لأنه من ربيعة ، واللقالق : جمـع لقلق ، طائر كبير كثير فى العراق . ويصيح الحصى فيها : أى عند وقع حوافر الخيل عليه . شبه صوت الحصى بصوت اللقالق . يقول : إن جيش سيف الدولة بلغ تلك الفلاة البعيدة .

(٣) بعيدة : صفة لملمومة ؛ والقنا : الرماح ؛ والبيض : جمع بيضة : الخوذة تـكون على الرأس ؛ واليلامق : الأقبية ، جمع يلمق : وغبر : جمع أغبر ، وكان الوجه أن يقول غبراء اليلامق ، لأنها صفة للـكتيبة ، لـكنه جمع ذهابا إلى المعنى ، لأن الـكتيبة جماعة ، وهذا كما تقول : مررت بكتيبة صفر الأعلام طوال الرماح : يقول : إن رماحهم طويلة قد تباعدت أطرافها من أصولها وهم متضايقون متـكاثفون مجتمعون ، لازدحامهم ،

نهاها وأغناها عن النهب جوده ... فما تبتغي إلا حماة الحقائق (١)
توهمها الأعراب سورة مترف ... تذكره البيداء ظل السرادق (٢)
فذكرتهم بالماء ساعة غبرت ... سماوة كلب في أنوف الحزائق (٣)

فتقارب ما بين رءوسهم وقد اغبرت ثيابهم لما تثير خيلهم من الغبار . وفى هذا إشارة إلى أن الفلوات التى لجأ إليها هؤلاء القوم ظانين أنها تعصمهم من خيل سيف الدولة لم تجدهم فقد أقحمها عليهم ولم يتهيب اختراقها .

(١) جوده : يروى سيبه ؛ والحقائق : جمع الحقيقة ، ما تحق حمايته من أهل ومال ونحوهما . يقول : إن جود سيف الدولة يغنيهم عن نهب الأموال فهم لا يطلبون إلا قتل الشجعان الذين يحمون ما يحق عليهم حمايته كما قال أبو تمام :

إن الأسود أسود الغاب همتها ... يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب

(٢) السورة : الوثبة ؛ والهاء فى توهمها : للسورة ؛ أى توهم الأعراب هذه السورة منك سورة مترف . ويجوز أن تكون ضمير الشأن فسره بمفرد ؛ والأعراب : سكان البادية ؛ والمترف : المتنعم ؛ والبيداء : الفلاة المهلكة ؛ والسرادق : ما يدار حول الخيمة من شقق بلا سقف . يقول : توهم الأعراب أن حربك سورة متنعم إذا صار فى البيداء تذكر ما كان فيه من الظل والنعيم كعادة الملوك فانصرف عنهم وتركهم هربا من العطش والحر ؛ وفى هذا نظر إلى قول البحترى :

ألوف الديار فإن أزمع الترحل حرم إيطانها
إذا هم لم يهتدم عزمه ... مقاصير يعتاد أكنانها

وإلى قول منصور النمرى :

كذب العدا لو كنت صاحب نعمة ... صرعتك بين إقامة وكلال

(٣) غبرت : أثارت الغبار ؛ وسماوة كلب : أى سماوة بنى كلب ، وهى برية معروفة بناحية العواصم ؛ والحزائق : جمع حزيقة ، وهى الجماعة . يقول : فى هذا الوقت ذكرتهم أنت بالماء ، أى حملتهم على تذكر الماء حين اشتد عطشهم فى برية السماوة وقد ملأ غبارها أنوفهم وهم هاربون بين يديك ، يعنى عرفتهم صبرك عن الماء وأن الأمر لم يكن على ما ظنوا من أنك لا تصبر عن الماء وأنت تتبعهم .

وَكَانُوا يَرُوعُونَ المُلُوكَ بِأَنْ بَدَوْا ... وَأَنْ نَبَتَتْ فى المَاءِ نَبْتَ الغَلاَفِقِ (١)

فهَاجُوكَ أَهْدَى فى الفَلاَ مِنْ نُجُومِهِ ... وَأَبْدَى بُيُوتًا مِنْ أَدَاحِى النَّقَانِقِ (٢)

وَأَصْبَرَ عَنْ أَمْوَاهِهِ مِنْ ضِبَابِهِ ... وَآلَفَ مِنْهَا مُقْلَةً لِلْوَدَائِقِ (٣)

(١) يروعون : يخيفون ؛ وبأن بدوا : أى بأنهم أقاموا بالبادية ؛ وأن : مخففة من الثقيلة ؛ والضمير فى نبتت : للملوك . والغلافق : جمع غلفق ، وهو الطحلب . يقول : إن هؤلاء القبائل كانوا يخيفون الملوك بانهم نشأوا فى البادية فلا يكترثون للحر والعطش ويصبرون على عدم الماء : وأن الملوك لا صبر لهم عن الماء لأنهم نشأوا فيه — أى فى جواره — كما ينشأ الطحلب فى الماء ، فظنوا أن سيف الدولة مثل أولئك الملوك .

(٢) أهدى : أفعل تفضيل — من الهداية — وهو حال من ضمير المخاطب ؛ والفلا : جمع فلاة . والضمير من نجومه يرجع إلى الفلا : لأن كل جمع بينه وبين واحده التاء يجوز فيه التأنيث والتذكير ؛ وأضاف النجوم إلى ضمير الفلا مجازاً على تشبيه النجوم بالقوم المسافرين ؛ وأبدى : أظهر . وأداحى : جمع أدحى — ككرسى — موضع بيض النعام من الرمل ؛ والنقانق : جمع النقنق ، ذكر النعام . يقول : فهيجوك وأثاروك عليهم بعصيانهم فكنت أهدى إليهم فى الفلوات من النجم وأظهر بيوتا فيها من مبيض النعام ، وذلك أن النعامة لاعش لها ولكنها تدحو الرمل برجلها ، أى تبسطه ثم تبيض فيه . يريد أنه لم يتلمس مواضع الشجر والظل ولكن ينزل على وجه الصحراء معرضاً لحر الشمس .

(٣) الضباب . جمع ضب ، الدويبة البرية المعروفة ؛ والودائق : جمع وديقة ؛ شدة الحر عند دنو الشمس من الرءوس ؛ قال بعضهم : سميت وديقة لأنها ودقت إلى كل شىء أى وصلت إليه . قال أبو المثلم الهذلى يرثى صخراً :

حامى الحقيقة نسالُ الوديقةِ مِعْتاق الوسيقة لا نِكسٌ ولا وانى (١)

(١) قبله :

آبى المضيمة نابٍ بالعظيمة متلاف الكريمةِ جَلدٌ غير ثُنيانِ

قال ابن الأعرابى : يقال فلان يحمى الحقيقة وينسل الوديقة يقال للرجل المشمر القوى : أى ينسل نسلانا فى وقت الحر نصف النهار والوسيقة الطريدة من الإبل وفرس معتاق الوسيقة وهو الذى إذا طرد عليه طريدة أنجاها وسبق بها .

وَكَانَ هَدِيراً مِنْ فُحُولٍ تَرَكْتَهَا ... مُهَلَّبَةَ الأَذْنَابِ خُرْسَ الشَّقَاشِقِ (١)

فَمَا حَرَمُوا بِالرَّكْضِ خَيْلَكَ رَاحَةً ... وَلٰكِنْ كَفَاهَا البَرُّ قَطْعَ الشَّوَاهِقِ (٢)

وَلَا شَغَلُوا صُمَّ القَنَا بِقُلُوبِهِمْ ... عَنِ الرَّكْزِ لٰكِنْ عَنْ قُلُوبِ الدَّمَاسِقِ (٣)

وأصبر : عطف على أهدى ـ فى البيت السابق ـ . يقول : وكنت أصبر على الماء من الضب ـ والضب لا يرد الماء قط ـ وكنت آلف مقلة للهجير ـ شدة الحر ـ من الضب مع أنها تسكن الفلوات . وكل هذا إشارة إلى أنهم أخطأوا فى تقديرهم سيف الدولة وخبرته باختراق القفار ، وأنهم عجزوا عما بدا منه من الأيد والجلد .

(١) اسم كان : ضمير فيها ؛ وهديراً : خبرها ؛ والتقدير : وكان فعلهم أو كيدهم . والهدير : صوت البعير إذا ردده فى حنجرته ؛ والمهلبة : المقطوعة الهلب ، وهو شعر الذنب ؛ والشقاشق : جمع الشقشقة ، وهى لهاة البعير إذا هدر أخرجها من فمه . يقول: كان طغيانهم وغيهم مثل هدير فحول تهادرت فانتدب لها قرم ـ فحل كريم ـ هو سيف الدولة ـ مصعب فضعمها ـ عضها بملء فمه ـ أى نال منها ـ وسار عليها فتركها ـ صيرها مهلبة الأذناب ساكنة الهدير ، يعنى أذلهم وصغر أمرهم ، لأن الفحل إذا أخذ هلبه ذل ، لأن الفحول إنما تتخاطر بأذنابها . وإذا أخذ شعر ذنبها ذلت ، قال الشاعر :

* أبى صِغَرُ الأذنابِ أنْ تخطرُوا بها *

والمعنى : تركت فحول تلك القبائل كفحول إبل تستذل بقطع الأذناب ، وسكنتها بغلبتك عليها فانقطعت أصوات شقاشقها . يريد أنه أذل أعزاء الأعراب وذهب بقوتهم وظفر بهم .

(٢) الشواهق : جمع شاهق ، الجبل الشامخ العالى . يقول : إنهم بفرارهم منك وإحواجهم إياك إلى الركض خلفهم لم يحرموا خيلك راحة لأنك لولم تذهب إليهم لقصدت الروم ، فلما قصدت هؤلاء الأعراب أغنى خيلك السير فى البرارى عن تجشم قطع الجبال بأرض الروم .

(٣) الصم : الصلاب ؛ والقنا : الرماح ؛ وبقلوبهم : متعلق بشغلوا ؛ وركز الرمح : غرزه فى الأرض قائماً لا يطعن به ؛ والدماسق : جمع دمستق ـ على حذف التاء ـ والدمستق : قائد الروم . يقول : إنك لو لم تحاربهم ما كنت تركز رماحك

أَلَمْ يَحْذَرُوا مَسْخَ الَّذِى يَمْسَخُ الْعِدَا ... وَيَجْعَلُ أَيْدِى الْأُسْدِ أَيْدِى الْخَرَانِقِ (١)
وَقَدْ عَايَنُوهُ فِى سِوَاهُمْ وَرُبَّمَا ... أَرَى مَارِقًا فِى الْحَرْبِ مَصْرَعَ مَارِقِ (٢)
تَعَوَّدَ أَنْ لَا تَقْضَمَ الْحَبَّ خَيْلُهُ ... إِذَا الْهَامُ لَمْ تَرْفَعْ جُنُوبَ الْعَلَائِقِ (٣)
وَلَا تَرِدَ الْغُدْرَانَ إِلَّا وَمَاؤُهَا ... مِنَ الدَّمِ كَالرَّيْحَانِ تَحْتَ الشَّقَائِقِ (٤)

تاركا للحرب بل كنت تغزو الروم ، فهم إنما شغلوا رماحك بحربهم عن طعن قلوب قواد الروم: أى فلا راحة لخيلك ولا لسلاحك.

(١) المسخ: قلب الخلقة؛ والخرانق: جمع خرنق ـ بكسر الخاء ـ وهن الإناث من أولاد الأرانب أو الصغار منها. يريد بمسخه الأعداء أن يجعل الشجعان منهم جبناء والأقوياء ضعفاء ، فتصير الأيدى القوية التى كأنها أيدى الأسد أيديا ضعيفة كأنها أيدى الأرانب. وعبارة العكبرى : ألم يحذر الأعداء سطوته التى هى على عدوه كالمسخ الذى يقلب الخلق ويقبح الصور ويعيد بها عزيزهم ذليلا وكثيرهم بالقتل قليلا ويجعل أيدى الأسد من أعاديه وقد تناهت فى القوة كأيدى الخرانق قصيرة مما يكسبهم من الذلة والصغار ؟ وفى هذا المعنى يقول أبو تمام :

لو أن أيديكم طِوالٌ قَصَّرَتْ ... عنه فكيفَ تكونُ وَهْيَ قِصَارُ

(٢) وقد عاينوه : حال من ضمير يحذروا ـ فى البيت السابق ـ والمارق فى الأصل : الذى يمرق من الدين ؛ والمراد : الخارج عن الطاعة ـ من مروق السهم ـ والمصرع : مصدر صرعه ، إذا طرحه على الأرض ؛ ويراد به القتل. يقول : قد عاينوا بطشه بغيرهم فما اعتبروا بتلك المصارع وكان جديرا بهم أن يعتبروا بها وقد أراهم سيف الدولة مصرع العاصى المتمرد عليه حتى يعتبر الثانى بالأول ، كما قال أشجع :

شدَّ الخِطامَ بأنفِ كل مُخالفٍ ... حتى استقامَ له الذى لم يخطمِ

(٣) القضم : أكل الشىء اليابس ؛ والهام : الرءوس ؛ والعلائق : جمع عليقة ، وهى المخلاة تعلق من رأس الدابة لتعتلف ؛ وجنوبها: نواحيها. قال ابن جنى : سألته ـ المتنبى ـ عن معنى هذا البيت فقال : الفرس إذا علقت عليه المخلاة طلب لها موضعا مرتفعا يجعلها عليه ثم يأكل ؛ فخيله أبدا إذا أعطيت عليقها رفعته على هام الرجال الذين قتلهم لكثرتهم حولها ، فقد تعودت خيله ذلك فى غزواتها.

(٤) ولا ترد : عطف على لا تقضم ؛ والغدران : جمع غدير ، وهو ما غدره السيل ـ تركه ـ والشقائق : نور أحمر ؛ يقال له شقائق النعمان ، قال ابن جنى : أى

لَوَفْدُ نُمَيْرٍ كَانَ أَرْشَدَ مِنْهُمُ ... وَقَدْ طَرَدُوا الأَظْعَانَ طَرْدَ الوَسَائِقِ[(١)]

أَعَدَّ رِمَاحًا مِنْ خُضُوعٍ فَطَاعَنُوا ... بِهَا الْجَيْشَ حَتَّى رَدَّ غَرْبَ الْفَيَالِقِ[(٢)]

لكثرة ماقتله من أعدائه جرت دماؤهم إلى الغدران فغلبت على خضرة الماء حمرة الدم، والماء يلوح من خلال الدم كالريحان تحت الشقائق ، وماء الغدير أخضر من الطحلب فشبه خضرة الماء وحمرة الدم بالريحان تحت الشقائق . وقال ابن فورجه : إنما يعنى أنه لا يروم الهوينا ولا تشرب خيله الماء إلا وقد حاربت عليه واحمر الماء من دم الأعداء ، كما قال بشار :

فتى لا يَبِيتُ عَلَى دِمْنَةٍ ... وَلاَ يَشْرَبُ المَاءَ إلا بِدَمْ

وقال العكبرى : ويجوز أن يكون أراد أن خيله لا تقرب الغدران واردة ، ولا تقتحم مياهها شاربة إلا وتلك المياه تحت ما يسفكه من دماء أعدائه كالريحان فى خضرته إذا استبان تحت الشقائق ، واستولت بحمرتها على جملته ؛ وأشار بخضرة الماء إلى صفائه وكثرته ، ونبه بذلك على جمومه ، وأن هذه الخيل إنما تأنس من الماء ما هذه صفته ، وترد منه ماهذه حقيقته ؛ وفيه نظر إلى قول جرير :

وما زالتِ القَتْلى تَمُورُ دِمَاؤُها ... بِدِجْلَةَ حتى ماءُ دِجْلَةَ أَشْكَلُ[(١)]

(١) لوفد : اللام للابتداء ؛ والوفد : القوم الوافدون ؛ ونمير : قبيلة منهم استسلمت لسيف الدولة ــ كما سيذكر فى البيت التالى ــ والأظعان : جمع ظعن ، جمع ظعينة ، للمرأة مادامت فى الهودج . والوسائق : جمع وسيقة : الطريدة من الغنم أو الإبل . يقول : إن هؤلاء الذين وفدوا إليك من بنى نمير كانوا أرشد من الذين هربوا عاصين وطردوا نساءهم كما تطرد الوسائق .

(٢) ضمير رد : للخضوع ؛ وغرب كل شىء : حده . والفيالق : جمع فيلق ، القطعة من الجيش . يقول : إن هؤلاء الوافدين عليك من نمير أتوك خاشعين فقام خضوعهم مقام رماح طاعنوا بها جيشك مدافعين عن أنفسهم ، وهذا كما يقول أبو تمام :

تخاطَ لهُ الإقرارُ بالذنبِ رُوحَهُ ... وَجُثمانَه إذ لم تحطْهُ قَنَابلُهْ

---

(١) تمور : تجرى ؛ وأشكل : فيه بياض وحمرة ، قد اختلطا .

فَلَمْ أَرَ أَرْمَى مِنْهُ غَيْرَ مُخَاتِلٍ ... وَأَسْرَى إِلَى الأَعْدَاءِ غَيْرَ مُسَارِقِ (١)
تُصِيبُ الْمَجَانِيقُ الْعِظَامُ بِكَفِّهِ ... دَقَائِقَ قَدْ أَعْيَتْ قِسِيَّ الْبَنَادِقِ (٢)

* * *

وقال فى صباه يمدح أبا المنتصر شجاع بن محمد بن أرس بن معن بن الرضى الأزدى :

أَرَقٌ عَلَى أَرَقٍ وَمِثْلِيَ يَأْرَقُ ... وَجَوًى يَزِيدُ وَعَبْرَةٌ تَتَرَقْرَقُ (٣)
جُهْدُ الصَّبَابَةِ أَنْ تَكُونَ كَمَا أَرَى ... عَيْنٌ مُسَهَّدَةٌ وَقَلْبٌ يَخْفِقُ (٤)

---

(١) المخاتل : المخادع ؛ والمسارق : الذى يترقب غفلة . يقول : لم أر أحداً يرمى أعداءه جهارا ويسرى إلى أعدائه معالنا غير مسر كما يرمى هو ويسرى ، فهو لا يحتاج إلى المخاتلة والمسارقة فى الظفر بعدوه ، وفى هذا يقول البحترى :

فتُدْرِكُ بالإقدامِ بُغيتَنا التى ... نُطالِبُها لا بالخديعةِ والمكرِ

وهو معنى قديم .

(٢) المجانيق : جمع منجنيق ، آلة ترمى بها الحجارة ونحوها على الحصون فى الحصار ؛ والدقائق : الأشياء الدقيقة ؛ وأعيت : أعجزت ؛ والقسى : جمع قوس ، وهو من القلب المكانى . والبنادق : جمع بندقة ، ما يعمل من الطين ويرمى به الطير . يقول : إنه يقدر على مالا يقدر عليه غيره حتى يصيب بالمنجنيق مع اختلاف رميه وتعذر ضبطه من الأشياء الدقيقة ما يعجز غيره عن أن يصيبه بالقسى التى ترمى بها البنادق ، يعنى أنه معان موفق مؤيد .

(٣) الأرق : فقد النوم ؛ والجوى : الحرقة ــ من حزن أو عشق ــ . والعبرة : الدمعة تتردد فى العين ؛ وتقول : رقرقت الماء فترقرق : مثل أسلته فسال . يقول : لى سهاد بعد سهاد على أثر سهاد ، ومثلى ممن كان عاشقا يسهد لامتناع النوم عليه ، وحرقته تزداد كل يوم ودمعه يسيل .

(٤) جهد الصبابة : مبتدأ ؛ خبره : أن تكون ؛ والجهد ــ بالفتح ــ المشقة ، وبالضم الطاقة والوسع ؛ وقيل هما لغتان بمعنى . والصبابة : رقة الشوق . وعين : خبر مبتدأ محذوف ، تقديره لى عين ؛ ويجوز أن تكون عين : خبرا عن جهد الصبابة ، وأن تكون فى موضع الحال . يقول : غاية الشوق أن تكون بهذه الحال التى أنا فيها ، وقال البحترى :

مَا لاحَ بَرْقٌ أَوْ تَرَنَّمَ طائِرٌ إِلاَّ انْثَنَيْتُ وَلِى فُؤادٌ شَيِّقُ(١)
جَرَّبْتُ مِنْ نارِ الْهَوَى ما تَنْطَفِى نارُ الْغَضَى وَتَكِلُّ عَمَّا تُحْرِقُ(٢)
وَعَذَلْتُ أَهْلَ الْعِشْقِ حَتَّى ذُقْتُهُ
فَعَجِبْتُ كَيْفَ يَمُوتُ مَنْ لاَ يَعْشَقُ(٣)

هلْ غاية الشَّوْقِ المبرِّح غيرَ أن يَغلو نشيجٌ أوْ تَفيضَ مَدامِعُ

(١) انثنيت : رجعت ؛ ولى فؤاد : جملة حالية ؛ والشيق : المشتاق ؛ وهو معلوم أن لمعان البرق يهيج العاشق ويحرك شوقه إلى أحبته لأنه يتذكر به ارتحالهم للنجعة وفراقهم ، ولأن البرق ربما لمع من الجانب الذى هم به ، وكذلك ترنم الطائر . وهذا كثير فى أشعارهم ومنه قول بعضهم :

مَا تغنَّى القمْرِىُّ إلا شجانى وَغناء القُمْرِىِّ لِلصَّبِّ شاجى

(٢) الغضى : شجر معروف يستوقد به ، فتكون ناره أبقى . يقول : جربت من نار الهوى ناراً تكل نار الغضى عما تحرقه تلك النار وتنطفىء عنه ولا تحرقه، يريد أن نار الهوى أشد إحراقا من نار الغضى ؛ وهذا ينظر إلى قول الآخر :

لو كان قلبىَ فى نارٍ لأحرقها لأن إحراقه أذكى من النار

فما ـ من قوله ماتنطفى ـ : مصدرية ؛ والضمير فى تحرق : لنار الهوى ؛ وعما تحرق : متعلق بتكل ؛ ومعمول تنطفى ـ كما يقول العكبرى ـ محذوف على رأى البصريين فى إعمال ثانى الفعلين ؛ كقولك : رضيت وصفحت عن زيد ، فحذفت معمول الأول لدلالة الثانى عليه ؛ وحجتهم أن الثانى أقرب إلى المعمول واختار الكوفيون إعمال الأول لانه أسبق فى الذكر ، وقد جاء فى الكتاب العزيز إعمال الثانى . فهو دليل «للبصرى» ، وجاء فى أشعار العرب إعمال الأول ففى القرآن «آتونى أفرغ عليه قطرا . هاؤم اقرءوا كتابيه» وفى البيت محذوفان هذا الذى ذكرناه ؛ والثانى حذف العائد إلى «ما» الثانية من صلتها ؛ وفيه حذفان آخران تقديرهما جربت من قوة نار الهوى انطفاء نار الغضى وكلولها عن إحراق ما تحرقه نار الهوى .

(٣) يريد أن يعظم أمر العشق ويجعله غاية فى الشدة . يقول : كيف يكون موت من غير عشق ؟ أى من لم يعشق يجب أن لا يموت لأنه لم يقاس ما يوجب الموت ، وإنما الذى يوجبه هو العشق . وقال بعض الشراح : لما كان المتقرر فى النفوس أن الموت فى أعلى مراتب الشدة قال : لما ذقت العشق وعرفت شدته عجبت كيف يكون هذا الأمر المتفق على شدته غير العشق !

وَعَذَرْتُهُمْ وَعَرَفْتُ ذَنْبِيَ أَنَّنِي   عَيَّرْتُهُمْ فَلَقِيتُ فِيهِ مَا لَقُوا(١)
أَبَنِي أَبِينَا نَحْنُ أَهْلُ مَنَازِلٍ   أَبَدًا غُرَابُ الْبَيْنِ فِيهَا يَنْعَقُ(٢)
نَبْكِي عَلَى الدُّنْيَا وَمَا مِنْ مَعْشَرٍ   جَمَعَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يَتَفَرَّقُوا(٣)
أَيْنَ الأَكَاسِرَةُ الْجَبَابِرَةُ الأُلَى
كَنَزُوا الْكُنُوزَ فَمَا بَقِينَ وَلاَ بَقُوا(٤)
مِنْ كُلِّ مَنْ ضَاقَ الْفَضَاءُ بِجَيْشِهِ   حَتَّى ثَوَى فَحَوَاهُ لَحْدٌ ضَيِّقُ(٥)

---

(١) يقول: لما ذقت مرارة العشق وما فيه من ضروب البلاء عذرت العشاق فى وقوعهم فى العشق وفى جزعهم وعرفت أنى أذنبت بتعييرهم بالعشق فابتليت بما ابتلوا به ولقيت فى العشق من الشدائد ما لقوا، وفى مثل هذا يقول على بن الجهم:

وقد كنتُ بالعُشّاق أهزأُ مرّةً   وها أنا بالعُشّاق أصبحتُ باكيا

ويقول أبو الشيص:

وكنتُ إذا رأيتُ فتى يُبكّى   على شجنٍ هزأتُ إذا خلوتُ
وأحسَبُنِي أدالَ اللهُ منّى   فصرْتُ إذا بَصُرتُ به بكيتُ

(٢) نعق الغراب ونغق: صاح. انتقل أبو الطيب من النسيب إلى الوعظ وذكر الموت، ومثل هذا — كما قال الواحدى — يستحسن فى المراثى لا فى المدح. وقوله: أبنى أبينا: أى يا إخواننا. يجوز أن يكون نداء لجميع الناس — لأن الناس كلهم بنو آدم — ويجوز أن يريد قوما مخصوصين: إما العرب، وإما رهطه وقبيلته. يقول: نحن نازلون فى منازل يتفرق عنها أهلها بالموت. وإنما ذكر غراب البين لأن العرب تتشاءم بصياح الغراب، يقولون: إذا صاح الغراب فى دار تفرق أهلها، وهو كثير فى أشعارهم.

(٣) مثله:

لا يُلبثُ القرناء أنْ يتفرقوا   ليلٌ يكرُّ عليهم ونهارُ

(٤) الألى: أى الذين، وبقين: أى الكنوز؛ وبقوا: أى الأكاسرة.

(٥) من — فى أول البيت — للتفسير؛ والجار والمجرور فى موضع الحال من الأكاسرة؛ ومن — المضافة إليها كل — نكرة موصوفة. والجملة بعدها: صفتها. وثوى: أى أقام فى قبره؛ ويروى: نوى، أى هلك. يقول: أولئك الذين ذكرناهم من كل

خُرْسٌ إذَا نُودُوا كَأَنْ لَمْ يَعْلَمُوا   أَنَّ الْكَلَامَ لَهُمْ حَلَالٌ مُطْلَقُ(١)
وَالمَوْتُ آتٍ وَالنُّفُوسُ نَفَائِسٌ   وَالْمُسْتَغِرُّ بِمَا لَدَيْهِ الأَحْمَقُ(٢)
وَالمَرْءُ يَأْمُلُ وَالْحَيَاةُ شَهِيَّةٌ   وَالشَّيْبُ أَوْقَرُ وَالشَّبِيبَةُ أَنْزَقُ(٣)
وَلَقَدْ بَكَيْتُ عَلَى الشَّبَابِ وَلِمَّتِي   مُسْوَدَّةٌ وَلِمَاءِ وَجْهِي رَوْنَقُ(٤)
حَذَرًا عَلَيْهِ قَبْلَ يَوْمِ فِرَاقِهِ   حَتَّى لَكِدْتُ بِمَاءِ جَفْنِي أَشْرَقُ(٥)

ملك كثرت جنوده حتى ضاق بهم الفضاء فجمعه لحد ـ شق فى جانب قبر ـ ضيق بعد أن كان الفضاء الواسع يضيق عنه ، قال أشجع :

وأصبحَ فى لحدٍ مِنَ الأرض ضيِّقٍ   وكانت به حيًّا تضيقُ الصحاصحُ

« الصحاصح : جمع صحصح: الأرض الجرداء ليس بها شجر ولا ماء»

(١) يقول : إنهم موتى لا يجيبون من ناداهم كأنهم يظنون أن الكلام محرم عليهم لا يحل لهم أن يتكلموا . ولو وصفهم بالعجز عن الكلام وعدم القدرة على النطق لكان أولى وأحسن ، لان الميت لا يوصف بما ذكره . . . قاله الواحدى .

(٢) النفيس : الشيء الذى ينفس به ؛ أى يضن به : والمستغر : المغرور . يقول : الموت يأتى على الناس فيودى بهم وإن كانت نفوسهم عزيزة ؛ والكيس لا يغتر بما جمعه من الدنيا لعلمه أنه لا يبقى ولا يدفع عنه شيئا ، ومن لم يعلم هذا فهو أحمق. وروى المستعز : أى الذى يطلب العز بماله هو أحمق ، وفى معنى البيت :

وإن امرأً أَمِنَ الزما   ن لَمُسْتغرٌّ أحمقُ

(٣) شهية : مشتهاة طيبة ؛ وأوقر : من الوقار ؛ والشبيبة : اسم بمعنى الشباب ؛ وأنزق : أخف وأطيش . يقول : إن المرء يرجو الحياة لطيبها عنده ، ويكره الشيب وهو خير له لأنه يفيده الحلم والوقار ، ويحب الشباب وهو شر له لأنه يحمله على الطيش والخفة .

(٤) اللمة من الشعر : ما جاوز شحمة الأذن ؛ والواو قبلها : للحال . والرونق : الحسن والنضارة .

(٥) حذراً : مفعول لأجله ؛ والعامل فيه : بكيت ، واللام من قوله لكدت : للتوكيد ؛ والتقدير : لقد كدت فحذف «قد» ويقال شرق بالماء . كما يقال غص بالطعام يقول : لكثرة دموعى كاد يشرق بها جفنى : أى يضيق عنها ، وإذا شرق جفنه فقد شرق هو ، ويجوز أن يغلبه البكاء فلا يبلع ريقه ويكون التقدير : بسبب ماء جفنى أشرق بريق ، وفى هذين البيتين نظر إلى قول الآخر ـ وهو من باب غير هذا الباب ـ :

أَمَّا بَنُو أَوْسِ بْنِ مَعْنِ بْنِ الرِّضَا فَأَعَزُّ مَنْ تُحْدَى إِلَيْهِ الأَيْنُقُ(١)
كَبَّرْتُ حَوْلَ دِيَارِهِمْ لَمَّا بَدَتْ مِنْهَا الشُّمُوسُ وَلَيْسَ فِيهَا الْمَشْرِقُ(٢)
وَعَجِبْتُ مِنْ أَرْضٍ سَحَابُ أَكُفِّهِمْ
مِنْ فَوْقِهَا وَصُخُورُهَا لَا تُورِقُ(٣)

مَا كُنْتُ أَيَّامَ كُنْتِ رَاضِيَةً عَنِّي بِذَاكِ الرِّضَا بِمُغْتَبِطِ
عِلْمًا بِأَنَّ الرِّضَا سَيَتْبَعُهُ مِنْكِ التَّجَنِّي وَكَثْرَةُ السَّخَطِ

(١) الأينق : النياق ، جمع ناقة ـ على غير قياس ـ والقياس : الأنوق يقول : إن قوم هذا الممدوح أعز الناس لمنعتهم وشرفهم ، فهم أعز من يقصدويسرى إليه الطلاب والقصاد ويحدون جمالهم . قال الواحدى : روى الأستاذ أبو بكر الخوارزمى الرضا ـ بضم الراء ـ وهو اسم صنم ؛ وأراد ابن عبد الرضا : كما قالوا ابن مناف . ويريدون ابن عبد مناف .

(٢) جعلهم كالشموس فى علو ذكرهم واشتهارهم أو فى حسن وجوههم . يقول : كبرت لله ـ أى قلت الله أكبر ـ تعجباً من قدرته حين أطلع شموساً لا من المشرق ، وكانت منازل الممدوحين فى جهة المغرب : قال العكبرى : وإنما جمع الشموس ليجعل كل واحد منهم شمساً ، فقابل جماعة بجماعة ، واستجاز ذلك ، لأن الشمس يختلف طلوعها وغروبها وازدياد حرها وانتقاصه وتغير لونها فى الأصائل وغيرها ، فيقال : شمس الضحى ، وشمس الأصائل ، وشمس الصيف ، وشمس الشتاء . كقوله تعالى «رب المشرقين ورب المغربين» و « رب المشارق والمغارب» وقال الله تعالى « ولله المشرق والمغرب » وقال النخعى :

حَمِيَ الحديدُ عليهم فكأنهُ لمعانُ بَرقٍ أَوْ شُعاعُ شموس

(٣) يقول : إذا كانوا يسقونها بندى أيديهم فلم لا تورق صخورها لفضل ندى أيديهم على ندى السحاب : أى كان من حقها أن تلين حتى تنبت الورق وهذا من قول البحترى يصف أيام المتوكل :

أشرقْنَ حتى كادَ يَحتبسُ الدُّجى وَرَطُبْنَ حتى كادَ يَجْرِى الجندلُ

ويقول أبو الشمقمق ـ وكان مع طاهر بن الحسين فى حراقة فى دجلة ـ :

وَتفوحُ مِنْ طِيبِ الثَّنَاءِ رَوَائحٌ   لَهُمُ بِكُلِّ مَكَانَةٍ تُسْتَنْشَقُ(١)
مِسْكِيَّةُ النَّفحاتِ إلاَّ أنَّهَا   وَحْشِيَّةٌ بِسِوَاهُمُ لاَ تَعْبَقُ(٢)
أمُرِيدَ مِثْلِ مُحَمَّدٍ فى عَصْرِنَا   لاَ تَبْلُنَا بِطِلاَبِ مَالاَ يُلْحَقُ(٣)

عجبتُ لِحَرَّاقَةِ ابْنِ الْحُسَــينِ كيفَ تعومُ وَلا تغرَقُ
وبحرانِ مِن تحتِهَا وَاحِدٌ   وآخَــرُ مِن فوقِها مُطْبِقُ
وأعجبُ مِن ذاكَ عِيدانُها   وَقد مسها كيفَ لا تورقُ

ويقول مسلم :

لو أنَّ كفاً أعشبَتْ لسماحةٍ   لَبَدَا براحتِهِ النباتُ الأخضر

(١) مكانة : أى مكان ؛ ومثله منزلة ومنزل ، قال تعالى « على مكانتكم » والثناء يوصف بطيب الرائحة ، لأن طيب أخبار الثناء فى الآذان مسموعة كطيب الروائح فى الأنوف مشمومة . يقول : إن أخبار الثناء عليهم تسمع بكل مكان لـكثرة المثنين عليهم، ولله ابن الرومى حين يقول :

أعبقته مِن طِيبِ رَيحِكَ عبقةً   كادتْ تـكون ثناءك المسموعا

ولآخر :

لو كان يوجدُ ريحُ مجدٍ فائحاً   لوجــدتَهُ منه عَلَى أميالِ

ولابن الرومى أيضاً :

إن جاء مَن يبغى لنا منزلا   فقــل له يَمشى و يستنشق

ومثله :

ولو أن رَكْباً يَمّموك لقادَهُمْ   شَميمُكَ حتى يستدلَّ بك الرَّكْبُ

(٢) النفحات : الروائح ؛ وتعبق : تفوح . يقول : روائح ما يسمع من الثناء عليهم مسكية — لها طيب المسك — إلا أنها نافرة لا تعلق بغيرهم ولا تفوح إلا منهم ، يعنى لا يثنى على غيرهم كما يثنى عليهم .

(٣) أمريد : نداء . يقول : يامن يريد أن يوجد له نظير لا تمتحنا بطلاب مالا يدرك ، أى أنه لا يوجد له نظير ، وفى مثل هذا يقول البحترى :

ولئن طلبتُ نظيرَه إنى إذن   لمـكلَّفٌ طلبَ المُحالِ رِكابى

لَمْ يَخْلُقِ الرَّحْمَنُ مِثْلَ مُحَمَّدٍ أَبَدًا وَظَنِّى أَنَّهُ لَا يَخْلُقُ (١)
يَاذَا الَّذِى يَهَبُ الْجَزِيلَ وَعِنْدَهُ أَنِّى عَلَيْهِ بِأَخْذِهِ أَتَصَدَّقُ (٢)
أَمْطِرْ عَلَىَّ سَحَابَ جُودِكَ ثَرَّةً وَانْظُرْ إِلَىَّ بِرَحْمَةٍ لَا أَغْرَقُ (٣)

---

(١) يقول : إذا كان الله سبحانه لم يخلق له مثلا كان طلب مثله محالا ، وعبارة العكبرى : لا تطلب مثله ، فظنى أنه لا يخلق الله مثل محمد ، وصدق إن أراد الاسم لا الصورة — لأن الله تعالى لم يخلق فى الأول ولا فى الآخر مثل محمد صلى الله عليه وسلم ، ومثله لأبى الشيص :

ما كان مثلك فى الورى فيمن مضى أحــــدٌ وظنِّى أنه لا يخلقُ

ولابن الرومى :

فهل من سبيل إلى مثله أبى الله ذاك على من خلق

وللحصنى :

لم يكن فى خليقــة الله نِدٌّ لك فيما مضى وليس يكونُ

(٢) وعنده : أى وفى اعتقاده أنى إذا أخذت هبته فقد تصدقت عليه وأعطيته ، فهو متقلد المنة بذلك وموجب لى الشكر ؛ والأصل فى هذا قول زهير :

تراه — إذا ماجئتَه — متهللا كأنك تُعطِيهِ الذى أنت سائلُهْ

فقوله : أتصدق ، أى أعطيه الصدقة وأهبها له : وقد جاء تصدق . بمعنى سأل ، وأنشدوا :

ولو أنهم رُزِقوا على أقدارهم للقيت أ كثرَ من ترى يتصدق

(٣) ثرة : غزيرة كثيرة الماء . يقول : اجعل سحاب جودك ماطراً على مطراً غزيراً ثم ارحمنى بأن تحفظنى من الغرق كيلا أغرق فى كثرة مطرك وهذا ينظر إلى قول ابن أبى السمط فى وصف سحابة :

حتى ظللْتُ أقول فى إلحاحها بالوبل : هل أنا سالم لا أغرقُ

هذا : وقد قال ابن الشجرى فى أماليه تعليقاً على قوله لا أغرق : تقديره فإن تنظر إلى لا أغرق ، ويحتمل رفعه وجهين : أحدهما أراد لئلا أغرق ، فحذف لام العلة ثم حذف أن ، فارتفع ، كقوله :

* أوجدُ ميتاً قُبيلَ أفقدُها *

. . . .

كما جاء فى قول طرفة :

* ألا أيهذا الزاجرى أحضرُ الوَغى[١] *

أراد أن أحضر ، فحذفها ؛ يدلك على حذفها قوله : وأن أشهد اللذات . والثانى : أن يكون بالفاء مقدرة ، وإذا كانت فى الجواب مقدرة ارتفع الفعل بتقديرها ، كما يرتفع بإثباتها ، وإذا كانوا يحذفونها من جواب الشرط الصريح فيرفعون لحذفها من جواب الأمر أسهل كقوله :

* مَنْ يَفْعَلِ الحسناتِ اللهُ يشكرُها[٢] *

وأما قوله تعالى « لا يضركم » فى قراءة الكوفيين وابن عامر ، ففيه ثلاثة أقوال : أحدها بتقدير الفاء ، والثانى على التقديم والتأخير ، كأنه قال : « لا يضركم كيدهم » « وإن تصبروا وتتقوا » وبهذا التقدير ارتفع قول الشاعر — وهو بيت الكتاب — :

* إنك إن يُصْرَعْ أخوكَ تُصْرَعُ[٣] *

والثالث : أن يكون الضم للاتباع .

---

(١) من معلقة طرفة ، وقد تقدم شرحه فى غير موضع من هذا الشرح

(٢) لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، وقبله :

إنْ يَسْلم المرء من قَتل ومن هرمٍ ... للذة العيش أفناه الجديدان

فإنما هذه الدنيا وزينتها ... كالزاد لابد يوماً أنه فانى

من يفعل الحسنات الله يشكرها ... والشر بالشرّ عِند الله سيّانِ

(٣) من رجز لعمرو بن خثارم البجلى وهو :

يا أقرعُ بنَ حابس يا أقرعُ ... إنى أخوك فانظُرَنْ ما تصنعُ

إنك إن يُصرع أخوك تُصرعُ ... إنى أنا الداعى نزاراً فاسمعوا

فى باذخ مِن عِز مجد يَفرعُ ... به يَضُر قادرٌ وينفع

وأدفع الضيْمَ غداً وأمنع ... عِزٌّ ألدُّ شامخٌ لا يُقمَع

يَتبعهُ الناسُ ولا يُستتبعُ ... هل هو إلا ذَنَبٌ وأكرُعُ

وزَمَعٌ مؤتَشَبٌ مُجَمَّعُ ... وَحَسَبٌ وغلٌ وأنفٌ أجدع

كَذَبَ ابْنُ فَاعِلَةٍ يَقُولُ بِجَهْلِهِ مَاتَ الْكِرَامُ وَأَنْتَ حَىٌّ تُرْزَقُ(١)

***

وقال فى صباه ارتجالا :

أَىَّ مَحَلٍّ أَرْتَقِى أَىَّ عَظِيمٍ أَتَّقِى(٢)

وَكُلُّ مَا قَدْ خَلَقَ اللَّـهُ وَمَا لَمْ يَخْلُقِ(٣)

مُحْتَقَرٌ فِى هِمَّتِى كَشَعْرَةٍ فِى مَفْرِقِ(٤)

***

---

(١) كذب ابن فاعلة : أى كذب ابن زانية . كنى بالفاعلة عن الزانية يقول : كذب من قال إن الكرام قد ماتوا مادمت فى الأحياء مرزوقا ؛ ويروى ترزق — بفتح التاء — أى ترزق الناس . أى تعطيهم أرزاقهم ، والأولى أجود .

(٢) أى : استفهام معناه الإنكار . يقول : لم يبق محل ولا درجة فى العلو إلا وقد بلغها ، وليس يخاف عظيما .

(٣ و ٤) المفرق : وسط الرأس حيث يفترق الشعر . وقوله ومالم يخلق : قال الواحدى : ليس معناه ما لايجوز أن يكون مخلوقا كذات البارى عز وجل وصفاته ، لأنه لو أراد هذا للزمه الكفر بهذا القول ، وإنما أراد : وما لم يخلقه مما سيخلقه بعد ، وإن كان قد لزمه الكفر باحتقاره خلق الله ، وفيهم الأنبياء والمرسلون والملائكة المقربون .

وأقرع بن حابس صحابى ، وكانت هذه المنافرة فى الجاهلية قبل إسلامه ؛ والصرع الهلاك ؛ ونزار : هو أبو القبيلة . والباذخ : العالى . ويفرع : يعلو . والألد : الأشد ، والشامخ : المرتفع . ويقمع : يقهر ويذل وقوله هل هو : الضمير لرجل اسمه خالد ابن أرطاة . والأكرع : جمع كراع ، وهو مستدق الساق ، استعاره لأسفل الناس كالذنب . والزمع : رذال الناس . والمؤتشب : أى غير الصريح فى نسبه . والوغل : النذل من الرجال . والأجدع : المقطوع الأنف .

وقال يمدح الحسين بن إسحق التنوخي :

هُوَ الْبَيْنُ حَتَّى ما تَأَنَّى الْحَزائِقُ ۝ وَيا قَلْبِ حَتَّى أَنْتَ مِمَّنْ أُفارِقُ(١)

وَقَفْنا وَمِمَّا زادَ بَثًّا وُقُوفُنا ۝ فَرِيقَيْ هَوًى مِنَّا مَشُوقٌ وَشائِقُ(٢)

وَقَدْ صارَتِ الأَجْفانُ قَرْحَى مِنَ الْبُكا

وَصارَ بَهاراً في الْخُدُودِ الشَّقائِقُ(٣)

---

(١) هو : كناية عن البين ، والنحويون يسمون ما كان مثل هذا : الإضمار على شريطة التفسير ، كقوله تعالى «قل هو الله أحد» وحتى : ابتدائية . وتأنى ـ بحذف إحدى التاءين ـ أى تتمهل وتترفق ، والحزائق : الجماعات ، جمع حزيقة . يقول : هو البين يفرق كل شيء حتى لا تتمهل الجماعات ولا تلبث أن تتفرق إذا جرى فيها حكم البين ؛ ثم خاطب قلبه فقال : وأنت أيضاً — على مالك من علائق القرب — ممن أفارقه ! يعنى أن الأحبة إذا فارقونى ذهب القلب معهم ففارقنى وفارقته . ومثله للعباس ابن أحنف .

تَفَرَّقَ قلبي مِنْ مُقِيمٍ وظاعنٍ ۝ فلله دَرِّى أىَّ قلب أُشَيِّعُ

ولآخر :

كأنَّ أرواحنا لم تَرْتَحِلْ معنا ۝ أو سِرْنَ فى أثرِ الحىِّ الذى سارا

(٢) البث : الحزن . وفريقى هوى : نصب على الحال من الضمير فى وقوفنا . يقول : وقفنا للوداع ومما زادنا حزنا أنا وقفنا فريقين يجمعهما الهوى ، منا مشوق ـ وهو العاشق يشوقه الحبيب بعد فراقه ـ وشائق ـ وهو المعشوق يشوق عاشقه ـ وجعل هذه الحالة تزيده حزنا ؛ لأن فراق الأحبة أشق على القلب من فراق الجيران والمعارف ومن لف لفهم ممن لا علاقة بينك وبينهم .

(٣) قرحى : كجرحى ومرضى ، جمع قريح : أى جريح ، فهو بدون تنوين ؛ وقال ابن جنى : قلت له ـ للمتنبي ـ عند القراءة عليه قرحى : أتريده بالتنوين ؟ فقال : نعم ، جمع قرحة ، وهى اسم لا وصف ، والبهار : زهر أصفر ، والشقائق جمع شقيقة ، زهر أحمر يقال له شقائق النعمان . يقول : صارت الجفون قرحى من كثرة البكاء ، وحمرة الخدود صفرة لأجل البين ، كما قال عبد الصمد بن المعذل :

عَلَى ذَا مَضَى النَّاسُ اجْتِمَاعٌ وَفُرْقَةٌ وَمَيْتٌ وَمَوْلُودٌ وَقَالٍ وَوَامِقُ(١)
تَغَيَّرَ حَالِي وَاللَّيَالِي بِحَالِهَا وَشِبْتُ وَمَا شَابَ الزَّمَانُ الْغُرَانِقُ(٢)
سَلِ الْبِيدَ : أَيْنَ الْجِنُّ مِنَّا بِجَوْزِهَا وَعَنْ ذِي الْمَهَارِي: أَيْنَ مِنْهَا النَّقَانِقُ(٣)

باكَرَتْهُ الْحُمَّى وراحَتْ عليهِ فكستْهُ حُمَى الرَّوَاحِ بهارَا
لَمْ تَشِنْهُ لمَّا أَلَحَّتْ وَلكِنْ بدَّلَتْهُ بالاحمِرارِ اصفِرارَا

وقال أبو تمام :

لم تشِنْ وجْهَهُ المَلِيحَ ولكِنْ حَوَّلتْ وَرْدَ وجْنتيهِ بهارَا

وقال أيضاً :

لها مِنْ لَوْعةِ البَيْنِ احْتِراقٌ يُعيدُ بنفسَجاً وَرْدَ الخُدودِ

(١) اجتماع : مبتدأ ، محذوف الخبر : أى لهم اجتماع ؛ والجملة : حال . وقوله وميت : أى ومنهم ميت يذكر أحوال الناس واختلاف الدهر بهم ، يقول : على هذا مضى الناس قبلنا ، لهم اجتماع مرة وفرقة مرة ، ومنهم ميت يموت ومولود يولد ، ومنهم قال ـ مبغض ـ ووامق ـ محب ـ كما قال الأعشى :

شَبابٌ وشَيْبٌ وافتِقارٌ وثَرْوَةٌ فللهِ هذا الدهرُ كيفَ تَرَدَّدَا

وقال الآخر :

وما الناسُ والأيّامُ إلا كما تَرى رَزِيَّةُ مالٍ أوْ فِرَاقُ حَبِيبِ

هذا : وقد عاب أبا الطيب بعض المتحذلقين ، فقال كان ينبغى أن يقول : على ذا عهدنا الناس : راض وساخط ، وميت ومولود ؛ أو يقول : اجتماع وفرقة ، وموت وولادة ، وقلى ومقة .

(٢) الغرانق الشاب الناعم الجميل ، وجمعه غرانق ـ بفتح الغين ـ ويقال الغرانيق ، وهو فى الأصل طائر مائى يشبه الكركى . يقول : تمر الليالى وتجىء وهى على حالها وبعرها تغير حالى وشيبتنى وهى لا تشيب . يعنى أن الزمان يبلى ولا يبلى .

(٣) جوز كل شىء : وسطه : والمهارى : جمع مهرية ، وهى الإبل المنسوبة إلى قبيلة من اليمن يقال لها مهرة بن حيدان . ويجوز فى المهارى فتح الراء وكسرها : ـ كصحارى وصحارى ـ بتشديد الياء وتخفيفها ـ قال رؤبة :

وَلَيْـــلٍ دَجُوجِيٍّ كَأَنَّا جَلَتْ لَنَا
مُحَيَّاكَ فِيـــهِ فَاهْتَدَيْنَا السَّمَالِقُ(١)

بِهِ تَمَطَّت غَولَ كُلَّ مِيلَهِ بِنَا حَرَاجِيجُ المَهَارِى النُّفَّهْ(١)

والنقانق : جمع نقنق ، وهو ذكر النعام . يقول — لصاحبه — : سل البيد تخبرك أين تقع الجن منا بهذه المفازة : أى أننا كنا أسرع فيها من الجن - وعن إبلنا أين تقع منها الظلمان فى السرعة : أى أن إبلنا كانت أسرع من النعام .

(١) وليل : أى ورب ليل ؛ وليل : فى موضع رفع مبتدأ ؛ خبره : جملة كأنا الخ . ودجوجى : مظلم ؛ وجلت : كشفت وأظهرت . ولنا : متعلق بجلت ؛ والمحيا : الوجه . والسمالق : فاعل جلت ، جمع سملق ، وهى الأرض البعيدة الطويلة ؛ والضمير من فيه : لليل ، وهى متعلقة باهتدينا . يقول : رب ليل مظلم كأن السمالق التى كنا نقطعها أظهرت لنا وجهك فاهتدينا للطريق بنوره ، وهذا من قول مزاحم العقيلى :

وُجُـــوه لَوَ انَّ المُدْلِجِينَ اعْتَشَوْا بها
صَدَعْنَ الدُّجَى حتى تَرَى اللَّيْلَ يَنْجَلِى

---

(١) قبله :

وَمَخفَقٍ مِنْ لُهْلُهٍ ولُهْلُهِ فى مَهْمَهٍ أطرافُهُ فِى مَهْمَهِ
أَعْمَى الهُدَى بالجاهِلِينَ العُمَّهِ بِهِ تمطت غَوْلَ كُلَّ مِيـلَهِ
بنـا حَرَاجيج المهـارِى النَّفَّهِ يَجذِبْنَه بالبَـــوع والتأَوُّهِ

المخفق : الموضوع الذى يخفق فيه السحاب ، واللهله : المكان المستوى الذى ليس به علم ؛ وغول كل ميله : أى بعد يريد مكانا بعيدا يغتال المشى فلا يستبين فيه ، ولا يكاد يقطع من بعده ، وبعير نافه : كال معى ، والجمع نفه ويجذبنه : يريد يجذبن أنفسهن فيه ، والتأوه مثل قول المثقب العبدى :

إذا ما قمت أرحلها بليــــل تأوَّهُ آهَـةَ الرجلِ الحزين

فَمَا زَالَ لَوْلَا نُورُ وَجْهِكَ جُنْحُهُ ... وَلَا جَابَهَا الرُّكْبَانُ لَوْلَا الْأَيَانِقُ[(١)]

وَهَزٌّ أَطَارَ النَّوْمَ حَتَّى كَأَنَّنِي ... مِنَ السُّكْرِ فِي الْغَرْزَيْنِ ثَوْبٌ شُبَارِقُ[(٢)]

ويقول أشجع السلمى :

مَلِكٌ بِنُـــــــورِ جَبِينِهِ ... نَسْرِى وَبَحْرُ اللَّيْلِ طَامِى

ولصريع الغوانى :

أَجِدَّكِ هل تدرين أَنْ بَتُّ ليلةً ... كأن دجاها مِنْ قُرُونِكِ يُنْشَرُ

صَبَرْتُ لها حتى تجلَّتْ بِغُرَّةٍ ... كغُرَّةِ يحيى حِينَ يُذْكَرُ جَعْفَرُ

(١) زال — من الزوال — أى ذهب ؛ وجنحه : فاعل ، وجنح الليل : إقباله بظلامه يجنح على النهار ، أى يميل عليه فيذهب ضوءه . وجابها : قطعها — أى السمالق — والأيانق : النياق ، جمع ناقة . يقول : لولا نور وجهك لما زال الظلام ، ولولا النياق لمـا قطعنا السمالق .

(٢) وهز : عطف على الأيانق ؛ والمراد بالسكر : النعاس ؛ والغرز : ركاب للابل من جلد مخروز ، ويقال ثوب شبارق : خلق ممزق . ويقال شبرق شبرقة وشبراقا: مزقه قال امرؤ القيس :

فَأَدْرَكْنَهُ يَأْخُذْنَ بِالسَّاقِ وَالنَّسَا ... كَمَا شَبْرَقَ الْوِلْدَانُ ثَوْبَ الْمُقَدَّسِي[(١)]

والهز : التحريك ، يعنى تحريك الإبل ركبانها فى سرعة سيرها ، وذلك يمنع النوم حتى يصير الإنسان من غلبة النوم مائدا بين الغرزين كالثوب الخلق لـكثرة تمـايله . يقول : لولا هذا الهز الذى وصفه والذى سببه الإسراع لمـا قطعنا السمالق إليه .

---

(١) المقدسى : الراهب ينزل من صومعته إلى بيت المقدس فيمزق الصبيان ثيابه تبركا ، والنسا قال الأصمعى : بوزن العصا عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر ، فإذا سمنت الدابة انفلقت فخذاها بلحمتين عظيمتين وجرى النسا بينهما واستبان ، وإذا هزلت الدابة اضطربت الفخذان وماجت الربلتان وخفى النسا ، ولا يقال عرق النسا .

شدَوْا بِابْنِ إسْحقَ الْحُسَيْنِ فصافحت ذَفارِيَها كِيرانُها والنَّمارِقُ (١)
بِمَنْ تَقْشَعِرُّ الأرضُ خوفاً إذا مشَى عليها وتَرْتَجُّ الجِبالُ الشَّواهِقُ (٢)
فتًى كالسَّحابِ الجُونِ يُخشَى ويُرتَجَى يُرَجَّى الحَيا منها وتُخْشَى الصَّواعِقُ (٣)

---

(١) شدوا بابن إسحاق : أى غنوا بمدح ابن إسحاق ؛ وصافحت : أى ماست مأخوذ من مصافحة الأكف . والذفارى : جمع الذفرى ، الموضع الذى يعرق من البعير خلف الأذنين ؛ والكيران : جمع الكور ، وهو الرحل ؛ و لنمارق : جمع نمرقة ، وهى الوسادة تحت الراكب ؛ والمراد هنا : التى تكون قدام الرحل يجعل الراكب عليها ساقه للاستراحة إذا أخرجها من الغرز . يقول : غنوا بمدح ابن إسحاق فنشطت الإبل ورفعت رءوسها حتى صافحت أقفاؤها الرحال والوسائد التى عليها — وذلك لطيب مدحه وأن الإبل طربت مع حداتها لمدحه ،

وفى مثل هذا المعنى يقول ابن الرومى :

لا تَضرِبُ الرَّكبُ الطَّلائحُ نحوَه بَلْ باسْمِهِ يَزْجُرْنَ كلَّ طَليح

ويقول إسحاق بن خلف :

إذا ما حُدِيْنَ بِمَدْحِ الأمِيرِ سَبَقْنَ لَحاظَ الحَثِيثِ العَجِلْ

(٢) بمن ؛ بدل من ابن إسحاق ، إلا أنه أعاد العامل ؛ والاقشعرار : أن ينتفش شعر الرجل على بدنه إذا أصابه خوف ؛ وترتج : تضطرب وتتحرك ؛ والشواهق : جمع شاهق ، وهو العالى . يقول : تهابه الأرض إذا مشى عليها ، وتتحرك الجبال خوفا منه .

(٣) الجون : جمع جون — بفتح الجيم — وهو الأسود ؛ والسحاب ؛ من الجموع التى بينها وبين مفردها الهاء ، ولذلك وصفها بالجون الذى هو جمع ؛ والحيا : المطر . يقول : إنه مرجو مهيب يرجى نفعه ويهاب ضره كالسحاب يرجى مطرها وتخشى صواعقها . وفى مثل هذا يقول أبو تمام :

سَماحاً وبأساً كالصواعِقِ والحَيا
إذا اجتمعا فى العارِضِ المُتألِّقِ

وَلٰكِنهَا تَمْضِي وَهٰـذَا مُخَيِّمٌ ... وَتَكْذِبُ أَحْيَانًا وَذَا الدَّهْرَ صَادِقُ(١)
تَخَلَّى مِنَ الدُّنْيَا لِيُنْسَى فَمَا خَلَتْ ... مَغَارِبُهَا مِنْ ذِكْرِهِ وَالْمَشَارِقُ(٢)
غَذَا الْهِنْدُوَانِيَّاتِ بِالْهَامِ وَالطُّلَى ... فَهُنَّ مَدَارِيهَا وَهُنَّ الْمَخَانِقُ(٣)
تَشَقَّقُ مِنْهُنَّ الْجُيُوبُ إِذَا غَزَا ... وَتُخْضَبُ مِنْهُنَّ اللِّحَى وَالْمَفَارِقُ(٤)

ويقول الآخر :

هوَ عارِضٌ زَجِلٌ فمَنْ شاء الحيا ... أرْضَى ومنْ شاء الصواعِقَ أغْضَبا

(١) شبهه بالسحاب ثم فضله عليها بأن السحاب تمضى ، وهذا مقيم فى كل وقت ، والسحاب قد تكذب فى الرعد والبرق — بأن لا يكون فيها مطر — والممدوح صادق فيما يعد ويقول . وهذا من قول ابن الرومى :

فَضلْتَ أخاكَ الغيثَ بالعلمِ والحِجَى ... وحاصصتَهُ فى الجود أىَّ حِصاص
على أنه يَمضِي وأنت مُخيِّمٌ ... سماؤكَ مِدْرار ورَوْضُكَ واصِ(١)

ومثله للبحترى :

أنى يكون له احتفالُك فى الندى ... ووُقوعُه فى الحين بعدَ الحْينِ

(٢) يقول : زهد فى الدنيا وانقطع عن أهلها لينسى إعراضاً عن الخلق فلم يزده ذلك إلا جلالة قدر وبعد صيت ، إذ لم تخل الدنيا من ذكره ، لأن صنائعه عامة ومعروفه شامل . ولعله ينظر إلى قول البحترى :

وشُهِرتُ فى شرقِ البلاد وغرْبها ... فكأننى فى كل نادٍ جالِسُ

(٣) الهندوانيات : السيوف الهندية ؛ أى التى عملت ببلاد الهند ؛ والهام: الرءوس، والطلى : الأعناق ؛ والمدارى جمع مدرى ، وهو ما يفرق به الشعر ؛ والمخانق جمع مخنقة ، وهى القلادة . يقول : غذى سيوفه بلحوم رءوس الأعداء وأعناقهم فقد طالت صحبتها للرءوس والأعناق كما تصاحبها المدارى والمخانق ؛ يعنى إذا علت سيوفه الرءوس صارت بمنزلة المدارى ، وإذا علت الأعناق صارت بمنزله المخانق .

(٤) تشقق — بحذف إحدى التاءين — أى تتشقق ؛ ويروى تشقق ـ بضم التاء

---

(١) حصاص : يقال حاصه محاصة وحصاصا : قاسمه فأخذ كل واحد منهما حصته وروض واص متصل النبات .

يُجنِّبُهَا مَـــــنْ حَتْفُهُ عَنهُ غَافِلٌ ... وَيَصْلَى بِهَا مَنْ نَفْسُهُ مِنهُ طَالِقُ(١)

يُحَاجَى بِهِ مَا نَاطِقٌ وَهْوَ سَاكِتٌ ... يُرَى سَاكِتاً وَالسَّيْفُ عَنْ فِيهِ نَاطِقُ(٢)

نَكِرْتُكَ حَتَّى طَالَ مِنْكَ تَعَجُّبِي ... وَلَا عَجَبٌ مِنْ حُسْنِ مَا اللهُ خَالِقُ(٣)

كأنَّكَ فى الإعْطَـــاءِ لِلمَالِ مُبْغِضٌ ... وَفى كُلِّ حَرْبٍ لِلْمَنِيَّةِ عَاشِقُ(٤)

على البناء للمجهول ـ والجيوب : نائب فاعل ؛ وضمير منهن للسيوف والجيوب : جمع جيب ، ما ينفتح على النحر من أعلى الثوب ؛ والمفارق : جمع مفرق ، وسط الرأس . يقول : إذا غزا شققت الثاكلات جيوبهن من جراء مايفعله سيوفه من القتل ، وخضبت لحى الفرسان ومفارقهم بما يسيله من الدماء .

(١) جنبته الشيء : إذا باعدته عنه ؛ وصلى بالأمر يصلى : إذا قاسى حره وشدته ؛ وأصله من صلى بالنار : إذا قاسى حرها . يقول : من غفل عنه حتفه — موته وهلاكه ولم ينقص أجله يبعد من سيوفه فلا يصير مقتولا بها ، وإنما الذى يقاسى بلاءها هو من نفسه طالق منه : أى مفارقته : كالمرأة الطالق من زوجها تفارقه . إذ هى لامحالة قاتلته

(٢) يحاجى به : أى يغالط ـ من الأحجية ، وهى الكلمة المخالفة اللفظ للمعنى ، كالشيء الملغز به يلقى على الإنسان ليستنبط معناه ، كما قال أبو ثروان : ماذو ثلاث آذان، يسبق الخيل بالرديان ؟ يعنى السهم وآذانه قذذه ، وأصل الكلمة من قولهم : حجا يحجو إذا أقام وثبت ، فقيل لها أحجية ، لأن الملقى عليه يحتاج إلى التثبت والتفكر . يقول : إن الناس يحاجى بعضهم بعضاً بهذا الممدوح يقولون : ماناطق وهو ساكت ، ثم فسر هذابالمصراع الثانى فقال يرى ساكتاً ـ يعنى الممدوح ـ لا يفتخرولا يذكر شجاعته والسيف عن فيه ناطق بما يبدو من آثاره ، يعنى أن الناس إذا سأل بعضهم بعضاً عمن بهذه الصفة فالجواب : الحسين بن إسحاق .

(٣) نكرت الشيء وأنكرته : إذا لم تعرفه ، ولم يستعمل من نكر إلا هذا اللفظ لفظ — الماضى — ومنه قول الأعشى :

وأنكرَتْنى وما كان الذى نكرتْ ... من الحوادثِ إلا الشَّيْبَ والصلعاَ

يقول : أنكرت أن يكون أحد مثلك فى فضلك ؛ واستغربتك لكثرة ما رأيت فيك من المحاسن التى لا أراها فى غيرك حتى طال تعجبى ثم علمت أن الله قادر على أن يخلق ما يريد ؛ وإذن لا عجب .

(٤) من قول البحترى :

أَلاَ قَلَّمَا تَبْقَى عَلَى مَا بَدَا لَهَــا ، وَحَلَّ بِهَا مِنْكَ الْقَنَا وَالسَّوَابِقُ(١)
سَيُحْيِي بِكَ السُّمَّارُ مَالاَحَ كَوْكَبٌ وَيَحْدُو بِكَ السُّفَّارُ مَاذَرَّ شَارِقُ(٢)
خَفِ اللَّهَ وَاسْتُــرْ ذَا الْجَمَالَ بِبُرْقُعٍ فَإِنْ لُحْتَ ذَابَتْ فِي الْخُدُورِ الْعَوَاتِقُ(٣)
فَمَا تَرْزُقُ الأَقْدَارُ مَنْ أَنْتَ حَارِمٌ وَلا تَحْرِمُ الأَقْدَارُ مَنْ أَنْتَ رَازِقُ(٤)
وَلاَ تَفْتُقُ الأَيَّامُ مَا أَنْتَ رَاتِقٌ وَلاَ تَرْتُقُ الأَيَّامُ مَا أَنْتَ فَاتِقُ(٥)

تسرّع حتى قال مَن لقِيَ الوَغى لِقاهُ أعادٍ أمْ لقـــاهُ حَبائِب

(١) ألا أداة : استفتاح ؛ وعلى : بمعنى مع ؛ وبدا ظهر وعرض ، والقنا أى الرماح ـ فاعل تبق ـ والسوابق : الخيل . يقول : إن الرماح والخيل لا تبقى على ما نزل بها منك من كثرة استعمالها فى الحروب والغارات .

(٢) السمار : جمع سامر ، الذين يسمرون ليلا ؛ والسفار : جمع سفر وسافر وهم الذى يلازمون الأسفار . وذر : طلع ؛ والشارق : الكوكب . وقوله مالاح وماذر : فما مصدرية زمانية ؛ أى مدة ظهور الكواكب ، وهذا كناية عن الدوام والتأبيد ؛ يعنى : أنت أبداً يحيي السمار الليل بذكرك وحديثك ، ويغنى المسافرون بمدائحك فيحدون الإبل بها .

(٣) العواتق : جمع عاتق ، الشابة من النساء ؛ والخدور : جمع خدر . يقول : استر جمالك ببرقع ترسله على وجهك ، فإنك إن ظهرت ذابت الشواب فى خدورهن شوقاً إليك وهياماً بك ، ويروى حاضت ؛ وذلك أن المرأة إذا اشتدت شهوتها وأفرطت سال ـ زعموا ـ دم حيضها ؛ والمعنى : استر جمالك عنهن وإلا ذبن وهلكن عشقاً وهياماً .

(٤) و (٥) الرتق : ضد الفتق . يقول : إن الأقدار والأيام لا تخالفه فيما يصنع من حرمان ورزق ورتق وفتق ، بل هى موافقة له مؤاتية ، كما قال أشجع :

فلا يرفعُ الناسُ مَن حَطهُ ولا يضع الناسُ ما يرفَعُ

وقال آخر :

كنا مُلوكا وكانَ أوّلُنا لِلْحِلمِ والبأسِ والنَّدَى خُلقوا
لا يرتق الراتقون مافتَقوا يوماً ولا يَفتُقون ما رَتقوا

والأصل فى هذا كله قول العباس بن مرداس للنبى صلوات الله وسلامه عليه :

لَكَ الْخَيْرُ غَيْرِى رَامَ مِنْ غَيْرِكَ الْغِنَى وَغَيْرِى بِغَيْرِ اللَّاذِقِيَّةِ لَاحِقُ (١)
هِىَ الْغَرَضُ الْأَقْصَى وَرُؤْيَتُكَ الْمُنَى وَمَنْزِلُكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ الْخَلَائِقُ (٢)

* * *

وعرض عليه بدر بن عمار الصحبة للشرب فى غد فقال ارتجالا :

وَجَدْتُ الْمُدَامَةَ غَلَّابَةً تُهَيِّجُ لِلْقَلْبِ أَشْوَاقَهُ (٣)
تُسِىءُ مِنَ الْمَرْءِ تَأْدِيبَهُ وَلَكِنْ تُحَسِّنُ أَخْلَاقَهُ (٤)
وَأَنْفَسُ مَا لِلْفَتَى لُبُّهُ وَذُو اللُّبِّ يَكْرَهُ إِنْفَاقَهُ (٥)
وَقَدْ مُتُّ أَمْسِ بِهَا مَوْتَةً وَلَا يَشْتَهِى الْمَوتَ مَنْ ذَاقَهُ (٦)

وما كنتُ دونَ امرىءٍ منهما ومَن تضعِ اليوم لا يُرْفعِ

(١) لك الخير : دعاء للممدوح بأن يرزق الخير . فهو يقول : الخير لك لا لغيرك ؛ ورام : قصد ؛ واللاذقية : بلد الممدوح يقول : غيرى يطلب الغنى من غيرك أى أنا لا أطلبه إلا منك ، وغيرى يلحق بغير بلدك ؛ أى أنا لا أقصد إلا البلد الذى أنت فيه .

(٢) يقول : إن بلدك — اللاذقية — هى المطلوب الأبعد : أى هى غاية مايطلبه الإنسان ، فإذا بلغها لم يطلب بعدها شيئاً ، والدنيا كلها منزلك أى فى منزلك ؛ وأنت جميع الناس .

(٣) المدامة : الخمر ؛ وغلابة : تغلب العقل فلا يستطيع مقاومتها ؛ ثم قال وتحرك الشوق ، كما قال البحترى :

مِنْ قهوةٍ تُنسِى الهمومَ وتبعثُ الشوقَ الذى قد ضلَّ فى الأحشاء

(٤) أراد بسوء الأدب : ما يكون من الشارب — من قول الخنا ، والعربدة والحركات المفرطة — وبتحسين الأخلاق ما تحدثه فيه من السماحة والبذل ؛ وفى الخمر يقول القائل :

رأيتُ أقلَّ الناسِ عقلا إذا انتشَى أقلَّهمُ عقلا إذا كان صاحياً
تزيد حُمَياها السفيهَ سفاهةً وتتركُ أخلاق الكريم كما هيا

(٥) يقول : أعزو أثمن ما للانسان : عقله ، والعاقل يكره ضياع عقله .

(٦) جعل غلبة السكر على عقله كالموت ، ثم قال : ومن مات مرة لا يشتهى العود

وقال فى وصف لعبة عند بدر بن عمار :

وَذَاتِ غَـدَائِرٍ لا عَيْبَ فيهَا ... سِوَى أنْ لَيْسَ تَصْلُحُ لِلْعِنَاقِ (١)

أَمَرْتَ بأَنْ تُشَالَ فَفَارَقَتْنَا ... وَمَا أَلِمَتْ لِحَادِثَةِ الْفِـرَاقِ (٢)

إذا هَجَرَتْ فَعَنْ غَيْرِ اخْتِيَارٍ ... وإِنْ زَارَتْ فَعَنْ غَيْرِ اشْتِيَاقِ

* * *

وعرض عليه محمد بن طغج الشرب فامتنع فأقسم عليه بحقه فشرب وقال :

سَقَانِى الْخَمْرَ قَوْلُكَ لِى بِحَقِّى ... وَوُدٌّ لَمْ تَشُبْهُ لِى بِمَذْقِ (٣)

يَمِينًا لَوْ حَلَفْتَ وَأَنْتَ نَاءٍ ... عَلَى قَتْلِى بِهَا لَضَرَبْتُ عُنُقِى (٤)

* * *

إليه ، وقد تجنى ابن وكيع ـ شنشنته مع المتنبى ـ فزعم أن هذا مأخوذ من قول بعضهم فى معنى السكر :

يُسِىءُ ويعذرهُ حُسنُهُ ... لدى عاشقيه بغير اعتذار

محاسنُ تغفرُ ذنب الصدود ... كما غفر السكر ذنب الخمار

وأين هذين من بيت المتنبى ؟ على أن قوله كما غفر السكر ذنب الخمار : غير صحيح .

(١) الغدائر ؛ جمع غديرة ، الذؤابة من الشعر . يقول : هذه لعبة ذات شعر ولكنها لا تصلح للعناق لأنها غير آدمية . هذا : وقوله أن ليس : قال العكبرى « أن » هى مخففة من الثقيلة ؛ والتقدير أنها ؛ ولا يدخل عليها الفعل إلا بفاصل يفصل بينها : نحو سوف والسين ولا نحو أن سيقوم ، وإنما دخلت على ليس لضعفها عن الفعلية ، فإنها فعل لاتصرف فيه ، ومثله قوله تعالى : « وأن ليس للانسان إلا ما سعى »

(٢) تشال : ترفع .

(٣) المذق . المزج ؛ وشابه : خلطه . يقول : إنما شربت الخمر لأنك أقسمت بحياتك فشربتها ، ولأنى أحبك حبا خالصا غير مشوب .

(٤) يقول : سقانيها إقسامك على بذلك قسما لو أقسمته تريد به قتلى لفعلت ذلك .

وكان لأبى الطيب حِجْرة (*) تسمى الجهامة ، ولها مهر يسمى الطخرور ، فأقام الثلج على الأرض بأنطاكية وتعذر المرعى على المهر ، فقال :

مَا لِلْمُرُوجِ ٱلْخُضْرِ وَٱلْحَدائِقِ ... يَشْكُو خَلاهَا كَثْرَةَ الْعَوائِقِ (١)

أقَامَ فِيهَا الثَّلْجُ كَالْمُرافِقِ ... يَعْقِدُ فَوْقَ السِّنِّ رِيقَ الْبَاصِقِ (٢)

ثُمَّ مَضَى لا عَادَ مِنْ مُفَارِقِ ... بِقَائِدٍ مِنْ ذَوْبِهِ وَسائِقِ (٣)

كَأَنَّمَا الطُّخْرُورُ بَاغِي آبِقِ ... يَأْكُلُ مِنْ نَبْتٍ قَصِيرٍ لاصِقِ (٤)

كَقَشْرِكَ ٱلْحِبْرَ عَنِ الْمَهَارِقِ ... أَرُودُهُ مِنْهُ بِكَالشُّوذانِقِ (٥)

---

* أى فرس أنثى ، والذى فى كتب اللغة أنها الحجر ، قالوا : والحجر الفرس الأنثى ، لم يدخلوا فيه الهاء لأنه اسم لا يشركها فيه المذكر ، والجمع أحجار وحجورة وحجور ، قالوا : وأحجار الخيل ما يتخذ منها للنسل ، وسميت كذلك لأنهم جعلوها كالمحرمة الرحم إلا على حصان كريم .

(١) المروج : جمع مرج ، الموضع تمرج فيه الدواب : أى ترسل لترعى والحدائق جمع حديقة ، وهى البستان المسور ؛ وتطلق على كل روضة ذات شجر والخلا : الكلأ الرطب ؛ والعوائق : جمع عائق ، ما يعوق عن النفاذ فى الشىء . يقول : نبتها يشكو كثرة الموانع من الطلوع . وأراد بالعوائق : البرد والثلج التى تمنع من الظهور .

(٢) يقول . أقام الثلج فى هذه المروج كالمرافق لها فلا يفارقها ، ومن شدته أن الرجل إذا بصق جمد ريقه فوق أسنانه ، وهذا من قول عبد الصمد بن المعذل :

ونسجَ الثلجَ على الطيور ... وأجمد الريق على الثغورِ

(٣) ثم مضى : أى الثلج بإذابة الحر إياه ، وجعل أوائل ماذاب من الثلج قائداً له وأواخره سائقا ؛ يعنى أن الثلج قد انحسر بذوبه ، فكأن الذوب قاده وساقه حتى ذهب ويروى من دونه : أى من قدامه ، وذلك أن قائد الشىء يكون أمامه ، وسائقه يكون خلفه .

(٤) الطخرور : اسم المهر ؛ وهو فى اللغة القطع القليلة من السحاب ، جمعها طخارير . وباغى : طالب ؛ والآبق : الهارب ؛ ولاصق : أى بالأرض لا يرتفع عنها . يقول : إنه ــ لإعواز المرعى ــ كان يلتمس العشب من ههنا وههنا فلا يثبت فى مكان واحد كأنه يطلب آبقا لتردده فى طلب المرعى .

(٥) المهارق : جمع المهرق ، وهو الصحيفة يكتب فيها ؛ معرب ؛ وذلك أنهم كانوا

بِمُطْلَقِ الْيُمْنَى طَوِيلِ الْفَائِقِ عَبْلِ الشَّوَى مُقَارِبِ الْمَرَافِقِ (١)
رَحْبِ اللَّبَانِ نَائِهِ الطَّرَائِقِ ذِى مَنْخِرٍ رَحْبٍ وَإِطْلٍ لاحِقِ (٢)
مُحَجَّلٍ نَهْدٍ كُمَيْتٍ زَاهِقِ شَادِخَةٍ غُرَّتُهُ كَالشَّارِقِ (٣)
* كَأَنَّهَا مِنْ لَوْنِهِ فِى بَارِقِ (٤) *

يأخذون الخرق ويطلونها بشيء ثم يصقلونها ويكتبون عليها ، شبه رعى مهره النبات اللاصق بالأرض بقشر الكاتب الحبر عن الصحيفة ، وأروده : أى أطلبه ؛ والضمير : للنبت ؛ وضمير منه : للمهر ؛ والظرف : حال مقدمة من الشوذانق . وقوله بكالشوذانق الباء متعلقة بأروده ، والكاف : اسم بمنزلة مثل : أى بمهر مثل الشوذانق ، والشوذانق الشاهين — الصقر — معرب سه دانك : أى نصف درهم ؛ يراد أنه كنصف البازى يقول : أطلب الكلأ والنبات من هذا المهر بمهر كالشوذانق لخفته ، يريد مهره على سبيل التجريد .

(١) بمطلق اليمنى : بدل من بكالشوذانق ؛ والمراد بكونه مطلق اليمنى : أنه لا تحجيل فيها ، بناء على تشبيه التحجيل فى القوائم الثلاث بالقيد . والفائق : مغرز الرأس فى العنق ، وإذا طال الفائق طال العنق فهو محمود ؛ وعبل الشوى : ضخم الأطراف ، والمرافق : جمع مرفق ، موصل الذراع فى العضد ؛ وإذا تدانت مرافقه كان أمدح له .

(٢) رحب اللبان : واسع الصدر ؛ ويستحب من الفرس أن يكون جلد صدره واسعا يجىء ويذهب ليكون خطوه أبعد ، فإنه إنما يقدر على توسيع الخطو بسعة جلد صدره . وقوله نائه الطرائق :فالطرائق طرائق اللحم؛ ونائه من ناه الشىء ينوه: إذا علا ونهت به ونوهته : إذا أشدت به ؛ والمعنى أن طرائق اللحم على كفله ومتنه عالية . وقال ابن جنى : الطرائق الأخلاق: أى مرتفع الأخلاق شريفها لعتقه وكرمه. وقال ابن جنى: الرواية نابه ، يقال امرؤ نابه إذا كان عظيما جليلا . وقوله ذى منخر رحب : فإنه يستحب سعة المنخر ، لئلا يحبس نفسه والإطل : الخاصرة ولحوقها : ضمورها .

(٣) التحجيل : بياض القوائم . والنهد : الجسيم العالى المشرف . والكميت : الأحمر إلى السواد ؛ والزاهق : الذى بين السمين والمهزول؛ والغرة . البياض فى وجه الفرس ، والغرة : الشادخة التى تملأ الوجه ، وتمتد سفلا ، والشارق : الشمس عند شروقها . شبه بياض وجهه بالشمس لانتشار أشعتها فى نواحى الأفق .

(٤) البارق : السحاب ذو البرق . شبه لونه بالسحاب الذى انتشر عليه ضوء البرق لما فيه من الحمرة المشوبة بالسواد .

بَاقٍ عَلَى الْبَوْغَاءِ وَالشَّقَائِقْ(١) وَالأَبْرَدَيْنِ وَالْهَجِيرِ المَاحِقْ(٢)
لِلْفَارِسِ الرَّاكِضِ مِنْهُ الْوَاثِقْ خَوْفُ الْجَبَانِ فِي فُؤَادِ الْعَاشِقْ(٣)
كَأَنَّهُ فِي رَيْدِ طَوْدٍ شَاهِقْ(٤) يَشْأَى إِلَى المِسْمَعِ صَوْتَ النَّاطِقْ(٥)
لَوْ سَابَقَ الشَّمْسَ مِنَ الْمَشَارِقْ جَاءَ إِلَى الْغَرْبِ مَجِيءَ السَّابِقْ
يَتْرُكُ فِي حِجَارَةِ الأَبَارِقْ آثَارَ قَلْعِ الْحَلْيِ فِي المَنَاطِقِ(٦)
* مَشْياً وَإِنْ يَعْدُ فَكَالْخَنَادِقْ(٧) *
لَوْ أُورِدَتْ غِبَّ سَحَابٍ صَادِقِ لَأَحْسَبَتْ خَوَامِسَ الأَيَانِقْ(٨)

(١ و ٢) باق : أى ثابت ، خبر عن محذوف يعود إلى المهر ؛ والكلام مستأنف والبوغاء التربة الرخوة . والشقائق جمع الشقيقة ، وهى أرض يكون فيها رمل وحصى والأبردان : الغداة والعشى . والهجير : شدة الحر وقت الهاجرة — نصف النهار — والماحق الذى يمحق كل شىء بحرارته يقول : إن مهره ثابت على السير فى السهل والحزن والحر والبرد : أى صبور على الشدة ،

(٣) للفارس : خبر مقدم ؛ وخوف : مبتدأ مؤخر . وركض الفرس : ضربه برجله ليعدو ؛ ومنه : صلة الخوف . يقول : لنشاطه وشدة قوته إذا عدا بالفارس الواثق بفروسيته أخذه منه خوف شديد كأنه خوف الجبان إذا حل فى فؤاد ضعيف كفؤاد العاشق .

(٤) فى ريد : أى على ريد ؛ والريد : الحرف الشاخص من الجبل ؛ والطود : الجبل والشاهق : العالى . يقول : لعظم هذا المهر كأن فارسه منه على جبل عال .

(٥) يشأى : يسبق . يقول : لسرعته وحدّته فى جريانه يسبق إلى الأذن صوت الصارخ فيصل إليها قبل وصول الصوت ؛ يعنى أنه يسبق مسير الصوت .

(٦) الأبارق : جمع الأبرق ، وهو آكام فيها حجارة وطين . وآثار : مفعول يترك والمناطق : جمع منطقة ، ما يشد بها الوسط . يقول : لشدة عدوه وقوة وطئه إذا وطىء الأبرق بحوافره ترك فيه آثاراً كآثار الحلى إذا قلع من المناطق .

(٧) مشياً : حال على تأويله بالوصف . يقول : إن هذا التأثير الذى ذكره إنما يكون إذا مشى فإن عدا — جرى — ترك آثاراً كالخنادق .

(٨) الضمير فى أوردت : للآثار المشبهة بالخنادق وغب سحاب : أى بعده . وأحسبت :

إذا اللُّجَامُ جَاءَهُ لِطَـارِقِ شَحَا لَهُ شَحْوَ الغُرَابِ النَّاغِقِ (١)
كأنَّمَا الجِـلْدُ لِعُرْىِ النَّاهِقِ مُنْحَدِرٌ عَنْ سِيَتَىْ جُـلاَهِقِ (٢)

كفت ، ومنه : حسبنا الله ؛ أى كفانا . والخوامس : الإبل التى ترد الخمس — بكسر الخاء — وهو أن ترعى ثلاثة أيام وترد فى اليوم الرابع ؛ والأيانق : جمع أينق ، جمع ناقة . يقول : لو أوردت هذه الآثار التى هى كالخنادق بعد إقلاع سحاب صادق المطر لـكان فيها من الماء ما يكفى نياقا عطاشا ترد الخمس : يعنى إذا أقلع السحاب وامتلأت آثار حوافره كفت الإبل العطاش . يريد المبالغة فى وصف عظم آثاره فى الأرض إذا عدا .

(١) شحا : فتح فاه . والناغق — بالغين والعين — الصائح . يقول : إذا ألجم لحادث طرق ليلا فتح فاه كما يفتح الغراب فاه للنعيق ، يريد أنه — مع شدته وعتقه — لا يمتنع من اللجام ؛ ولعله يريد أيضاً أنه واسع الفم .

(٢) الناهق : عظم نائئ فى مجرى الدمع من الفرس ، وهما ناهقان ، ويستحب عريهما من اللحم ؛ قال أهل اللغة : الناهقان عظمان شاخصان يندران — يبرزان — من ذى الحافر فى مجرى الدمع يخرج منهما النهاق — أى الصوت — ويقال لهما أيضاً النواهق. قال النابغة الجعدى يصف فرسا :

بِعَارِى النواهِقِ صَـلْتِ الجَبِـينِ يَسْتَنُّ كالتيسِ ذِى الحُلبِ (١)

وفى التهذيب : النواهق من الخيل والحمر حيث يخرج النهاق من حلقه ؛ وأنشد للنمر بن تولب :

فأرسل سهماً له أهزعا فشكّ نواهقَهُ والفما (٢)

---

(١) الحلب : نبات ينبت فى القيظ بالقيعان وشطآن الأودية ويلزق بالأرض حتى يكاد يسوخ ، ولا تأكله الإبل ، إنما تأكله الشاء والظباء ، وهى مغزرة مسمنة وتحتبل عليها الظباء ، قال الأصمعى : أسرع الظباء تيس الحلب أو ذو الحلب لأنه قد رعى هذا النبت .

(٢) الأهزع : قيل هو خير السهام ، وأفضلها ، تدخره لشديدة ، وقيل هو آخر ما يبقى من السهام فى الكنانة : جيداً كان أورديئا .

بَزَّ ٱلْمَذَاكِي وَهْوَ فِي ٱلْعَقَائِقِ وَزَادَ فِي ٱلسَّاقِ عَلَى ٱلنَّقَانِقِ (١)
وَزَادَ فِي ٱلْوَقْعِ عَلَى ٱلصَّوَاعِقِ وَزَادَ فِي ٱلْأُذْنِ عَلَى ٱلْخَرَانِقِ (٢)
وَزَادَ فِي ٱلْحِذْرِ عَلَى ٱلْعَقَاعِقِ يُمَيِّزُ ٱلْهَزْلَ مِنَ ٱلْحَقَائِقِ (٣)
وَيُنْذِرُ ٱلرَّكْبَ بِكُلِّ سَارِقِ يُرِيكَ خُرْقًا وَهْوَ عَيْنُ ٱلْحَاذِقِ (٤)

وسيتا القوس : جانباه . والجلاهق : البندق الذى يرمى به . يقول : إن هذين العظمين منه عاريان من اللحم باديان تحت الجلد كأن جلدهما مشدود على سيتى قوس البندق .

(١) بز : غلب وفاق ؛ والمذاكى : جمع مذك : الفرس أتى عليه بعد قروحه سنة . قال أهل اللغة : المذاكى الخيل التى أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان ؛ والذكاء السن . قال الحجاج : فررت عن ذكاء ، وبلغت الدابة الذكاء : أى السن ، قالوا والمذكى أيضاً من الخيل الذى يذهب حضره — جريه — وينقطع ؛ وفى المثل : جرى المذكيات غلاب : أى جرى المسان القرح من الخيل أن تغالب الجرى غلابا ؛ قالوا : وتأويل تمام السن النهاية فى الشباب ، فإذا نقص عن ذلك أو زاد فلا يقال له الذكاء . والعقائق : جمع عقيقة ، وهى الشعر الذى يولد المولود وهو عليه ؛ والنقانق : جمع نقنق ، وهو ذكر النعام . يقول : إنه سبق الخيل المسنة وهو بعد فلو — أى مهر — صغير لا يزال شعر الولادة عليه ، وزاد على النعام فى طول الساق وصلابته ، وذلك محمود فى الخيل كما قال امرؤ القيس :

* لهُ أَيْطَلاَ ظَبْيٍ وَسَاقَا نَعامَةٍ *

(٢) الخرانق : جمع الخرنق ، وهو ولد الأرنب . يقول : إن صوت وقع حوافره أشد من صوت الصواعق . قال الواحدى : ويجوز أن يريد أن نار وطء حوافره تزيد على صواعق السحاب ، ثم قال المتنبى : وإن أذنه تزيد فى الدقة والانتصاب على آذان الأرانب .

(٣) العقاعق : جمع عقعق ، ضرب من الغربان يضرب به المثل فى الحذر فيقال : أحذر من عقعق . وقوله يميز الهزل من الحقائق : يريد أنه إذا أحضره صاحبه — أى ركضه — فطن إلى غرضه وعرف هل يريد صاحبه اللعب أو الجد ؟ وبعبارة أخرى : هل يريد الميدان أو الغارة ؟ فلعب أوجد حسب مراد صاحبه .

(٤) الخرق فى الأعمال : خلاف الرفق أو هو الحمق ؛ والحاذق : الماهر . يقول

يَحُكُّ أَنَّى شاءَ حَكَّ الْبَاشِقِ ... قُوبِلَ مِنْ آفِقَةٍ وَآفِقِ (١)

بَيْنَ عِتَاقِ الْخَيْلِ وَالْعَتَائِقِ ... فَعُنْقُهُ يُرْبِي عَلَى الْبَوَاسِقِ (٢)

وَحَلْقُهُ يُمْكِنُ فِتْرَ الْخَانِقِ ... أُعِدُّهُ لِلطَّعْنِ فِي الْفَيَالِقِ (٣)

وَالضَّرْبِ فِي الْأَوْجُهِ وَالْمَفَارِقِ ... وَالسَّيْرِ فِي ظِلِّ اللِّوَاءِ الْخَافِقِ (٤)

إنه لذ كائه وحذقه إذا أحس سارقا بليل صهل ليعلم مكانه ، وكذلك خيل الأعراب ، أى لشدة جريه وتناهيه فى العدو ـ الجرى ـ تظن به خرقا وهو مع ذلك حاذق ، وحذقه أنه لا يخرج ماعنده من الجرى مرة واحدة ، وإنما يعرف ما يراد منه فيستبق جريه ، كما قال القائل :

وللقارِحُ اليَعْبوبُ خيرٌ عُلالةً ... مِن الجذَعِ المُرْخَى وأبْعَدُ مَنزَعا

وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

ذُو أوْلَقٍ عند الجِراء وَإنما ... مِن صحة إفراطُ ذاك الأوْلَقِ

[الأولق : الخفة من النشاط كالجنون]

(١) أنى : كيف . يصفه بلين المعاطف وأنه يحك بدنه كيف شاء وأين شاء كالباشق — طائر من أصغر الجوارح — الذى ينتهى رأسه ومنقاره إلى أى موضع أراد من جسده ، ثم قال : إن العتق ـ الكرم ـ يكتنفه من قبل أبيه وأمه ؛ فكرم الأم يقابل فيه كرم الأب . فالآفق من الخيل : الكريم الطرفين ، وهى آفقة ، ومن آفقة : حال ، أى مولودا من آفقة و آفق : أى إنه كريم الام والأب وكل من أمه وأبيه كذلك

(٢) البيت تتمة لما فى المصراع الأخير من البيت السابق ؛ والعتاق من الخيل : الكرام ؛ والإناث عتائق ؛ والبواسق : جمع باسقة : النخلة العالية . يقول : إن أبويه آفقان بين كرام الخيل وكرائمها : أى إنه وسيط فى العتق ، ثم قال : وعنقه يزيد على النخل الطوال طولا والخيل توصف بطول الأعناق ، كما قال القائل :

* وهَادِيها كأن جذعٌ سَحُوقُ *

(٣) يقول : إن أعلى حلقه دقيق حتى لو أراد الخانق أن يطوقه بفتره ـ ما بين الإبهام والسبابة ـ لاستطاع وأمكنه ذلك ، والفيالق : الكتائب من الجيش .

(٤) والضرب : عطف على الطعن والمفارق : أوساط الرءوس حيث يفترق الشعر . واللواء : الراية ؛ وخفقه : اضطرابه فى الهواء .

يَحْمِلُنِى وَالنَّصْلُ ذُو السَّفَاسِقِ يَقْطُرُ فى كُمِّى عَلَى الْبَنَائِقِ (١)
لا أَلْحَظُ الدُّنيَا بِعَيْنَىْ وَامِقِ ، وَلا أُبَالِى قِــلَّةَ الْمُرَافِقِ (٢)
أَىْ كَبْتَ كُلِّ حَاسِدٍ مُنَافِقِ أَنْتَ لَنَـا وَكُلُّنَا لِلْخَـالِقِ (٣)

* * *

وقال يهجو إسحاق بن كيغلغ وقد بلغه أن غلمانه قتلوه :

قَالُوا لَنَا : مَاتَ إِسْــحَاقُ فَقُلْتُ لَهُمْ :
هٰــذَا الدَّوَاءُ الَّذِى يَشْـفِى مِنَ الْحُمُقِ (٤)
إِنْ مَاتَ مَاتَ بِلاَ فَقْدٍ وَلاَ أَسَفٍ ، أَوْ عَاشَ عَاشَ بِلاَ خَلْقٍ وَلاخُلُقِ (٥)

---

(١) النصل : حديدة السيف ؛ وسفاسقه : طرائقه ؛ والبنائق : جمع بنيقة ، لبنة القميص . يقول : يحملنى فى الحرب وسيفى يقطر دما — دم القتلى — فى كمى على بنائق . أى يحملنى والسيف هذه حاله ؛ قال العكبرى : الرواية التى قرأت بها الديوان على شيخى أبى الحزم وعبد المنعم :والنصل ذو ، بالرفع ،ورفعه على الابتداء ، والواو للحال ، أى فى هذه الحالة ، ورواه الواحدى وغيره بنصب النصل وما بعده عطفا على الضمير المنصوب فى يحملنى ؛ ويجوز أن يكون على أنه مفعول معه : أى مع النصل .

(٢) لحظه : نظر إليه بمؤخر عينه . والوامق : المحب . يقول : لا أنظر إلى الدنيا بعين عاشق محب لها فيذل لطلبها ولا أبالى أن لا أجد فيها من يوافقنى على طلب معالى الأمور ، بل أعمل على طلبها وحدى .

(٣) أى : حرف نداء ؛ و كبت عدوه : أذله ورده بغيظه ، وكبته الله لوجهه : صرعه. قال ابن جنى يخاطب ممدوحا له ، قال الواحدى : ليس فى هذه القصيدة ذكر ممدوح ولم يمدح بها أحد ، فكيف يخاطب ممدوحا ؟ إنما يخاطب المهر الذى وصفه ، يقول : أنت تكبت حسادى لأنهم يحسدوننى عليك ثم قال: أنت لنا ونحن وأنت لله .

(٤) يقول : لادواء للأحمق إلا الموت ، كما قال البحترى :

ما قضى اللهُ للجهولِ بسترٍ يتلافاهُ مثلُ حتفٍ قاضِى

(٥) يقول : إن موته وحياته سواء ، فهو إن مات مات وليس من يأسف على موته ولا يتبين بموته خلل فيكون مفقوداً كما قال :

* فإذا مُتَّ مُتَّ غيرَ فقيدِ *

مِنْهُ تَعَلَّمَ عَبْدٌ شَــقَّ هَامَتَهُ خَوْنَ الصَّدِيقِ وَدَسَّ الْغَدْرِ فِي الْمَلَقِ (١)

وَحَــلْفَ أَلْفِ يَمِينٍ غَيْرِ صَـادِقَةٍ

مَطْرُودَةٍ كَكُعُوبِ الرُّمْـحِ فِي نَسَقِ (٢)

مَا زِلْتُ أَعْرِفُهُ قِرْداً بِلَا ذَنَبٍ صِفْراً مِنَ الْبَأْسِ مَمْلُوءاً مِنَ النَّزَقِ (٣)

كَرِيشَــةٍ بِمَهَبِّ الرِّيحِ سَاقِطَةٍ لَا تَسْــتَقِرُّ عَلَى حَالٍ مِنَ الْقَلَقِ (٤)

وإن عاش عاش وليس من يحفل به أو يبالى ؛ إذ ليس له خلق كريم أو خلقة جميلة كما قال الخبز أرزى :

فأنت فى الخلق لا وجه ولا بدن وأنت فى الخُلق لا عقلٌ ولا أدبٌ

(١) هامته : رأسه ؛ والخون : الخيانة ؛ والملق : إظهار المحبة . يقول : إن العبد الذى قتله وغدر به منه تعلم خيانة الصديق والغدر به وإظهار الحب وفى قلبه دغل . فلا جناح عليه إذا سقاه بكأسه .

(٢) وحلف : عطف على خون. يقول: وتعلم منه أن يحلف ألف يمين كاذبة مطرودة — مطردة متتابعة — كأنابيب الرمح ، وفيه نظر إلى قول البحترى من جهة التشبيه :

شرفٌ تتابعَ كابراً عن كابرٍ كالرُّمح أنبوباً عَلَى أنبوبِ

وقوله أيضاً :

نسبٌ كما اطردت كعوب مُثقف لَدْنٍ يزيدُكَ بسطةً فى الطُّولِ

(٣) يقول : مازلت أعرفه قرداً إلا أنه لا ذنب له ، وأعرفه فارغا من الشجاعة إلا أنه قد امتلأ حماقة وطيشاً ، ولله ابن الرومى حين يقول :

معشرٌ أشبهوا القرودَ ولكن خالفوها فى خِفّةِ الأرواحِ

(٤) يقول : هو من القلق كريشة بمهب — مجرى — الريح ساقطة لا تستقر من القلق على حال ، يصفه بالطيش وأنه لا يثبت على حال ، كما قال ابن الرومى :

لحِلمكَ أطيشُ من ريشةٍ ورُوحُكَ من هَضْبةٍ أرجحُ

ولبعضهم :

يا ريشةً فوقَ مهبِّ الصبا يهفو بها الريحُ على مَرْصَدِ

أطيشَ من قلب فتًى عاشقٍ متيم بات على موْعدِ

تَستَغرِقُ الكَفُّ فَوْدَيهِ ومَنكِبَهُ ... وَتَكتَسِي مِنهُ رِيحَ الجَورَبِ العَرَقِ (١)
فَسائِلُوا قَاتِلِيهِ كَيفَ مَاتَ لَهُمْ ... مَوْتاً مِنَ الضَّربِ أَو مَوْتاً مِنَ الفَرَقِ (٢)
وَأَينَ مَوْقِعُ حَدِّ السَّيفِ مِن شَبَحٍ ... بِغَيرِ رَأسٍ وَلا جِسمٍ وَلا عُنُقِ (٣)
لَولا اللِّئامُ وَشَيءٌ مِن مُشابَهَةٍ ... لَكانَ أَلأَمَ طِفلٍ لُفَّ في خِرَقِ (٤)
كَلامُ أَكثَرِ مَن تَلقَى وَمَنظَرُهُ ... مِمّا يَشُقُّ عَلى الآذانِ وَالحَدَقِ (٥)

* * *

---

(١) الفودان : جانبا الرأس ؛ والجورب : هو «الشراب» الذى توضع فيه الرجل من صوف أو قطن أو حرير . والعرق : الذى بله العرق . يقول هو صغير الرأس قصير العنق ، وهو أيضاً قمىء حقير ، فإذا صفع استغرقت أكف الصافعين هذه المواضع من بدنه فتكتسى أكفهم نتنا منه لنتن رائحته ، ولعل هذا ينظر إلى قول بعضهم :

قل ما بدا لك أن تقول فإننى ... أثنى عليك بمثل ريح الجورب

(٢) موتا : مفعول مطلق ؛ أى أماتلهم موتا ؛ والفرق : الخوف والفزع . يقول : هو جبان فسائلوا قاتليه هل مات خوفا أو مات بالضرب ؟ ولله أبو تمام حين يقول :

وإلا فأعلمهُ بأنك ساخط ... عليه فإن الخوفَ لاشك قاتله

(٣) الشبح : الشخص ؛ يصفه بأنه غير شىء لدمامته وصغر قدره فكأنه لا أعضاء له .

(٤) يريد باللئام آباءه . يقول : لولا أنهم سبقوه فى اللؤم وجاء مشابهاً لهم فيه لكان الأم طفل ولكنهم شركاؤه فى ذلك فليس هو الألأم ، وبهذا قد سوى بينه وبينهم ؛ وفى هذا نظر إلى قول بعضهم :

إذا ولدتْ حليلةُ باهليّ ... غلاماً زيد فى عددِ اللّئامِ

(٥) ومنظره : أى وجهه ، أوالنظر إليه ، ويشق : يثقل . يقول : إن أكثر من تلقاه من الناس يشق كلامه على الآذان لمافيه من السقط والهذر ، ومنظره على الأحداق — العيون — لما ينطوى عليه من الغل والخبث وإضمار غير الجميل وإن كان يلقاك بالبشر .

يلقاك والعسلُ المصفّى يُجتنى ... مِن قوله ومن الفِعالِ العلقمُ

وقال يمدح أبا العشائر الحسين بن على بن الحسين بن حمدان العدوى :

أَتُرَاهَا لِكَثْرَةِ العُشَّاقِ تَحْسَبُ الدَّمْعَ خِلقَةً فى المَآقِى (١)
كَيفَ تَرْثِى التى تَرَى كلَّ جَفْنٍ رَاءَها غَيْرَ جَفْنِهَا غَيْرَ رَاقِى (٢)
أَنْتِ مِنَّا فَتَنْتِ نَفسَكِ لَكِنَّكِ عُوفِيتِ مِنْ ضَنًى وَاشْتِيَاقِ (٣)

يُبدى الهوى و يثورُ – إن عرضت له فرصٌ – عليك كما يثور الأرقمُ
« الابيوردى »

فلا تغرَّنك ألسنةٌ رطاب بطائنهن أكبادٌ صَوَادِى
« الديلمى »

فيارُب وجه كصافى النمير تشابه حاملهُ والنمِرْ
« شوقى »

إن شئتَ أن يسودَ ظنك كلهُ فأجلْهُ فى هذا السوادِ الأعظم
ليس الصديقُ بمن يُعيرك ظاهراً مُتبسما عن باطنٍ متجهمِ
« أبو تمام »

(١) حسب يحسب – بفتح السين فى المضارع وكسرها لغتان – وأتراها : أتظنها : والمآقى : جمع مؤق ، مؤخر العين مما يلى الأنف . يقول – لصاحبه : أتظنها لكثرة ما ترى الدمع فى مآقى عشاقها تتوهم أنه خلقة فيها فلا ترحم من يبكى ولا ترثى ، كما قال فى البيت التالى .

(٢) راءها : أصله رآها ؛ قدم الألف وأخر الهمزة ضرورة وغير الأولى : منصوبة على الاستثناء ، والثانية على الحال . وراق : أى منقطع الدمع ، وأصله راقئ : تقول رقأ الدمع والدم يرقأ إذا انقطع ، فلينه . يقول : إن هذه المعشوقة لاترحم باكياً ، وكيف ترحمه وهى ترى كل جفن من الناس إلا جفنها سائل الدمع لهجرها فهى لاترحم أحداً لأنها تظن الدموع فى أجفان العشاق خلقة ؟ .

(٣) منا خبر أنت ، والجملة بعده خبر ثان ، أو حال من الضمير المستتر فى الخبر يقول أنت أيضاً من معشر عشاقك : أى أنت عاشقة لنفسك حين منعتها منا إلا أنك عوفيت من الضنى – النحول – والاشتياق . لأنك واصلت محبوبك وهو نفسك ؛ ومعنى

حُلْتِ دُونَ المَزَارِ فَالْيَوْمَ لَوْ زُرْ ... تِ لَحَالَ النُّحُولُ دُونَ العِنَاقِ (١)
إِنَّ لَحْظاً أَدَمْتِهِ وَأَدَمْنَا ... كَانَ عَمْداً لَنَا وَحَتْفَ اتِّفَاقِ (٢)
لَوْ عَدَا عَنْكِ غَيْرَ هَجْرِكِ بُعْدٌ ... لَأَرَارَ الرَّسِيمُ مُخَّ المَنَاقِي (٣)
وَلَسِرْنَا وَلَوْ وَصَلْنَا عَلَيْهَا ... مِثْلَ أَنْفَاسِنَا عَلَى الأَرْمَاقِ (٤)

فتنت نفسك : أى بالحب ؛ أى فأنت مفتونة بعشق نفسك ؛ والأصل فى هذا المعنى قول جحظة :

لو ترى ما أراهُ منكَ إذا ما ... جال ماء الشبابِ فى وجنتَيكا
لتمنَّيتَ أن تُقبِّلَ خدَّيك وإن لم تصلْ إلى خدَّيكا

(١) يقال حال دونه حائل ، كما يقال عاق دونه عائق ؛ والمزار هنا : مصدر بمعنى الزيارة يقول : منعتنى عن زيارتك حتى نحلت شوقا إليك ، فلو زرتنى اليوم لم تقدرى على معانقتى لشدة نحولى ودقة جسمى . فليس فى بقية لعناقك .

(٢) يقول : إن النظر الذى كررته إلينا وكررناه إليك كان عن تعمد منا فاتفق لنا فيه الحتف ـ الهلاك ـ من غير قصد منا إليه لأنه أوقعنا فى حبائل الهوى .

(٣) عدا عنك . صرف عنك ومنع من لقائك . وغير : استثناء مقدم ؛ وبعد : فاعل عدا ، وقال العكبرى : نصب غير على الحال ، والتقدير : بعد غير هجرك ، فلما قدم وصف النكرة نصبه على الحال . وأرار : بمعنى أذاب ، والرسيم : ضرب من سير الإبل ، والمناق : جمع منقية ، وهى الناقة السمينة التى فى عظامها نقى ـ أى مخ ـ يقول : لو كان الحائل بيننا وبينك هو بعدك لاهجرك لواصلنا السير إليك حتى تنضى الإبل ويسيل مخها : أى لأتعبناها فى طى البعد بيننا ، ولكن الذى يحول بيننا هو الهجر ، وهو مالا سبيل إلى قطع مسافته بالسير ، كما قال أيضاً :

أبْعدُ نأى المليحة البخَلُ ... فى البُعدِ مالا تُكلفُ الإبلُ

(٤) الضمير فى عليها : للمناقى ، والأرماق : جمع رمق ، بقية الروح : يقول : ولسرنا ولو وصلنا وقد نحلنا وهزلنا من شدة الشوق حتى نصير من الخفة كأننا أنفاس على أرماق : أى على إبلنا التى نال منها الجهد حتى هزلت ولم يبق منها إلا الذماء فكأنها أرماق ، كما قال الآخر .

* أُنضاهُ شوْقٍ على أنضاءِ أسْفارِ *

مَا بِنَا مِنْ هَوَى الْعُيُونِ اللَّوَاتِى ... لَوْنُ أَشْفَارِهِنَّ لَوْنُ الْحِدَاقِ (١)
قَصَّرَتْ مُدَّةَ اللَّيَالِى الْمَوَاضِى ... فَأَطَالَتْ بِهَا اللَّيَالِى الْبَوَاقِى (٢)
كَاثَرَتْ نَائِلَ الأَمِيرِ مِنَ الْمَا ... لِ بِمَا نَوَّلَتْ مِنَ الإِيرَاقِ (٣)
لَيْسَ إِلاَّ أَبَا الْعَشَائِرِ خَلْقٌ ... سَادَ هٰذَا الأَنَامَ بِاسْتِحْقَاقِ (٤)

وكما قال هو أيضاً :

بَرَتْنِى السُّرَى بَرْىَ الْمُدَى فرددنى ... أخفُّ على المركوبِ من نفسى جِرْمِى

وقال ابن جنى : ولسرنا ولو وصلنا إليك وهى تحملنا على استكراه ومشقة كما تحمل أرماقنا أنفاسنا لشدة الجهد لأنا قد بلغنا أو اخر أنفسنا ؛ قال الواحدى : هذا محال كيف يحمل الرمق النفس ؟ وكيف تكون الأنفاس على الأرماق بالمعنى الذى ذكره؟ ثم فسره الواحدى بما لا يخرج عما أسلفناه .

(١) ما بنا : استفهام ، معناه التعجب ؛ والأشفار : جمع شفر منبت الهدب؛ والحداق: جمع حدقة سواد المقلة . يقول : أى شىء أصابنا من هوى العيون الكحلاء الجفون السوداء الأحداق ؟

(٢) يقول : قصرت الليالى الماضية بالوصال وأطالتها بالهجران ، وأيام الوصال توصف بالقصر وأيام الهجر توصف بالطول . وقوله فأطالت بها : أى أطالت ليالى الهجر بليالى الوصال . أى بذكرها والتحسر عليها .

(٣) قال الواحدى: الإيراق مصدر قولهم أورق الصائد إذا لم يصد شيئاً وأورق الغازى: إذا لم يغنم ، وأورق الطالب إذا لم ينل شيئا . قال: وكان الخوارزمى يقول فى تفسير هذا البيت : هى تطاب بإسهادها إيانا الغاية طلب الأمير بإنالته النهاية، فكأنها تكاثره نوالا ، لكن نوالها الأرق ونواله الورق. قال الواحدى: فإن كان أبو الطيب أراد بالإيراق هذا ـ أى أنه من الأرق — فقد أخطأ لأنه لا يبنى الإيراق من الأرق إنما يقال أرق يأرق أرقا وأرقه تأريقا، والأولى أن يحمل الإيراق على منع الوصل والتجنيب منه . يقول : هى فى منعها وصلها فى النهاية ، كما أن الأمير فى بذله نائله قد بلغ الغاية فكأنها تكاثر عطاءه بمنعها لينظر أيهما أكثر ، ولا يخفى ما فى البيت من حسن التخلص .

(٤) خلق : اسم ليس ؛ وأبا العشائر : خبرها ؛ أو تقول خلق ؛ اسم ليس ؛ وخبرها الجملة بعده ؛ وأبا العشائر : مستثنى . يقول : ليس أحد قد استحق السيادة فساد الخلائق بحق غير هذا الممدوح ؛ ومما يتصل بمعنى البيت قول البحترى :

طَاعِنُ الطَّعْنَةِ التى تَطْعَنُ الْفَيْـلَقَ بالذُّعْرِ وَالدَّمِ الْمُهْـرَاقِ (١)
ذَاتُ فَرْغٍ كَأَنَّهَا فى حَشَا الْمُخْـبِرِ عَنْهَا مِنْ شِـدَّةِ الإِطْرَاقِ (٢)
ضَارِبُ الْهَامِ فى الْغُبَارِ وَمَا يَرْ هَبُ أَنْ يَشْرَبَ الَّذِى هُوَ سَاقِ (٣)
فَوْقَ شَـقَّاءَ لِلأَشَقِّ مَجَالٌ بَيْنَ أَرْسَاغِهَا وَبَيْنَ الصِّـفَاقِ (٤)

قدرُه مرتفـع عن حظه لا يرُعْك الحظُّ لم يوجد بحقٍّ

(١) طاعن : خبر مبتدأ محذوف ؛ أى هو طاعن ؛ والفيلق : الجيش ؛ والذعر : الفزع ؛ والمهراق : المصبوب . يقول : إذا طعن واحداً من الجيش فرأوا الطعنة وسعتها وبعد غورها جبنوا جميعهم وخافوا لذلك خوفا شديداً فكأنه طعن الجيش كله ؛ قال الشراح : والدم المهراق أحسن مافى البيت ، يريد أنه يخرج منها دم ثائر يضرب صدور القوم ، فكأنه قد طعنهم كلهم .

(٢) ذات : خبر مبتدأ محذوف : أى طعنته ذات فرغ ، ومن نصب ذات : فهى حال من الطعنة بمعنى واسعة ، كأنه قال تطعن الفيلق طعنة واسعة . والفرغ : مخرج الماء من الدلو . ويقال أطرق رأسه إذا خفضه وطأطأه . والمخبر : يروى بفتح الباء وبكسرها يقول : إن طعنته واسعة حتى كأن دمها يجرى من فرغ دلو ، وإذا جرى حديثها أطرق لها السامع أو المحدث خوفا واستعظاماً حتى لكأنها فى جوفه .

(٣) يقول : هو ضارب الهام ـ الرءوس ـ فى الهيجاء ويسقى الأقران كؤوس الموت ولا يبالى أن يشرب ما يسقيهم شجاعة وولوعا بالمجد والفخار ومن ثم لا يبالى بالموت .

(٤) فوق شقاء : أى هو ضارب الهام حال كونه فوق فرس شقاء ، وشقاء : مؤنث أشق ، ويقال فرس أشق . إذا كان رحب الفروج طويل القوائم ، قال جابر أخو بنى معاوية بن بكر التغلبى :

ويومَ الكُلاَبِ استنزلَتْ أسلاتُنا شُرَحْبيلَ إذ آلَى أليَّةَ مُقْسِمِ
لينتزِعَنْ أرماحنـا فأزالهُ أبو حنَشٍ عن ظهر شقَّاء صِلْدِمِ (١)

والأرساغ : جمع رسغ ، وهو مستدق ما بين الحافر ومفصل الوظيف ؛ والصفاق

---

(١) عن ظهر : يروى عن سرج ، والصلدم : القوية ، يقول :ـ حلف عدونا لينتزعن أرماحنا من أيدينا فقتلناه .

مَا رَآهَا مُكَذِّبُ الرُّسْلِ إِلاَّ   صَدَّقَ الْقَوْلَ فِى صِفَاتِ الْبُرَاقِ (١)
هَمُّهُ فِى ذَوِى الأَسِنَّةِ لاَ فِيـ   ـهَا وَأَطْرَافُهَا لَهُ كَالنِّطَاقِ (٢)
ثَاقِبُ الرَّأْىِ ثَابِتُ الْحِلْمِ لاَ يَقْـ   ـدِرُ أَمْرٌ لَهُ عَلَى إِقْلاَقِ (٣)
يَا بَنِى الْحَارِثِ بْنِ لُقْمَانَ لاَ تَعْـ   ـدَمْكُمُ فِى الْوَغَى مُتُونُ الْعِتَاقِ (٤)

جلدة البطن ؛ قال الأصمعى : الصفاق الجلد الأسفل الذى تحت الجلد الذى عليه الشعر ، وأنشد للجعدى :

لُطِمْنَ بِتُرْسٍ شَدِيدِ الصِّفَا   قِ مِنْ خَشَبِ الْجَوْزِ لَمْ يُثْقَبِ (١)

يقول : هو ضارب فوق فرس أنثى طويلة واسعة الفروج حتى يجول الحصان — الذكر — الطويل بين قوائمها وبطنها .

(١) البراق : هو ذلك الذى روى أن سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ركبه ليلة الإسراء وقطع به ما بين الأرض والسماء فى ليلة ، وقيل فى وصفه أنه يضع يديه عند منتهى بصره ، وأنه دون البغل وفوق الحمار . يقول : إن هذه الفرس تجرى جرى البراق . فإذا نظر مكذب الرسل إلى سرعتها صدق ما قيل فى وصف البراق .

(٢) الضمير من فيها : للأسنة ؛ والواو بعدها : للحال ؛ والنطاق : ما يشد به الوسط : يقول : إذا أحاطت به الأبطال حتى صارت أسنتها — رماحها — حوله كالنطاق فإن همته حينئذ إنما هى فى الأبطال وأخذ أرواحهم لا فى اتقاء رماحهم ، فهو لا يبالى بها ولا هى تثنيه عنهم .

(٣) ثقوب الرأى : نفاذه ؛ وأصل الثاقب : المضىء ؛ ويروى ثاقب العقل ؛ والحلم : الأناة والتعقل . يقول : لا يقلقه أمر من الأمور لثبات حلمه ؛ وفيه نظر إلى قول ابن دريد :

يعتصمُ الحلم بجنبى حبوتى   إذا رياح الطيش طارت بالحبا

(٤) الحارث بن لقمان : جد أبى العشائر ؛ والعتاق : الخيل الكريمة ، يدعو لهم بأن لا يفارقوا ظهور الخيل فرسانا فى الوغى — الحرب — قال ابن جنى : قوله فى الوغى حشو إلا أن فيه نكتة ، وهى أنهم ملوك إنما يركبون الخيل لحرب أو دفع ملم ، لذلك خص حالة الحرب ؛ إذ لو لم يقل فى الوغى لا قتضى الدعاء أن لا يفارقوا ظهورها فى وقت ،

---

(١) يقول : ذلك الموضع منه كأنه ترس وهو شديد الصفاق .

بَعثُوا الرُّعْبَ فى قلوبِ الأعادِ ىِّ فَكانَ القِتالُ قَبلَ التَّلاقِى(١)
وَتَكادُ الظُّبَا لِمَا عَوَّدُوهَا تَنْتَضِي نَفْسَهَا إِلَى الأَعْناقِ(٢)
وَإِذَا أَشفَقَ الفَوَارِسُ مِنْ وَقْعِ القَنَا أَشفَقُوا مِنَ الإشْفَاقِ(٣)
كُلُّ ذِمْرٍ يَزِيدُ فِي المَوْتِ حُسْناً كَبُدُورٍ تَمَامُهَا فِي المُحَاقِ(٤)

وهذا من أفعال الرواض لا من أفعال الملوك لأن الملوك يحتاجون إلى تدبير الملك بالرأى إلى الفراغ والاستقرار .

(١) يقول : بعثوا خوفهم فى قلوب الأعداء قبل وصولهم إليهم ، فكأنهم قاتلوهم قبل أن يلقوهم لشدة خوفهم قبل اللقاء ، قال أبو تمام :

لوْ لم يزاحفهمْ لزاحفهم لهُ ما فى قلوبهم مِن الأوجالِ

هذا : والأعادى ـ بالتشديد ـ جمع الأعداء ، وأصله أعادىء بالهمز فأدغم .

(٢) الظبا : جمع ظبة ، وهى حد السيف ؛ والمراد هنا : السيوف نفسها ؛ وتنتضى: تستل . يقول : إنهم عودوا السيوف أن تغمد فى الأعناق ، فهى لذلك تكاد تخرج من أغمادها إلى الأعناق قبل أن يستلها أحد ؛ وهذا من قول أبى تمام :

ونَبَّهْنَ مثل السيف لو لم تَسُلَّهُ يدانِ لسلّته ظُبَاهُ من الغِمْدِ

(٣) الإشفاق : الخوف والفزع . يقول : إذا خاف الفرسان من وقع الرماح خافوا هم من الخوف ومن أن ينسبوا إلى الجبن والجزع فتجلدوا وصبروا .

(٤) الذمر : الرجل الشجاع ؛ وكل : خبر مبتدأ محذوف : أى هم ـ الممدحون ـ كل ذمر الخ ؛ والمحاق : آخر ليالى القمر . يقول : إنهم إذا قتلوا فى طلب المجد والرفعة ازداد شرفهم فازداد حسن ذكرهم بموتهم ، كالبدور فإنها تستفيد الكمال بالمحاق ، ومالم تصر إلى المحاق لم تتم ، لأنها فى المحاق ترتفع إلى درجة الكمال ، فمحاقها سبب كمالها ؛ كذلك هؤلاء إذا قتلوا اكتسبوا ذكراً وشرفا . وقال ابن جنى : تمامها فى المحاق الكلام متناقض الظاهر ، لأن المحاق غاية النقصان وهو ضد الكمال ، وإنما سوغ له ذلك قوله «يزيد فى الموت حسناً» : أى هو من قوم أحسن أحوالهم عندهم أن يقتلوا فى طلب المجد ، فشبههم ببدور تمامها فى محاقها ، فجاز له هذا اللفظ على طريق الاستطراف والتعجب منه ، فشبه ما يجوز أن يكون بما لا يجوز أن يكون اتساعا وتصرفا . وقال ابن فورجه : أراد أن البدور يفضى أمرها إلى المحاق . فهو غايتها التى تجرى إليها ومصيرها الذى تصير اليه ، وهؤلاء القوم تمام أمرهم قتلهم ، وليس التمام فى هذا البيت الذى

جَاعِـــلٍ دِرْعَهُ مَنِيَّتَهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ دُونَهَا مِنَ الْعَارِ وَاقِ (١)
كَرَمٌ خَشَّنَ الْجَوَانِبَ مِنْهُمْ فَهْوَ كَالْمَاءِ فِي الشِّفَارِ الرِّقَاقِ (٢)

يعنى به استكمال الضوء؛ والدليل على ذلك قوله «كبدور» والبدور لا تكون بدوراً إلا بعد استكمال ضوئها ، ولو أراد استكمال الضوء لقال كأهلة . . . قال الواحدى : وعلى هذا لا مدح فى البيت لأن كل حى يفضى أمره إلى الموت وآخره الهلاك ؛ وإنما شبههم ببدور تمامها فى المحاق بزيادتهم حسناً بالموت لانتهاء آخر أمرهم إلى الموت ، ثم أوضح ذلك بمالا يخرج عما ذكرناه أولا .

(١) جاعل : صفة لذمر . يقول : إنه يتقى العار ولو بموته ، فإذا لم يجد واقيا من العار غير منيته جعلها درعا له ، فاتقى بها العار كما يتقى بالدرع الموت والهلاك . قال أبو تمام :

وقد كان فَوْتُ الموتِ سهلاً فردَّهُ إليه الحِفاظُ المرُّ والخُلُقُ الوعْرُ

وقال بعضهم :

ومَوْتٌ لا يكون عَلَىَّ عاراً أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ عَيْشٍ رِماقِ (١)

(٢) الكرم : ضد اللؤم ؛ والشفار : جمع شفرة ، حد السيف . والرقاق هنا : الحداد القاطعات . يقول : إن لهم كرما خشن جوانبهم على الأعداء لأن هذا الكرم يأبى عليهم أن يساموا الخسف ويقبلوا الإهانة ، ثم شبه ذلك الكرم بالماء ، فهو مع لينه وعذوبته إذا سقيته السيوف شحذت شفارها واستفادت صلابة ومضاء ونفاذا ، كذلك كرمه فيه لين لأوليائه وخشونة على أعدائه . وهذا من قول بعضهم :

وكالسيف إن لا ينْتَهُ لانَ مَتْنهُ وحَدَّاهُ إنْ خَاشَنْتَهُ خَشِنَانِ

وفيه نظر إلى قول أبى تمـام :

فإنَّ الحسامَ الهِندُوانىَّ إنمـــا خُشونَتُهُ ما لم تُفَلَّلْ مضارِبه

---

(١) الرماق : العيش اليسير الدون الذى يمسك الرمق ؛ ومن كلامهم : موت لا يجر إلى عار خير من عيش فى رماق ، ومثله العيش المرمق : أى الدون قال الكميت :

أرانا على حُبِّ الحياة وطُولِهَا يُجَدُّ بنـــا فى كل يوم ونَهْزِلُ
نُعَالِجُ مُرْمَقًا من العيش فانياً له حارِكٌ لا يحملُ العِبْءَ أجزل

[الحارك : أعلى الكاهل] .

وَمَعَالٍ إِذَا ادَّعَاهَا سِــوَاهُمْ لَزِمَتْهُ جِنَــايَةُ السُّرَّاقِ (١)
يَابْنَ مَنْ كُلَّمَا بَدَوْتَ بَدَا لِى غَائِبَ الشَّخْصِ حَاضِرَ الأَخْلَاقِ (٢)
لَوْ تَنَكَّرْتَ فِى المَكَرِّ لِقَوْمٍ حَلَفُوا أَنَّكَ ابْنُهُ بِالطَّلَاقِ (٣)
كَيْفَ يَقْوَى بِكَفِّكَ الزَّنْدُ وَالآ فَاقُ فِيهَا كَالْكَفِّ فِى الآفَاقِ (٤)
قَلَّ نَفْعُ الحَدِيدِ فِيكَ فَمَا يَلْقَــاكَ إِلَّا مَنْ سَيْفُهُ مِنْ نِفَاقِ (٥)
إِلْفُ هٰذَا الْهَوَاءِ أَوْقَعَ فِى الأَنْفُــسِ أَنَّ الحِمَامَ مُرُّ المَذَاقِ (٦)

---

(١) يقول : لكم معال شريفة لم ينلها أحد سواكم فإذا ادعاها سواكم نسب إلى الخيانة والسرقة .

(٢) يقول : أنت شديد الشبه بأبيك ، فإذا ظهرت لى شاهدت فيك أخلاقه ، وإن غاب شخصه ، وقال ابن الرومى :

إذا سَلَفٌ أَوْدَى وَخلَّفَ مثلهُ فما ضَرَّهُ أن غَيبتْه الرَّوَامِسُ

(٣) تنكرت : غيرت زيك حتى لا تعرف ، والمكر : مكان الكر فى الحرب . يقول : لو غيرت زيك فى ساحة الحرب حتى لا يعرفك أهلها لعرفوك بأفعالك التى لم يكن يفعلها غير أبيك حتى يحلفون بالطلاق أنك ابنه ، قال ابن جنى : فى المكر حشو وفيه نكتة ، وهى أنه إنما شبهه فى المكان الذى يتبين فيه الفضل والشجاعة فذكر أنفس المواضع ، فجعله شبهه فيها لا فى غيرها مما ليس له شهرتها ، وقال التبريزى : حلفوا أنك ابنه : أى ابن المكر إذ يجدونك فيه سالمـا من الطعن والضرب ، فكأن المكر أب يشفق عليك من أن يصل إليك جرح أو طعنة .

(٤) الاستفهام تعجب ، وقوى به : أطاقه ؛ والآفاق : نواحى الدنيا وأقطارها . يقول : كيف يطيق زندك حمل كفك وهى قد اشتملت على نواحى الأرض ، أى استولت على أطرافها حتى صارت الآفاق صغيرة بالقياس إليها كالكف بالقياس إلى الآفاق ، يريد أنه اقتدر على الدنيا وصغرت فى قبضته .

(٥) يقول : إن أعداءك لا يقدرون عليك بسيوف الحديد لا متناعك على أسلحتهم ببأسك وشجاعتك وشدة شوكتك . فلا يلقونك الا بسيف النفاق ، يعنى أن أعداءك يعدلون عن مجاهرتك بالحرب إلى مواراتك بالنفاق .

(٦) قال أبو العلاء المعرى : إن هذا البيت والذى بعده يفضلان كتابا من كتب

وَالأَسَى قَبْلَ فُرْقَةِ الرُّوحِ عَجْزٌ ... وَالأَسَى لاَ يَكُونُ بَعْدَ الفِرَاقِ (١)

كَمْ ثَرَاءٍ فَرَّجْتَ بِالرُّمْحِ عَنْهُ ... كَانَ مِنْ بُخْلِ أَهْلِهِ فِي وَثَاقِ (٢)

وَالغِنَى فِي يَدِ اللَّئِيمِ قَبِيحٌ ... قَدْرَ قُبْحِ الكَرِيمِ فِي الإِمْلاَقِ (٣)

الفلاسفة ، لأنهما متناهيان فى الصدق وحسن النظام ، ولو لم يقل شاعرهما سواهما لكان له شرف منهما وجمال . . . يقول : إن نفوسنا ألفت هذا الهواء فظنت أن الموت كريه الذوق ، وذلك لإلفها الهواء الرقيق الطيب ، وهذا أوقع فى الأنفس أن الموت مر الطعم . قال الواحدى : وفى هذا بيان عذر أعدائه حين جبنوا عنه ولم يجاهروه بالحرب لأن حب الحياة زين لهم الجبن وأراهم طعم الحمام . قال : ويجوز أن يكون هذا ابتداء كلام لا يتصل بما قبله ؛ قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : النفوس البهيمية تألف مساكنة الأجساد الترابية ، فلذلك تصعب عليها مفارقة أجسامها والنفوس الصافية بضد ذلك .

(١) يقول : إن خوف الموت من أكاذيب النفس ومن إلفتنا هذا الهواء وإلا فهو معلوم أن الجزع من الموت قبل وقوعه عجز ينشأ عن الجبن وضعف النفس ، وأنه لا جزع بعد الموت لعدم حس الميت بشىء مما هو فيه . وعبارة أبى الفضل العروضى : لا يحسن أن يحزن الإنسان للموت بعد تيقنه بوقوعه فإنه قبل الوقوع : لا ينفع الحذر وينغص العيش ، وإذا وقع فلا حزن عليك ولا علم لك به ، ثم قال : وقد نسب فى هذا إلى الإلحاد . قال الواحدى : وهذا البيت والذى قبله حث على الشجاعة وتحذير من الجبن وتهوين للموت لئلا يخافه الإنسان فيترك الإقدام قال : هذا ما أراده أبو الطيب ولم يرد الإلحاد وإنما قال هذا من حيث الظاهر .

(٢) الثراء : كثرة المال . يقول : كم مال كان البخل قد أوثقه ومنعه عن طلابه قتلت أربابه فأطلقته من إساره وأبحته لطلابه ؟

(٣) الإملاق : الفقر والعدم . يقول : إن المال فى يد اللئيم قبيح — لأنه يضن به عن حقوقه — كما يقبح الفقر فى يد الكريم ، فقوله قدر قبح الكريم فى الإملاق : يريد أن يقول قدر قبح الإملاق فى الكريم ، فقلب للضرورة والقافية : وللمصراع الأول من قول أبى تمام :

كَمْ نِعْمَةٍ لِلّهِ كَانَتْ عِنْدَهُ ... فَكَأَنَّهَا فِى غُرْبَةٍ وَإِسَارِ

وقول العطوى :

لَيْسَ قَوْلِي فِي شَمْسِ فِعْلِكَ كَالشَّمْـــسِ وَلٰكِنْ فِي الشَّمْسِ كَالإِشْرَاقِ (١)
شَاعِرُ المَجْدِ خِدْنُهُ شَاعِرُ اللَّفْـــظِ كِلانَا رَبُّ المَعَانِي الدِّقَاقِ (٢)
لَمْ تَزَلْ تَسْمَعُ المَدِيحَ وَلٰكِنْ صَهِيلَ الجِيَادِ غَـــيْرُ النُّهَاقِ (٣)
لَيْتَ لِي مِثْلَ جَدِّ ذَا الدَّهْرِ فِي الأَدْ هُرِ أَوْ رِزْقِهِ مِنَ الأَرْزَاقِ (٤)

نعمة الله لا تُعاب ولكنْ ربما استُقبِحَتْ على أقوام
لا يليق الغِنى بوجه أبي يَعـ لى ولا نُورُ بهجةِ الإسلامِ
وسخ الثَّوب والقلانِس والبِر ذَوْنِ والوجهِ والقفا والغُلاَمِ

(١) يقول : إن قولى لا يبلغ فعل الممدوح فى الشرف والرفعة ، ولكنه يدل عليه ، فهو بمنزلة الإشراق من الشمس ، وتروى : ولكن كالشمس فى الإشراق : أى أن قوله فى فعل الممدوح الذى هو كالشمس ليس كالشمس كذلك ، فيكون كفوًا له ، ولكنه بالقياس إليه كالشمس بالقياس إلى إشراقها ، شبه قوله بالشمس وفعل الممدوح بأشعة الشمس التى تملأ الكائنات .

(٢) يقول : أنت شاعر المجد الناظم لمحاسنه العليم به وبدقائقه وأنا شاعر اللفظ ، فكل واحد منا خليل الآخر ، وكل واحد صاحب المعانى الدقيقة فهو يفتن فى صناعته : وأراد بالخدن ؛ نفسه ، جعل نفسه خدنا — صاحبا وصديقا — للممدوح ترفعا وافتخارا . ومثل هذا البيت قول أبى تمام :

غَرُبَتْ خلائقُه فأغرب شاعرٌ فيه فأبدعَ مُغربٌ فى مُغرب

(٣) يقول : لم تزل تمدح وتسمع الأشعار فى مديحك — لأنك ملك همام كثير المداح — ولكن شعرى يفضل ما سمعته كما يفضل صهيل الجياد نهيق الحمير ، ولعله ينظر فى هذا إلى قول خداش بن زهير :

ولنْ أكونَ كمن ألقى رِحالتهُ على الحِمارِ وخَلَّى مَنْسِجَ الفرَسِ

وقول الآخر :

ألِمَّى بِابْنِ عَمِّكِ لا تكونى كمختارٍ عَلَى الفرَسِ الحِمارا

(٤) يقول : إن دهرك مجدود — محظوظ — مرزوق بك ، فليت لى مثل ماله من الحظ والرزق ، ثم بين ذلك فى البيت التالى .

أنتَ فيهِ وكانَ كُلُّ زمانٍ يشتهي بعضَ ذا على الخلّاقِ (١)

* * *

وضرب أبو العشائر خيمة على الطريق فكثر سؤّاله وغاشيته فقال له إنسان جعلت مضربك على الطريق فقال : أحب أن يذكره أبو الطيب فقال :

لامَ أُناسٌ أبا العشائرِ في جُودِ يديهِ بالعَيْنِ والوَرِقِ (٢)

وإنما قيلَ لِمْ خُلِقتَ كذا وخالقُ الخَلْقِ خالقُ الخُلُقِ (٣)

قالُوا ألمْ تكفِهِ سماحتُهُ حتّى بنى بيتَهُ على الطُّرُقِ (٤)

فقلتُ إنّ الفتى شجاعتُهُ تُريهِ في الشُّحِّ صورةَ الفَرَقِ (٥)

---

(١) يقول : كان كل عصر يشتهي بعض هذه السعادة لأنه لا يطمع في كلها ومثله لمسلم بن الوليد :

كالدهرِ يحسُدُ أولاه أواخرَهُ إذ لم يكن كان في أعصارهِ الأُوَلِ

وفيه نظر إلى قول أبي تمام .

مضى طاهرَ الأثوابِ لم تبقَ بقعةٌ غداةَ ثوى إلا اشتهت أنها قبرُ

(٢) العين : الذهب ؛ والورق : الفضة ، وقيل هي الدراهم المضروبة .

(٣) يقول : إن الذي يلومه على جوده كأنه يقول له لم خلقت كريما ؟ أي أنه طبع على الجود وليس ينفع اللوم على ما طبع عليه الإنسان ؛ لأن المطبوع على الشيء لا يستطيع أن يحيد عنه إلى غيره كما لا يستطيع أن يغير خلقته ، والذي خلق خلقه خلق خلقه .

(٤) كان أبو العشائر بميافارقين ، فضرب بيتا على الطريق لينتابه الناس فلا يرون دونه حجابا ، فذكر ذلك أبو الطيب وقال : إن الناس قالوا أما كفته سماحته ونداه في البلد حتى بنى بيته على الطريق للقصاد ؟ !

(٥) الشح : البخل ؛ والفرق : الخوف والذعر . يقول : إن الشجاع لا يكون بخيلا وإنما يتجنب البخل كما يتجنب الخوف ، وذلك أن الشح خوف الفقر : والشجاع لا يفرق، كما قال الجاحظ : البخل والجبن غريزتان يجمعهما سوء الظن بالله . وهذا كما يقول أبو تمام :

وإذا نظرتَ أبا يزيد في وغًى ونَدًى ومُبدِيَ غارةٍ ومُعيدا

بِضَرْبِ هَامِ الْكُمَاةِ تَمَّ لَهُ ... كَسْبُ الَّذِي يَكْسِبُونَ بِالْمَلَقِ (١)
الشَّمْسُ قَدْ حَلَّتِ السَّماءَ وَمَا ... يَحْجُبُهَا بُعْدُهَا عَنِ الْحَدَقِ (٢)
كُنْ لُجَّةً أَيُّهَا السَّمَاحُ فَقَدْ ... آمَنَهُ سَيْفُهُ مِنَ الْغَرَقِ (٣)

* * *

يَقْرِى مُرَجِّيــه مُشاشَةَ ماله ... وشَبا الأسِنَّةِ ثُغْرَةً وَوَرِيدا (١)
أيقنتَ أن من السماح شجاعةً ... تُدْمِي وأن من الشجاعة جودا

ويقول الآخر :

إلى جوادٍ يعدُّ البخلَ مِنْ جُبُنٍ ... وباســل بُخله يعتده جُبنا
يَلقَى العفاةَ بما يَرْجونَ من أمَلٍ ... قبل السؤال ولا يبغى به ثمنا

(١) الهام : الرءوس ؛ والكماة : جمع كمى ، الشجاع المستتر فى سلاحه . يقول : إن كل أحد يحبه لشجاعته كما يحب من يتملق الناس ويلين لهم ويتودد إليهم فتم له بضرب الهام ما يكسبه المتملق ، كما قال :

ومِن شَرَفِ الإقدام أنكَ فيهم ... على القتلِ مَوْموقٌ كأنك شاكِدُ (٢)

(٢) يقول : إنه لم يكن قبل ذلك مستتر الجود ولا محجبا عن القصاد كالشمس مع بعدها يراها كل راء .

(٣) يقول : كن أيها الجود بحراً ذا لجة مهلكا ، فهو لا يخاف الفقر ولا يقدر على إغراقه بالفقر ، لأن سيفه قد آمنه من ذلك لأنه كلما أعطى سؤاله وقصاده مالا أخذ له سيفه أضعاف ذلك ؛ وهذا كقوله :

فالسِلمُ يَكْسِرِ مِن جناحَىْ مالِهِ ... بنواله ما تَجْبُرُ الهيجـــاء

وقيل المعنى : كن أيها الجود بحرا إن شئت فإنه لا يخاف أن يغرق لأن سيفه أعطاه الأمان من كل تهلكة ، يريد أنه مع سماحته شجاع حتى لو صار الجود تهلكة ما خافه .

---

(١) يقرى : يضيف ؛ والمشاشة : رأس العظم الذى يمكن مضغه ، والثغرة ـ بالضم ـ نقرة النحر .

(٢) شكده : أعطاه أو منحه .

قافية الكاف

وقال وقد أجمل سيف الدولة ذكره :

رُبَّ نَجِيعٍ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ انْسَفَكَا   وَرُبَّ قَافِيَةٍ غَاظَتْ بِهِ مَلِكَا[1]

مَنْ يَعْرِفُ الشَّمْسَ لَا يُنْكِرْ مَطَالِعَهَا   أَوْ يُبْصِرِ الْخَيْلَ لَا يَسْتَكْرِمِ الرَّمَكَا[2]

تَسُرُّ بِالْمَالِ بَعْضَ الْمَالِ تَمْلِكُهُ   إِنَّ الْبِلَادَ وَإِنَّ الْعَالَمِينَ لَكَا[3]

ولما أنشد أجاب دمعى[4] الخ استحسنها فقال :

إِنَّ هٰذَا الشِّعْرَ فِي الشِّعْرِ مَلَكْ   سَارَ فَهْوَ الشَّمْسُ وَالدُّنْيَا فَلَكْ[5]

---

(١) النجيع : الدم ؛ والقافية : القصيدة . يقول : رب دم انسفك ـ انصب ـ بسيف الدولة ؛ أى بسببه لأنه سفكه هو أو أمر بسفكه : ورب قصيدة مدح بها فغاظت تلك القصيدة ملكا وحسده عليها لحسنها .

(٢) الرمك : جمع رمكة ، البرذونة تتخذ للنسل دون الركوب . يقول : من عرفك لم يجحد فضلك كالشمس لا يدفع ارتفاعها من عرفها ، ومن رآك لم يستعظم غيرك ، كمن أبصر عتاق الخيل لم يستكرم الرمك منها ، ويروى بدل يستكرم : يستفره ، هما بمعنى .

(٣) يقول : إن الناس كلهم لك فإذا وهبت أحداً شيئاً فقد سررت بمالك مالك ، لأن الكل لك . ولعله ينظر فى هذا إلى قول عدى بن زيد :

ولك المال والبلاد وما   يُملكُ من ثابتٍ ومُستاقِ

(٤) أراد القصيدة التى مطلعها :

أجاب دمْعى وما الدّاعى سِوى طَلَلٍ   دعاه فلباهُ قبلَ الرَّكبِ والإبلِ

(٥) يقول : إن شعره بين الشعر كالملك بين الناس يفضل سائر الأشعار كما تفضل الملائكة الخلق ، وهو سائر فى الدنيا سير الشمس فى السماء . هذا : والملك ـ بالتحريك ـ واحد وجمع . قال الكسائى : أصله مألك ـ بتقديم الهمزة ـ من الألوكة ، وهى

عَدَلَ الرَّحْمنُ فِيــــهِ بَيْنَنَا ... فَقَضَى بِاللَّفْظِ لِى وَالْحَمْدِ لَكْ(١)

فَإِذَا مَرَّ بِأُذْنَى حَاسِــدٍ ... صَارَ مِمَّنْ كَانَ حَيًّا فَهَلَكْ(٢)

* * *

الرسالة . ثم قلبت ، وقدمت اللام ، فقيل ملأك . وأنشد أبو عبيدة لرجل من عبد القيس جاهلى يمدح بعض الملوك ، قيل هو النعمان ؛ وقال ابن السيرافى : هو لأبى وجزة يمدح به عبد الله بن الزبير :

فلستَ لإنسيٍّ ولـكن لِمَلأَكٍ ... تنزّلَ مِنْ جوِّ السماء يَصوبُ

ثم تركت همزته لـكثرة الاستعمال فقيل ملك ، فلما جمعوه ردوها إليه ، فقالوا : ملائـكة وملائك أيضاً ، قال أمية بن أبى الصلت :

وكأنَّ بِرقعَ والملائكَ حَولهـــا ... سَدِرٌ تواكلَه القوائمُ أجْرب(١)

قال ابن برى : صوابه أجرد ـ بالدال ـ لأن القصيدة دالية ، وقبله :

فأتمّ ستًّا فاستوتْ أطباقهــا ... وأتى بسابعة فأنى تورَد

وفيها يقول فى صفة الهلال :

لا نقصَ فيه غير أن خَبِيئَهُ ... قمرٌ وساهورٌ يُسَلُّ وَيُغمَدُ(٢)

(١) يقول : عدل الله فيه بينى وبينك فقضى لى بالإحسان فى نظمه وقضى لك بما يختلج فيه من الحمد والثناء عليك ، فحكم لى بلفظه وحسنه ولك بالحمد دائما ، وفيه نظر إلى قول ابن الرومى :

خُذْ مِنْ فَوائِدكَ التى أعْطَيْتَنِى ... فالدُّرُّ دُرُّكَ والنِّظَامُ نِظَامِى

(٢) يقول : إذا سمع شعرى حاسد لى من الشعراء أو حاسد لك من الملوك مات من الحسد ، لأن لفظه يعجز الشعراء عن الإتيان بمثله . ومافيه من المحامد لم يمدح به أحد من الملوك .

---

(١) برقع : اسم من أسماء السماء قيل هى السابعة ، وسدر : أى بحر . شبه السماء بالبحر ، أراد لملاسته لا لجريه . وقوله تواكله القوائم : أى تواكلته الرياح فلم يتموج

(٢) الساهور كالغلاف للقمر يدخل فيه إذا كسف فيما تزعمه العرب .

وقال لابن عبد الوهاب وقد جلس ابنه إلى جانب المصباح :

أَمَا تَرَى مَا أَرَاهُ أَيُّهَا المَلِكُ ... كَأَنَّنَا فِي سَمَاءٍ مَالَهَا حُبُكُ(١)
أَلْفَرْقَدُ ابْنُكَ وَالْمِصْبَاحُ صَاحِبُهُ ... وَأَنْتَ بَدْرُ الدُّجَى وَالْمَجْلِسُ الْفَلَكُ(٢)

* * *

وقال يمدح عبيد الله بن يحيى البحترى :

بَكَيْتُ يَا رَبْعُ حَتَّى كِدْتُ أُبْكِيكَا ... وَجُدْتُ بِي وَبِدَمْعِى فِي مَغَانِيكَا(٣)
فَعِمْ صَبَاحاً لَقَدْ هَيَّجْتَ لِي شَجَناً ... وَارْدُدْ تَحِيَّتَنَا إِنَّا مُحَيُّوكَا(٤)

---

(١) الحبك : طرائق النجوم فى السماء . جعل مجلسه فى علو قدره كالسماء . غير أنه ليست له طرائق كما للسماء .

(٢) الفرقد : نجم معروف ، وهما فراقدان . جعل ابنه — وهو قريب من المصباح — كالفرقد ، وأراد بالصاحب : الفرقدالآخر ، وفى هذا نظر إلى قول على بن الجهم :

كأنه وَوُلاَةُ الأمر تَتْبَعُهُ ... بدر السماء تليه الأنجمُ الزهرُ

وقال ابن وكيع : هذا التشبيه من قول أبى نواس :

قَضَى أيلولُ وارتفع الحرور ... وأذكت نارها الشِّعْرَى العَبور
فقُوماً فانكِحاَ خمرا بماء ... فإن نتاجَ بَيْنِهِماَ السرور
نتاجٌ لا تدرُّ عليه أم ... بِحَمْلٍ لا تعدّ له الشهور
إذا الكاسات كرتها علينا ... تكوَّن بينها فلك يدور
تسير نجومه عَجلا وَرَيْثاً ... مُشَرِّقَةً وأحيانا تغور
إذا لم يُجْزِهِنَّ القطب مِتْنا ... وفى دوراتهن لها نشور

(٣) المغانى : جمع مغنى ، وهو المنزل الذى كان به أهله . يقول : بكيت عليك يا ربع حتى لو كنت ممن يعقل لرثيت لحالى وبكيت لبكائى ، فقد أتلفت نفسى وأفنيت دمى فى مغانيك أسفا عليك وتذكرا لأهلك . فقوله وجدت بى : أى بنفسى ؛ أى بكيت حتى أتلفتها .

(٤) عم صباحا : بمعنى أنعم ، يخاطب الربع على عادة العرب فى مخاطبة الربوع

بأيِّ حُكْمِ زمانٍ صِرتَ متّخِذاً ... رِئْمَ الفلا بدلاً من رِئْمِ أهليكا(١)
أيّامَ فيكَ شُموسٌ ما انْبعثن لنا ... إلاّ ابتعثن دماً باللحظِ مسفوكا(٢)
والعيشُ أخضرُ والأطلالُ مُشرِقةٌ ... كأنّ نورَ عُبيدِ اللهِ يعلوكا(٣)
نجا امرؤٌ يا ابنَ يحيى كنتَ بُغيتَهُ ... وخابَ ركْبُ رِكابٍ لم يؤمّوكا(٤)

والأطلال بعد ارتحال الأحبة عنها يتسلون بذلك . يقول للربع — على سبيل الدعاء : أنعم صباحا ، لقد حركت لى وجدا حين نظرت إليك تذكرا لما سلف لى فيك من وصل الأحبة ، ونحن مسلمون عليك فاردد علينا . وهذا مما يدل على وله العاشق لفقد الأحبة .

(١) الرئم : الظبى الخالص البياض ، والفلا ، جمع فلاة ، الصحراء ، يقول : أى حكم من أحكام الزمان جرى عليك حتى أقفرت فأوت إليك ظباء الصحارى بدلا من ظباء الإنس اللاتى رحلن عنك ؟ ومثله لأبى تمام

وظِباءُ أنسك لم تبدَّلْ بعدها ... بظباءِ وحشِكَ ظاعناً بمقيمِ

(٢) أراد بالشموس : الحسان ؛ وانبعثن : ذهبن وجئن وتحركن ؛ وابتعثن : أسلن . يقول : إنى لأذكر أيام فيك شموس ما ظهرن لنا إلا أبكيننا دماء مصبوبا بنظرنا إليهن : أى أجرين بألحاظهن دماء عشاقهن ؛ قال أبو نواس :

يا ناظراً ما أقلعتْ لحظاتهُ ... إلا تشحّطَ بينهنّ قتيلُ

وقال أشجع السلمى :

فإذا نظرتَ إلى محاسنها ... فلكل موضع نظرةٍ قتلُ

وقد أخذ هذا المعنى بعضهم فقال :

وجفون لك لا تطــرف إلا عن قتيــل

ما جميل الصبر عنها ... عند مثلى بجميـل

(٣) خضرة العيش : كناية عن الخصب والرغد ؛ والأطلال : رسوم الديار . يقول : كان العيش رغداً طيباً وأطلالك — أى التى هى أطلال اليوم — كانت مشرقة قبل تفرق الأحبة وارتحالهم عنك . وفى البيت من البديع حسن التخلص :

(٤) الركب : جمع راكب ؛ والركاب : الإبل ؛ ولم يؤموك : لم يقصدوك : يقول : تخلص من مكاره الزمان من كنت طلبته : أى من قصدك بانتجاعه وخاب من لم يقصدك

أَحْيَيْتَ لِلشُّعَرَاءِ الشِّعْرَ فَامْتَدَحُوا ... جَمِيعَ مَنْ مَدَحُوهُ بِالَّذِي فِيكَا(١)
وَعَلَّمُوا النَّاسَ مِنْكَ المَجْدَ وَاقْتَدَرُوا ... عَلَى دَقِيقِ المَعَانِي مِنْ مَعَانِيكَا(٢)
فَكُنْ كَمَا أَنْتَ يَا مَنْ لَا شَبِيهَ لَهُ ... أَوْ كَيْفَ شِئْتَ فَمَا خَلْقٌ يُدَانِيكَا(٣)
شُكْرُ الْعُفَاةِ لِمَا أَوْلَيْتَ أَوْجَدَنِي ... إِلَى نَدَاكَ طَرِيقَ الْعُرْفِ مَسْلُوكَا(٤)

ويروى بدل ركب ركاب: ركب رجاء؛ أى قوم ركبوا وفى قلوبهم الرجاء ثم لم يقصدوك

(١) يقول : إنك أحييت للشعراء الشعر بما أريتهم من دقائق الكرم والمجد ، وعلمتهم من غوامض المعانى حتى استغنوا عن إخراجها بالفكر ، فسهل عليهم الشعر حتى كأنه صار حياً بعد أن كان ميتاً ، فامتدحوا ممدوحيهم بما فيك من خصال المجد ومعانى الشرف وهى لك ، غير أنهم ينحلونها ممدوحيهم ، وفى هذا نظر إلى قول ابن الرومى :

مدحَ الأولونَ قوماً بأخلا ... قِكَ من قبلِ أن ترى مخلوقا
نحلوهم ذخائراً لكَ بالبا ... طلِ مِنْ قولهم وكان زهوقاً
فانتزعنا الحقوقَ من غاصبيها ... فحبا صادقٌ بها مصدوقاً

وفى البيت التالى زيادة بيان لمقصوده .

(٢) مثله لأبى العتاهية :

شِيَمٌ فتحتَ من المديح ماقد ... كان مُستغلقاً على المدّاح

ولابن أبى فنن :

يُعلِّمُنا الفتحُ المديحَ بجوده ... ويُحْسِن حتى يُحسِنَ القولَ قائله

وقال أبو تمام :

ولولا خِلالٌ سنها الشعرُ ما درَى ... بُناة العلى مِنْ أينَ تؤتى المكارم

وقال أيضاً :

تغْرَى العيون به ويُفلقُ شاعر ... فى وصفه عفواً وليسَ بمفلقِ

(٣) يقول : كن على الحالة التى أنت عليها أو كما شئت فليس أحد يقاربك فى أوصافك وأخلاقك ، وإنما قال : كما شئت : لأنه لا يكون إلا على طريقة من الكرم والمجد بديعة فى جميع أحواله .

(٤) العفاة : جمع عاف ، وهو طالب المعروف ؛ وأوليت : أعطيت . وأوجدنى :

وَعُظْمُ قَدْرِكَ فى الآفاقِ أَوْهَمَنِى ... أَنِّى بِقِلَّةِ ما أَثْنَيْتُ أَهْجُوكا(١)
كَفَى بِأَنَّكَ مِنْ قَحْطَانَ فى شَرَفٍ ، ... وَإِنْ فَخَرْتَ فَكُلٌّ مِنْ مَوالِيكا(٢)
وَلَوْ نَقَصْتُ كَما قَدْ زِدْتَ مِنْ كَرَمٍ ... عَلَى الْوَرَى لَرَأَوْنِى مِثْلَ شَانِيكا(٣)
لَبَّىْ نَدَاكَ لَقَدْ نادَى فَأَسْمَعَنِى ... يَفْدِيكَ مِنْ رَجُلٍ صَحْبِى وَأَفْدِيكا(٤)

جعلنى أجد . يقول : إن شكر السائلين لعطائك دلنى عليك ، فوجدت طريق العرف مسلوكا إليك فسلكته إلى جودك .

(١) الآفاق : النواحى . يقول : إن ثنائى يقل ويحقر فى جنب قدرك حتى لتخيلت الثناء هجاء إذ لم يكن على قدر استحقاقك ، قال البحترى :

جَلَّ عن مذهبِ المديح فقد كا ... د يكون المَديحُ فيه هِجاء

(٢) بأنك : الباء فيها زائدة ، وأن وخبرها : فى موضع رفع فاعل كفى ؛ وفى شرف : خبر أن ؛ ومن قحطان : حال مقدمة عن الضمير المستتر فى الخبر ؛ والشرط وما يليه : معطوف على خبر أنك ؛ والموالى : العبيد . يقول كفاك أنك من هذه القبيلة — قحطان — فى موضع شريف أو نسب شريف فإن فخرت بهذا الشرف فكل بنى قحطان عبيدك .

(٣) الشانى : المبغض ، وأصله الشانىء — بالهمز — فلينه للقافية ، يقول لو نقصت أنا عن الناس كما زدت أنت عليهم لرأونى فى الذلة والقلة مثل عدوك الذى يبغضك ، وهذا من قول أبى عيينة :

لو كما تنقص تزدا ... د إذنْ نِلْتَ السماء

ثم نقله أبو تمام فقال :

أما لوَ انَّ جهلك كان عِلماً ... إذن لنَفذتَ فى عِلم الغيوب

(٤) لبى : تثنية لب — مثل لبيك ، واللب : اسم من الإلباب ، وهو الملازمة يقال ألب بالمكان : إذا أقام به ؛ وإنما ثنوا اللب لأنهم أرادوا إلباباً بعد إلباب : أى إجابة بعد إجابة ؛ وهو يلزم الاضافة إلى ضمير المخاطب كقولهم لبيك ، ولم تسمع إضافته إلى غيره إلا شذوذاً كما فى هذا البيت ،وقوله من رجل: فـ«من» زائدة ؛والمجرور فى موضع نصب على التمييز . يقول : دعانى جودك فأسمعنى فأنا أجيبه فأقول لبى نداك ، أو تقول : دعانى جودك بما ذاع ،ن ثناء الناس عليه ، وها أنا ذا مجيب لما يريد بى من الإحسان

مَا زِلْتَ تَتْبَعُ مَا تُولِي يَدًا بِيَدٍ حَتَّى ظَنَنْتُ حَيَاتِي مِنْ أَيَادِيكَا(١)
فَإِنْ تَقُلْ هَا فَعَادَاتٌ عُرِفْتَ بِهَا أَوْلَا فَإِنَّكَ لَا يَسْخُو بِهَا فُوكَا(٢)

***

إلى وصوغ المديح له . ثم دعا للممدوح فقال : يفديك من رجل صحبى وأنا أفديك من بين الرجال .

(١) تولى : تعطى ؛ ويدا : بدل بعض من الموصول قبله : واليد : النعمة . يقول : لم تزل تتبع نعمة بنعمة حتى كثرت أياديك عندى فظننت أن حياتى كذلك من جملة عطاياك ، وهذا ينظر إلى قول الآخر :

لا تنتفِى بعدَ أنْ رِشــتنى فإننى بعض أيادِيكا(١)

(٢) ها — هنا — بمعنى خذ . يقول : فإن قلت لى : خذ فتلك عادة معروفة لك وإن لم تقل خذ ، فإنك لاتقول لا — أى لا أعطيك أولا أقضى حاجتك — فإن فاك — فمك — لايجود بهذه الكلمة ، ولسانك لايؤتيك عليها ، لأنك لم تتعود ذلك ؛ وفى مثل هذا يقول الفرزدق :

ما قالَ «لا» قطُّ إلا فى تشهدِهِ لولا التشهُّدُ كانت لاءَهُ نعمُ

ويقول أبو العتاهية :

وإن الخليفةَ من بُغْضِ لا إليهِ لَيُبْغِضُ مَنْ قالَهــا

ويقول العكوك فى أبى دلف :

ماخط لا كاتباهُ فى صحيفته كما تخطط لا فى سائر الكتب

وحكى الواحدى قال أهدى العميرى إلى الصاحب كتبا وكتب معها :

العميرى عبد كافى الكفاة ، وإن اعتدَّ من وجوه القضاة
خدمَ المجلسَ الرفيعَ بكُتْبٍ مُتْرَعاتٍ من حسنها مُفْعَمات

(١) يقال راشه يريشه إذا أحسن إليه ، وكل من أوليته خيرا فقد رشته ، ونتف الريش نزعه ، والمراد هنا : سلبه ما أعطاه إياه .

وورد كتاب من ابن رائق على بدر بن عمار بإضافة الساحل إلى عمله فقال :

تُهَنَّا بِصُورٍ أمْ نُهَنِّئُهَا بِكَا ... وَقَلَّ الَّذِى صُورٌ وَأَنْتَ لَهُ لَكَا(١)

وَمَا صَغُرَ الْأُرْدُنُّ وَالسَّاحِلُ الَّذِى ... حُبِيتَ بِهِ إِلاَّ إِلَى جَنْبِ قَدْرِكَا(٢)

تَحَاسَدَتِ الْبُلْدَانُ حَتَّى لَوَ انَّهَا ... نُفُوسٌ لَسَارَ الشَّرْقُ وَالْغَرْبُ نَحْوَكَا(٣)

فكتب إليه الصاحب

قد أخذنا من الجميع كتاباً ... وَرَدَدْنا لوقتها الباقيات

لستُ أستغنم الكثير فطبعى ... قول خُذ ليس مذهبي قول هات

(١) صور : بلد معروف بساحل البحر الأبيض من بلاد الشام وتهنا بصور : أى أتهنأ بصور ؛ فحذف همزة الاستفهام لمادلت عليه أم ولين همزة تهنأ للوزن . يقول : أتهنأ بولاية صور أم نهنئ صورا بك ؟ ثم قال : وقل لك الذى صور له وأنت له :أى أنت أحد أصحابه » يعنى ابن رائق ، يريد : لو كنت أنت ابن رائق ـ أى لو كنت تملك مايملكه ـ لعد ذلك قليلا بالنسبة إلى ماتستحقه ، فصور ـ فى الشطر الثانى ـ مبتدأ ؛ وأنت : عطف عليها ؛ وله خبر ؛ ولكا : متعلق بقل ؛ وفى مثل هذا . يقول إسحاق بن إبراهيم الموصلى :

أَهنِّيكَ بطوسٍ ... أمْ نُهَنِّى بكَ طوسا

أصبحَت بعد طلاقٍ ... بِك يا فضل عروسا

ويقول أشجع السلمى :

إن خراسان وقد أصبحتْ ... تَرْفع مِنْ ذِى الهِمَّةِ الشانا

لم يَحْبُ هارون بها جَعْفراً ... لكنه حابَى خراسانا

[هرون : هو الرشيد ؛ وجعفر : هو جعفر البرمكى]

(٢) الأردن : معروف ؛ وحبيت به : أعطيته : يقول : إن هذه الولاية إنما تصغر بالنسبة إليك وإلى عظيم قدرك ، وإلافهى عظيمة الشأن فى نفسها .

(٣) يقول : إن البلدان تحسد بعضها بعضا على ولايتك ، فلو أن لها نفوساً تعقل

وَأَصْبَحَ مِصْرٌ لا تَكُونُ أَمِيرَهُ ... وَلَوْ أَنَّهُ ذُو مُقْلَةٍ وَفَمٍ بَكَى[(١)]

* * *

وسقاه بدر ولم يكن له رغبة فى الشراب فقال :

لَمْ تَرَ مَــنْ نَادَمْتُ إِلاَّ كَا ... لا لِسِوَى وُدِّكَ لِى ذَا كَا[(٢)]

وَلاَ لُحِبِّيهَـــا وَلٰـكِنَّــنِى ... أَمْسَيْتُ أَرْجُوكَ وَأَخْشَا كَا[(٣)]

* * *

لسعى إليك الشرق والغرب تهالكا عليك وتلمساً للافتخار بك ؛ ومثل هذا المعنى كثير فى كلامهم ، قال أبو تمام :

لوْ سَعَتْ بلدةٌ لإعظام نُعمى ... لسعَى نحوَها المكانُ الجديبُ

وقال البحترى :

ولوَ أن مُشتاقاً تكلفَ فوق ما ... فى وسْعهِ لسعَى إليكَ المِنبَرُ

(١) مصر : أحد الأمصار ، أى المدائن الكبيرة .وأصبح ـ ههنا ـ تامة . والواو ـ من قوله ولو أنه ـ واو الحال ؛ وبكى : جواب لو ؛ أى لو كان للمصر الذى حرم إمارتك عين تدمع وفم يبين عن شكواه لبكى أسفا على أن لم تكن أميرا عليه .

(٢) يقول : لم تر أحداً غيرك نادمته ، وليس ذلك لشىء سوى ودك لى ؛ أى إنما أنادمك لأنك تودنى لا لمعنى آخر . فمن ـ ههنا ـ نكرة بمعنى أحد ؛ وإلاك : فيه قبح؛ والوجه : إلا إياك ، لأن «إلا» ليس لها قوة الفعل ، ولا هى أيضاً عاملة ، وهو جائز فى ضرورة الشعر ، كقول القائل :

فما نُبَالى إذا ما كنتِ جارتَنا ... أن لا يجاورَنا إلاكِ ديَّارُ[(١)]

(٣) لحبيها : أى لحبى إياها ـ يعنى الخمر ـ كنى عنها وإن لم يجر لها ذكر : يقول : لست أنا دمك لأنى أحب الخمر ، ولكن لأنك مرجو لأوليائك مهيب يهابك ويخشاك أعداؤك ؛ ومن كان كذا ، تجب طاعته .

---

(١) ديار : أحد ، يقال ما بالدار ديار : أى مابها أحد ، وهو فيعال : من دار يدور يقول : إذا كنت جارتنا فلا نكترث لعدم مجاورة غيرك لنا .

وقد كان تاب بدر بن عمار من الشرب مرة بعد أخرى ، فرآه أبو الطيب يشرب فقال ارتجالا :

يَا أَيُّهَا المَلِكُ الَّذِى نُدَمَاؤُهُ شُرَكَاؤُهُ فى مِلْكِهِ لا مُلْكِهِ (١)
فى كُلِّ يَوْمٍ بَيْنَنَا دَمُ كَرْمَةٍ لَكَ تَوْبَةٌ مِنْ تَوْبَةٍ مِنْ سَفْكِهِ (٢)
وَالصِّدْقُ مِنْ شِيَمِ الكِرَامِ فَنَبِّنَا
أَمِنَ الشَّرَابِ تَتُوبُ أَمْ مِنْ تَرْكِهِ (٣)

* * *

وقال فى محمد بن طغج وهو عند طاهر العلوى :

قَدْ بَلَغْتَ الَّذِى أَرَدْتَ مِنَ البِرِّ وَمِنْ حَقِّ ذَا الشَّرِيفِ عَلَيْكَا (٤)
وَإِذَا لَمْ تَسِرْ إِلَى الدَّارِ فى وَقْتِكَ ذَا خِفْتُ أَنْ تَسِيرَ إِلَيْكَا (٥)

* * *

وقال فى أبى العشائر وعنده إنسان ينشده شعراً وصف فيه بركة فى داره فقال :

لَئِنْ كَانَ أَحْسَنَ فى وَصْفِهَا لَقَدْ تَرَكَ الحُسْنَ فى الوَصْفِ لَكْ (٦)

---

(١) يقول : أنت ملك وندماؤك شركاؤك فى مالك ، لا فى ملكك ، وفيه نظر إلى قول ابن الرومى :

وَمَنْ كثرت فى ماله شركاؤه غدا فى مَعاليه قليلَ المشارِكِ

(٢) جعل الخمر دم الكرم ، وجعل شربها سفكا لذلك الدم . يقول : كل يوم تتوب من شرب الخمر ثم تتوب من تلك التوبة ، والتوبة من التوبة ترك التوبة .

(٣) يقول الصدق ديدن الكرام الأشراف فخبرنا عن أيهما تتوب ؟ قيل لما قال هذا ، قال له بدر بل من تركه ، وقوله : فنبنا ، هى فنبئنا ، فترك الهمز .

(٤) و (٥) يقول — وكان عنده فى مجلس الشراب ليلا وأطال — : قد بلغت بنا ما أردت من الإكرام وقضيت حق هذا الشريف فقم إلى منزلك وإذا لم تقم خفت أن تجىء إليك الدار اشتياقا إليك ومحبة لك .

(٦) يقول : إن كان قد أحسن فى وصف البركة فقد ترك الحسن فى وصفه إياك إذ لم يصفك ولم يمدحك .

لِأَنَّكَ بَحْرٌ وَإِنَّ الْبِحَارَ ... لَتَأْنَفُ مِنْ مَدْحِ هَذِي الْبِرَكْ(١)

كَأَنَّكَ سَيْفُكَ لا مَا مَلَكْتَ ... يَبْقَى لَدَيْكَ وَلَا مَا مَلَكْ(٢)

فَأَكْثَرُ مِنْ جَرْيِهَا مَا وَهَبْتَ

وَأَكْثَرُ مِنْ مَائِهَا مَا سَفَكْ(٣)

أَسَأْتَ وَأَحْسَنْتَ عَنْ قُدْرَةٍ ... وَدُرْتَ عَلَى النَّاسِ دَوْرَ الْفَلَكْ(٤)

* * *

وقال يمدح أبا شجاع عضد الدولة ويودعه ، وهو آخر ما قال ، وجرى فيها كلام كأنه يفعى نفسه وإن لم يقصد ذلك ، وأنشدها فى شعبان سنة أربع وخمسين وثلثمائة وفيها قتل :

فِدًا لَكَ مَنْ يُقَصِّرُ عَنْ مَدَاكَا ... فَلَا مَلِكٌ إِذَنْ إِلَّا فَدَاكَا(٥)

---

(١) يقول : كان وصفه لك أولى من وصف البركة لأنك بحر والبحار تأنف من البرك لاستصغارها إياها ؛ قال الواحدى : والذى سمعته فى معنى البيتين أن ذلك الشاعر كان قد شبه البركة بأبى المشائر ؛ فقال أبو الطيب إنه قد ترك الحسن فى وصفك حيث شبهها بك ، وأنت بحر والبحر فوق البركة بكثير .

(٢) يقول : أنت كسيفك لأنك تفنى ما تملكه فلا يبقى لديك ، وكذلك سيفك يفنى مايظفر به فلا يدع أحدا حيا ؛ وجعل السيف مالكا ـ حيث قال ولا ما ملك ـ مجازاً ، ويقال ملكتهم السيوف : إذا لم يمتنعوا منها .

(٣) من جريها : أى من جرى ماء البركة . يقول : إن ماجرى من هباتك وعطاياك أكثر مما جرى من ماء البركة ، وما سفك سيفك من الدماء أكثر من مائها .

(٤) يقول : أسأت إلى أعدائك وأحسنت إلى أوليائك عن قدرة وعممت الناس بالخير والشر عموم الفلك إياهم بالسعد والنحس .

(٥) يقول : يفديك كل من لم يبلغ غايتك ؛ وإذن يفديك جميع الملوك ، لأنه لم يبلغ ملك غايتك وكلهم دونك . وقد أخذ هذا المعنى أبو إسحاق الصابى فقال :

أيهذا الوزير لا زال يفديـ ... ـك من الناس كلُّ مَنْ هو دونكْ

وإذا كان ذاك أوجبَ قولى ... أنْ يكونوا بأسرِهمْ يفدونكْ

هذا : ويقال فداه يفديه فداء وفدى وفاداه يفاديه مفاداة : إذا أعطى فداءه وأنقذه ؛ وفداه بنفسه وفداه : إذا قال له جعلت فداك . قال صاحب الصحاح : الفداء إذا كسر

وَلَوْ قُلْنَا فِدًى لكَ مَنْ يُسَاوِى ... دَعَوْنَا بِالْبَقَاءِ لِمَنْ قَلاَ كَا(١)
وَآمَنَّا فِـــدَاءَكَ كُلَّ نَفْسٍ ... وإِنْ كَانَتْ لِمَمْلَـكَةٍ مِلاَ كَا(٢)

أو له يمد ويقصر ، وإذا فتح فهو مقصور ، يقال قم فدى لك أبى ، ومن العرب من يكسر فداء ــ بالتنوين ــ إذا جاور لام الجر خاصة ، فيقول فداء لك ، لأنه نكرة . يريدون به معنى الدعاء وأنشد الأصمعى للنابغة :

مَهلاً فِدَاء لكَ الأقوامُ كلهمُ ... وما أُثَمِّرُ مِنْ مالٍ ومِن ولَدِ

وقال الفراء : العرب تقصر الفداء وتمده يقال هذا فداؤك وفداك ، وربما فتحوا الفاء إذا قصروا ، فقالو فداك . وقال فى موضع آخر : من العرب من يقول فدى لك فيفتح الفاء ، وأكثر الكلام كسر أولها ، ومدها . وقال النابغة ــ وعنى بالرب : ــ النعمان بن المنذر ــ

* فَدًى لكَ مِنْ رَبٍّ طَرِيفى وتالدى *

(١) قلاك : أبغضك ، يقال قلاه يقليه قلى وقلاء إن فتحت القاف مددت ومقلية : أى أبغضه وكرهه غاية الكراهة فتركه . وحكى سيبويه قلاه يقلاه وهو نادر ؛ وفى الحديث : «وجدت الناس أخبر تقلة(١)» وتقلى الشىء تبغض قال كثير :

أَسِيئى بنا أو أَحْسِنِى لا مَلُومَةٌ ... لدينا ولا مَقْلِيةٌ إِنْ تَقَلَّتِ(٢)

يقول المتنبى : ولوقلنا يفديك من يساويك لكان ذلك دعاء منا لأعدائك بالبقاء ، لأنهم كلهم دونك ولايساوونك ؛ وقال ابن جنى : المراد أن الخلق كلهم فداء الممدوح لأنهم يقصرون عن مداه فإذا قلنا فداك من يساويك منهم دون غيرهم لكان هذا دعاء لمن يبغضك من الملوك بالبقاء لأنهم لا يساوونك فى الملك ، بل يقصرون عنك .

(٢) وآمنا : عطف على قوله دعونا . وملاك الشىء : قوامه . يقول : ونأمن أن تكون كل نفس فداءك ولو كانت نفس ملك كبير الشأن تقوم مملكته به ويضمن لها البقاء يبقائه : إذا كان يفديك من يساويك لأنهم جميعاً يقصرون عنك ؛ وعبارة العكبرى : المعنى : قد أمنت أن تفديك نفوس الخلائق أجمعين ؛ وملوكهم المترفين ، وإن كان من

---

(١) يقول جرب الناس ؛ فإنك إذا جربتهم قليتهم وتركتهم لما يظهر لك من بواطن سرائرهم . لفظه لفظ الأمر ، ومعناه الخبر : أى من جربهم وخبرهم أبغضهم وتركهم ، ومعنى نظم الحديث : وجدت الناس مقولا فيهم هذا القول .

(٢) خاطب ثم غايب .

وَمَنْ يَظُنُّ نَثْرَ الْحَبِّ جُوداً ... وَيَنْصِبُ تَحْتَ مَا نَثَرَ الشِّبَاكَا[١]

وَمَنْ بَلَغَ التُّرَابَ بِهِ كَرَاهُ ... وَقَدْ بَلَغَتْ بِهِ الْحَالُ السُّكَاكَا[٢]

فَلَوْ كَانَتْ قُلُوبُهُمُ صَدِيقاً ... لَقَدْ كَانَتْ خَلَائِقُهُمْ عِدَاكَا[٣]

لِأَنَّكَ مُبْغِضٌ حَسَباً نَحِيفاً ... إِذَا أَبْصَرْتَ دُنْيَاهُ ضِنَاكَا[٤]

بين تلك النفوس من هو ملاك مماسكة ، ومن ينفرد بعلو منزلة ، فهم عند إضافتهم إليك كالعوام الذين لا يحصل لهم نفع ، والسوام الذين لا حظ لهم فى الملك . . . فقوله فداءك : مفعول ثان لآمنا مقدم ، وكل نفس : مفعول أول .

(١) ومن يظن : عطف على قوله كل نفس . ويظن : يفتعل ، من الظن . وهذا تعريض بسائر الملوك ، يشير إلى أنهم يجودون طمعاً فى جر المنافع ، كمن نثر حباً تحت شبكة لم يعد ذلك جوداً بالحب ، لأنه إنما نثر لأخذ الصيد الذى هو خير من الحب .

(٢) الكرى : النعاس ؛ والسكاك : الهواء الذى يلاقى عنان السماء . ومن بلغ التراب : يروى ومن بلغ الحضيض . يقول : وآمنا فداءك كذلك من ألصقه عماه وغفلته بالتراب أو بالحضيض — وإن علت رتبته وحاله من ناحية المال والثراء حتى بلغ أعنان السماء ، فحسبهم أنهم دونك .

(٣) الصديق : يقع على المذكر والمؤنث والجمع والتثنية ؛ وعداك : جمع عدو ؛ والخلائق : بمعنى الأخلاق . يقول : إن هؤلاء الملوك إن والتك قلوبهم فقد عادتك أخلاقهم لأنها مضادة لأخلاقك . يريد أن هؤلاء الملوك وإن كانوا يوادونك فإن بينك وبينهم بوناً بعيداً ، إذ لم يبلغوا كرم أخلاقك ولا شرف نفسك ، وقد بين ذلك فى البيت التالى .

(٤) الحسب : ما يحدثه الرجل لنفسه من المفاخر ، والضناك : الموثق الخلق المكتنزة ، يكون ذلك فى الناس والإبل ، الذكر والأنثى فيه سواء ، وامرأة ضناك : ضخمة — من الضنك الذى هو الضيق ، كأن الجلد ضاق بكثرة اللحم . قال العجاج يصف جارية :

فَهِى ضِنَاكٌ كَالْكَثِيبِ الْمُنْهَالْ ... عَزَّزَ مِنْه وَهُو معطى الأسهال

* ضَرْبُ السَّوَارِى مَتْنَه بِالتَّهْتَالْ *[١]

---

(١) الضناك : الضخمة — كالكثيب الذى ينهال عزز منه — أى سدد من الكثيب ضرب السوارى : أى أمطار الليل ، فلزم بعضه بعضاً . شبه خلقها بالكثيب وقد أصابه المطر ، وهو معطى الأسهال : أى يعطيك سهولة ماشئت .

أَرُوحُ وَقَدْ خَتَمْتَ عَلَى فُؤَادِى ... بِحُبِّكَ أَنْ يَحِلَّ بِهِ سِوَاكَا (١)
وَقَدْ حَمَّلْتَنِى شُكْراً طَوِيلاً ... ثَقِيلاً لاَ أُطِيقُ بِهِ حَرَاكَا (٢)
أُحَاذِرُ أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمَطَايَا ... فَلاَ تَمْشِى بِنَا إِلاَّ سِوَاكَا (٣)
لَعَلَّ اللهَ يَجْعَلُهُ رَحِيلاً ... يُعِينُ عَلَى الإِقَامَةِ فِى ذَرَاكَا (٤)

يبين المتنبى الوجه فى معاداة أخلاقهم له ، يقول : إنك تبغض أن ترى أحداً قلت مفاخره ، وهو كثير المال يقدر على كسب المآثر والمحامد ، ولكنه لا يفعل ذلك لشحه وصغر همته ، والنحيف والضناك : استعارة ، ولعل هذا المعنى ينظر إلى قول بعضهم :

سَلِيلُ خِلافَةٍ وغَـذِىُّ ملكٍ ... جَسِيمُ مَحَامِدٍ مَنْهُوكُ مَالِ

(١) يقول : أروح عنك وقد ختمت على قلبى بحبك واستخلصته لنفسك بما ترادف على من برك فلم يدع حبك فيه لغيرك مكاناً ينزل بساحته ؛ وفيه نظر إلى قول ابن المعتز :

لا أشركُ النَّاسَ فى محبَّتِهِ ... قَلبى عَنِ العَالَمِينَ قد خُتِمَا

(٢) وقد حملتنى : عطف على الحال — فى البيت السابق — والحراك بمعنى الحركة . كنى بثقل الشكر عن كثرة النعم التى تقتضيه ، وهذا ينظر إلى قول أبى نواس :

قدْ قُلت للعبـاسِ معتذِراً ... من ضَعْفِ شُكريهِ ومُعْترِفا
لا تُسْدِيَنَّ إلىَّ عارفـةً ... حتى أقومَ بشكرٍ ما سلفا

(٣) الضمير — فى يشق — للشكر ؛ والسواك : بطء السير من عجف أو إعياء ، يقال تتساوك الدواب سواكا : إذا مشت هزلى ضعيفة ، قال الشاعر :

إلى اللهِ أشكو ما جَرى بجيادنا ... تَساوُكُ هَزْلَى مُخُهنَّ قليـلُ

يقول : أحاذر أن يثقل هذا الشكر على دوابى لكثرة ما حملتنى منه — والمراد النعم — فلا تمشى بنا إلا ضعيفة .

(٤) الضمير فى يجعله : للرحيل ، وأراد يجعل هذا الرحيل رحيلا ، فأضمر للأول وفسره بالثانى . والذرا : الكنف والناحية . يقول : أسأل الله أن يجعل هذا الفراق سببا لإقامتى عندك بأن أصلح أمورى وأعود إليك ، أو بأن أحمل أهلى إلى حضرتك فأقيم عندك فارغ البال ؛ وفى هذا نظر إلى قول عروة بن الورد :

تَقولُ سُلَيمى لَوْ أقَمْتَ بِأَرْضِنا ... ولَمْ تَدْرِ أنى لِلْمَقَامِ أُطَوِّفُ

وَلَوْ أَنِّى اسْتَطَعْتُ خَفَضْتُ طَرْفِى ... فَلَمْ أُبْصِرْ بِهِ حَتَّى أَرَاكَا (١)

وَكَيْفَ الصَّبْرُ عَنْكَ وَقَدْ كَفَانِى ... نَدَاكَ الْمُسْتَفِيضُ وَمَا كَفَاكَا (٢)

أَتَتْرُكُنِى وَعَيْنُ الشَّمْسِ نَعْلِى ... فَتَقْطَعَ مِشْيَتِى فِيهَا الشِّرَاكَا (٣)

أَرَى أَسَفِى وَمَا سِرْنَا شَدِيداً ... فَكَيْفَ إِذَا غَدَا السَّيْرُ ابْتِرَاكَا (٤)

وقول أبى تمام :

أَآلِفَةَ النَّحِيبِ كَمِ افتراقٍ ... أظلَّ فكانَ داعيةَ اجتماعِ

وليستْ فرحةُ الأوباتِ إلا ... لِمَوْقُوفٍ على تَرَحِ الوَدَاعِ

(١) يقول : لو قدرت لغمضت عينى ولم أرفع بصرى إلى أحد بالنظر إليه حتى أعود إليك ، قال أبو النجم :

لمَّا تيقَّنْتُ أنِّى لا أعاينُكم ... غَضضتُ طرْفى فلَمْ أُبصِرْ بهِ أحَدَا

وقال صريع الغوانى :

إن يَحْجُبُوها عَنِ العُيونِ فقَدْ ... حَجَبْتُ طَرْفى لهـا عن البَشَرِ

(٢) يقول : كيف أصبر عنك وقد كفانى ماجدت به على ولم يكفك ذلك فتأبى إلا أن تعطينى فوق ما أعطيتنى وأنا غير مستزيد ، فكيف والحال هذه أصبر عنك ولا أسرع العود إليك ؟ وفيه نظر إلى قول البحترى :

فَلَمْ أَمُلَّ إلا مِنْ مَوَدَّتِهِ يَدِى ... ولا قلت إلا مِنْ مواهبِهِ : حسبى

(٣) أتتركنى : أراد أأتركك فقلب ، ومثله كثير ، لأن من تركته فقد تركك ؛ والاستفهام إنكارى : أى لا أتركك ، ونصب « فتقطع » لأنه جواب الاستفهام : والشراك : سير النعل . يقول : إذا كنت بحضرتك كنت من الرفعة بمنزلة من انتعل عين الشمس ، وإذا فارقتك فارقتنى هذه الرفعة ، فكأنى مشيت فى تلك النعل حتى قطع مشيي شراكها . وإليك عبارة ابن جنى : بحصولى عندك وقصدى لك شرفت عند الناس ، فإذا بعدت عنك زال ما كسوتنيه من الشرف والرفعة فصرت بمنزلة من كانت نعله عين الشمس فمشى فيها فانقطع شراكها فسقط من رجله .

(٤) وما سرنا : حال معترضة بين مفعولى أرى ، والابتراك : سرعة السير ؛ وأصله السقوط على الركب . يقول: أرى أسفى لمفارقتك شديدا وأنا لم أسر بعد ، فكيف يكون أسفى إذا جد بنا المسير ؟ وفى هذا المعنى يقول سحيم عبد بنى الحسحاس :

وَهٰذَا الشَّوْقُ قَبْلَ الْبَيْنِ سَيْفٌ ... فَهَا أَنَا مَا ضُرِبْتُ وَقَدْ أَحَاكَا(١)

إِذَا التَّوْدِيعُ أَعْرَضَ قَالَ قَلْبِي ... عَلَيْكَ الصَّمْتَ لَا صَاحَبْتَ فَاكَا(٢)

وَلَوْلَا أَنَّ أَكْثَرَ مَا تَمَنَّى ... مُعَاوَدَةٌ لَقُلْتُ وَلَا مُنَاكَا(٣)

أَشَوْقًا ولمَّا يَمْضِ غـيرُ لُيَيْلَةٍ ... فـكيف إذا جَدَّ المطيُّ بِنا عشرا ؟

وقال أشجع السلمى :

فها أَنْتَ تَبْـكِى وَهُمْ جيرةٌ ... فـكيف تسكونُ إذا ودَّعوا

لقدْ صنعوا بِكَ مالا يَحِـلُّ ... ولوْ راقبوا اللهَ لمْ يَصْنَعوا

أَتطمَعُ فى العَيْشِ بعد الفِراق ... مُحالٌ لعَمْرُكَ ما تطمَع

وقال آخر :

لقد كُنتُ أبكى خيفـةً لفِراقِهِ ... فـكيف إذا بَانَ الحبيبُ فودَّعا

(١) البين : الفراق ؛ والظرف : حال مقدمة من السيف ؛ وحاك وأحاك — لغتان — أثر . والبين : البعد والفراق . يقول : هذا الشوق عمل فى عمل السيف ولم تتفارق وأثر فى تأثيره ولم أضرب به بعد ! أى إذا كان هذا حال الشوق قبل الفراق فكيف يكون بعده ؟

(٢) أعرض الشيء : بدا وظهر ؛ وعليك : اسم فعل بمعنى الزم . يقول : إذا حضر الوداع قال لى قلبي الزم الصمت بعد مفارقته ولا تمدح غيره ، فقوله لا صاحبت فاك : أى لانطقت . وقال بعض الشراح : أى لا تتكلم بالوداع .

(٣) معاودة ؛ خبر أن . والمنى : جمع منية وهو ما يتمناه الإنسان . يقول : لولا أن أكثر ما تمناه قلبي أن أعود إليك لقلت له ولا بلغت أنت أيضا مناك فى الارتحال حتى لا أفارقه ، ولكنه يتمنى الارتحال للعود إلى الممدوح . وعبارة بعض الشراح : قوله ولا مناكا : أراد ولا صاحبت مناك — بضم تاء صاحبت — ضمير الشاعر ، أو بفتحها خطابا للقلب على أحد الوجهين — فى البيت السابق — يقول : ولولا أن أكثر ما تمناه قلبي أن أعود إليك لقلت له ولا صاحبت مناك أيضا : أى لا كانت لك منية تتمناها ، وهو دعاء عليه باليأس ، وذلك لأن قلبه يتمنى الرحيل حينئذ ، فهو من جملة تلك المنى ؛ يعنى أنه كان يدعو عليه بزوال المنى لتزول هذه المنية من بينها فيبقى عند الممدوح .

قَدِ ٱسْتَشْفَيْتَ مِنْ دَاءٍ بِدَاءٍ وَأَقْتَلُ مَا أَعَلَّكَ مَا شَفَا كَا(١)
فَأَسْـــتُرُ مِنْكَ نَجْوَانَا وَأُخْفِي هُمُوماً قَدْ أَطَلْتُ لَهَا الْعِرَا كَا(٢)
إِذَا عَاصَيْتُهَا كَانَتْ شِـــدَاداً وَإِنْ طَاوَعْتُهَا كَانَتْ رِكَا كَا(٣)
وَكَمْ دُونَ الثَّوِيَّةِ مِنْ حَزِينٍ يَقُولُ لَهُ قُدُومِي ذَا بِذَا كَا(٤)

---

(١) استشفيت : طلبت الشفاء . يقول : مخاطبا قلبه ـ : قد طلبت الشفاء من داء الشوق إلى الأهل والوطن بداء الفراق للممدوح ، وما شفاك من داء الشوق هو أقتل مما أعلك : أى أنك تداويت من فراقه بمـا هو أقتل لك من الشوق إلى الأهل . ويروى إذا استشفيت فأقتل : أى إذا استشفيت من داء الشوق إلى الأهل بداء فراق الممدوح ، فالداء الذى يشفيك هو أقتل الداءين ؛ يعنى إذا داويت شوقك بفراقه فقد داويته بما هو أقتل لك من الشوق . قال العـكبرى : وهو من قول الحكيم : إذا كان سقم النفس بالجهل كان شفاؤها بالموت ، وهو منقول أيضا من قول حميد بن ثور :

أرى بَصرِي قد رَابَنِي بعد صحة وحَسْبُكَ داءً أن تَصِحَّ وتَسْلَمَا

وقال بعضهم :

أفضَى بكَ الهجـــر إلى آلبِاَ فجئت من داء إلى داء

(٢) النجوى : الحديث الخفى . يقول : فأسترعنك ياعضد الدولة ما يجرى بينى وبين قلبى من المناجاة ، وأخفى عنك هموم فراقك التى قد أطلت عرا كها ومغالبتها .

(٣) الركاك : الضعاف ، جمع ركيك : أى ضعيف . يقول : إذا عاصيت هـــذه الهموم ـ هموم الشوق إلى الأهل ـ ولم أجبها إلى السفر والرحيل اشتدت على وإذا طاوعتها وأزمعت الرحيل ضعفت وهانت . وقال الواحدى : المعنى : إذا عاصيت هذه الهموم فى فراق الممدوح اشتدت على وإن طاوعتها فى الإقامة عنده سهلت شدتها . ومثل هذا قول أبى العتاهية :

كم أمـــورٍ عاصيتُهنَّ زماناً ثم هوّنتهـــا علىّ فهانت

(٤) الثوية ؛ مكان بالـكوفة . وذا . مبتدأ ؛ خبره : الظرف بعده . يقول : كم دون هذا المـكان من إنسان حزين لفراقى إذا قدمت عليه سر بقدومى فيقول له القدوم هذا السرور بذلك الغم الذى كنت لقيته بالبعد ، كما قال أبو تمـام :

وليْسَتْ فَرْحَةُ الأَوْبَاتِ إلا لموْقوفٍ عَلَى تَرَحِ الوَداعِ

وَمِنْ عَذْبِ الرُّضَابِ إِذَا أَنَخْنَا ... يُقَبِّلُ رَحْلَ تُرْوَكَ وَالْوِرَاكَا[١]
يُحَرِّمُ أَنْ يَمَسَّ الطِّيبَ بَعْدِى ... وَقَدْ عَبِقَ الْعَبِيرُ بِهِ وَصَاكَا[٢]
وَيَمْنَعُ ثَغْرَهُ مِنْ كُلِّ صَبٍّ ... وَيَمْنَحُهُ الْبَشَامَةَ وَالْأَرَاكَا[٣]
يُحَدِّثُ مُقْلَتَيْهِ النَّــوْمُ عَنِّى ... فَلَيْتَ النَّوْمَ حَدَّثَ عَنْ نَدَاكَا[٤]

وقال ابن الرومى يخاطب أمه وقد أراد سفراً :

فقلتُ لها إن اكْتئاباً بشاخِصٍ ... سَيَتْبعُهُ اللهُ ابتهاجاً بِقَــادِمِ

(١) ومن عذب : عطف على من حزن ؛ والرضاب : الريق ؛ وأنخنا : أى أنخنا مطايانا وهو كناية عن النزول . وتروك : إسم ناقة حمله عليها عضد الدولة ؛ والوراك : النمرقة :التى تلبس مقدم الرحل ثم تثنى تحته يزين بها ، والجمع ورك . قال زهير :

مقوَّرَةً تتبارَى لا شَوارَ لهـا ... إلاالقطوعُ على الأجْوَازِ والوُرُكِ[١]

يقول : وكم هناك من شخص عذب الرضاب يشتهى تقبيل فيه إذا وصلنا فأنخنا مطايانا قبل رحل ناقتى ووراكها لأنها أدتنى إليه .

(٢) صاك به الطيب يصيك : أى لصق به ، قال الأعشى :

وَمِثلكِ مُعْجَبَـــةٍ بالشبـ ... ـابِ صاكَ العبير بأجلادها

والعبير أخلاط من الطيب . يقول : إن هذا الشخص لم يمس بعدى طيباً حزنا على فراقى ، وهو مع ذلك تشم منه راوئح الصب حتى لـكأن الطيب قد لصق به .

(٣) الثغر : مقدم الأسنان ؛ والطيب : العاشق ؛ والبشام والأراك : نوعان من الشجر يستاك بفروعهما . يقول : لا يصل إلى ثغره عاشق لتصونه وعفته ولـكنه يبذل ثغره للسواك المتخذ من هذين الشجرين .

(٤) يقول : إذا نام هذا الشخص المولع بقدومى رأى خيالى فى النوم ، فليت نومه حدثه عن إحسانك إلى حتى يعذرنى فى الإقامة عندك .

---

(١)الشوار والشارة : اللباس والهيئة ، ويقال : جاءت الإبل مقورة : أى شاسفة يابسة ــ من الضمر ، والمقور أيضا من الخيل الضامر ، والقطوع : جمع قطع ، الطنفسة تكون تحت الرحل على كتفى البعير ، والأجواز : الأوساط .

وَأَنَّ الْبُخْتَ لاَ يُعْرِقْنَ إلاَّ وَقَدْ أَنْضَى الْعُذَافِرَةَ اللِّكَاكَا(١)
وَمَا أَرْضَى لِمُقْلَتِهِ بِحُلْمٍ إذَا انْتَبَهَتْ تَوَهَّمَهُ ابْتِشَاكَا(٢)
وَلاَ إلاَّ بِأَنْ يُصْغِى وَأَحْكِى فَلَيْتَهُ لاَ يُتَيِّمُهُ هَوَاكَا(٣)
وَكَمْ طَرِبِ الْمَسَامِعِ لَيْسَ يَدْرِى أَيَعْجَبُ مِنْ ثَنَائِى أَمْ عُلاَكَا(٤)
وَذَاكَ النَّشْرُ عِرْضُكَ كَانَ مِسْكاً
وَذَاكَ الشِّعْرُ فِهْرِى وَالْمَدَاكَا(٥)

---

(١) البخت الجمال الخراسانية ، وروى البدن : أى السمان من الإبل ؛ ويعرقن : أى يأتين العراق ؛ والكوفة بلد أبى الطيب . : أحد بلاد العراق وأنضى العذافرة : أى هزلها ؛ والضمير للندى ؛ والعذافرة الناقة الشديدة ؛ واللكاك : المكتنزة اللحم . يقول : وليت النوم حدث هذا الشخص أن ركابنا لاتبلغ العراق إلا وقد أنضاها ثقل ماحملت من عطاياك .

(٢) الابتشاك : الكذب . يقول : وإن حدثه النوم عنى فلست أرضى له بحلم إذا انتبه من نومه توهمه كذبا : أى أنى آبى عليه إلا أن يرانى فى اليقظة على ماوصف له الحلم .

(٣) ولا إلا : أى ولا أرضى إلا ، فحذف الفعل للعلم به . يقول : ولاأرضى بشىء إلا أن يستمع إلى وأحكى ما أغدقته على من نعمك وإفضالك ، فليته عند ذلك لايتيمه هواك ويستعبده حبك لأن الإحسان يستعبد الإنسان؛ و«فليته» و«لايتيمه» على حذف إشباع الضمير ، وهى رواية ابن جنى ، وروى فليتك . وأسكن الياء من يصغى وأحكى ضرورة أو على لغة .

(٤) يقول : وكم من إنسان تطرب مسامعه إذا سمع شعرى فيك ولا يدرى أيتعجب من حسن ثنائى عليك أم من علو شأنك الذى يقتضى هذا الثناء ؟وعبارة العكبرى : والمعنى كلا هما عجب لأنى أثبت فى شعرى من فضلك وأظهرت فيه من مدحك ماليس يدرى عند سماعه لذلك ، أيعجب من علاك وما تبلغه من الرفعة والجلالة أم من ثنائى ؟

(٥) النشر : الرائحة الطيبة ؛ ويريد به : الثناء ؛ والعرض : ما يمدح ويذم من الإنسان ؛ والفهر : الحجر الذى يسحق به الطيب ؛ والمداك : الصلاية التى يداك عليها أى يدق ويسحق . يقول : ذاك الثناء الطيب الرائحة الذى هو عرضك كان بمنزلة المسك؛ وكان شعرى بمنزلة الفهر والمداك لذلك المسك ، وطيب المسك إنما يظهر من الفهر والمداك ؛ كذلك رائحة الثناء إنما تفوح بالشعر ؛ كما قال ابن الرومى :

فَلاَ تَحْمَدْهُمَا وَاْحْمَدْ هُمَاماً   إذَا لَمْ يُسْمِ حَامِدُهُ عَنَاكَا(١)
أغَرَّ لَهُ شَمَائِلُ مِنْ أبِيهِ   غَداً يَلْقَى بَنُوكَ بِهَا أبَاكَا(٢)
وَفِي الأحْبَابِ مُخْتَصٌّ بِوَجْدٍ   وَآخَرُ يَدَّعِي مَعَهُ اشْتِرَاكَا(٣)
إذَا اشْتَبَهَتْ دُمُوعٌ فِي خُدُودٍ   تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى مِمَّنْ تَبَاكَى(٤)
أذَمَّتْ مَكْرُمَاتُ أبِي شُجَاعٍ   لِعَيْنِي مِنْ نَوَايَ عَلَى أُولاَكَا(٥)

وما ازدادَ فَضْلٌ فيكَ بالمَدْحِ شُهْرَةً   بَلَى كَانَ مِثْلَ المِسْكِ صادَفَ مِخْوضا
[المخوض : الذى يحرك به الطيب ؛ وذلك لا يزيد الطيب فضلا بل يظهر رائحته ، كذلك هذا الشعر يظهر فضائل الممدوح للناس ولا يزيده فضلا] .

(١) الهمام : الملك العظيم الهمة . يقول : لا تحمد الفهر والمداك اللذين جعلتهما مثلا لشعرى واحمد نفسك فإنك تستحق الحمد بخصالك الحميدة . وقوله إذا لم يسم حامده يعنى بحامده نفسه . يقول : إذا حمدتك بذكر إنعامك ولم أذكر اسمك كنت أنت المعنى بذلك الحمد ، لأنه لا يليق إلا بك ؛ وهذا ينظر إلى قول أبى نواس :

وإن جرتِ الألفاظُ مِنَّا بِمِدْحَةٍ   لِغَيْرِكَ إنسانا فأنتَ الذِى نَعنِي

(٢) أغر : صفة لهماما ؛ والمراد بالأغر : الشريف ؛ والشمائل : الأخلاق . يقول أنت ورثت شمائل أبيك ، وكما ورثتها من أبيك تورثها بنيك ، فهم غدا : أى إذا شبوا عن الطوق وظهرت تلك الشمائل فيهم – يلقون أباك بها فيرى شمائله فيهم كما رآها فيك . قال الواحدى : وكان حقه أن يقول أباهم ، لكنه قال أباك : إشارة إلى أنهم لم يبلغوا بعد رتبته حتى يشبهوه ، بل يشبهون أباه .

(٣) يقول : إن حال الأحباب تتشابه ، ففيهم من يكون حزينا عند فراق أحبته مختصا بالوجد دون غيره ، وفيهم من يدعى الاشتراك فى الوجد وليس لدعواه حقيقة ، يريد أنه صحيح الود والموالاة غير مدخول المحبة ، فليس كمن يدعى الاشتراك على غير حقيقة .

(٤) اشتبهت : تشابهت ؛ وتباكى : تكلف البكاء . يقول : إذا تشابهت الدموع ظهر الذى يبكى عن حزن دفين فى القلب ممن يتكلف البكاء وقلبه خال من دواعيه .

(٥) يقولون : أذم له من فلان : أخذ له الذمة والعهد ، وأذم له على فلان : أخذ له الذمة ليجيره منه ؛ والنوى : البعد ؛ وأولاكا : لغة فى أولئك ، وقد اختلف الشراح

فزُلْ يا بُعْدُ عَنْ أيْدِي رِكَابٍ　　لهاَ وَقْعُ الْأَسِنَّةِ فِي حَشَاكَا[١]
وَأيًّا شِئْتِ يا طُرُقِي فَكُونِي　　أذَاةً أوْ نَجَاةً أوْ هَلاكَا[٢]
فَلَوْ سِرْنَا وفي تَشْرِينَ خَمْسٌ　　رَأوْنِي قَبْلَ أنْ يَرَوُا السِّماكَا[٣]

فى معنى البيت ، فذهب ابن جنى إلى أن المعنى : أن مكرمات أبى شجاع أخذت لعينى عهداً من البعد أن تكون فى مأمن من تلك الدموع : أى دموع المتباكى ، يعنى أن مكرماته تمنع عينى أن تجرى على فراقه دموعا كاذبة لأنه قد ملك قلبى بإحسانه ، فأنا أبكى على الحقيقة لا تكلفاً ، فالإشارة فى أولاكا للدموع الكاذبة . وقال الواحدى : إن مكرماته منعت عينى وعقدت لها عقدا على أهلى من فراق عضد الدولة ، يريد أنى أشتهى ملازمتك والبعد عن أولئك ، فالإشارة فى أولاكا لأهله ، وهذا على رواية نواى ؛ وروى : ثواى — مقصور الثوى — أى المقام ، يعنى أن مكرماته أذمت لعينى من المقام عليهم — أى على أهله — أى عقدت لعينى عقدا يؤمنها من النظر إلى أولئك . يريد أنها قصرتها على عضد الدولة فلا تنظر إلى غيره ، ويكون على أولاكا متعلق بالثوى .

(١) الركاب : الإبل تحمل القوم ؛ والأسنة : نصال الرماح . يخاطب البعد، يقول: تنح عن أيدى هذه المطايا فإنها تقطعك كما تقطع الأسنة الأحشاء .

(٢) قال الواحدى : هذا كلام ضجر ، يقول — لطريقه — : كونى كيف شئت فإنى لا أبالى وإن كان الهلاك فى سلوكك ، قيل إن عضد الدولة قال تطيرت عليه من تركه النجاة بين الأذاة والهلاك .

(٣) تشرين : اسم لشهرين بين أيلول وكانون الأول من السنة الشمسية : تشرين الأول وهو الشهر العاشر وأيامه ٣١ ، وتشرين الثانى وهو الحادى عشر وأيامه ٣٠ ؛ والسماكان : كوكبان نيران ، يقال لأحدهما السماك الرامح لأن أمامه كوكباً صغيراً يقال له راية السماك ورمحه ، وللآخر : السماك الأعزل لأنه ليس أمامه شىء ، والمراد هنا : السماك الأعزل، وقد كان هذا النجم يطلع فى الثالث عشر من تشرين الأول. يقول: لو سرنا وقد مضت خمس ليال من تشرين الأول لبلغت الكوفة قبل أن يطلع هذا الكوكب ، فرآنى أهلها قبل أن يروه ؛ يريد أنه لسرعة سيره وإدآبه السير لا يمضى عليه أسبوع حتى يبلغ الكوفة — بلده — وهذا مبالغة ، لأن بين شيراز بلد عضد الدولة وبين الكوفة ما يزيد على عشرين مرحلة .

يُشَرِّدُ يُمْنُ فَنَّاخُسْرَ عَــنِّى ... قَنَا الْأَعْدَاءِ وَالطَّعْنَ الدِّرَاكَا(١)
وَأَلْبَسُ مِنْ رِضَاهُ فِى طَرِيقِى ... سِلَاحاً يَذْعَرُ الْأَبْطَالَ شَاكَا(٢)
وَمَنْ أَعْتَاضُ عَنْكَ إِذَا افْتَرَقْنَا ... وَكُلُّ النَّاسِ زُورٌ مَا خَلَاكَا(٣)
وَمَا أَنَا غَيْرُ سَهْمٍ فِى هَـوَاءٍ ... يَعُودُ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ امْتِسَاكَا(٤)
حَيِىٌّ مِنْ إِلٰهِى أَنْ يَرَانِى ... وَقَدْ فَارَقْتُ دَارَكَ وَاصْطَفَاكَا(٥)

---

(١) فناخسرو : اسم عضد الدولة ؛ والطعن الدراك : المتتابع . يقول : سعده ويمنه يطرد عنى رماح الأعداء وطعنها المتتابع .

(٢) سلاح شائك وشاك ـ على حذف العين ـ حاد ذو شوكة يقول : رضاه عنى بمنزلة السلاح الحاد أخوف به الأعداء الأبطال فيجبنون عنى . هذا : والسلاح اسم جامع لآلة الحرب ، وخص بعضهم به ما كان من الحديد ـ يؤنث ويذكر والتذكير أعلى ، لأنه يجمع على أسلحة ، وهو جمع المذكر ـ مثل حمار وأحمرة ورداء وأردية ـ ويجوز تأنيثه . قال الطرماح ـ يذكر ثوراً يهز قرنه لكلاب الصيد ليطعنها به :

يَهُزُّ سِــلَاحاً لَمْ يَرِثْهَا كَلَالَةً ... يَشُكُّ بها منها أصول المغابنِ(١)

(٣) هذا استفهام إنكارى . يقول : إذا فارقتك لم أجد خلفا عنك أعتاضه من جميع الناس لأنهم كلهم بالقياس إليك زور وباطل ، لهم صورتك وليس لهم معناك ، وهذا كقول عمران ابن حطان :

أنــكرتُ بعدكَ مَنْ قَدْ كُنْتُ أعرِفُهُ ... ما الناسُ بعدكَ يا مِرْدَاسُ بالنَّاسِ

(٤) يقول : أنا فى انطلاقى من عندك وسرعة عودى إليك كالسهم إذا رمى به فى الجو فإنه لا يصادف ما يمسكه هناك فلا يلبث أن ينقلب ويعود إلى الأرض يشير بهذا البيت والذى قبله إلى أنه ينوى الرجوع إليه .

(٥) حيى : أى أنا حيي . وقد فارقت دارك : حال . يقول : إنى أستحيي من إلهى أن يرانى وقد فارقتك وزهدت فيك ، وهو سبحانه وتعالى قد اصطفاك ووكل إليك أرزاق العباد ، فكأنى إذ فعلت قد شاققت الله سبحانه ولم أرض باختياره . وروى ابن

---

(١) سمى روقيه سلاحا لأنه يذب بهما عن نفسه ؛ والعرب . تقول ؛ لم يرثه كلالة أى لم يرثه عن عرض بل عن قرب واستحقاق .

. . . .

جنى : واصطفاكا ـ بكسر الطاء ـ قال وهو من باب قصر الممدود ، واستشهد على قصره بأشعار ، وقصر الممدود كثير ، وأنشد فيما أنشد :

وأنتَ لو باكرتَ مشمولةً   صَفْرَا كلَوْنِ الفرس الأشقر

وأنكر ابن فورجه وجماعة كسر الطاء ، وقالوا لم يستحى من الله إذا فارق دار الممدوح واختياره له ؟ بل لاوجه لحيائه فى فعله ذاك ، وإنما يستحيي من الله إذا فارق دار الممدوح ، والله قد اختاره على أرضه ، وكل من فارقه يجب أن يستحيي من خالقه وإنما يقول : أستحيي من الله أن أفارقك، وقد اصطفاك ووكل إليك الأرزاق ؛ ألا تراه كيف بين وجه حيائه ، إذ ذكر اصطفاءه ولو لم يذكره لكان له مخلص من الحياء ؟ فالأشبه أن يكون اصطفاك فعلا ماضياً ، وقد ذكر محمد بن سعيد أن المتنبى قال لم أقصر فى شعرى ممدوداً إلا فى موضع واحد وهو :

خذ مِنْ ثناى عليك ما أسطيعه   لا تلزمَنِّى فى الثناء الواجبـا

هذا : وقد أكثر المتنبى من التشاؤم على نفسه فى هذه القصيدة بما لم يقع له فى غيرها وما لم يخطر على قلبه فى جميع عزائمه وأشعاره مع كثرتها وترامبها فى البلاد ، وقد وقع له فى أثنائها كلام كأنه ينعى به نفسه وإن لم يقصده ، وذلك أنه بعد ارتحاله من شيراز ومفارقته لأعمال فارس قتل فى الطريق كما تراه فى مدخل هذا الشرح وهذا ـ عمرك الله ـ من غريب الاتفاق .

قافية اللام

وقال يمدح سيف الدولة وقد عزم على الرحيل عن أنطاكية وكثر المطر :

رُوَيْدَكَ أيُّهَا المَلِكُ الجَلِيلُ ... تَأَنَّ وَعُدَّهُ مِمَّا تُنِيلُ (١)

وَجُودَكَ بِالمُقَامِ وَلَوْ قَلِيلاً ... فَمَا فِيمَا تَجُودُ بِهِ قَلِيلُ (٢)

لِأَكْبِتَ حَاسِداً وَأُرِى عَدُوّاً ... كَأَنَّهُمَا وَدَاعُكَ وَالرَّحِيلُ (٣)

---

(١) تأن : تمهل ، ويروى : تأى توقف ؛ والضمير فى عده يعود إلى المصدر المفهوم من تأن ؛ وتنيل : تعطى . يقول: أمهل سيرك وترفق فى رحيلك واحسب هذا التمهل من جملة ماتعطيه ، يعنى أنا نعده منك نوالا وعطاء لو أقمت ساعة ؛ وهو ماذكر فى البيت التالى .

(٢) وجودك : أى وجد جودك : مصدر نائب عن عامله منصوب به . والمقام: الإقامة؛ وقليلا : خبر كان محذوفة بعد «لو» ، واسمها ضمير المقام : يقول جد بالإقامة عندنا ولو كانت قليلة ، فإن الذى تجودبه لايعد قليلا، لأن كل ما كان من جهتك فهو كثير وإن قل، كما قال ابن الطثرية :

وليس قليلا نظرةٌ إن نظرْتها ... إليك وقلَّ منكِ غيرُ قليلِ

وكما قال إسحاق الموصلى :

إن ما قلَّ منكَ يكثُرُ عندى ... وكثير ممَّنْ تحب القليلُ

(٣) الكبت : الإغاظة والإذلال؛ وأصل الكبت: الكبد فقلبت الدال تاء، أخذ من الكبد ، وهو معدن الغيظ والأحقاد ، فكأن الغيظ لما بلغ بصاحبه مبلغه أصاب كبده فأحرقه ، لهذا يقال للأعداء : هم سود الأكباد . وأرى من الورى - وهو إصابة الرئة. وقال أهل اللغة : الورى - على مثال الرمى - قرح شديد يقاء منه القيح والدم؛ والعرب تقول للبغيض إذا سعل وريا وقحابا . وللحبيب إذا عطس رعياً وشبابا ، وفى الحديث «لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خيرله من أن يمتلىء شعراء» يقول المتنبى : جد بالإقامة لأكبت من يحسدنى على قربك وأوجع رئة عدوى ، ثم شبه الحاسد والعدو بوداعه وارتحاله لأنهما يلذعان قلبه ويوجعانه ، وقال أبو تمام فى قبح الوداع :

وَيَهْدَأَ ذَا السَّحَابُ فَقَدْ شَكَكْنَا
أَتَغْلِبُ أَمْ حَيَاهُ لَكُمْ قَبِيلُ(١)

وَكُنْتُ أَعِيبُ عَذْلاً فِى سَمَاحٍ فَهَا أَنَا فِى السَّمَاحِ لَهُ عَذُولُ(٢)

وَمَا أَخْشَى نُبُوَّكَ عَنْ طَرِيقٍ وَسَيْفُ الدَّوْلَةِ الْمَاضِى الصَّقِيلُ(٣)

وَكُلُّ شَوَاةِ غِطْرِيفٍ تَمَنَّى لِسَيْرِكَ أَنَّ مَفْرِقَهَا السَّبِيلُ(٤)

قَبُحْتَ وزدْتَ فوقَ القُبْحِ حتى كأنكَ قد خُلقت من الوداع

(١) ويهدأ : عطف على أكبت ؛ وتغلب : قبيلة الممدوح ؛ والحيا : المطر ؛ والقبيل: العشيرة . يقول : أقم بنا حتى يسكن هذا السحاب ويمسك عن المطر خجلا من أياديك الغزار فقد أفرط حتى شككنا : أبنو تغلب قبيلكم أم مطر هذا السحاب ؟ شبههم بالمطر فى الكثرة وهذا ينظر إلى قول أبى تمام :

فقلت نَدَى السماءِ أم ابن وَهْبٍ تجلَّى نُورُهُ أم عاش وهبُ

(٢) يقول : كنت فيما مضى أعيب من يلوم على الجود ، فلما رأيت إفراط سيف الدولة فى الجود صرت ألومه ، قال أبو تمام :

عطاء لوِ اسْطاعَ الذى يَسْتَميحُهُ لأصبحَ مِن بين الورَى وهْو عاذلُ

وقال البحترى :

إلى مُسرِفٍ فى الجودِ لوْ أن حاتِماً لديه لأضْحى حاتمٌ وهْو عَاذِلُهْ

وقال ابن القطاع : الضمير فى «له» للسحاب ، يعنى صرت الآن ألوم السحاب لإفراطه فى السماح مخافة أن يكدر عليه الطريق .

(٣) النبو : الكلال ، وسيف الدولة : مبتدأ ؛ خبره : ما بعده ؛ والجملة حال . يقول : لا أخشى أن تعجز عن قطع الطريق وأنت سيف الدولة الماضى الصقيل ، والسيف إذا كان ماضيا لا يخاف عليه الكلال . يريد : إنى لم أطلب إليك عدم الرحيل فى المطر خشية أن تعجز عن التغلب على الطريق .

(٤) الشواة : جلدة الرأس ، وجمعها شوى ؛ والغطريف : السيد الكريم فى قومه وتمنى ــ بحذف إحدى التاءين ــ أى تتمنى . والمفرق : وسط الرأس . يقول : إن كل سيد شريف يتمنى أن يكون مفرق رأسه طريقاً لسيرك ، يعنى لشرفك لا يستنكف السيد من وطئك رأسه ، بل يتمنى ذلك تشرفا بك ، وفى هذا نظر إلى قول أبى تمام:

وَمِثْلِ الْعُمْقِ مَمْلُوءٍ دِمَاءً جَرَتْ بِكَ فِي مَجَارِيهِ الْخُيُولُ(١)

إِذَا اعْتَادَ الْفَتَى خَوْضَ الْمَنَايَا فَأَهْوَنُ مَا يَمُرُّ بِهِ الْوُحُولُ(٢)

وَمَنْ أَمَرَ الْحُصُونَ فَمَا عَصَتْهُ أَطَاعَتْهُ الْحُزُونَةُ وَالسُّهُولُ(٣)

أَتَخْفِرُ كُلَّ مَنْ رَمَتِ اللَّيَالِي وَتُنْشِرُ كُلَّ مَنْ دَفَنَ الْخُمُولُ(٤)

مضى طاهرَ الأثوابِ لم تبقَ بقعةٌ غداةَ ثوى إلاّ اشتهت أنها قبرُ

(١) ومثل العمق : أى ورب مكان مثل العمق ؛ والعمق : الموضع العميق ؛ وقيل واد بعينه . يقول : ورب مكان عميق مثل هذا المكان قد حمى فيه الوطيس حتى امتلأ من دماء القتلى جرت بك الخيل فى مجاريه ولم تكترث لذلك ، فكيف أخشى عليك قطع الطريق ؟ وقد زاد ذلك إيضاحا بالبيت التالى .

(٢) المنايا : جمع منية ، الموت ؛ والوحول : جمع وحل ، ما يبقى فى الأرض من آثار المطر يقول : إذا تعود الإنسان خوض المهالك التى هى أسباب المنايا لم يبال بالوحول ؛ يريد أن الوحل لا يمنعه من السفر لأنه تعود أن يخوض ماهو أشد من الوحل .

(٣) الحزونة : جمع حزن ، ماخشن من الأرض وصعب : ضد السهل . يقول : من تطيعه حصون الأعداء وتنفتح له لم يعصه مكان من الحزن والسهل : أى لم يمتنع عليه ولم يصعب سلوكه .

(٤) نشر الله الميت وأنشره : بعثه وأحياه ؛ والخمول : سقوط الذكر ؛ والخامل : الساقط الذى لا نباهة له ، والاستفهام : للتعجب . يقول : كل من نكبته الليالى وأصابته بالمحن تخفره وتجيره منها بإحسانك ، وكل من أماته الخمول تحييه فتشهره وترفع ذكره بإنعامك عليه ؛ قال ابن وكيع : وهذا البيت منقول من قول ابن الرومى :

نشرتُكَ مِنْ مَوتِ الخمولِ بِقُدْرَةٍ لِمَا هو أدهى لو علِمتَ وأنكرُ(١)

هذا : ويقال خفر الرجل يخفر خفراً : أجاره ومنعه وأمنه ، وكان له خفيرا يمنعه ، وكذلك خفره تخفيرا ، قال أبو جندب الهذلى :

---

(١) من أبيات يهجو بها ابن الرومى خالدا القحطبى ، وقبله :

أخالدُ أعييتَ الهجاءَ وَفَنَّهُ فقولى وإن أبلغتُ فيكَ مُقصر

وبعده :

وللموت خير لامرئ مِنْ نشورِهِ إذا كان للتخليد فى الناس يُنشرُ

وَنَدْعُوكَ الْحُسَامَ وَهَلْ حُسَامٌ ... يَعِيشُ بِهِ مِنَ الْمَوْتِ الْقَتِيلُ(١)
وَمَا لِلسَّيْفِ إِلاَّ الْقَطْعَ فِعْلٌ ... وَأَنْتَ الْقَاطِعُ الْبَرُّ الْوَصُولُ(٢)
وَأَنْتَ الْفَارِسُ الْقَوَّالُ صَبْرًا ... وَقَدْ فَنِيَ التَّكَلُّمُ وَالصَّهِيلُ(٣)
يَحِيدُ الرُّمْحُ عَنْكَ وَفِيهِ قَصْدٌ ... وَيَقْصُرُ أَنْ يَنَالَ وَفِيهِ طُولُ(٤)
فَلَوْ قَدَرَ السِّنَانُ عَلَى لِسَانٍ ... لَقَالَ لَكَ السِّنَانُ كَمَا أَقُولُ(٥)

ولكننى جَمْرُ الغَضى من ورائه ... يُخَفِّرُنِى سيفى إذا لم أُخَفَّر

والاسم من ذلك الخفرة والخفارة والخفارة ـ بالفتح والضم ـ ويقال أخفرته إذا بعثت معه خفيرا ، وأخفرت الرجل : إذا نقضت عهده وغدرت به ، وأخفر الذمة : لم يف بها .

(١) الحسام: السيف القاطع ، يقول : نسميك الحسام وعادة الحسام أن يقطع الآجال وأنت حسام يعيش به القتيل : أى أنك تحيي من قتله الفقر وأماته الذل بجودك — كما بين ذلك فى البيت التالى .

(٢) يقول : إن فعل السيف هو القطع فقط ، أما أنت فقد اجتمع فيك الوصل والقطع ، لأنك تصل الأولياء وتقطع الأعداء . والقطع : منصوب لأنه استثناء مقدم . ومثله قول الكميت :

ومالى إلا آل أحمدَ شيعةٌ ... ومالى إلا مذهبَ الحق مذهبُ

والبر : المحسن ؛ والوصول . الذى يصل الناس : أى يجيزهم بالعطاء .

(٣) يقول . أنت الفارس الرابط الجأش الذى يصبر الجيوش ويقول لهم اصبروا صبرا على عض الحرب وقد عظم الخطب واشتد القتال ، فلا يقدر الرجل على الكلام ولا الفرس على الصهيل . فقوله صبرا : مفعول مطلق ، نائب عن عامله ، وهومقول القول.

(٤) وفيه قصد . أى استقامة . يقول : قد بلغت من المهانة والشرف أن الجماد يعرفك فالرمح يخافك فيحيد عنك ويميل ، مع أن فيه قصدا إذا طعن به غيرك ويقصر عن أن ينالك مع طوله هيبة لك ؛ والمعنى أن الأبطال تتحاماه فى الحروب فلا تجترىء على مطاعنته .

(٥) يقول : لوكان الرمح يقدر على الكلام لقال أنا أحيدعنك وأقصر ـ مع طولى ـ عن طعنك لهيبتك وشرفك . وهذا من قول الآخر :

إن السنانَ وصدرَ السيف لو نطقا ... لَخَبَّرَا عنك يوم الروع بالعجب

وَلَوْ جَازَ الْخُلُودُ خَلَدْتَ فَرْداً وَلَكِنْ لَيْسَ لِلدُّنيا خَلِيلُ(١)

* * *

وقال يرثى والدة سيف الدولة وقد توفيت بِمَيَّا فارقين وجاءه الخبر بموتها إلى حلب سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، وأنشده إياها فى جمادى الآخرة من السنة :

نُعِدُّ الْمَشْرَفِيَّةَ وَالْعَوَالِى وَتَقْتُلُنَا الْمَنُونُ بِلاَ قِتَالِ(٢)

وَنَرْتَبِطُ السَّوَابِقَ مُقْرَبَاتٍ وَمَا يُنْجِينَ مِنْ خَبَبِ اللَّيَالِى(٣)

وللحصنى :

يُثنى عليك إذا النفوس تطايرت حَدُّ الْمُهَنَّدِ والسنانُ اللهذَمُ

وأصله قول عنترة :

لو كان يعلم ما المحاورة اشتكى ولكانَ لوْ عَلِمَ الكلامَ مُكَلِّمى

(١) يقول : لوجاز أن يخلد إنسان لخلدت وحدك لما جمع الله فيك من الفضائل ، ولكن الدنيا لا تخلد أحدا وشنشنتها إفناء خلانها ، فهى مطبوعة على الغدر ، وإلا لخلدتك . وهذا من قول عدى بن زيد :

فلو كان حىٌّ فى الحيـاة مخلداً لخلدتَ لكن ليس حىٌّ بخالد

ومثله لمحمد بن يزيد المهلبى :

لو خَلَّد الله مخلوقاً لِنَجْدته لكان ربُّكَ فى الدنيا مخلِّده

(٢) المشرفية : السيوف ، والمراد بالعوالى : الرماح ؛ والمنون : المنية ، وقيل الدهر ، ومن ثم يؤنث ويذكر ، ويكون واحدا وجمعا : يقول : نعد السيوف والرماح لمنازلة الأعداء ومدافعة الأقران ، ولكن المنية تخترم نفوسنا وتقتل من تقتله منا من غير قتال ، فلا تغنى عنا تلك الأسلحة شيئا .

(٣) السوابق : الخيل ؛ والمقربات : المدناة من البيوت ، إما لفرط الحاجة أو للضن بها ، فلا ترسل إلى الرعى ؛ والخبب : ضرب من العدو ـ الجرى ـ لا يستفرغ الجهد : يقول : ونرتبط الخيول الكريمة لتنجو بنا إذا ألم بنا حادث ، ومع هذا لا تنجينا من سعى الليالى ، وخببها فى آثارنا ، فإنها تقتلنا وتدركنا حيثما كنا ، وبديع قول عبد الله بن طاهر فى الدهر :

كأننا فى حُروبٍ مِنْ حوادِثه فنَحْنُ من بين مجروح ومَطعونِ

وَمَنْ لَمْ يَعْشَقِ الدُّنْيَا قَــدِيمًا ... وَلَـكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوِصَالِ (١)
نَصِيبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ ... نَصِيبُكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خَيَالِ (٢)
رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى ... فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِبَالِ (٣)
فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَــامٌ ... تَـكَسَّرَتِ النِّصَالُ عَلَى النِّصَالِ (٤)

---

(١) من : استفهام إنكارى ؛ وقوله إلى الوصال : يروى إلى وصال — أى مواصلة — يقول : من الذى لم يعشق الدنيا من قديم الدهر ؟ أى أن كل أحد يهواها ، ولكن لا سبيل إلى دوام وصالها ، فقوله إلى الوصال : أى إلى دوام الوصال ، فكثير من عشاقها واصلها وواصلته ، ولكنها لا تدوم على الوصال .

(٢) نصيبك — الأول — مبتدأ . خبره : نصيبك — الثانى — يقول : إن حظ الإنسان من وصال حبيبه فى حياته كحظه من وصال خياله فى منامه ، فإن ذلك الوصال ينقطع عن قريب بالموت ، كما ينقطع التمتع بخيال الحبيب بالانتباه ، جعل العمر كالمنام والموت كالانتباه من المنام ، كما قال أبو تمام :

ثم انقضَتْ تلك السنونَ وأهلها ... فكأنها وكأنهمْ أحــلامُ

وقال التهامى :

فالعيْشُ نوْمٌ والْمنيَّةُ يَقْظَةٌ ... والمرء بينهمَا خيــال سارى

(٣) الأرزاء : جمع رزء ؛ المصيبة ، وحتى : ابتدائية ؛ والغشاء : مايغطى الشىء ، يقول : كثرت على أرزاء الدهر وترادفت على قلبى فجائعة حتى لم يبق منه موضع إلا أصابه سهم منها فصار فى غلاف من سهام الدهر .

(٤) النصال : جمع نصل ، الحديدة التى فى السهم . يقول : فصرت الآن إذا رمانى الدهر بسهامه لم تصل إلى قلبى ، إذ لا تجد لها موضعاً للاصابة ، وإنما تتكسر نصالها على النصال التى قبلها ، لأنها تصطك بعضها ببعض ، قال الواحدى : وهذا تمثيل معناه أن الأرزاء توالت على حتى هانت عندى والشىء إذا كثر اعتاده الإنسان كما صرح بذلك فى البيت التالى . وإليك إحدى مماحكات ابن وكيع — وما أكثر ما يتجنى على المتنبى — قال : لا يصح معنى البيت إلا أن يكون يرمى من جنبيه فيلغ نصل الجانب الأيمن نصل الجانب الأيسر ، وأما أن يكون الرمى من ناحية واحدة فلا يصح ذلك ، ولو قال كما قال عمر بن المبارك لصح .

وَهَانَ فَمَـــا أُبَالِي بِالرَّزَايَا ... لِأَنِّي مَا ٱنْتَفَعْتُ بِأَنْ أُبَالِي (١)
وَهٰــذَا أَوَّلُ النَّاعِينَ طُرًّا ... لِأَوَّلِ مَيْتَةٍ فِي ذَا الْجَلَالِ (٢)

لم يَنْتظِرْن فتستبيك قـلوب ... حتى رَمَيْنَ فَرَشْقهنَّ مصيبُ
نَجْلٌ يُتَبِّعْنَ السهامَ بمثلهـا ... فلهن مِن تحتِ الندوب ندوب

فهذا كلام يصح مثله ، لأن الندوب القديمة يتبعن ندوباً حديثة ؛ ومثله لأخى ذى الرمة .

ولم يُنْسِنِي أوفى المصيباتُ بعدهُ ... ولـكِنَّ نَـكْأَ القرح بالقَرْح أوجع (١)

(١) ضمير هان للدهر أو لرميه لدلالة قوله رمانى الدهر . يقول : وهان الدهر على فلا أحفل بمصائبه علما بأنه لا ينفع الحذر ولا المبالاة ؛ وهذا من قول الحماسى :

وقد جَعَلَتْ نفسى على البَيْنِ تنطوى ... وعَيْنِي على فقد الحبيب تنـام
وفارقتُ حتى ما أبالى من النوى ... وإن بان جـيران علىَّ كِرام

ومثله قول الخريمى :

صبرتُ فـكَانَ الصبرُ خـير مغبَّةٍ ... وهـل جزع أجـدى علىَّ فأجزعُ

ويروى بدل هان فما أبالى : وها أنا ما أبالى .

(٢) يقول : هذا الناعى — وكان نعيها ورد إلى أنطا كية — أول الناعين جميعا لأول امرأة ماتت فى هذا الجلال ، يعنى لم تمت امرأة قبلها أجل منها ، وميتة — بفتح الميم —

---

(١) قيل إن إخوة ذى الرمة هم مسعود وهشام وجرفاس وأن مسعودا رثى بشعره بشعره هذا أخاه غيلان وأوفى بن دلهم ابن عمهما وقيل كانوا أربعة غيلان ومسعود وهشام وأوفى وكلهم شعراء كان أحدهم يقول الأبيات فيزيد فيها ذو الرمة ويغلب عليها ، وقبل هذا البيت :

تعزَّيتُ عن أوفى بِغيلانَ بعده ... عَزاء وجَفنُ العين مَلآنُ مُترَع
نعى الرَّكبُ أوفى حين وافت رِكابُهُمْ ... لعَمرى لقـد جاءوا بِشَرٍّ وأوجعوا
نعَوْا باسِقَ الأخـلاقِ لا يخلفونه ... تـكاد الجبالُ الصُّمُّ منه تَصَدَّعُ
خَوَى المَسْجِدُ المعمور بعد ابْنِ دَلْهَمٍ ... وأمسى بأوْفى قومُه قد تضعضعوا

كَأَنَّ المَوْتَ لَمْ يَفْجَعْ بِنَفْسٍ وَلَمْ يَخْطُرْ لِمَخْلُوقٍ بِبَالِ [١]

أى ميتة ، خففت ؛ ورويت ميتة ـ بكسر الميم ـ يعنى الحال التى ماتت عليها ، قال الواحدى والرواية الأولى أوجه ، لأنه أراد أول الأموات ولم يرد أول الاحوال هذا : وقولهم جاءنى القوم طراً أى جميعا منصوب على المصدر أو الحال ، قالوا ولا تستعمل إلا حالا واستعملها خصيب النصرانى المتطبب فى غير الحال ؛ وقيل له كيف أنت ؟ فقال أحمد الله إلى طر خلقه ؛ قال ابن سيده : أنبأنى بذلك أبو العلاء ، وفى نوادر الأعراب رأيت بنى فلان بطر إذا رأيتهم بأجمعهم . والناعون : جمع ناع ، وهو الذى يأتى بخبر الميت ؛ والنعى والنعى: خبر الموت أو الدعاء بموت الميت، والإشعار به ، نعاه ينعاه نعيا ونعيانا، وقال الجوهرى . كانت العرب إذا مات منهم ميت له قدر وشرف ركب راكب فرسا وجعل يسير فى الناس ويقول نعاء فلانا . أى انعه وأظهر خبر وفاته ، وقال ابن الأثير . أى هلك فلان أو هلكت العرب بموت فلان ، وهى مبنية على الكسر مثل قطام ودراك ونزال ، بمعنى أدرك وانزل ، وأنشدوا للكميت .

نعاء جُذاماً غيرَ موتٍ ولا قتل ولكن فِراقاً للدعائم والأصلِ

(١) يستعظم موت هذه المرأة حتى كأن الناس لم يروا موتا ولم يخطر على قلب أحد منهم قبلها ، وموت العظيم يعظم عند الناس مع فشو الموت وعمومه ، ومن بديع ما قيل فى الموت ـ وليس من قبيل بيت المتنبى ، ولكنه ينظر إليه من بعيد ـ قول الحسن البصرى . مارأيت حقا أشبه بباطل من الموت وقال البحترى .

ولَمْ أرَ مِثْلَ المَوْتِ حقًّا كأنهُ إذا ما تخطتهُ الأمانىُّ باطِلُ

وقال زين العابدين أو جرير .

تُرَاعُ إذا الجنائزُ وَاجهتنا ونلهو حين تغدو رائحاتِ

كروعةِ ثُلةٍ لِمَغَارِ ذِئْبٍ فلما غاب عادتْ راتِعاتِ [١]

وأخذه محمد بن وهب فقال .

تُرَاعُ لذِكرِ الموتِ ساعة ذِكرِهِ وتَعْترض الدُّنيا فنلهو ونلعب

يَقينٌ كأنَّ الشَّك أغلب أمْرِهِ عليهِ وَعِرفانٌ إلى الجهلِ يُنسَبُ

---

(١) الثلة . القطيع من الغنم .

صَـلاَةُ اللهِ خَالِقِنَا حَنُوطٌ ... عَلَى الْوَجْهِ الْمُكَفَّنِ بِالْجَمَالِ (١)
عَلَى الْمَدْفُونِ قَبْلَ التُّرْبِ صَوْناً ... وَقَبْلَ اللَّحْدِ فِى كَرَمِ الْخِلاَلِ (٢)
فَإِنَّ لَهُ بِبَطْنِ الْأَرْضِ شَخْصاً ... جَدِيداً ذِكْرُنَاهُ وَهْوَ بَالِى (٣)

---

(١) صلاة الله . مغفرته ورحمته ؛ والحنوط . طيب يخلط لغسل الميت يدعو لها بأن تكون رحمة الله لها بمنزلة الحنوط للميت ، وجمل وجهها مكفنا بالجمال ، كأن الجمال كفن لوجهها ، وفى ذلك إشارة إلى أن الموت لم يغير محاسنها ، وكأنه يقول : رحم الله وجهها الجميل ، قال ابن وكيع : وصفه أم الملك بالوجه الجميل غير مختار ، وهو من قول النمرى

تحيَّـــاتٌ ومغفرة ورَوح ... على تلك المحلَّةِ والحـــلول

وعبارة ابن الأفليلى : رحمة الله ورضوانه حنوط هذه المرأة التى غيبها الجمال كما غيبها الكفن وسترها كما سترها القبر فكانت مستورة من أعين الناس .

(٢) على المدفون : بدل من قوله على الوجه — فى البيت السابق — وذكر على إرادة الشخص ؛ وصونا : مفعول له ؛ واللحد : الشق فى جانب القبر ، والخلال : الخصال يقول : إنها كانت مدفونة بالصون قبل أن تدفن فى الترب ، وقبل أن تدفن فى اللحد كانت مدفونة فى كرم الخلال : أى أنها كانت محجبة مستورة قبل أن تستر بالتراب ، وكان كرم خصالها يمنعها ويعفها عن كل مالا يليق قبل أن تحمل إلى اللحد .

(٣) ذكرناه . أى ذكرنا إياه ، فاعل جديدا . ووضع الضمير المتصل موضع الضمير المنفصل جائز ، ومثله قوله تعالى « أنلزمكموها » وأنشد سيبويه

وقد جعلت نفسى تَطِيبُ لِضَغْمَةٍ ... لِضَغْمِهِماهَا يَقْرَعُ الْعَظْمَ نَابُهَا (١)

---

(١) الضغم : العض ما كان ، وقيل أن يملأ فمه مما أهوى إليه ، ومنه سمى الأسد ضيغما — بزيادة الياء — قال الشنتمرى : وصف هذا الشاعر عضة أصابه بها رجلان فيقول . قد جعلت نفسى تطيب لإصابتهما بمثل الشدة التى أصاباني بها ، وضرب الضغمة مثلا ثم وصف الضغمة فقال يقرع العظم نابها فجعل لها نابا على السعة ، والمعنى يصل الناب فيها إلى العظم فيقرعه . قال : واسم هذا الشاعر مغلس بن لقيط الأسدى والرجلان من قومه وهما مدرك ومرة وقبله :

سقيتكما قبـــل التفرُّق شربةً ... يمُرُّ على باغى الظلام شرابهـــا
« والظلام جمع ظلامة »

وَمَا أَحَــدٌ يُخَلَّدُ فِي الْبَرَايَا ... بَلِ الدُّنْيَا تَؤُولُ إِلَى زَوَالِ
أَطَابَ النَّفْسَ أَنَّكِ مُتِّ مَوْتاً ... تَمَنَّتْهُ الْبَوَاقِي وَالْخَــوَالِي (١)
وَزُلْتِ وَلَمْ تَرَىْ يَوْماً كَرِيهاً ... يُسَرُّ الرُّوحُ فِيــهِ بِالزَّوَالِ (٢)
رِوَاقُ الْعِزِّ حَوْلَكِ مُسْبَطِرٌّ ... وَمُلْكُ عَلِيٍّ ابْنِكِ فِي كَمَالِ (٣)
سَقَى مَثْوَاكِ غَادٍ فِي الْغَوَادِي ... نَظِيرُ نَوَالِ كَفِّكِ فِي النَّوَالِ (٤)
لِسَاحِيهِ عَلَى الْأَجْدَاثِ حَفْشٌ ... كَأَيْدِي الْخَيْلِ أَبْصَرَتِ الْمَخَالِي (٥)

يقول : إن شخصه وإن كان يبلى فى القبر إلا أن ذكرنا إياه جديد باق أبداً لايبلى : قال الحريمى :

وإنْ تكُ للبِلَى أمْسيتَ رَهْناً ... فقدْ أبقيتَ مجْداً غــيْرَ بالِى

(١) الخوالى : المواضى . يقول : مت فى العز والعفاف ، فموتك كان موتاً يتمنى مثله من بقى النساء ومن مضى منهن. وهذا يسلى النفس عنك إذ فزت بخيرى الدنيا والآخرة.

(٢) يقول : ومما يسلى النفس عنك أنك فارقتنا دون أن ترى يوماً كريها يبغض لك عيشك ويحبب الموت إليك حتى يسر الروح بفراق البدن فى مثل هذه الحال ، وهذا من قول بعضهم :

وَهوّنَ مِنْ وَجْدِي وليس بهيّنٍ ... سَلاَمَتُها بالموت من جَزْعة الثُّكل

(٣) مسبطر : ممتد ؛ ويروى مستظل ومستطيل ، وقد أنكر الصاحب بن عباد لفظة مسبطر . قال : إن ذكرها فى مرثية النساء من الخذلان المبين ..والصاحب مولع بنقد المتنبي وذمه بالحق وبالباطل ، وإلا فالكلمة لاغبار عليها ؛ وقال العروضى : سمعت أبا بكر الشعرانى خادم المتنبي يقول : قدم علينا المتنبى وقرأنا عليه شعره فأنكر هذه اللفظة ، وقال مستظل ، قال العروضى : وإنما غيرها الصاحب وأنكرها عليه . يقول : مت وأنت فى هذه الحال من العز المتطاول والملك الكامل من ملك ابنك .

(٤) المثوى : المنزل يريد قبرها الذى أقامت به . والغادى : السحاب يغدو بالمطر ؛ والنوال : العطاء . يدعو لها بأن يسقى قبرها سحاب يفضل السحب فيضا كما كان عطاء كفها يفضل عطاء الأكف سخاء ؛ وفيه إرشارة إلى أنها كانت كثيرة العطاء .

(٥) الساحى : الذى يقشر الأرض بشدة انصبابه ؛ والأجداث : القبور؛ والحفش: شدة الوقع ، ويقال حفشت السماء حفشا : إذا جادت بالمطر ؛ وحفشت الأودية :سالت

أُسَائِلُ عَنْكِ بَعْدَكِ كلَّ مَجْدٍ ، وَمَا عَهْدِى بِمَجْدٍ عَنْكِ خَالِى (١)
يَمُرُّ بِقَبْرِكِ العَافِى فَيَبْكِى ، وَيَشْغَلُهُ البُكَاءُ عَنِ السُّؤَالِ (٢)
وَمَا أَهْدَاكِ لِلْجَدْوَى عَلَيْهِ لَوَ أنَّكِ تَقْدِرِينَ عَلَى فَعَالِ (٣)

والمخالى : جمع مخلاة ، الوعاء الذى يجعل فيه التبن والشعير للدابة . بالغ فى وصف المطر حيث جعله فى إلحاحه على القبر بالقشر كأيدى الخيل إذا رأت مخالى الشعير فإنها تنشط وتحفر الأرض بقوائمها . قال الواحدى : وليس هذا من مختار الكلام ولا من المستحسن أن يسأل السقيا لقبر بمطر يحفر حفر أيدى الخيل . وقال ابن جنى : الغرض من الدعاء للقبور بالغيث : الإنبات وما يدعو الناس إلى الحلول والإقامة ، وهو مذهب العرب ؛ ألا ترى إلى قول النابغة :

ولا زالَ قبر بين بُصْرَى وجاسم عليهِ مِنَ الوَسْمِىِّ سَحٌّ ووابِلُ
فيُنبِتُ حَوْذاناً وعوفاً مُنَوِّراً سأُتبِعُهُ من خيرِ ما قالَ قائلُ (١)

وكلما اشتد المطر كان أجم لنباته وأسرع له .

(١) يقول : لم أر مجدا خاليا منك أيام حياتك فأنا بعد وفاتك أسأل عنك كل مجد لأنك كنت صاحبته الملازمة له ، فأنا أطلبك منه كما يطلب الإنسان ممن طالت صحبته معه . وقوله خالى : إما جعلته نعتا لمجد — أى ليس لى عهد بمجد خال عنك — وإما جعلته حالا سادة مسد الخبر ، كما تقول : عهدى بك شجاعا ؛ وأسكنه للضرورة ، أو على لغة من يقول : رأيت قاضى

(٢) العافى : السائل وطالب المعروف . يقول : إذا مر بقبرها السائل ذكر ما كان يشمله منها فبكى وشغله ذلك البكاء عن أن يسألها كعادته ، قال البحترى :

فَلَم يَدْرِ رسمُ الدارِ كيفَ يُجيبُنا ، ولا نحنُ مِنْ فَرْطِ البكا كيف نسألُ

(٣) ما — فى ما أهداك — تعجبية ؛ والجدوى : العطاء والإفضال ؛ والفعال : الفعل الحسن . يقول : ما أعرفك بالإفضال على العافى ! ولكن الموت حال بينك وبين العطاء ولولا ذلك لكنت تعطينه وإن لم يسأل كعادتك فى الحياة .

---

(١) الحوذان : نبت يرتفع قدر الذراع . له زهرة حمراء فى أصلها صفرة ، وورقته مدورة ؛ والحافر يسمن عليه ، وهو من نبات السهل ، حلو طيب الطعم ؛ والعوف : نبت طيب الريح .

بِعَيْشِكِ هَلْ سَلَوْتِ فَإِنَّ قَلْبِي ، وَإِنْ جَانَبْتُ أَرْضَكِ غَيْرُ سَالِي (١)
نَزَلْتِ عَلَى الْكَرَاهَةِ فِي مَكَانٍ بَعُدْتِ عَنِ النُّعَامَى وَالشَّمَالِ (٢)
تُحَجَّبُ عَنْكِ رَائِحَةُ الْخُزَامَى ، وَتُمْنَعُ مِنْكِ أَنْدَاءُ الطِّلَالِ (٣)
بِدَارٍ كُلُّ سَاكِنِهَا غَرِيبٌ طَوِيلُ الْهَجْرِ مُنْبَتُّ الْحِبَالِ (٤)
حَصَانٌ مِثْلُ مَاءِ الْمُزْنِ فِيهِ كَتُومُ السِّرِّ صَادِقَةُ الْمَقَالِ (٥)
يُعَلِّلُهَا نِطَاسِيُّ الشَّكَايَا ، وَوَاحِدُهَا نِطَاسِيُّ الْمَعَالِي (٦)

---

(١) قال الواحدى : يقسم عليها بحياتها ؛ يقول لها : هل سلوت عن حب النوال فإن قلبي وإن بعدت عنك غير سال عن نوالك ؟ وقال ابن جنى وآخرون: هذا مما وضعه في غير موضعه ، ولا يجوز أن يرثى بمثل هذا، قالوا: والمعنى هل سلوت عن الحياة فإنى غير سال عن الحزن عليك، أذكرك وإن كنت بعيدا عن أرضك، وأندبك وإن كنت منتزحا عن موضعك.

(٢) على : بمعنى مع ، وجملة بعدت الخ : نعت لمكان ؛ والعائد محذوف أى بعدت فيه ـ والنعامى : ريح الجنوب ، سميت بذلك لأنها أبل الرياح وأرطبها وأنعمها ؛ والشمال : الريح التى تهب من ناحية القطب . يقول : نزلت ـ على كراهتنا لنزولك ـ فى مكان لا يصيبك فيه نسيم الرياح :

(٣) الخزامى : نبت طيب الريح ؛ والطلال : جمع طل . المطر الخفيف . يقول : وحجبت عنك روائح الأزهار لا تصل إليك وكذلك ندى الأمطار . يشير إلى ما كان يحيط بها فى حياتها من الرياض والبساتين ، وإنما حرمت ذلك بعد وفاتها .

(٤) أراد بالدار : القبر ؛ ومنبت : منقطع ، ومن سكن القبر بعد عن أهله وعشيرته وطال هجره إياهم ، وانقطع وصاله عنهم . فالمراد بالحبال : الشمل . وهذا ينظر إلى قول إبراهيم بن المهدى :

تَبَدَّلَ دراً غيرَ دارى وجيرةً سوایَ وأحداثُ الزمان تنوبُ
أقام بها مستوطنًا غير أنه على طول أيامِ المُقامِ غريبُ

(٥) الحصان : العفيفة ؛ وحصان : مبتدأ ؛ وفيه : خبر ، والمزن : السحاب ، يقول فى هذا المكان امرأة عفيفة مثل ماء المزن فى النقاء والطهارة ، كاتمة للسر ، صادقة فى القول :

(٦) يعللها : أى يعالجها من علتها ؛ والنطاسى: الطبيب الحاذق. والشكايا: واحدها

إذَا وَصَفُوا لَهُ دَاءً بِثَغْرٍ ... سَقَاهُ أَسِنَّةَ الأَسَلِ الطِّوَالِ (١)
وَلَيْسَتْ كَالإِنَاثِ وَلاَ اللَّوَاتِي ... تُعَدُّ لَهَا القُبُورُ مِنَ الحِجَالِ (٢)
وَلاَ مَنْ فِي جِنَازَتِهَا تِجَارٌ ... يَكُونُ وَدَاعُهَا نَفْضَ النِّعَالِ (٣)
مَشَى الأُمَرَاءُ حَوْلَيْهَا حُفَاةً ... كَأَنَّ المَرْوَ مِنْ زِفِّ الرِّئَالِ (٤)

شكوى ، يريد الأمراض التى تشكى ، وأراد بواحدها : ابنها سيف الدولة الذى هو واحد الناس ؛ والواو : للحال . يقول يعالجها قبل موتها ليزيل علتها طبيب الأمراض والحال أن ابنها طبيب المعالى : أى العالم بأدواء المعالى فيزيلها عنها حتى تصح معاليه فلا يدركها نقص أو عاب .

(١) الثغر : موضع المخافة من فروج البلدان ؛ والأسل : الرماح . جعل انتقاض الثغر عليه بمنزلة الداء ، ولما استعار لذلك اسم الداء استعار السقى لنفى ذلك الداء عنه بالرماح لتجانس الكلام ؛ إذ يلاحظ أن الثغر يكون بمعنى الفم أيضاً ، فزاد الاستعارة بذلك حسناً . يقول . إذا ذكروا له انتقاض ثغر من ثغور المسلمين لغلبة الكفار نفاهم عنه بأسنة الرماح فعاد إلى الطاعة ؛ يعنى : ولكنه مع ذلك لم يدفع عنك الموت لأنه لا دافع له ، والأصل فى هذا المعنى قول ليلى الأخيلية :

إذا هَبط الحَجَّاجُ أرضاً مريضة ... تَتبَّعَ أقصَى دائها فشفاها
شَفاها مِنَ الداءِ العُضالِ الذى بها ... غلامٌ إذا هَزَّ القناةَ سَقاها

وقال أبو تمام :

وقد نُكِسَ الثغرُ فابعثْ له ... صدورَ القَنا فى ابتغاء الدواء

(٢) الحجال : جمع حجلة ، بيت صغير فى جوف البيت يستر النساء . يقول : ليست كغيرها من النساء اللواتى يعدلها القبر ستراً لأنها كانت مصونة مستورة قبل أن تستتر بالقبر .

(٣) الجنازة — بالفتح والكسر — واحد ، وقيل بالفتح : النعش إذا كان الميت فيه ، وبالكسر : النعش وحده ؛ والتجار : جمع تجر — بالفتح — جمع تاجر ، مثل صحاب وصحب . يقول : ولم تكن من نساء السوقة يتبع جنازتها تجار وباعة ينفضون النعال من التراب إذا انصرفوا عن القبر ، أى أنها كانت ملكة .

(٤) حوليها : كحولها ، تقول حولك وحوليك وحواليك وحوالك : الجميع بمعنى واحد ؛

وَأَبْرَزَتِ الْخُدُورُ مُخَبَّآتٍ ... يَضَعْنَ النِّقْسَ أَمْكِنَةَ الْغَوَالِي (١)
أَتَتْهُنَّ الْمُصِيبَةُ غَافِلَاتٍ ... فَدَمْعُ الْحُزْنِ فِي دَمْعِ الدَّلَالِ (٢)
وَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا ... لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ (٣)
وَمَا التَّأْنِيثُ لِاسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ
وَلَا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهِلَالِ (٤)

والمرو : حجارة بيض براقة ؛ والزف : صغار الريش ؛ والرئال : جمع رأل ، وهو ولد النعام . يقول : لشرفها وشرف ابنها شيعها الأمراء ومشوا حواليها حفاة يطأون الحجارة فلا يحسون غلظها لشدة الحزن كأنهم يطأون ريش النعام .

(١) النقس : المداد ؛ والغوالى : جمع الغالية ، أخلاط من الطيب يتضمخ بها. يقول خرجت لموتها نساء كن مخبآت فى الخدور غير مباليات بالتستر وهن يسودن وجوههن بالمداد مكان الغالية التى كن يتطيبن بها حزنا للمصيبة بموتها ؛ ولعله يريد جوارى المرثية ، وهذا منقول من قول بعضهم :

قد كانت الأبكار بيضاً فاغتدت ... سوداً لفقدك أوجه الأبكار
وهتكن أستار الحياء وطالما ... سُترت محاسنُهن بالأستار
وظهرن للأبصار بعد تسترٍ ... بالحُجْبِ دون لواحظ الأبصار

ومثله :

قد كن يخبأن الوجوه تستراً ... فالآن حين بدَوْنَ للنُّظّار

(٢) يقول : فجعن بفقدها على حين غفلة . فبيناهن يبكين دلالا على سبيل الدعابة إذ بكين حزناً ، فاختلط الدمعان ، فهن يبدين الدلال مع الحزن والذلة مع الحسن .

(٣) يقول : لو كان نساء العالم كهذه المرثية فى الكمال لفضلن على الرجال . يعنى أن هذه المرثية كانت أفضل من الرجال ، فلو أشبهها غيرها من النساء لكن مثلها فى الفضل — أى فضلهن على الرجال — قال ابن وكيع : وهذا ينظر إلى قول على بن الجهم :

إذا ماعُدَّ مثلكم رجالاً ... فما فضلُ الرجالِ على النساء

(٤) ما — هنا — تميمية ؛ ولك أن تجعلها حجازية فتنصب «عيب» و«فخر» يقول :

وَأَفْجَعُ مَنْ فَقَدْنَا مَنْ وَجَدْنَا قُبَيْلَ الْفَقْدِ مَفْقُودَ الْمِثَالِ (١)
يُدَفِّنُ بَعْضُنَا بَعْضاً وَتَمْشِي أَوَاخِرُنَا عَلَى هَامِ الْأَوَالِي (٢)
وَكَمْ عَيْنٍ مُقَبَّلَةِ النَّوَاحِي كَحِيلٌ بِالْجَنَادِلِ وَالرِّمَالِ (٣)
وَمُغْضٍ كَانَ لَا يُغْضِي لِخَطْبٍ ،
وَبَالٍ كَانَ يُفْكِرُ فِي الْهُزَالِ (٤)
أَسَيْفَ الدَّوْلَةِ اسْتَنْجِدْ بِصَبْرٍ ، وَكَيْفَ بِمِثْلِ صَبْرِكَ لِلْجِبَالِ (٥)

لم تزر بها الأنوثة ، كما لا يزرى بالشمس تأنيث اسمها ، والذكورة لا تعد فضيلة فى أحد كما لا يحصل للقمر فخر بتذكير اسمه :

والشمسُ ليسَ بضائرٍ تأنيثُهَا وتزيدُ بالنورِ المُنيرِ عَلَى القمَرْ

(١) أفجع : مبتدأ ، خبره : من وجدنا ؛ ومفقود المثال : مفعول ثان لوجدنا. يقول أشد المفقودين فجعة على الفاقدين من كان مفقود النظير فى حال حياته ، فإن من وجد له نظير يتسلى عنه بوجود نظيره ، وبمن يتسلى عمن لا نظير له ؟

(٢) الهام ؛ الرءوس ؛ ويريد بالأوالى : الأوائل ، فقلب ، وهو كثير فى كلامهم . يقول : ندفن أمواتنا ونمشى على رءوسهم بعد الموت ؛ يعنى لا نخلو من فقد ودفن ثم لا نعتبر بمن ندفن ، بل ندوس عليهم غير معتبرين بهم ، والأصـــل فى هـذا المعنى قول النابغة :

حَسْبُ الخليلَيْنِ أن الأرض بينهما هـــذا عليها وهذا تحتَها بالِي

(٣) النواحى: الجوانب ؛ وكحيل : بمعنى مكحولة ، خبر «كم» يقول : كم عين كانت تقبل إعزازا وإكراما فصارت تحت الأرض مكحولة بالرمل والحجارة ؟ .

(٤) أغضى الرجل عينه : قارب بين جفنيها ؛ هذا أصل الإغضاء ، ثم استعمل فى الحلم ، فقيل أغضى على القذى : إذا أمسك عفواً عنه . والخطب : الأمر العظيم . والهزال : النحول : يقول : وكم من إنسان أغضى للموت وكان لا يغضى لنزول خطب به ، وكم من بال تحت التراب وكان إذا رأى فى جسمه هزالا يشتغل قلبه به ويفكر فى علاجه ، وهذا ينظر إلى قول البحترى يرثى غلامه قيصر :

وأصفحُ لِلبِلَى عن ضَوءِ وَجْهٍ غَنِيتُ يَروعُنى فيه الشحوبُ

(٥) يقول : استعن بالصبر على هذا الرزء الذى فجعت به ، فأنت أهل الصبر الثابت على الأرزاء حتى لفقت الجبال فى هذا وبودها أن تكون مثلك فى ثباتك .

فَأَنْتَ تُعَلِّمُ النَّاسَ التَّعَـــزِّى
وَخَوْضَ المَوْتِ فى الحَرْبِ السِّجَالِ (١)

وَحالاتُ الزَّمانِ عَلَيْكَ شَتَّى   وَحالُكَ واحِدٌ فى كلِّ حالِ (٢)

فَلاَ غِيضَتْ بِحَارُكَ يا جُموماً   عَلَى عَلَلِ الغَرائبِ وَالدِّخَالِ (٣)

رَأَيْتُكَ فى الَّذِينَ أَرَى مُلوكاً   كأَنَّكَ مُسْتَقِيمٌ فى مُحالِ (٤)

فَإِنْ تَفُقِ الأَنامَ وَأَنْتَ مِنْهُـــمْ
فَإِنَّ المِسْـــكَ بَعْضُ دَمِ الغَزالِ (٥)

* * *

---

(١) الحرب السجال : التى تكون مرة لك ومرة عليك . يقول : مثلك فى غنى عن أن يصبر ويعزى ، فقد ألفت الخطوب وتمرست بشدائد الدهر وغمرات الحروب حتى تعودت الصبر وصرت تصبر الناس فصرت فى غنى عن أن تصبر :

(٢) شتى جمع شتيت ، بمعنى متفرق . يقول : يتلون الزمان وتختلف حالاته عليك من الصفو والكدر ، ومع ذلك لا تتحول حالك من الصبر والكرم والحلم والرزانة ، فحالك لا تختلف وإن اختلفت أحوال الزمان ، كما قال الآخر :

لا أُمسِكُ المالَ إلا رَيْثَ أُتلِفهُ   ولا يُغيِّرُنى حالٌ إلى حالِ

(٣) غاض الماء : قل ونضب ؛ وغيض الماء : فعل به ذلك . والجموم: الذى يزداد ماؤه وقتا بعد وقت ؛ و«على» : بمعنى مع ؛ والظرف : فى موضع الحال من فاعل جموما والعلل : الشرب الثانى بعد النهل ؛ والغرائب : الإبل الغريبة التى ترد على الحوض وليست لأهل الحوض . والدخال : أن يدخل بعير قد شرب بين بعيرين لم يشربا ليزداد شربا . يقول ــ على طريق الدعاء ــ لا نقصت بحارك يا بحراً كثير الماء وإن وردت عليه الإبل الغريبة وعلت منه . وهذا تمثيل ؛ يريد لا ينقص عطاؤك وإن كثر العفاة والسائلون كما لا ينقص البحر الكثير الماء وإن كثر وراده ، أو تقول : لا ينقطع صبره على توالى المحن وشدتها . يدعو له بذلك

(٤) المحال : المعوج ، من قولهم حالت القوس والعصا ونحوهما : إذا اعوجت بعد استواء . يقول : أنت بين الملوك كالمستقيم بين المعوج : أى أنك تفضلهم فضل المستقيم على المعوج . وقوله فى الذين أرى ملوكا : أى فى الذين أراهم ملوكا ؛ فملوكا : مفعول ثان لأرى ؛ والمفعول الأول : الضمير المحذوف.

(٥) يقول : إن فضلت الناس وأنت واحد منهم فلا عجب ، فقد يفضل بعض الشىء

وقال يمدحه ويذكر استنقاذه أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان العدوى من أسر الخارجي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة :

إِلَامَ طَمَاعِيَةُ الْعَـاذِلِ ، وَلَا رَأْىَ فى الْحُبِّ لِلْعَاقِلِ (١)

جملته ، كالمسك ـ وهو بعض دم الغزال ـ وقد فضله فضلا كثيراً . قال الواحدى : قال أبو الحسن محمد بن أحمد المعروف بالشاعر المغربى : كان سيف الدولة يسر بمن يحفظ شعر المتنبى ، فأنشدته يوماً :

* رأيتك فى الذين أرى ملوكا *

وكان أبو الطيب حاضرا فقلت هذا البيت والذى يتلوه لم يسبق إليه ؟ فقال سيف الدولة : كذا حدثنى الثقة أن أبا الفضل محمد بن الحسين قال كما قلت ، فأعجب المتنبى واهتز ، فأردت أن أحركه ، فقلت إلا أن فى أحدهما عيباً فى الصنعة ، فالتفت المتنبى التفات حنق فقال : ما هو ؟ فقلت قولك : مستقيم فى محال ، والمحال ليس ضد الاستقامة، وإنما ضدها الاعوجاج ؟ فقال الأمير : هب القصيدة جيمية ، فكيف تعمل فى تغيير قافية البيت الثانى ؟ فقلت عجلا كرد الطرف :

فإن تفُق الأنام وأنت منهم فإن البَيْض بعضُ دم الدجاج

فضحك ، وضرب بيده الأرض ، وقال : حسن مع هذه السرعة ، إلا أنه يصلح أن يباع فى سوق الطير ، لأنه مما لا يمدح به أمثالنا يا أبا الحسن .

(١) إلام : هى «إلى» الجارة ، و «ما» الاستفهامية ، وسقطت الألف من « ما » طلبا الخفة وإعدادا بإلى الجارة ، وكذلك يفعلون فى : «مم» و « فيم » ، و « عم » ، و «علام» . و «حتام» . والعاذل : اللائم ؛ والواو ـ فى «ولا رأى» حالية . و«الطاعية» مصدر بمعنى الطمع ، كالكراهية والعلانية . يقول إلى متى يطمع العاذل فى أن أستمع كلامه والحب يقع اضطراراً لا اختيارا ، والعاقل لا يقع فى شرك الحب برأيه واختياره فلا معنى للوم فيه لأن المحب مغلوب على أمره ؟ وهذا منقول من قول بعضهم :

وما مِن فتًى فى الناس يُحْمَدُ عقله فيوجَدُ إلا وهْو فى الحب أحمقُ

قال العكبرى : وهذا البيت ظاهره أن معنى عجزه غير متعلق بمعنى صدره ، وأين قوله فى ظاهره : ولا رأى فى الحب ، من قوله : إلام طماعية ؟ قال : وفى تعلقه به وجوه أحدها يريد إلام يطمع عاذلى فى إصغائى إلى قوله ، والعاقل إذا أحب ، لم يبق له مع الحب رأى يصغى به إلى قول ناصح فعذله غير مجد نفعا ؟ والثانى أن العاقل لا يرتئى فى

يُرَادُ مِنَ القَلْبِ نِسْيَانُكُمْ   وَتَأْبَى الطِّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ (١)
وَإِنِّي لأَعْشَقُ مِنْ عِشْقِكُمْ   نُحُولِي وَكُلَّ امْرِىءٍ نَاحِلِ (٢)
وَلَوْ زُلْتُمُ ثُمَّ لَمْ أَبْكِكُمْ   بَكَيْتُ عَلَى حُبِّيَ الزَّائِلِ (٣)
أَيُنْكِرُ خَدِّى دُمُوعِي وَقَدْ   جَرَتْ مِنْهُ فى مَسْلَكٍ سَابِلِ (٤)

الحب فيقع فيه اختياراً ، وإنما يقع اضطراراً ، فلا معنى لعذله ، والثالث أن العاقل ليس من رأيه أن يورط نفسه فى الحب وإنما ذلك من فعل الجاهل ؛ وعذل الجاهل أضيع من سراج فى الشمس ؛ وكيف يطمع فى نزوعه ؟

(١) يقول : يريد العاذل من قلبي أن ينساكم ويسلو عنكم وأنا مطبوع على حبكم ، فكيف أنتقل عن شىء طبعت عليه والطبع لا يقبل النقل ؟ وهذا كقول العباس بن الأحنف :

لا تحسبنِّى عنكم مُقْصِراً   إنى عَلَى حُبكم مَطبُوعُ

ويروى : ويأبى الطباع ، على أن الطباع مفرد ، بمعنى الطبع ، لا جمع طبع ، وجمعه طبع : ككتاب وكتب .

(٢) يقول : بلغ من عشقى لكم وحبي إياكم أنى أحب نحولى فيكم لأن سببه حبكم ، وأحب كل ناحل من الناس فى الحب لأنه يشبهنى فى أثر حبكم . قال ابن جنى ، وفيه معنى قول أبى الشيص :

أجِدُ المَلامةَ فى هواكِ لذيذةً   حُبًّا لِذِكْرِكِ فَلْيَلُمْنى اللُّوَّمُ

وهو معنى قول الآخر :

أحِب لحبها السودانَ حتى   أحِب لأجلها سودَ الكلاب

(٣) زلتم : بعدتم . يقول ، ولو فارقتمونى ولم أبك على فراقكم سلوا عنكم لبكيت على ما زال من حبى إياكم ، يعنى : أحبكم وأحب حبكم حتى لو ذهب عنى الحب لبكيت على فراقه لاغتباطى بما ألاقيه فى هذا الحب . قال العكبرى : وقوله ولو زلتم وتعقيبه فى آخر البيت بالزائل : من أبواب البديع فى الشعر .

(٤) المسلك السابل : الطريق الكثير المارة . يقول : كيف ينكر خدى ما يسيل عليه من الدموع وهو مسلك لها وهى تجرى منه فى طريق مذلل قد جرت فيه كثيراً فهو يسكن من ذلك إلى حال قد عرفها وألفها ؟

أَأَوَّلُ دَمْعٍ جَرَى فَوْقَهُ ، وَأَوَّلُ حُزْنٍ عَلَى رَاحِلِ (١)
وَهَبْتُ السُّلُوَّ لِمَنْ لَامَنِي ، وَبِتُّ مِنَ الشَّوْقِ فِي شَاغِلِ (٢)
كَأَنَّ الْجُفُونَ عَلَى مُقْلَتِي ثِيَابٌ شُقِقْنَ عَلَى ثَاكِلِ (٣)
وَلَوْ كُنْتَ فِي أَسْرِ غَيْرِ الْهَوَى
ضَمِنْتُ ضَمَانَ أَبِي وَائِلِ (٤)
فَدَى نَفْسَهُ بِضَمَانِ النُّضَارِ وَأَعْطَى صُدُورَ الْقَنَا الذَّابِلِ (٥)

---

(١) يقول : ليس دمعى الآن باول دمع جرى فوق خدى ، وليس حزنى على هذا الفراق بأول حزن على مفارق . يعنى أنه قديم العشق قد بكى كثيرا وحزن على فراق الأحبة .

(٢) يقول : تركت السلو لمن يلومنى على الوجد ، فهو حظه – لا حظى – إذ لى من الشوق شغل شاغل عن السلو واستماع لوم اللائم .

(٣) الثاكل : التى فقدت ولدها . يقول : تباعد ما بين جفونى سهرا فليست تلتقى النوم ، فكأنها ثياب ثاكل شقت . يعنى : إنى فقدتهم وفقدت النوم بعدهم ، فكأن جفونى شقت لفقدهم كما تشق الثاكل ثوبها من الحزن ، وهذا كقوله الآتى :

* قَدْ عَلَّمَ البينُ مِنَّا البينَ أجفانَا *

قال العكبرى : شبه مقلتيه فى حزنهما بتلك الثاكل فى وجدها ، وتبعيد السهر لما بين جفونهما بتشقيق الثاكل الثياب حدادا ، وهذا مما شبه فيه شيئان بشيئين ، وهو من أرفع وجوه البديع . وأخذ المهلبى الوزير هذا المعنى فقال :

تصارَمَتِ الأجفانُ لمَّا صرَمْتَنِي فما تَلْتَقِي إلاَّ عَلَى عَبرةٍ تَجْرِي

(٤) أبو وائل : هو ابن عم سيف الدولة ، وقد خرج إلى وصفه أحسن خروج . يقول : لو كان الذى أسرنى شيئا غير الحب لخرجت من أسره بحيلة وضمان كما فعل أبو وائل ، إذ ضمن للخارجى الذى أسره مالا حتى خرج من أساره ، وقد بين ذلك فيما يلى .

(٥) النضار : الذهب ؛ والقنا الذابل : الرماح ، والرمح يوصف بالذبول للينه . يقول : ضمن لهم الذهب ثم أعطى بدل الذهب صدور الرماح ، وذلك أن سيف الدولة استنقذه من أيديهم بغير فداء ، إذ أتى الخارجى بجيشه وقتله وأنقذ أبا وائل .

وَمَنَّاهُمُ الْخَيْلَ مَجْنُوبَةً فَجِئْنَ بِكُلِّ فَتًى بَاسِلِ (١)
كَأَنَّ خَلَاصَ أَبِي وَائِلٍ مُعَاوَدَةُ الْقَمَرِ الْآفِلِ (٢)
دَعَا فَسَمِعْتَ وَكَمْ سَاكِتٍ عَلَى الْبُعْدِ عِنْدَكَ كَالْقَائِلِ (٣)
فَلَبَّيْتَهُ بِكَ فِي جَحْفَلٍ لَهُ ضَامِنٍ وَبِهِ كَافِلِ (٤)
خَرَجْنَ مِنَ النَّقْعِ فِي عَارِضٍ وَمِنْ عَرَقِ الرَّكْضِ فِي وَابِلِ (٥)
فَلَمَّا نَشِفْنَ لَقِينَ السِّيَاطَ
بِمِثْلِ صَفَا الْبَلَدِ الْمَاحِلِ (٦)

---

(١) مناه الشيء : جعله أمنية له ؛ والأمنية : ما يتمنى . والمجنوبة : الخيل التي لا تركب وإنما تجنب للحاجة إليها . والباسل : الشجاع . يقول : أعطاهم مناهم فوعدهم أن تقاد إليهم الخيل فى فدائه ، فجاءت الخيل ولكن تحمل الفرسان لمحاربتهم .

(٢) أفل القمر : غاب . يقول : كنا بعد أسره كأننا فى ظلمة ، فلما عاد إلينا كان كمعاودة القمر بعد أفوله .

(٣) يخاطب سيف الدولة . يقول : دعاك لاستنقاذه فأجبته ، ولو سكت لما قعدت عنه ولما غفلت ، فكم ساكت وهو بعيد عنك لم تغفل عنه حتى كأنه قائل يسألك حاجة؟ وبعبارة أخرى : دعاك على بعد محله فأجبته على انتزاح مستقره ، ورب ساكت لبعده عنك ، كالمخاطب لك ، لما يوجبه كرمك من اهتمامك بشأنه ، واعتنائك بأمره .

(٤) بك : أى بنفسك : والجحفل : الجيش . يقول : فجعلت إجابته أن أتيته بنفسك فى جيش عظيم ضمن له استنقاذه وكفل برده إلى مكانه .

(٥) النقع : الغبار ؛ والعارض : السحاب ؛ والوابل . المطر الكثير ؛ وخرجن . أى الخيل . يقول . خرجت الخيل للحرب فكانت من الغبار فى سحاب ومن العرق فى مطر .

(٦) الصفا . الصخر . والماحل . الذى لم يمطر . يقول: لما نشفت الخيل من العرق تلقت السياط من أعجازها بمثل الصخر الذى لا ندوة به ، يعنى أنها لم تسترخ ولم تضعف لما لحقها من التعب ، وإنما كانت صلبة تضرب بالسياط فتقع من جلودها على مثل صخر البلد الماحل .

شَفَنَّ لِخَمْسٍ إِلَى مَنْ طَلَبْنَ   قُبَيْـــلَ الشُّفُونِ إِلَى نَازِلِ (١)
فَدَانَتْ مَرَافِقُهُنَّ الثَّرَى   عَلَى ثِقَةٍ بِالدَّمِ الْغَاسِلِ (٢)
وَمَا بَيْنَ كَاذَتَيِ الْمُسْتَغِيـــرِ   كَمَا بَيْنَ كَاذَتَيِ الْبَائِلِ (٣)

---

(١) يقال شفنت الرجل : إذا نظرت اليه بمؤخر عينك ، أو نظرا فى إعراض ، وأنشد الجوهرى للقطامى :

يُسَارِقْنَ الْكَلَامَ إِلَيَّ لَمَّا   حَسِسْنَ حِذَارَ مُرْتَقِبٍ شَفُونِ

قال : وهو الغيور .. والمراد هنا : النظر . يقول : نظرت الخيل إلى أبى وائل ــ الذى كانت جادة فى طلبه ــ قبل النظر إلى نازل عن ظهورها ، يعنى أن فرسان هـذه الخيل لم ينزلوا عن ظهورها خمس ليال حتى بلغوا أباوائل فى ركضة واحدة وأوقعوا بالقوم الذين أسروه .

(٢) دانت : فاعلت . من الدنو : أى قاربت . والثرى : التراب ؛ يقول فساخت قوائمها فى التراب إلى مرافقها ثقة بأن الدم الذى سيسفكه فرسانها سيغسلها ويزيل عنها ذلك التراب ، ويروى بدل الثرى : البرى ، وهو التراب قال مدرك بن حصن الأسدى

مَاذَا ابْتَغَتْ حُبَّى إِلَى حَلِّ الْعُرَى   حَسِبَتْنِي قَدْ جِئْتُ مِنْ وَادِي الْقُرَى
بِفِيكَ مِنْ سَارٍ إِلَى الْقَوْمِ الْبَرَى (١)

والبرية منه لأنهم من التراب ، فهو على هذا غير مهموز ، تقول براه الله يبروه بروآ أى خلقه ؛ وقيل : البرية الخلق ، وأصله الهمز ، يقال برأه الله .

(٣) الـكاذة : لحم الفخذ ؛ والمستغير : الذى يطلب الغارة . والبائل : الذى يتفحج ــ يباعد ما بين رجليه ــ ليبول . يقول : إن هذه الخيل المستغيرة على هؤلاء الخوارج كانت لشدة العدو ــ الجرى ــ تتفحج كما يتفحج البائل لئلا يصيبه البول. ويجوز أن يريد ــ كما قال الواحدى ــ أنها تعرق فى عدوها حتى يسيل العرق بين أرجلها كأنها تبول .

---

(١) يقال فى الدعاء على الإنسان بفيه البرى ، كما يقال بفيه التراب ؛ ومن دعائهم. بفيه البرى ، وحمى خيبرا ، وشر ما يرى ، فإنه خيسرا

فَلَقِينَ كُلَّ رُدَيْنِيَّةٍ وَمَصْبُوحَةٍ لَبَنَ الشَّائِلِ (١)
وَجَيْشَ إمَامٍ عَلَى نَاقَةٍ صَحِيحِ الإمَامَةِ فى الْبَاطِلِ (٢)
فَأَقْبَلْنَ يَنْحَزْنَ قُدَّامَهُ نَوَافِرَ كَالنَّحْلِ وَالْعَاسِلِ (٣)
فَلَمَّا بَدَوْتَ لِأَصْحَابِهِ رَأَتْ أُسْدُهَا آكِلَ الآكِلِ (٤)

---

(١) الرديذية : الرماح ، تنسب إلى ردينة ، امرأة كانت تقوم الرماح . والمصبوحة: الفرس التى تسقى اللبن صباحا لكرامتها على أهلها ؛ والشائل : يريد بها الشائلة ، فحذف الهاء ، وهى الناقة التى قل لبنها وخف ومرؤ ونجع فى شاربه ، ولا يسقاه إلا كرائم الخيل ؛ قال ابن القطاع . حذف الهاء لإقامة الوزن ، والشائلة . التى مر عليها من وقت نتاجها سبعة أشهر فخف لبنها ، وجمعها شول ، والشائل ـ بلاهاء ـ التى تشول بذنبها ولا لبن لها ، وجمعها شول : كرا كع وركع . . قال ابن جنى . سألت المتنبى عن قوله الشائل وقلت له الشائل لا لبن لها ، وإنما التى لها بقية من لبن يقال لها الشائلة بالهاء ، فقال أردت الهاء وحذفتها ، كقول كثير .

لَعَمْرِى لَئِنْ أُمُّ الحَكِيمِ تَرَحَّلَتْ وَأَخْلَتْ لِخَيماتِ العُذَيْبِ ظِلَالَهَا

أراد العذيبة ، فحذف الهاء . يقول المتنبى : إن خيل سيف الدولة استقبلت من الخارجى بالرماح الردينية وبالخيل التى تسقى لبن النياق صباحاً لكرمها .

(٢) وجيش : عطف على كل ـ فى البيت السابق ـ والمراد بالإمام : الخارجى . يقول : ولقيت هذه الخيل جيش إمام فى قومه صحيح الإمامة عليهم ، إذ سلموا له الإمامة ولكنه إمام المبطلين . . . وإنها لكلمة بارعة قوله صحيح الإمامة فى الباطل . وقال ابن جنى : معناها قد صح أن إمامته باطلة لاشك فى ذلك . والتفسير الأول أوجه.

(٣) ينحزن : من الانحياز ، وهو كالانهزام ، الانضمام إلى جانب . والعاسل : الذى يجنى العسل من خلايا النحل . قال شارحو الديوان جميعاً . أى أقبلت خيل الخارجى تنفر وتهرب من جيش سيف الدولة نفور النحل من العاسل . وقال اليازجى . أى إن خيل الممدوح انحازت أمام هذا الجيش ونفرت منه كما ينفر النحل من العاسل . يشير إلى كثرة هذا الجيش وما ألقاه من الهول على جيش سيف الدولة ، وهو الأظهر والأوجه .

(٤) يقول ، فلما ظهرت لأصحاب الخارجى رأى شجعانهم منك شجاعا يأكلهم ويفنيهم ، يعنى كنت أشجع منهم وإن كانوا شجعانا .

بِضَرْبٍ يَعُمُّهُمُ جَـائِرٍ ... لَهُ فِيهِمِ قِسْمَةُ العَادِلِ (١)

وَطَعْنٍ يُجَمِّعُ شُـذَّانَهُمْ ... كَمَا اجْتَمَعَتْ دِرَّةُ الحَافِلِ (٢)

إِذَا مَا نَظَرْتَ إِلَى فَارِسٍ ... تَحَيَّرَ عَنْ مَذْهَبِ الرَّاجِلِ (٣)

فَظَلَّ يُخَضِّبُ مِنْهَا اللِّحَى ... فَتًى لَا يُعِيدُ عَلَى النَّاصِلِ (٤)

وَلَا يَسْتَغِيثُ إِلَى نَاصِرٍ ... وَلَا يَتَضَعْضَعُ مِنْ خَاذِلِ (٥)

وَلَا يَزَعُ الطَّرْفَ عَنْ مُقْدَمٍ ... وَلَا يَرْجِعُ الطَّرْفَ عَنْ هَائِلِ (٦)

---

(١) يقول : إن أ كلك إياهم كان بضرب أتى عليهم جميعاً ، وأنت وإن بالغت فى الضرب وأسرفت إسراف الجائر — الظالم — إلا أنك قسمت الضرب بينهم قسمة العادل ؛ إذ لم ينفلت منهم أحد ، وهو معنى بديع . وقال ابن جنى : هذاالضرب وإن كان لإفراطه جوراً فهو فى الحقيقة عدل لأن قتل مثلهم عدل وقربة إلى الله ؛ وفى معناه لحبيب :

أَنْ لَسْتَ نِعْمَ الجَارُ لِلسُّنَنِ الأُلَى ... إِلَّا إِذَا مَا كُنْتَ بِئْسَ الجَارِ (١)

(٢) الشذان : المتفرقون ؛ والدرة : اللبن إذا كثر وسال ؛ والحافل . التى حفل ضرعها ؛ أى امتلأ باللبن . يقول : إن هذا الضرب لم يتخلص منه شاذ ولا نافر ، بل اجتمعوافيه اجتماع اللبن فى الضرع ، وبعبارة : جمع متفرقهم بشدته وحصرهم بمخافته ، كجمع الضرع لدرته .

(٣) يقول : إذا نظرت إلى الفارس — وهو أقدر على الفرار من الراجل — تحير فزعا منك وهيبة فلم يقدر على الهرب منك ، وأن يذهب ولوذهاب الواحدمن الرجالة .

(٤) الناصل : الذى ذهب خضابه . يقول : فظل سيف الدولة يخضب من الأعداء الحاهم بدمائهم ، غير أنه لايعيد الخضاب على من نصل خضابه فذهب يعنى أنه إذا ضرب إنسانا بسيفه لم يبق فيه مايحتاج إلى إعادة الضربة .

(٥) يقول : إنه مستغن بقوته عمن ينصره فلا يستنصر أحداً مستغيثاً إليه ولا يجزع ولا يستكين من خذلان من يخذله ، لأنه من نفسه الكبيرة فى جيش .

(٦) يزع : يكف ؛ والطرف : الفرس الكريم ؛ والمقدم : مصدر ، أو اسم مكان : أى عن إقدام أو عن محل إقدام ؛ والطرف : النظر . والهائل الأمر العظيم المخيف .

---

(١) بئس الجار : يريد للكفار .

إذا طَلَبَ التَّبْلَ لَمْ يَشْأَهُ ... وَإِنْ كَانَ دَيْنًا عَلَى مَاطِلِ (١)
خُذُوا مَا أَتَاكُمْ بِهِ وَاعْذِرُوا ... فَإِنَّ الْغَنِيمَةَ فِي الْعَاجِلِ (٢)
وَإِنْ كَانَ أَعْجَبَكُمْ عَامُكُمْ ... فَعُودُوا إِلَى حِمْصَ مِنْ قَابِلِ (٣)
فَإِنَّ الْحُسَامَ الْخَضِيبَ الَّذِي ... قُتِلْتُمْ بِهِ فِي يَدِ الْقَاتِلِ (٤)
يَجُودُ بِمِثْلِ الَّذِي رُمْتُمُ ... فَلَمْ تُدْرِكُوهُ عَلَى السَّائِلِ (٥)
أَمَامَ الْكَتِيبَةِ تُزْهَى بِهِ ... مَكَانَ السِّنَانِ مِنَ الْعَامِلِ (٦)

يقول : ولا يكبح فرسه عن إقدام أو عن شيء يقدم عليه ؛ أى لا يخاف شيئاً ولا يخشى أحداً فيرتد ويرجع ، ولا يهوله شيء فيرد طرفه ــ نظره ــ عنه .

(١) التبل: الثأر؛ و«لم يشأه»: لم يسبقه: يقول: إذا طلب ترة ــ ثأراً ــ لم تفته وإن كانت ممتنعة صعبة الحصول كالدين عند الماطل ؛ وإن طال العهد .

(٢) يستهزىء بهم . يقول : اعذروه فيما أتاكم به من ضمان أبى وائل وخذوه فإن الغنم فيما عجل لكم ، وما تأجل وتأخر لعله لا يصل إليكم . . . والذى أتاهم به هو الوقيعة بهم .

(٣) حمص : كانت موضع الواقعة ، ومن قابل : أى العام القابل . يقول : إن كان قد حصل لكم مرادكم فى عامكم هذا من قصد حمص فعودوا فى السنة التالية ليعود إليكم القتال . . .

(٤) الحسام : السيف القاطع . والخضيب : المخضوب . يقول : فإن السيف الذى خضب بدمائكم وقتلتم به لا يزال فى يد من قتلكم به ، فمتى عدتم لقيتم فى المرة الثانية كما لقيتم فى الأولى .

(٥) على السائل : متعلق بـ«يجود» : يقول : هو جواد يجود على سائله بمثل الذى طلبتموه من الضمان فلم تدركوه لأنكم طلبتموه لا عن طريق السؤال فكان منه لكم ما كان .

(٦) الكتيبة : الجماعة من الجيش ؛ والظرف : حال عن الضمير المستكن فى الخبر بعد ــ وهو قوله : مكان السنان ، فإنه خبر عن محذوف ، هو ضمير الممدوح ــ وتزهى : تفتخر ؛ والجملة : حال من الكتيبة ؛ والعامل : صدر الرمح . يقول : هو من عساكره

وَإِنِّى لَأَعْجَبُ مِنْ آمِلٍ   قِتَالاً بِكُمٍّ عَلَى بَازِلِ (١)
أَقَالَ لَهُ اللهُ لَا تَلْقَهُمْ   بِمَاضٍ عَلَى فَرَسٍ حَائِلِ (٢)
إِذَا مَا ضَرَبْتَ بِهِ هَامَةً   بَرَاهَا وَغَنَاكَ فِى الْكَاهِلِ (٣)
وَلَيْسَ بِأَوَّلِ ذِى هِمَّةٍ   دَعَتْهُ لِمَا لَيْسَ بِالنَّائِلِ (٤)
يُشَمِّرُ لِلُّجِّ عَنْ سَاقِهِ   وَيَغْمُرُهُ الْمَوْجُ فِى السَّاحِلِ (٥)

الذين يفتخرون به بمكان السنان من عامل الرمح ، فهو يتقدمهم كما يتقوم السنان الرمح، وهو الطاعن ، وهم بدونه لايغنون شيئاً .

(١) البازل من الإبل : الذى قد فطر نابه وظهر فى السنة التاسعة ، وجمل بازل وناقة بازل ، بلفظ واحد : وكان الخارجى قد ركب ناقة ، وهو يشير بكمه يحث أصحابه على القتال ، فهو يقول . إنى لأعجب ممن يؤمل ظفرا بتحريك كم وركوب ناقة !

(٢) بماض : أى بسيف ماض : أى قاطع ؛ والحائل من الخيل : التى لم تحمل ، وإذ حالت الفرس فهو أشد لها . يقول : هل أوحى الله سبحانه إليه أن لاتلق جيش سيف الدولة بسيف على فرس ؟ وقد كان هذا الخارجى يدعى النبوة ويقول : لا آتى إلا ماأمرنى الله به — فقال المتنبى : آلله أمره أن لايأخذ للحرب عدتها ؟

(٣) الهامة : الرأس . وبراها : قطعها . والكاهل : أعلى مجتمع الكتفين يقول : هل قال الله له لاتلقهم بسيف إذا ضربت به رأساً قطعه ووصل إلى عظم الكاهل حتى يسمع صوته من قطعه ؟ وجعل ذلك الصوت كالغناء منه كما قال أبونواس :

إِذَا قَامَ غَنَّتْهُ عَلَى السَّاقِ حِلْيَةٌ   لَهَا خَطْوُهُ وَسْطَ الْغِنَاءِ قَصِيرُ

« يعنى بالحلية : القيد » فنقل المتنبى وصف القيد إلى السيف .

(٤) يقول : ليس الخارجى بأول من دعته همته إلى مالايناله ؛ وكان هذا الخارجى يطمع فى الخلافة والملك .

(٥) اللج : معظم الماء ؛ والبيت مثل . يقول إن هذا الخارجى فيما يعالجه من مقاومة جيوش سيف الدولة وعجزه عن أقلها ؛ أو أنه فى ادعائه النبوة وطمعه بها فى الخلافة ثم عجزه عن سيف الدولة — وهو أحد أمراء الإسلام — كمن يريد أن يقتحم لجة البحر والموج يغمره فى ساحله ؛ يعنى أنه يتعرض للصعب الكبير وهو يعجز عن السهل الصغير .

أَمَا لِلْخِـــلَافَةِ مِنْ مُشْفِقٍ عَلَى سَيْفِ دَوْلَتِهَا الْفَاصِلِ (١)
يَقُدُّ عِـــدَاهَا بِلَا ضَارِبٍ وَيَسْرِى إِلَيْهِمْ بِلَا حَامِلِ (٢)
تَرَكْتَ جَمَاجِمَهُمْ فِى النَّقَـــا وَمَا يَتَخَلَّصْنَ لِلْنَّـــاخِلِ (٣)
فَأَنْبَتَّ مِنْهُمْ رَبِيـعَ السِّبَاعِ فَأَثْنَتْ بِإِحْسَانِكَ الشَّامِـلِ (٤)
وَعُدْتَ إِلَى حَلَبٍ ظَافِرًا كَعَوْدِ الْحُلِىِّ إِلَى الْعَاطِـلِ (٥)
وَمِثْلُ الَّذِى دُسْتَهُ حَافِيًا يُؤَثِّرُ فِى قَـــدَمِ النَّاعِلِ (٦)

---

(١) الفاصل : القاطع ، ويروى : الفاضل ، يقول أما أحد يشفق على سيف دولة الخلافة ويبقى عليه ويحول بينه وبين كثرة الحروب خشية أن يصيبه سوء فتبقى الخلافة ولا سيف لها ؟

(٢) هذا بيان لسبب وجوب الإشفاق عليه . يقول : هو سيف لهذه الدولة لكنه يقطع الأعداء من غير أن يضرب به ويسرى إليهم غير محمول ؛ يعنى إذا افتقر السيف إلى من يضرب به كان هو منفرداً بفعله ، وإذا التجأ إلى من يحمله كان مكتفياً بنفسه ؛ والمعنى أنه المستقل بالمحاماة عن الخلافة الناهض بنصرتها بنفسه .

(٣) النقا : الكثيب من الرمل . يقول : دست رءوس أصحاب الخارجى بحوافر الخيل فطحنتها وامتزجت بالرمل حتى لو نخل الرمل لم يتخلص من رؤوسهم شىء

(٤) يقول : تركتهم جزراً للسباع فأخصبت بكثرة القتلى ، فكأنك أنبت لها ربيعاً بما وسعت عليها من لحومهم ؛ فلو قدرت السباع لأثنت عليك بما شملتها من إحسانك

(٥) الحلى : جمع حلى ، مايتزين به ؛ والعاطل : التى لا حلى عليها . يقول: وانصرفت إلى دار ملكك — حلب — بعد الظفر بأعدائك كما تعود الحلى إلى من لا حلى لها ، أى أن زينة حلب بك .

(٦) الناعل : ذو النعل ، كما أن الدارع ذو الدرع ، وفى المثل : أطرى إنك ناعلة (١) يقول : إن مافعلته وأنت غير متأهب له يعجز عنه المتأهب ؛ جعل الحافى مثلا لمن لم يتأهب والناعل مثلا للمتأهب .

---

(١) قال أهل اللغة : هذا المثل يقال فى جلادة الرجل ، ومعناه اركب الأمر الشديد فإنك قوى عليه ؛ وأصل هذا: أن رجلا قاله لراعية له وكانت ترعى فى السهولة وتترك الحزونة ، فقال لها : أطرى ـ أى خذى فى أطرار الوادى ـ وهى نواحيه ـ فإنك ذات نعلين . قال الجوهرى :وأحسبه عنى بالنعلين : غلظ جلد قدميها .

وَكَمْ لكَ مِنْ خَبَرٍ شَائعٍ ... لَهُ شِيَةُ الأَبْلَقِ الجَائِلِ (١)
وَيَوْمٍ شَرَابُ بَنِيهِ الرَّدَى ... بَغِيضُ الحُضُورِ إلَى الوَاغِلِ (٢)
تَفُكُّ العُنَاةَ وَتُغْنِي العُفَاةَ ... وَتَغْفِرُ لِلمُذْنِبِ الجَاهِلِ (٣)
فَهَنَّأَكَ النَّصْرَ مُعْطِيكَهُ ... وَأَرْضَاهُ سَعْيُكَ فِي الآجِلِ (٤)
فذِي الدَّارُ أَخْوَنُ مِنْ مُومِسٍ ... وَأَخْدَعُ مِنْ كِفَّةِ الحَابِلِ (٥)

---

(١) الشية : لون يخالف بقية لون الجلد ؛ والأبلق : الذى فيه سواد وبياض؛ والجائل الذى يجول بين الصفين . يقول : كم لك من خبر انتصار وظفر شاع واشتهر اشتهار الشية فى الفرس الأبلق حين يجول بين الخيل .

(٢) الواغل : الداخل على القوم فى شرابهم من غير أن يدعى ، أما الذى يدخل على القوم فى طعامهم فهو الوارش . يقول : وكم لك من يوم حمى فيه الوطيس وتعاطى بنوه كؤوس المنية فأبغض الواغل حضور مثله، وتكره المشاركة فى ذلك الشراب، وهذه استعارة جميلة .

(٣) العناة : جمع عان ، الأسير؛ والعفاة : جمع عاف ، السائل . يقول : ديدنك فك الأسرى ، وإغناء السائلين . والعفو عن المذنبين .

(٤) معطيكه : معطيك إياه ، والآجل : ماقابل العاجل . والآجل فى غير هذا الموضع : من قولهم أجل عليهم شرا يأجله أجلا : خبأه وهيجه ؛ قال توبة ابن مضرس العبسى :

وأهلِ خِبـاء آمنين فجعْتُهم ... بشىء عزيزٍ عاجلٍ أنا آجِله
وأقبلتُ أسعى أسأل القوم ما لهمْ ... سُؤالكَ بالشىء الذى أنت جاهله

« أنا آجله : أى جانيه ؛ وقد كان مر بصبية يتضاربون، فاستغاثه بعضهم على بعض، فضرب صبيا منهم فمات ، ثم جاء إلى أهل المقتول يسألهم عن الخبر كأنه جاهل به » يدعو المتنبى له بأن الله الذى أعطاه النصر على الأعداء يجعله هنيئاً له وأن يرضى عنه فى الآخرة بسعيه.

(٥) الموس والمومسة : الفاجرة. والكفة : الحبالة ، أى الشرك ؛ والحابل: الصائد ذو الحبالة . يقول : إن هذه الدنيا خوانة لأصحابها كالموس لا تقيم على خليل ، وهى أخدع من حبالة الصائد التى تصرع من اطمأن إليها .

تَفَانَى الرِّجَالُ عَلَى حُبِّهَا ... وَمَا يَحْصُلُونَ عَلَى طَائِلِ (١)

* * *

وسار سيف الدولة إلى الموصل لنصرة أخيه ناصر الدولة ، لما قصده معز الدولة الديلمى سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة فقال أبو الطيب :

أَعْلَى الْمَمَالِكِ مَا يُبْنَى عَلَى الْأَسَلِ ... وَالطَّعْنُ عِنْدَ مُحِبِّيهِنَّ كَالْقُبَلِ (٢)

وَمَا تَقِرُّ سُيُوفٌ فِي مَمَالِكِهَا ... حَتَّى تُقَلْقَلَ دَهْراً قَبْلُ فِي الْقُلَلِ (٣)

مِثْلُ الْأَمِيرِ بَغَى أَمْراً فَقَرَّبَهُ ... طُولُ الرِّمَاحِ وَأَيْدِي الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ (٤)

---

(١) الطائل : كل شىء يرغب فيه أو مافيه غناء . يقول : تفانى الناس فى التشاح على الدنيا ولم يحصلوا على شىء ، لأنها تأخذ ما تعطى ، وتهدم ماتبنى وتمر بعد حلاوتها، وتعوج بعد استقامتها ، قبحها الله وقبح من تهالك عليها .

(٢) الأسل : الرماح . يقول : أعلى المماليك رتبة ما أخذ اقتسارا وغلابا ، لا ما جاء عفوا ، ومن أحب الممالك كان الطعن عنده كالقبل : أى يستلذ الطعن استلذاذ القبل وعجز البيت من قول أبى تمام :

يَسْتَعْذِبُون مَنَايَاهُم كأنهُمُ ... لا ييأسون من الدنيا إذا قُتِلوا

والذى يؤخذ من كلام العكبرى أن الضمير فى محبيهن للطعن — على أنه جمع طعنة وإلا لقال عند محبيه ؛ والأظهر عوده إلى الممالك — جمع مملكة — سلطان الملك فى رعيته .

(٣) تقلقل : تحرك حركة عنيفة ؛ والقلل : جمع قلة ، أعلى الرأس ؛ من قلة الجبل يقول : لا تستقر السيوف فى الممالك حتى تتحرك زمانا فى رءوس الأعداء ، يريد لايثبت لك الملك حتى تقطع رءوس المعادين لك . قال العكبرى: وأشار بذلك إلى انصرف الديلمى عن الموصل بغير حرب هيبة لسيف الدولة ، قال : وفيه نظر إلى قول حبيب :

سأجهدُ عزمى والمطايا فإننى ... أرَى المعقول لا يُمتاح إلا من الجُهدِ

ونصب دهرا على الظرفية ورفع قبل لأنه لما قطع عن الإضافة بناه على الضم .

(٤) يقول : مثلك إذا حاول أمرا بعيد المنال قربته عليه الرماح وأيدى الخيل والمطايا يعنى أنه لا يتعذر عليه أمر طلبه لأنه يتمكن منه بماله من العدة والاعتزام الذى ذكره فى البيت التالى .

وَعَزْمَةٌ بَعَثَتْهَا هِمَّةٌ زُحَلٌ
مِنْ تَحْتِهَا بِمَكَانِ التُّرْبِ مِنْ زُحَلِ (١)

عَلَى الْفُرَاتِ أَعَاصِيرٌ وَفِي حَلَبٍ ... تَوَحُّشٌ لِمُلَقَّى النَّصْرِ مُقْتَبَلِ (٢)

تَتْلُو أَسِنَّتُهُ الْكُتْبَ الَّتِي نَفَذَتْ ... وَيَجْعَلُ الْخَيْلَ أَبْدَالاً مِنَ الرُّسُلِ (٣)

يَلْقَى الْمُلُوكَ فَلاَ يَلْقَى سِوَى جَزَرٍ ... وَمَا أَعَدُّوا فَلاَ يَلْقَى سِوَى نَفَلِ (٤)

صَانَ الْخَلِيفَةُ بِالْأَبْطَالِ مُهْجَتَهُ ... صِيَانَةَ الذَّكَرِ الْهِنْدِيِّ بِالْخِلَلِ (٥)

---

(١) عزمة : عطف على طول الرماح ؛ وزحل : مبتدأ ؛ خبره : بمكان الترب ؛ والجملة : نعت همة . يقول : وقربها عليه عزمة حركتها همة تعلو على زحل ـ الكوكب المعروف ـ بقدر علو زحل عن التراب .

(٢) الأعاصير : جمع إعصار ، الريح تلتف بالغبار وتعلو مستطيلة ؛ والتوحش : بمعنى الوحشة . ويريد بملقى النصر : سيف الدولة ؛ أى يلقى النصر حيثما قصد : أى يستقبل به ؛ ومقتبل : قال الواحدى : أى حسن تقبله العيون ، وقيل من قولهم رجل مقتبل الشباب : أى ليس عليه للكبر أثر . يقول : على الفرات ـ النهر المعروف ـ رياح تثير الغبار لمكان جيش أخيك ناصر الدولة ، وفى حلب وحشة لأنك بعدت عنها .

(٣) تتلو : تتبع ؛ ونفذت : مضت ، والأبدال : جمع بدل . يقول . إن رماحه تتبع كتبه إلى أعدائه فهو ينذرهم أولا ، فإن لم يطيعوه صمد إليهم بجيوشه ، ويجعل الخيل بدلا من الرسل : أى لا يستجلب طاعتهم إلا بالإكراه ، فليست كتبه لاستصلاح أو استعتاب وإنما هى للإعلام بأنه قادم ، لأنه لا يحب الظفر اغتيالا ومواراة لثقته بنفسه وهذا من قول الفرزدق :

شَدِيدُ الْحَيَا لا يَخْاتِلُ قِرْنَهُ ... ولكنه بالصحصحان ينازله

وقول صريع الغوانى :

من كان يختِلُ قِرْناً عند موقفه ... فإن قِرنَ عَلَيَّ غيرُ مختتلِ

(٤) جزر السباع : اللحم الذى تأكله ، ويقال تركوهم جزرا : إذا قتلوهم ؛ وما أعدوا عطف على الملوك . والنفل : الغنيمة يقول : إنه يلقى الملوك الذين يخالفونه فيوقع بهم وبجيوشهم ، فلا يكونون إلا مأكلا للسباع ولا تكون أسلابهم إلا غنيمة لأصحابه .

(٥) الضمير فى مهجته : لسيف الدولة ؛ والذكر : من أوصاف السيف ؛ والهندى

الْفَاعِلُ الْفِعْلَ لَمْ يُفْعَلْ لِشِدَّتِهِ ۝ وَالْقَائِلُ الْقَوْلَ لَمْ يُتْرَكْ وَلَمْ يُقَلِ (١)
وَالْبَاعِثُ الْجَيْشَ قَدْ غَالَتْ عَجَاجَتُهُ ۝ ضَوْءَ النَّهَارِ فَصَارَ الظُّهْرُ كَالطَّفَلِ (٢)
أَلْجَوُّ أَضْيَقُ مَا لَاقَاهُ سَاطِعُهَا ۝ وَمُقْلَةُ الشَّمْسِ فِيهِ أَحْيَرُ الْمُقَلِ (٣)
يَنَالُ أَبْعَدَ مِنْهَا وَهِيَ نَاظِرَةٌ ۝ فَمَا تُقَابِلُهُ إِلَّا عَلَى وَجَلِ (٤)

السيف ؛ والخلل أغشية الأغماد يقول : إن الخليفة أكرمه فصانه عما وجه إليه من من الأبطال والرجال كما يصان السيف الهندى بالخلل . وعبارة العكبرى : لما علم الخليفة أنه سيفه الذى يسطو به صانه وحفظه بالأبطال الذين أثبتهم فى رسمه والحماة الذين اختارهم لحفظه ، كما يصان السيف الكريم بالأغماد التى يتخلل فيها ، والجفون التى يحفظ بها ؛ وأشار بهذا إلى أن الخليفة شرفه بتلقيبه بسيف الدولة .

(١) يقول : إنه يفعل ما لم يفعله أحد لصعوبته على من يحاوله فهو قد أتى به بكرا ويكون أبا عذرة ذلك الفعل ، ويقول مالم يقله أحد فى بلاغته وجزالته ولم يترك أيضاً لأن كل بليغ يريد أن يأتى بمثله فهو يقصده ويتكلفه ولا يقدر عليه. قال العكبرى : من روى الفعل ؛ بالنصب أراد : يفعل الفعل ويقول القول ، لأن اسم الفاعل يعمل عمل الفعل ؛ ومن روى بالجر جعله مضافا : كقوله تعالى « والمقيمى الصلاة » .

(٢) غاله يغوله : ذهب به ؛ وأصله الإهلاك ، والعجاجة : الغبرة ؛ والطفل : وقت غروب الشمس . يقول : يبعث إلى أعدائه الجيش الكثيف الذى يستر ضوء الشمس بغباره حتى يصير الظهر كوقت الطفل ؛ وهذا إشارة إلى كثرة جيشه .

(٣) الساطع : المنتشر ؛ والضمير المضاف إليه : للعجاجة . يقول : إن ماسطع من غبار هذا الجيش ملأ كل فضاء ، فكان الجو أضيق شىء به ، لأنه على سعته ملأه حتى ساوى أضيق مافيه ، وكانت عين الشمس فيه أحير العيون ، لأنه بلغ إليها وأحاط بها ؛ وكل هذا مبالغة . وعبارة العكبرى : مابعد من الهواء أضيق بساطع هذا الغبار مما قرب ، لأنه فيه تجتمع جملته وتتراقى كثرته ، وما قرب فإنما يرده الشىء بعد الشىء فينجلى منه ولا يجتمع ، وعين الشمس أحير العيون بقربها من مستقره ودنوها من مجتمعه

(٤) يقول : إن سيف الدولة ينال أبعد من الشمس وهى ترى ذلك فما تقابله إلا على خوف أن ينالها أيضاً لو قصدها ، لأنها ترى أنه مظفر يدرك ما يقصده . وقال بعض الشراح : يريد أن هذا الغبار بتتابعه واتصاله وترادفه يعلو على الشمس مع ارتفاع

قَدْ عَرَّضَ السَّيْفَ دُونَ النَّازِلَاتِ بِهِ
وَظَاهَرَ الْحَزْمَ بَيْنَ النَّفْسِ وَالْغِيَلِ (١)

وَوَكُلُّ الظَّنِّ بِالْأَسْرَارِ فَانْكَشَفَتْ ... لَهُ ضَمَائِرُ أَهْلِ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ (٢)

هُوَ الشُّجَاعُ يَعُدُّ الْبُخْلَ مِنْ جُبُنٍ ... وَهُوَ الْجَوَادُ يَعُدُّ الْجُبْنَ مِنْ بُخْلِ (٣)

موضعها وهى ناظرة إليه غير مساوية فى الارتفاع له فتقابله وجلة من ذهابه بنورها ، وهذا كله إشارة إلى عظم الجيش وكثرته .

(١) عرضه : جعله معترضا ؛ والنازلات : النوائب ؛ ويقال ظاهر بين ثوبين : إذا لبس أحدهما فوق الآخر ، وأصله المعاونة . والغيل : جمع غيلة ، اسم من الاغتيال ؛ يقال قتل فلان غيلة : أى اغتيالا . يقول : جعل سيفه معترضا بينه وبين نوائب الدهر فلا تصل إليه واستعان بالحزم فى دفع الهلاك عن نفسه وأقامه حاجزا بينهما . أى تحصن بحزمه كما يتحصن بالدرع ، أى جعل حزمه كالدرع الواقية له وقد لبس الحزم فوق الدرع فجعله حائلا بين نفسه وبين الهلاك .

(٢) يقول : إنه وكل صادق ظنه بما ينطوى عليه الناس جميعاً ويخفونه دونه ، فعلم ماأسروه وانكشف له ما أضمروه ؛ يعنى أنه ألمعى صادق الفراسة يدرك المغيبات بظنه حتى تنكشف له الضمائر .

(٣) يقول : هو شجاع غير بخيل ، لأن الشجاع يعد البخل جبنا ، لأن البخل معناه خوف الفقر ، والخوف جبن ، والشجاع لا يجبن ، وهو جواد غير جبان ، لان الجواد يعد الجبن بخلا ، لأن معنى الجبن البخل بالروح ، والجواد لا يبخل ، وإذن هو شجاع غير بخيل ، وجواد غير جبان : أى أن الشجاعة والجود فيه وصفان متلازمان ، وهذا من قول أبى تمام :

وَإذا رأيتَ أبا يزيدٍ فى وغًى ... وندًى ومُبدِى غارةٍ ومُعيدا

يقرِى مُرجّيه مُشَاشَةَ مالهِ ... وشبا الأسنّةِ ثُغرَةً وَوَرِيدا (١)

أيقنتَ أنّ من السماح شجاعةً ... تُدْمِى وأن من الشجاعةِ جودا

---

(١) يقرى : يضيف ؛ والمشاشة : رأس العظم الذى يمكن مضغه ؛ والثغرة : نقرة النحر .

يَعُودُ مِنْ كُلِّ فَتْحٍ غَيْرَ مُفْتَخِرٍ وَقَدْ أَغَذَّ إِلَيْـــهِ غَيْرَ مُحْتَفِلِ (١)
وَلاَ يُجِيرُ عَلَيْهِ الدَّهْرُ بُغْيَتَهُ وَلاَ تُحَصِّنُ دِرْعٌ مُهْجَةَ الْبَطَلِ (٢)
إِذَا خَلَعْتُ عَلَى عِرْضٍ لَهُ حُلَلاً وَجَدْتُهَا مِنْهُ فِي أَبْهَى مِنَ الْحُلَلِ (٣)

وعبارة ابن الإفليلى : يريد أنه الشجاع المتناهى الشجاعة ؛ فالبخل عنده باب من الجبن لأن من سمح بنفسه لم يبخل بكرام ماله وهو الجواد المتناهى الجود ، والجود بالنفس غاية الجود ، ومن جاد بنفسه لم يجبن عن عدوه ، ومن كان كذلك فالجبن عنده باب من البخل ، فدل على أن الشجاعة والجود من طريق واحد ، وهذا منقول من قول الآخر :

إلى جوادٍ يعدُّ الجبن مِن بخـــلٍ وباسلٍ بخلُهُ يعتدُّه جُبُنـــا
يَلقى العفاة بمـا يَرْجُون مِن أمل قبلَ السؤالِ ولا يبْغِى به ثمنـــا

وقد بين صريع الغوانى أن الشجاعة جود بالنفس فى قوله :

يجودُ بالنفس إذ ضَنَّ الجواد بهـا والجودُ بالنفسِ أقصى غايةِ الجودِ

(١) أغذ : أسرع فى السير ؛ واحتفل بالأمر : اهتم . يقول : كثرت فتوحه وتوالت ومن ثم لا يفتخر بها ، إذا سار إلى بلد يفتحه سار غير مبال لثقته بقوته وشجاعته ؛ وعبارة العكبرى : هو يفتح الفتوح العظيمة فلا يفخر بها ويسرع إليها ، ولا يحتفل لها . استقلالا لعظيم ما يفعله وارتفاعا عن نهب من يقصده . قال ابن جنى : فإن قيل كيف يكون مغذا غير محتفل ، فالمعنى أنه غير محتفل عند نفسه ، وإن كان محتفلا عند غيره ، لأن كبير الأشياء عند غيره صغير عنده .

(٢) أجار عليه : منعه مما يطلبه . قال تعالى : «وهو يجير ولا يجـار عليه» أى لا يمنع ممـا يريده . يقول : إذا رام الممدوح شيئاً لا يجيره عليه الدهر ولا يحميه منه ، ولا يحصن الدرع منه مهجة من خالفه ، ولا يعصمه من الهلاك إذا أراده كان ما كان من البطولة . أو تقول : إذا تحصن قرنه بالدرع لم يمتنع بها .

(٣) خلعت : يروى جعلت . يريد أن يقول : إذا مدحته تزين مدحى به أكثر ممـا يتزين هو بمدحى . فضرب لهذا المعنى مثلا فقال : إذا ألبست عرضه حللا وجدت تلك الحلل من عرض الممدوح فى شىء أحسن من الحال : أى أن عرضه أحسن من الحال ، وهذا من قول أبى تمـام :

بِذِي الغَبَاوَةِ مِنْ إِنْشَادِهَا ضَرَرٌ ... كَمَا تُضِرُّ رِيَاحُ الوَرْدِ بِالجُعَلِ (١)

لَقَدْ رَأَتْ كُلُّ عَيْنٍ مِنْكَ مَالِئَهَا ... وَجَرَّبَتْ خَيْرَ سَيْفٍ خِيرَةُ الدُّوَلِ (٢)

فَمَا تُكَشِّفُكَ الأَعْدَاءُ مِنْ مَلَلٍ ... مِنَ الحُرُوبِ وَلاَ الآرَاءُ عَنْ زَلَلِ (٣)

وَكَمْ رِجَالٍ بِلاَ أَرْضٍ لِكَثْرَتِهِمْ ... تَرَكْتَ جَمْعَهُمُ أَرْضاً بِلاَ رَجُلِ (٤)

ولم أمدحْكَ تفخيما لشعرى ... ولكنى مدحتُ بكَ المديحا

والعرض : ما يمدح ويذم من الإنسان ؛ والحلل : جمع حلة ، الثياب . قالوا : ولا تسمى حلة إلا إذا كانت ثوبين ، أو إزارا ورداء .

(١) الجعل : ضرب من الخنافس . شبه شعره بالورد ، وحاسده بالجعل . يقول : إذا أنشد الجاهل شعرى تضرر به ، لأنه لا يعرفه ويغيظه ذلك ، فيظهر عليه من أثر الجهل والغيظ ما يظهر على الجعل إذا أصابه ريح الورد فإنه ينال منه كل النيل ؛ وعبارة العكبرى : إذا أنشد شعرى بعد على فهم الجاهل ، وأثر ذلك فى نفسه ، وانكشف له قدر تقصيره ، واستضر بحسن قولى وبديع شعرى كما يستضر الجعل برائحة الورد التى تؤذيه وتقتله لمضادته لها . يعنى إنما يعرف شعرى وجودته وجوهره من هو صحيح الفكر ، وإن كان ضد ذلك نال منه كما ينال الورد من الجعل ، وإن كان مستلذا فى الحقيقة . قال : وهذا من قول الحكيم : الألفاظ المنطقية مضرة بذوى الجهل لنبو إحساسهم عنها .

(٢) يقال : زيد خير الرجال ، وهند خيرة النساء ، فخيرة : مؤنث خير ، بمعنى أفضل ؛ أنثوها بالتاء تشبيها لها بالوصف المحض لمفارقتها صيغة التفضيل ؛ وجربت : يروى وجردت . يقول : أنت ملء كل عين بهيبتك وبهائك وأنت خير سيف لخير دولة ، يعنى دولة الإسلام .

(٣) كشفه عن كذا : أكرهه على إظهاره . يقول : لا تمل الحرب وإن طالت ، لأنك ألفت التمرس بالحروب حتى لا تستطيع الأعداء والأيام أن تحملك على الملل من الحروب ، ولا تزل فى رأى ، فقد أوتيت السداد فى التدبير حتى لا يفضى بك رأى إلى زلل .

(١) يقول : كم جمع الأعداء لك جموعا تغيب الأرض من كثرتهم وتخفى عن الأبصار حتى كأنهم رجال بلا أرض ، فقتلتهم وأفنيتهم حتى خليت أرضهم فبقيت ولا رجل فيها ؛ قال العكبرى : وفيه نظر من ناحية كثرة الجيش إلى قول حبيب فى صفة الجيش :

ملأ الملا عُصباً فكاد بأن يُرَى ... لا خَلْفَ فيه ولا لهُ قُدّامُ

مَا زَالَ طِــــرْفُكَ يَجْرِي فِي دِمَائِهِمِ
حَتَّى مَشَى بِكَ مَشْيَ الشَّارِبِ الثَّمِلِ (١)

يَامَنْ يَسِيرُ وَحُكْمُ النَّاظِرَيْنِ لَهُ ... فِيمَا يَرَاهُ وَحُكْمُ الْقَلْبِ فِي الْجَذَلِ (٢)

إِنَّ السَّعَادَةَ فِيمَا أَنْتَ فَاعِــــلُهُ ... وُفِّقْتَ مُرْتَحِلاً أَوْ غَيْرَ مُرْتَحِلِ (٣)

أَجْرِ الْجِيَادَ عَلَى مَا كُنْتَ مُجْرِيهَا ... وَخُذْ بِنَفْسِكَ فِي أَخْلَاقِكَ الْأُوَلِ (٤)

يَنْظُرْنَ مِنْ مُقَلٍ أَدْمَى أَحِجَّتَهَا ... قَرْعُ الْفَوَارِسِ بِالْعَسَّالَةِ الذُّبُلِ (٥)

---

(١) الطرف : الفرس الكريم ؛ والثمل : السكران يقول : مازلت تخوض دماءهم بفرسك حتى تعثر بالقتلى فمشى بك فرسك مشى السكران : أى أن الدماء لكثرتها أمالته عن سنن جريه وأزلقته حتى مشى مشى السكران .

(٢) الناظران : العينان ، والجذل : الفرح : يقول : إنه ملك لا يرد عن شىء ، فما حكمت به عيناه استحسانا فهو له : أى ماير يده مما يراه يأخذه ولا يعارضه أحد ، ولقلبه ما يحكم به مما يسر : أى إذا تمنى قلبه شيئاً وصل إليه لا يحول دونه حائل . وقال ابن الإفليلى : وله حكم ناظريه أن لا يريهما إليه إلا ما يسره ، وحكم نفسه أن لا يعرفه الله إلا ما يفرحها من نصر وظفر بالأعداء . . . قال الواحدى : الحكم ـ ههنا ـ اسم المفعول ، لا للفعل ؛ فإن الناس مستوون فى أفعال نواظرهم ، وإنما يختلفون فى المحكوم به . يقول : ما حكم به ناظرك استحسانا فهو لك لا يعارضك فيه مانع ، وكذلك الحكم فيما يسره .

(٣) وفقت : دعاء . يقول : أنت مسعود فيما تفعله : أقمت أو ارتحلت، قال العكبرى يشير بهذا إلى ارتحال الديلمى عن الموصل . يقول : إن الذى فعله الله لك من الموادعة التى اختارها محاربك قد جعل لك فيه السعادة وقرن لك به الخيرة .

(٤) يقول : عاود القتال ودع السلم وأجر خيلك على ما كنت تجريها من قصدك الأعداء والسير إليهم ، وخذ نفسك بما عودتها من أخلاقك الأولى قال العكبرى : وذلك أن سيف الدولة كان قد ترك الحرب مدة ، فقال له أجر خيلك على ما كنت مجريها أولا من غزو الروم وحماية الثغور ، فقد كفاك الله ما كنت تحذره على أخيك من الديلمى ، وخذ نفسك بما سلف من أخلاقك وعادتك ، واعدل عن السلم إلى الحرب والجهاد

(٥) ينظرن : أى الجياد : والأحجة : جمع حجاج ، وهو العظم فوق العين ،

فَلاَ هَجَمْتَ بِهَا إِلاَّ عَلَى ظَفَرٍ ... وَلاَ وَصَلْتَ بِهَا إِلاَّ عَلَى أَمَلِ (١)

* * *

وقال يرثى أبا الهيجاء عبد الله بن سيف الدولة بحلب ، وقد توفى بميافارقين فى صفر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة :

بِنَا مِنْكَ فَوْقَ الرَّمْلِ مَا بِكَ فِى الرَّمْلِ
وَهٰذَا الَّذِى يُضْنِى كَذَاكَ الَّذِى يُبْلِى (٢)

كَأَنَّكَ أَبْصَرْتَ الَّذِى بِى وَخِفْتَهُ
إِذَا عِشْتَ فَاخْتَرْتَ الحِمَامَ عَلَى الثُّكْلِ (٣)

تَرَكْتَ خُدُودَ الغَانِيَاتِ وَفَوْقَهَا
دُمُوعٌ تُذِيبُ الحُسْنَ فى الأَعْيُنِ النُّجْلِ (٤)

والعسالة : الرماح تهتز وتضطرب ؛ والذبل : جمع ذابل ، وهو اليابس يقول : إن خيلك تنظر من عيون قد أدمى حجاجها قرع الفوارس إياها بالرماح : أى إن الرماح لا تقع إلا فى مقاديمها ، لأنها لا تنثنى حتى تصاب أعجازها لإقدام فرسانها، قال العكبرى يشير بذلك إلى ما حضه عليه من غزو الروم وحماية الثغور ، وأن خيله قد ألفت ذلك

(١) يدعو له يقول : لا هجمت بخيلك إلا على ظفر بعدوك ، ولا وصلت بها إلا إلى ما تؤمله من الغلبة والظفر

(٢) يقول : بنا منك ونحن فوق الأرض الذى بك وأنت فيها ، يعنى أننا أموات حزناً عليك ، كما أنك ميت فى الأرض ، فإن هذا الحزن يضنى ويهزل مثل الموت الذى يبلى الإنسان ؛ وهذا من قول يعقوب بن الربيع يرثى جارية له تسمى ملكا :

يا ملكُ إن كنتِ تحتَ الأرضِ باليةً ... فإننى فوقَها بالٍ مِنَ الحَزَنِ

(٣) الحمام : الموت ؛ والثكل : فقد الحبيب . يقول : كأنك أبصرت مابى من الوجد بك والحزن عليك فخفت أن تبتلى بمثله لو عشت وفقدت حبيبا عزيزاً عليك ، فاخترت الموت على فقد الأعزة والحزن عليهم

(٤) الغانيات : جمع غانية ، وهى التى غنيت بحسنها عن التحسين ، والأعين النجل الواسعة الحسنة يقول : تركت خدود الحسان من نوادبك وفوقها دموع مسفوحة عليك

تَبُلُّ الثَّرَى سُوداً مِنَ الْمِسْكِ وَحْدَهُ وَقَدْ قَطَرَتْ حُمْراً عَلَى الشَّعَرِ الْجَثْلِ (١)
فَإِنْ تَكُ فِي قَبْرٍ فَإِنَّكَ فِي الْحَشَى
وَإِنْ تَكُ طِفْلاً فَالْأَسَى لَيْسَ بِالطِّفْلِ (٢)

تذهب بحسن العيون ؛ قال الواحدى : وجه إذابة الدمع الحسن أنه يفسد العين، ويزيل حسنها ، كما قال :

أليس يضرُّ العينَ أن يكثُرَ البُكا ويُمنَعَ عنها نومُها وهُجُودُها

وإنما قال «تذيب» ولم يقل «تزيل» لأن الدمع لما كان يذهب بالحسن شيئا فشيئا، كان استعارة الإذابة لمثله أحسن ، وأيضا لما كان الذوب فى معنى السيلان والدمع سائل، كان كأن الحسن سال معه ، وهناك قولان آخران : أحدهما أن الحزن يحمى الدمع ويسخنه وسخونة الدمع تذيب شحمة المقلة ، فتذيب حسنها ، والثانى أن الحسن عرض لا يقبل الإذابة يقول : هذه الدموع تذيب مالا يقبل الإذابة ، فكيف ما يقبلها ؟

(١) الثرى : التراب ، ومن المسك : تعليل ، والجثل : الكثيف يقول : إن هذه الدموع تصل إلى الأرض فتبلها وهى سود لامتزاجها بالمسك وحده لأن الغانيات لا يكتحلن لأجل المصيبة ، ولأن كحل أعينهن يغنيهن عن التكحل ، وقد استعملن المسك قبل المصيبة فبقى فى شعورهن ، والكحل لا يبقى طويلا ، وهذه الدموع قطرت وهى حمر لامتزاجها بالدم ثم غلب عليها سواد المسك فعادت سودا ، وإنما قطرت على الشعر لأنهن نشرن الشعور وهى كثيرة ، وفيها مسك ، فمر الدمع بها فاسودت من مسكها ، وهذا من قول أبى نواس :

وقد غلبتها عَبرَةٌ فدموعها على خدِّها حُمْرٌ وَفى نحرِها صُفْرُ

فجعلها صفرا على النحر لأنها اختلطت بالطيب الذى فيه الزعفران

(٢) الأسى : الحزن، يقول : إن كنت قد تضمنك قبر فإنك لم تفارق القلب ، وإن كنت طفلا صغيرا فإن الحزن عليك ليس بالصغير والرزء بك ليس باليسير . ومعنى المصراع الأول من قول أبى تمام :

لها منزلٌ تحت الثرى وعهدتُها لها منزلٌ بين الجوانحِ والقلبِ

والثانى من قول الآخر :

إن تكُنْ مُتَّ صغيراً فالأسى غيرُ صغيرِ

وَمِثْلُكَ لاَ يُبْكَى عَلَى قَدْرِ سِنِّهِ ... وَلَكِنْ عَلَى قَدْرِ الَمخِيلَةِ وَالأَصْلِ (١)
أَلَسْتَ مِنَ الْقَوْمِ الأُلَى مِنْ رِمَاحِهِمْ ... نَدَاهُمْ وَمِنْ قَتْلاَهُمُ مُهْجَةُ الْبُخْلِ (٢)
بِمَوْلُودِهِمْ صَمْتُ اللِّسَانِ كَغَيْرِهِ ... وَلَكِنَّ فى أَعْطَافِهِ مَنْطِقَ الْفَضْلِ (٣)
تُسَلِّيهِمِ عَلْيَاؤُهُمْ عَنْ مُصَابِهِمْ ... وَيَشْغَلُهُمْ كَسْبُ الثَّنَاءِ عَنِ الشُّغْلِ (٤)

(١) المخيلة ـ ههنا ـ الفراسة ، وهى فى الأصل : السحابة التى يرجى مطرها يقول : ليس البكاء عليك على قدر سنك لأنك صغير لم تبلغ مبالغ الرجال فتوجب فرط البكاء عليك ، وإنما تبكى على قدر أصلك ، إذ أنت من أصل كبير ، وعلى قدر الفراسة فيك ، إذ كنا نتفرس فيك الملك ، فلهذا يكثر البكاء عليك

(٢) الاستفهام : للتقرير ؛ والأُلى : بمعنى الذين . يقول ـ مخاطبا الميت ـ أنت من القوم الذين كرمهم من سلاحهم ، ونداهم من رماحهم ، والبخل من قتلاهم : أى أنت من القوم الذين أفنوا البخل بجودهم ، فاستعار للبخل مهجة وجعل جودهم بمنزلة رماح تطعن بها مهجة البخل ، وهذا من قول أبى تمام :

وإن أزماتُ الدهـرِ حلَّتْ بمَعْشَرٍ ... أُرِيقت دماء المَحْلِ فيها فطُلَّتِ (١)

وقال ابن الرومى :

وما فى الأرضِ أسمحُ من شُجاعٍ ... وإن أعطى القليل منَ النوالِ
وذاك لأنه يُعطيك مِمَّا ... تنىء عليه أطراف العوالى

(٣) الأعطاف : جمع العطف ، وهو الجانب . يقول: إن صبى هؤلاء القوم كغيره من الأطفال لا ينطق ، شأن كل طفل ، ولكن من يتفرس فيه يجد الفضل فى أعطافه ناطقا ، ومخايل الكرم والسيادة ظاهرة واضحة الدلالة :

(٤) المصاب : مصدر ، بمعنى الإصابة . يقول : إن معاليهم تعزيهم عما يصيبهم ، فهم يترفعون عن الجزع الذى هو شنشنة النفوس الوضيعة ، أما من نبل قدره ؛ وارتقت فى المعالى همته ؛ فإنه يتسلى بالمعالى عن الجزع والهلع ، واهتمامه بكسب الثناء والحمد يشغله عن الشغل بما عدا ذلك . والعلياء ـ : بفتح العين والمد . أما بضم العين فهى مقصورة.

(١) المحل : الجدب ، ويقال طل دمه : اى أهدر .

أَقَلُّ بلاءً بالرَّزَايَا مِنَ الْقَنَا   وَأَقْدَمُ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ مِنَ النَّبْلِ (١)
عَزَاءَكَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمُقْتَدَى بِهِ   فَإِنَّكَ نَصْلٌ وَالشَّدَائِدُ لِلنَّصْلِ (٢)
مُقِيمٌ مِنَ الْهَيْجَاءِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ   كَأَنَّكَ مِنْ كُلِّ الصَّوَارِمِ فِي أَهْلِ (٣)

---

(١) أقل : خبر مبتدأ محذوف ؛ أى هم أقل بلاء ؛ والبلاء : فعال من المبالاة ؛ والرزايا : جمع رزية ، المصيبة ؛ والقنا : الرماح . وأقدم : أى أشد إقداماً ، استعمل أفعل منه على حذف الزوائد لضرورة الوزن ، أو تقول إنها من قدم يقدم إذا تقدم ؛ قال حسان بن ثابت :

كلتاهما حلبُ العصيرِ فعاطِنِي   بزُجَاجَةٍ أرخاهما للمفصِلِ (١)

أراد أشد إرخاء . والجحفل : الجيش العظيم . يقول : هم لا يبالون بما يصيبهم من الرزايا كما لا يبالى بها من لا يعرفها — وهو معنى قوله من القنا ، والقنا جماد ، والجماد لا يوصف بالمبالاة — وهم أشد إقداماً لدى الوغى من السهام المرسلة التى تأبى إلا التقدم وبعبارة أخرى : إذا أصابتهم مصيبة لم يبالوا بها ، كأنهم لشدة تجلدهم لا يشعرون بها ، فهم فى ذلك كالرماح تغشى الوغى ولا تبالى بما يصيبها ، وإذا كانوا بين جيشهم وجيش العدو لم يرد وجوههم شىء ؛ كالنبل إذا انطلق فإنه لا يقف دون غايته .

(٢) النصل : حديدة السيف . يقول : الزم عزاءك أو تعز عزاءك الذى يقتدى به الناس فيتعلمون منه التعزى ، لأنك قد تعودت الشدائد ، لأنك سيف والسيف شيمته التمرس بالحروب وعدم المبالاة بمقارعة الحديد . فقوله عزاءك : منصوب على الإغراء ؛ أى الزم عزاءك ؛ أو بفعل مضمر تقديره تعز عزاءك ؛ والمقتدى به فى موضع نصب صفة لـ «عزاءك» والضمير فى «به» للعزاء .

(٣) مقيم : إما صفة لنصل — فى البيت السابق — أو خبر مبتدأ محذوف . أى أنت مقيم . والهيجاء : من أسماء الحرب ، والصوارم : السيوف القواطع . يقول : أنت مقيم فى كل منزل من منازل الحرب تأنس بها ولا تزايلها حتى لكأنك إذا كنت بين السيوف كنت فى أهلك ، وهذا من قول أبى تمام :

---

(١) قبله :

إن التى ناولتَنِي فرددْتُهَا   قُتِلَتْ قُتِلْتَ فهاتِهَا لَمْ تُقْتَلِ

فقوله كلتاهما : أى التى قتلت — أى مزجت بالماء — والتى لم تقتل — أى لم تمزج وأرخاهما للمفصل : أى التى لم تمزج — أى الصرف .

وَلَمْ أَرَ أَعْصَى مِنكَ لِلحُزْنِ عَبْرَةً ... وَأَثْبَتَ عَقْلاً وَالْقُلُوبُ بِلاَ عَقْلِ (١)
تَخُونُ الْمَنَايَا عَهْدَهُ فِي سَلِيلِهِ ... وَتَنْصُرُهُ بَيْنَ الْفَوَارِسِ وَالرَّجْلِ (٢)
وَيَبْقَى عَلَى مَرِّ الْحَوَادِثِ صَبْرُهُ ... وَيَبْدُو كَمَا يَبْدُو الفِرِنْدُ عَلَى الصَّقْلِ (٣)
وَمَنْ كَانَ ذَا نَفْسٍ كَنَفْسِكَ حُرَّةٍ ... فَفِيهِ لَهَا مُغْنٍ وَفِيهَا لَهُ مُسْلِي (٤)

حَنَّ إِلَى الْمَوْتِ حتى ظَنَّ جَاهِلُهُ ... بِأَنَّهُ حَنَّ مُشْتَاقاً إِلَى الوَطَنِ

وقوله أيضاً :

لِتَعْلَمَ أَنَّ الْغُرَّ مِنْ آلِ مُصْعَبٍ ... غَدَاةَ الوَغَى آلُ الوغى وأقارِبُهْ

(١) يقول : لم أر أحداً غيرك لا يطيع دمعة الحزن ، ولا أثبت عقلا منك حين تخلو القلوب من العقول ، يعنى عند شدة الفزع وهول الحروب ؛ يشير إلى أنه صبور عند الشدائد رابط الجأش فى الحروب . وعبرة: أى دمعة، تمييز .

(٢) السليل : الولد ؛ والأنثى : سليلة ؛ قال أبو عمرو بن العلاء : السليلة بنت الرجل من صلبه ؛ وقالت هند بنت النعمان :

وَمَا هِنْدُ إِلاَّ مُهرة عربيةٌ ... سليلة أفْراسٍ تجلَّلها بَغلُ(١)

والرجل : جمع راجل ، وهم المشاة . يقول : متعجباً — : إن المنايا تخونه فى ولده فتخترمه فلا يستطيع لها دفعاً ولـكنها تنصره فى الحرب وتنفذ مراده فى أعدائه ، وفى هذا إشارة إلى أن الموت حتم على رقاب العباد لا يدفع بقوة ولا يعصم منه رفعة ولا سلطان وفيه نظر إلى قول مسلم بن الوليد :

أَلَمْ تَعْجَبْ له أَنَّ المنايا ... فَتَكْنَ به وهُنَّ له جُنودُ

(٣) الفرند : جوهر السيف وماؤه ؛ ويبدو : أى الصبر . يقول : إن صبره باق على حوادث الدهر ظاهرة آثاره ظهور فرند السيف إذا صقل ؛ جعل مرور الحوادث به كالصقل للسيف ؛ والسيف إذا صقل فزال ماعليه من الطبع ـ الصدأ ـ ظهر فرنده ، كذلك هو ؛ إذا امتحن بالحوادث والشدائد ظهر صبره .

(٤) يقول : من كانت نفسه حرة كريمة كنفسك أغنته عن تعزية غيره وأسلته عن

---

(١) تجللها : علاها ؛ وقوله بغل : قال بعضهم إنه تصحيف ؛ والصواب : نغل ـ بالنون ـ وهو الخسيس من الناس والدواب ، لأن البغل لا ينسل .

وَمَا الْمَوْتُ إِلَّا سَارِقٌ دَقَّ شَخْصُهُ يَصُولُ بِلَا كَفٍّ وَيَسْعَى بِلَا رِجْلِ (١)
يَرُدُّ أَبُو الشِّبْلِ الْخَمِيسَ عَنِ ابْنِهِ وَيُسْلِمُهُ عِنْدَ الْوِلَادَةِ لِلنَّمْلِ (٢)
بِنَفْسِي وَلِيدٌ عَادَ مِنْ بَعْدِ حَمْلِهِ إِلَى بَطْنِ أُمٍّ لَا تُطَرِّقُ بِالْحَمْلِ (٣)

مصيبته لأنه يعرف أن الإنسان لا يخلو فى دهره من الحوادث ؛ ومن عرف هذا وطن نفسه على فقد الأحبة .

(١) يقول : ليس الموت إلا سارقا ، بيد أنه ليس كسائر السراق يصول مثلهم بكف يظهرها ويسعى برجل ينقلها حتى يمكن الاحتراس منه ، وإنما هو سارق دق شخصه أى لا شخص له — يصول دون كف يظهرها ، ويسعى دون رجل ينقلها ، فلا يدرى كيف يأتى ، وكيف يعصف بالأرواح ويسرقها من الأجساد : ومن ثم لا سبيل إلى الاحتراس منه

(٢) الشبل : ولد الأسد ، والخميس : الجيش ، يقال : إن النمل إذا اجتمع على ولد الأسد أكله وأهلكه . يقول : إن الأسد يقاوم الجيش الكثير دفاعا عن ولده ولكنه لا يقدر على أن يذود النمل عن ولده مع ضعف النمل ، وإنما يسلمه له ، فهو يحمى ولده من الجليل الكثير ويسلمه إلى الحقير اليسير ، وهذا مثل . يقول : إن سيف الدولة مع بطشه بالجيوش والممالك لم يستطع أن يدفع الموت عن ولده ، مع كون الموت على ما وصفه لا جيش له ولا سلاح ، فلو غير الموت قصد ابنه لدفعه عنه وإن كان عظيما ، ولكن لا مدفع للموت

(٣) الوليد : المولود ، وطرقت المرأة والناقة وكل حامل : نشب ولدها فى بطنها ولم يسهل خروجه : قال أوس بن حجر :

لها صَرْخَةٌ ثُمَّ إِسْكَاتَةٌ كما طرَّقت بنِفاسٍ بِكْرُ

يقول : أفدى بنفسى مولوداً صار بعد حمل الأم إياه إلى بطن أم — وهى الأرض لا تطرق بالحمل . قال الواحدى : وإنما قال لا تطرق لأنها إما جماد لا توصف بالتطريق وإن كانت تسمى أما ، لكون الأموات فى بطنها ، وإما لأن الله تعالى قادر على إخراجها من بطونها بسهولة وسرعة ، كما قال عز من قائل « فإنما هى زجرة واحدة . فإذا هم بالساهرة » ، وفسر قوم هذا البيت على العكس ، قالوا : معنى لا تطرق بالحمل : لا تخرج الولد من بطنها ، والتطريق : إظهار الطريق — من قولهم طرق طرق : أى خل

بَدَا وَلَهُ وَعْدُ السَّحَابَةِ بِالرِّوَى ... وَصَدَّ وَفِينَا غُلَّةُ الْبَلَدِ الْمَحْلِ (١)

وَقَدْ مَدَّتِ الْخَيْلُ الْعِتَاقُ عُيُونَهَا ... إِلَى وَقْتِ تَبْدِيلِ الرِّكَابِ مِنَ النَّعْلِ (٢)

وَرِيعَ لَهُ جَيْشُ الْعَدُوِّ وَمَا مَشَى ... وَجَاشَتْ لَهُ الْحَرْبُ الضَّرُوسُ وَمَا تَغْلِي (٣)

أَيَفْطِمُهُ التَّوْرَابُ قَبْلَ فِطَامِهِ ... وَيَأْكُلُهُ قَبْلَ الْبُلُوغِ إِلَى الْأَكْلِ (٤)

وَقَبْلَ يَرَى مِنْ جُودِهِ مَا رَأَيْتَهُ ... وَيَسْمَعَ فِيهِ مَا سَمِعْتَ مِنَ الْعَذْلِ (٥)

الطريق — يقول : فالأرض أم للموتى لا يخرجون منها ، ثم قال : إن المتنبي كان لا يقول بالبعث ، وليس بوجيه .

(١) الروى ـ بكسر الراء ـ مصدر روى من الماء ، يقال ماء روى ـ بالكسر والقصر ـ ورواء — بالفتح والمد — أى كثير مرو . والغلة : العطش . يقول : ظهر هذا الوليد وشمائله واعدة بالخير وعد السحاب بالرى ثم غاب عنا بموته قبل أن يروينا فأبقى بأنفسنا مثل عطش البلد الجديب إذا أخطأه رى السحاب .

(٢) الخيل العتاق : الكرام ، والركاب : ماتوضع فيه الرجل من السرج . يقول: صد وغاب عنا بموته وقد كانت كرام الخيل تنتظر ركوبه إياها وترتقب أن يصير من السن إلى حال يبدل فيها نعله بالركاب فيبلغ أن يركب الخيل .

(٣) ريع : أخيف وجاشت القدر : غلت وهاجت ، والضروس: الشديدة العض ، ومامشى ، وما تغلى : حالان . يقول : إن الأعداء خافوه وارتاعوا له وهو صبى فى المهد لم يمش بعد واشتد عليهم الخوف حتى كأن الحرب قامت عليهم ، وقوله وما تغلى — أى الحرب — تنبيه إلى أن الحرب قامت معنى لاصورة ، وذلك المعنى هو الخوف ومن روى « يغلى » أراد : جاشت الحرب ، ولم يغل الطفل حنقا عليهم، ومن روى يفلى ـ بالفاء ـ فهو من فليت رأسه بالسيف: أى ضربته . أى قبل أن يضرب الطفل بالسيف ، وروى يقلى : أى لم يبلغ حد القلى والبغض لأعدائه .

(٤) التوراب: لغة فى التراب؛ والفطام : منع الصبى من الرضاع . وهذا استفهام إنكار وتوبيخ . يقول : أيفطمه التراب عن أمه باشتماله عليه قبل أن تفطمه أمه ، ويأكله التراب قبل أن يبلغ هو أن يأكل ؟ قال أشجع السلمى :

فَطَمَتْكَ الْمَنُونُ قبل الفطامِ ... واحتواكَ النُّقصانُ قبل التَّمامِ

(٥) وقبل يرى : أراد قبل أن يرى . يقول — مخاطباً أباه — : مات قبل أن

وَيَلْقَى كما تَلْقَى مِنَ السِّلْمِ وَالْوَغَى ، وَيُمْسِي كما تُمْسِي مَلِيكاً بِلاَ مِثْلِ (١)
تُوَلِّيهِ أَوْسَاطَ الْبِلاَدِ رِمَاحُهُ ، وَتَمْنَعُهُ أَطْرَافُهُنَّ مِنَ الْعَزْلِ (٢)
نُبَكِّي لِمَوْتَانَا عَلَى غَيْرِ رَغْبَةٍ
تَفُوتُ مِنَ الدُّنْيَا وَلاَ مَوْهِبٍ جَزْلِ (٣)
إِذَا مَا تَأَمَّلْتَ الزَّمَانَ وَصَرْفَهُ
تَيَقَّنْتَ أَنَّ الْمَوْتَ ضَرْبٌ مِنَ الْقَتْلِ (٤)

يرى من جوده مارأيته أنت من حمد السائلين وبلوغ الأمور العالية ؛ وقبل أن يلام فى الجود فيسمع ما سمعته ويعرض عن اللوم كما أعرضت .

(١) السلم : المسالمة ؛ والصلح يذكر ويؤنث ، وبفتح السين وكسرها ، والوغى : الحرب . يقول : وقبل أن يلقى ما تلقاه أنت من ارتفاع الشأن وعظم السلطان فى السلم ، ومن ثمرة الظفر فى الحرب ، وقبل أن يصير مثلك ملكا لا نظير له .

(٢) توليه : صفة مليكا . يقول : وقبل أن يتملك البلاد قسرا فيغتصبها برماحه وتمنعه رماحه من أن يعزل . يعنى أنه يتولاها قوة واقتساراً بنفسه ، لا تولية من جهة غيره فيؤمر ثم يعزل

(٣) الموهب ـ كالموهبة ـ العطية ، والجزل : الكثير : يقبح أمر البكاء على الميت ويذكر قلة غنائه من الباكى يقول : نبكى على موتانا ونأسف لفراقهم ونحن نعلم أنه لم يفتهم من الدنيا شىء يرغب فيه أو عطاء وافر يستغنى بإحرازه ، يعنى أن من فارق الدنيا لم يفته بفراقها شىء له خطر

(٤) يقول : إذا ألقيت بالك إلى الزمان وتصاريفه وأثر ذلك فى الإنسان ظهر لك أن فعل الزمان وتقلباته وتأثيره فى الإنسان كفعل السيف ، ومن ثم كان الموت الذى ينتهى إليه الإنسان ضربا من القتل ، ومن أجل ذلك لا يجمل بالمرء أن يغتر بالبقاء ، ويطمئن إلى هذه الدنيا ، كما قال فى آخر القصيدة «وما الدهر الخ» وعبارة الشراح : إذا ما تأملت تصاريف الزمان وتدبرت الدهر وخطوبه تيقنت أن ما حتم على الإنسان من الموت كالذى يتوقعه من القتل ، لأن الأمرين متساويان فى مكروههما ، متماثلان فيما يشاهد من عدم الحياة لهما ، فما ظنك بشىء يكون آخر مصيره إلى أكره ما يحذر من أموره ؟ وهذا يوجب الزهد فى الدنيا ويدعو إلى الإعراض عنها وقلة الاسف عليها ؛ وبعبارة أخرى : إذا تأملت نوائب الدهر المهلكة لأهله علمت أن الموت بها ضرب من القتل ؛ إذ المصير فى الحالين واحد ، وهو فوات الروح ، كما قال الآخر :

هَلِ الْوَلَدُ الْمَحْبُوبُ إلاّ تَعِلَّةٌ ، وَهَلْ خَلْوَةُ الْحَسْنَاءِ إلاّ أَذَى الْبَعْلِ (١)

وَقَدْ ذُقْتُ حَلْوَاءَ الْبَنِينَ عَلَى الصِّبَا ، فَلاَ تَحْسَبَنِّي قُلْتُ مَا قُلْتُ عَنْ جَهْلِ (٢)

إذا بَلَّ مِنْ داء بِهِ خَالَ أنه نجا وبه الداء الذى هُوَ قاتلهْ

قال الواحدى : الداء الذى هو قاتله : الموت ، لأنه محتوم على كل أحد ، فجعل الموت قاتلا . أقول : ولعل الأوجه أن يكون المراد بقول هذا الشاعر « وبه الداء الذى هو قاتله » البقاء الذى ينتهى به إلى الشيخوخة ، ثم الموت ؛ وهو معنى ينظر إلى ماجاء فى الحديث « كفى بالسلامة داء » وفى معنى هذا الحديث يقول حميد بن ثور :

أرى بصرى قد رابنى بعد صحة ، وحَسبُكَ داءً أن تصِح وتَسلما

ويقول الآخر :

كانت قناتى لا تلينُ لِغَامِزٍ فألانها الإصباحُ والإمساء

ودعوت ربى بالسلامة جاهداً ليُصِحَّنى فإذا السلامة داء

(١) التعلة : التعلل ، يقال فلان يعلل نفسه بكذا تعللا وتعلة : إذا كان يطيب به نفسه . يقول : إن السرور بالولد الذى تحبه لا يدوم ، وإنما هو تعلة إلى وقت والحزن بسببه أكثر من السرور به ، ثم قال : خلوتك بامرأتك أذى لك فى الحقيقة ، لأنها تجلب لك ولداً تغتم من أجله ، وتتأذى بتربيته ، ولعل العاقبة إلى الثكل . ينهى عن الخلوة بالمرأة لئلا تلد . وقال ابن جنى : وكذلك إذا خلت الحسناء مع محبها أدى ذلك إلى تأذيه بها إما لأنه يشغل قلبه عما سواها أو لغير ذلك من المضار التى تلحق مواصل الغوانى . . . والأول أوجه . وهذا كله تسلية لسيف الدولة عن ولده .

(٢) الحلواء : الحلاوة . قال زهير :

* تبدلتُ مِنْ حَلوائها طعمَ علقم *

يقول : جربت حلاوة الأولاد وقت شبابى فوجدت الأمر على ما قلته ووصفته ولم أقل ما قلته عن جهل وغفلة ؛ يعنى قوله : «هل الولد المحبوب إلا تعلة ؟» ويجوز أن يكون قوله « على الصبا » على صبا البنين — أى فى حال صباهم . وعبارة ابن جنى : لست أسليك إلا عما قد فجعت به فرأيت الصبر عليه أحزم من الأسى عليه . قال الواحدى : وهذا — أى الذى قال ابن جنى — بعيد .

وَمَا تَسَعُ الأَزْمَانُ عِلْمِي بِأَمْرِهَا ، وَلاَ تُحْسِنُ الأَيَّامُ تَكْتُبُ مَا أُمْلِي (١)
وَمَا الدَّهْرُ أَهْلٌ أَنْ تُؤَمَّلَ عِنْدَهُ حَيَاةٌ ، وَأَنْ يُشْتَاقَ فِيهِ إِلَى النَّسْلِ (٢)

* * *

وقال يمدحه :

لاَ الْحُلْمُ جَادَ بِهِ وَلاَ بِمِثَالِهِ لَوْلاَ ادِّكَارُ وَدَاعِهِ وَزِيَالِهِ (٣)

---

(١) يقول: إن علمي بأمر الزمان أوسع منه فلا يسع علمي ،وإن ما أمليه من الحكم ونوابغ الكلم لا تحسن الأيام أن تكتبه . يعني أنه يعلم ما تعجز الأيام عن مثله ، فهي مع أنها تأتي بالعجائب ـ لا تحسن أن تكتب ما أمليه ؛ فكيف تعلمه ؟ يريد توكيد ماقدمه من حنكته وطبه بالأمور وما حضض عليه من عدم الاكتراث للولد وفقده . وعبارة العكبري : ما تسع الأزمان ما أعلمه من أمرها وأتيقنه من شدة نكدها ، يريد أنها تضيق عن علمه وتعجز عن الاشتمال عليه ، وأن الأيام لا تحسن أن تكتب ما أمليه وتضبط ما أعده ؛ والمعنى أن الأيام التي تأتي بالحوادث لا تحسن أن تكتب ما أمليه من الحكمة والكلام النادر ؛ فكيف تعلمه ؟

(٢) يقول : إن الدهر خوان ليس أهلا أن ترجى عنده الحياة لأنه لا يحقق الرجاء في الحياة ولا يفي بالأمل ، وليس أهلا لأن يشتاق فيه إلى الولد ، لأن الولد إذا عاش بعدك لقي من مكاره الدهر ما ينغص عيشه ويسأم معه الحياة ، ولأنه لا يبقي على الولد بل يفجع به الوالد .

(٣) الحلم : النوم ؛ والمثال : الصورة ؛ والزيال : المزايلة والمفارقة . والضمائر في البيت : للحبيب ـ وإن لم يجر له ذكر ، لدلالة المقام ـ يصف شدة هجر الحبيب وأنه لا يلم به في النوم أيضاً وهم إذا وصفوا الخيال بالامتناع من الزيارة في النوم أرادوا بذلك شدة هجر الحبيب ، كما قال أبو تمام :

* صَدَّتْ وعلَّمتِ الصدودَ خيالَها *

ولا يتصور تعليم الخيال الصدود ، ولكنهم لما يصفون الحبيب بشدة الهجر يجعلون هجر الخيال نوعا من صدوده . يقول : لم يجد الحلم بالحبيب : أي لم أره في النوم ولا رأيت خياله لولا أني أطلت تذكر وداعه ومفارقته وواصلت الفكر فيه ليلا ونهاراً . يعني : تذكري في اليقظة الوداع والفراق أراني في النوم خياله ، ولو أنا غفلت عن ذكره لم أره في النوم : أي أن موجب رؤية الخيال هي استدامة ذكر الوداع والفراق ، قال

إنَّ المُعِيدَ لَنَا المَنَامُ خَيَالَهُ ... كَانَتْ إعَادَتُهُ خَيَالَ خَيَالِهِ (١)

بِتْنَا يُنَاوِلُنَا المُدَامَ بِكَفِّهِ ... مَنْ لَيْسَ يَخْطُرُ أَنْ نَرَاهُ بِبَالِهِ (٢)

الواحدى ناقداً : جود الحلم بالحبيب هو جوده بمثاله ، وجعل أبو الطيب ذلك شيئين ظنا منه أنه يرى الحبيب فى النوم ويرى خياله . ورؤية الحبيب فى النوم هى رؤية خياله لا رؤية شخصه بعينه ؛ وقال بعض الشراح : يريد أنه بعدما ودعه الحبيب بقى يتذكر وداعه ورحيله ، فانقضت الرؤية وخلفها التصور حتى تجسمت صورته فى وهمه ، وصار إذا رأى خياله فى الحلم انتقل إليه ذلك الخيال عن التصور ، لا عن العيان ، فهو يقول لولا استدامة هذا التذكر ماجاد على الحلم بمرأى خياله ولا خيال صورته : وهذا تفسير وجيه ، وهو ينظر إلى قول القائل :

نَمْ فما زَارَكَ الخيالُ ولكنَّكَ بالفِكرِ زُرتَ طيفَ الخيالِ

(١) يقول : إن الذى أعاد المنام لنا خياله فأراناه فى النوم كان ذلك الذى أرانا خيال الخيال ؛ يعنى أنا كنا نصور لأنفسنا فى اليقظة خياله؛ فالذى رأيناه فى النوم كان خيال ذلك الذى كان يتصور لنا فهو خيال الخيال ، وهذا البيت تأكيد لما قبله من أنه يدوم على ذكر الحبيب وذكر حال الوداع والفراق . والمنام ــ فى البيت ــ فاعل المعيد ؛ وخياله : مفعول به وقوله « كانت إعادته » لك أن تجعل « كانت » تامة ، بمعنى حصلت ؛ وخيال خياله : منصوباً بالإعادة ، ويجوز أن يكون أراد . بالإعادة : الشيء المعاد ــ على تسمية المفعول بالمصدر ــ فيكون « خيال خياله » خبر : كانت .

(٢) يصف الحال التى رأى خيال الخيال عليها فى النوم . يقول : رأيناه يعاطينا الشراب بكفه وما كان يجرى فى خاطره أن نراه للبعد الذى بيننا ، والشاعر يجعل ما يراه فى النوم كأنما يراه فى اليقظة ، قال البحترى ؛

أُرَدُّ دُونكِ يقظانًا ويأذَنُ لى ... عليكِ سُكْرُ الكَرَى إن جئتِ وسنانا

ولأبى نواس :

إذا التقى فى النوم طيفانا ... عادا إلى الوصل كما كانا

يا قُرَّةَ العين فما بالنا ... نشقى ويلتذ خيالانا

تجنى الكواكبَ من قلائدِ جِيدِهِ ... ونَنالُ عَيْنَ الشَّمسِ مِنْ خَلْخالِهِ (١)

بِنْتُمْ عَنِ العَيْنِ القَرِيحَةِ فِيكُمُ ، ... وَسَكَنْتُمُ ظَنَّ الفُؤادِ الوالِهِ (٢)

فَدَنَوْتُمُ وَدُنُوُّكُمْ مِنْ عِنْدِهِ ، ... وَسَمَحْتُمُ ، وَسَماحُكُمْ مِنْ مالِهِ (٣)

إنِّى لأُبْغِضُ طَيْفَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ ... إذْ كانَ يَهْجُرُنا زَمانَ وِصالِهِ (٤)

لو شئتِ إذ أحسنتِ لى نائماً ... أتممتِ إحسانك يقظانا

(١) التشبيه فى البعد ، لا فى الصورة . يقول : ما كنا نظن أن نراه فلما رأيناه صرنا كأنا نرى بقلائده الكواكب وبخلخاله الشمس ، يعنى رأينا فى المنام ما لم نصل إليه فى اليقظة ، وقال العكبرى : ما فى قلادته من الدر بالكواكب وخلخاله بعين الشمس ؛ يريد لمعان خلخاله ، وذكر أنه يجنى الكواكب من تلك القلائد بتناوله لها وينال عين الشمس من تلك الخلاخل بلمسه إياها ؛ قال : فأحرز قصبات التشبيه فيما شبه به مما لا زيادة عليه فى حسن النظر ، وأشار إلى المعانقة والملامسة بأحسن إشارة فجعل مديده إلى تلك الفرائد جنيا للكواكب وإلى الخلخال نيلا لعين الشمس .

(٢) القريحة : التى بها قروح من طول البكاء . والوله : التحير ؛ أى ذهاب العقل من جراء الحب . وهذا البيت تأكيد لما ذكره قبل . يقول : بعد تم عن مرأى التى قرحت بالبكاء فى سبيلكم وسكنتم فى ظنى وفكرى ـ أى فى قلبى ـ فليس يخلو القلب من ذكراكم ؛ وظن الفؤاد : ويروى طى الفؤاد ، وهذا كقول القائل .

لئن بَعُدْتَ عنى لقد سَكَنْتَ قلبى ... فسيَّانِ عندى غايةُ البعدِ والقرْب

ومثله قول ابن المعتز المتقدم :

إنا على البِعادِ والتفرقِ ... لَنَلتقى بالذكْرِ إن لم نلتقِ

(٣) يقول : استدنا كم القلب بتفكره فالدنو من قبل القلب — لا من قبلكم — وسمحتم بالزيارة لكثرة فكره فيكم ، والسماح ـ على الحقيقة ـ إنما هو منه لا منكم إذ لو خلا القلب منكم لم يحصل هذا الدنو ، وإذن : لامنة لكم فى هذا . ولما ذكر السماح ذكر المال لتجانس الصنعة ، فالضمير فى « عنده » وفى « ماله » للفؤاد .

(٤) الطيف : الخيال ؛ وأصل الطيف : الجنون ، ثم استعمل فى مس الشيطان ، قال تعالى « إذا مسهم طائف من الشيطان » وقرئ « طيف من الشيطان » ؛ ومنه

مِثْلُ الصَّبَابَةِ وَالْكَآبَةِ وَالأَسَى ... فَارَقْتُهُ فَحَدَثْنَ مِنْ تَرْحَالِهِ (١)
وَقَدِ اسْتَقَدْتُ مِنَ الهَوَى وَأَذَقْتُهُ ... مِنْ عِفَّتِي مَا ذُقْتُ مِنْ بَلْبَالِهِ (٢)

طيف الخيال الذى يراه النائم ؛ يقال طاف الخيال يطيف طيفا ومطافا : أى ألم فى النوم. قال كعب بن زهير :

أَنَّى أَلَمَّ بِكَ الخَيَالُ يَطِيفُ ... وَمَطَافُهُ لَكَ ذِكْرَةٌ وشُعُوفُ (١)

والضمير المستتر فى « يهجرنا » للحبيب . وضمير « وصاله » للطيف . يقول : إنه يبغض طيف الحبيب لأن رؤيته الطيف عنوان الهجر ، إذ لا يراه إلا حال فراق الحبيب ؛ وعبارة العكبرى : هو يبغض طيف محبوبه مع كلفه به ويكرهه مع ارتياحه له ، لأنه كان يهجره فى زمن الوصل ولا يطرقه مع التئام الشمل ، فيقول رؤيتى الطيف عنوان الهجر . قال ابن جنى : هذا يسمى الأكذاب لانه قال فى الأول لا الحلم جاد به ، فزعم أن النوم لا يصل إلى أن يريه الخيال ، ثم ذكر أنه يبغض طيفه . وقال الواحدى : كان من حقه أن يقول إذ كان يوصلنى زمان الهجر ، لأن هجر الطيف زمان الوصل لا يوجب بغضا له ؛ إذ لا حاجة به إلى الطيف زمان الوصل ، ولكنه قلب الكلام على معنى أن هجره زمان الوصل يوجب وصله زمان الهجر .

(١) لك أن تقرأ « مثل » بالرفع على أنها خبر عن محذوف هو ضمير الطيف ؛ وبالنصب : على تقدير أبغضه بغضا مثل . والصبابة : رقة الشوق ؛ والأسى ؛ الحزن ، والضمير من « فارقته » للمحبوب ؛ والجملة تفسير للمماثلة ، أو حال من الصبابة وما يليها ، والتى تعود إليها النون من قوله « فحدثن » على حد قولك : جلس زيد تضحك الجماعة فيعبس . يقول : فارقت من أحبه فحدثت هذه الأشياء ـ الصبابة والكآبة والأسى ـ وكذلك الطيف إنما زار زمن الهجر .

(٢) استقدت : اقتصصت ، من القود ؛ وهو قتل القاتل بالقتيل . والأصل فيه أن يقاد القاتل إلى أهل المقتول ، فربما قتلوه به وربما عفوا عنه . والبلبال : الهم والحزن وهذا تمثيل . يريد : كان الهوى يؤذينى والحبيب غائب ، فلما حضر جعلت إعراضى عن إجابة داعية الهوى وتعففى عما يجرنى إليه جزاء له . وبعبارة أخرى : إنى انتقمت من الهوى بتعففى وإعراضى عن إجابة داعيه ، فأذقته بذلك من الغيظ مثل ما أذاقنى من

---

(١) شعوف : يحتمل أن يكون جمع شعف ؛ ويحتمل أن يكون مصدرا وهو الظاهر والشعف والشعوف : إحراق الحب القلب مع لذة يجدها .

وَلَقَدْ ذَخَرْتُ لِكُلِّ أَرْضٍ سَاعَةً ... تَسْتَجْفِلُ الضِّرْغَامَ عَنْ أَشْبَالِهِ (١)

تَلْقَى الْوُجُوهُ بِهَا الْوُجُوهَ وَبَيْنَهَا ... ضَرْبٌ يَجُولُ الْمَوْتُ فِى أَجْوَالِهِ (٢)

وَلَقَدْ خَبَأْتُ مِنَ الْكَلَامِ سُلَافَهُ ... وَسَقَيْتُ مَنْ نَادَمْتُ مِنْ جِرْيَالِهِ (٣)

وَإِذَا تَعَثَّرَتِ الْجِيَادُ بِسَهْلِهِ ... بَرَّزْتُ غَيْرَ مُعَثَّرٍ بِجِبَالِهِ (٤)

وَحَكَمْتُ فِى الْبَلَدِ الْعَرَاءِ بِنَاعِجٍ ... مُعْتَادِهِ مُجْتَابِهِ مُغْتَالِهِ (٥)

الحزن . قال ابن جنى : قوله من الهوى يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون العرض – أى الهوى نفسه – فيكون هذا من مبالغة الشعر التى ليست لها حقيقة ، والآخر أن يريد المرأة التى شبب بها فيكون على حذف مضاف : أى ذات الهوى .

(١) تستجفل الضرغام : تستدعى إسراعه فى الهرب – من قولهم جفل الظليم وأجفل إذا أسرع – والضرغام : الأسد ؛ وأشباله : أولاده . وقوله « لكل أرض » أى لافتتاح أو غزو أو قتال كل أرض . وكنى بالساعة عن قصر المدة التى يستولى عليها وسرعة تمكنه منها . يقول : ادخرت لفتح كل أرض ساعة مهولة شديدة لو رآها الأسد لأخذه من الروع مايضطره إلى الفرار عن أشباله لشدتها وهولها .

(٢) الأجوال : النواحى ، واحدها : جول ، وجال ؛ والضمير فى « بها » : للساعة ويجوز أن يكون للأرض . يقول : يتلاقى الأبطال فى تلك الساعة وبينهم ضرب شديد يكثر الموت فيه ، يجول فى نواحيه ؛ وفى البيت جناس بين « يجول » و« أجواله » .

(٣) السلاف : أجود الخمر ، وهو أول ما يجرى من ماء العنب من غير عصر ؛ والجريال : ماكان منه أحمر ، وهو دون السلاف . يقول : إن الذى سمعه الناس من كلامى ورأوه إنما هو بمنزلة الجريال من السلافة : أى لم أخرج لهم مختار شعرى وجيد كلامى ، وإنما خبأته لسيف الدولة .

(٤) الجياد : الخيل الكريمة ؛ وبرزت : سبقت . يقول : إذا تعثر الشعراء المجيدون بالكلام السهل سبقتهم غير متعثر بحزنه ، يعنى إذا لم يقدروا على السهل القريب كنت قادرا على الصعب الممتنع ، فجعل الجياد مثلا لفحول البلاغة ؛ والسهل والجبال مثلا لسهل الكلام وصعبه .

(٥) العراء الأرض الواسعة الخالية ؛ والناعج : الأبيض الكريم من الإبل ؛ و« معتاده » نعت لناعج ؛ والضمير المجرور ؛ للبلد العراء ؛ والمجتاب : القاطع ، وهو الذى يقطع الأرض بالسير . والمغتال : المهلك – أى الذى يفنيه بالسير – يصف قوته على السير

يَمْشِى كَمَا عَدَتِ المَطِىُّ وَرَاءَهُ ، وَيَزِيدُ وَقْتَ جَمَامِهَا وَكَلَالِهِ (١)
وَتُرَاعُ غَيْرَ مُعَقَّلَاتٍ حَوْلَهُ فَيَفُوتُهَا مُتَجَفِّلًا بِعِقَالِهِ (٢)
فَغَدَا النَّجَاحُ وَرَاحَ فِى أَخْفَافِهِ ، وَغَدَا المِرَاحُ وَرَاحَ فِى إِرْقَالِهِ (٣)
وَشَرِكْتُ دَوْلَةَ هَاشِمٍ فِى سَيْفِهَا ،
وَشَقَقْتُ خِيسَ المُلْكِ عَنْ رِئْبَالِهِ (٤)

وقطع الفلوات . يقول : وحكمت فى الفلوات أجوبها متى شئت بجمل قد اعتاد السفر وقطع الفلوات ، ومعنى حكمت فيه قطعت به، على ما قدرت كما أردت، لاعتمادى على قوة مطيق .

(١) عدت : ركضت ؛ والمطى : الإبل ؛ والجمام : الراحة ؛ يقال جم الفرس يجم ويجم جما وجماما وأجم : ترك فلم يركب ، فذهب إعياؤه ؛ وفرس جموم : إذا ذهب منه إحضار ـ جرى ـ جاءه إحضار ؛ وكذلك الانثى ، قال النمر بن تولب :

جَمُومُ الشَّدِّ شَائِلَةُ الذُّنابى يَخَالُ بياضَ غُرتِها سراجا(١)

والكلال : الإعياء . يقول : إن هذا الناعج يمشى على مهله فيسبق الإبل الراكضة خلفه : أى أنه يسبق عدو الإبل ماشيا ويزيد عليها سرعة إذا كان كالا من طول السير وهى مستريحة ، فما ظنك به إذا تساوت به الحال وذهب عنه الكلال ؟

(٢) تراع : تخوف ، ومعقلات : مشدودات بالعقال ، يقال عقل البعير وعقله واعتقله : إذا ثنى وظيفه مع ذراعه وشدهما جميعا فى وسط الذراع ، وذلك الحبل هو العقال ، والجمع عقل ـ والمتجفل : المسرع . يقول: إذا طرأ على الإبل مايروعها فنفرت فاشتد عدوها ـ جريها ـ وهى غير معقولة سبقها هذا الناعج وهو فى العقال فتصير وراءه .

(٣) الأخفاف : جمع خف ، مجمع فرسن البعير ؛ والمراح : النشاط ؛ والإرقال : الإسراع . يقول : بسيره أدرك ما أطلب من النجاح ، فالنجاح فى قوائمه ، وهو نشيط فى عدوه لا نشاط إلا فى إرقاله ؛ وبعبارة أخرى : نجاحى كله منوط بقوائمه لأنى أبلغ مطالبى عليه ، وهو نشيط لا نشاط إلا فى إسراعه :

(٤) الخيس : أجمة الأسد ؛ والرئبال : الأسد . يقول : صرت مشاركا للخلافة فى

---

(١) قوله شائلة الذنابى : يعنى أنها ترفع ذنبها فى العدو — أى الجرى —

عَنْ ذَا الَّذِي حُرِمَ اللُّيُوثُ كَمَالَهُ ... يُنْسِي الفَرِيسَةَ خَوْفَهُ بِجَمَالِهِ (١)
وَتَوَاضَعُ الأُمَرَاءِ حَوْلَ سَرِيرِهِ ... وَتُرِي المَحَبَّةَ وَهِيَ مِنْ آكَالِهِ (٢)
وَيُمِيتُ قَبْلَ قِتَالِهِ وَيَبَشُّ قَبْـــلَ نَوَالِهِ وَيُنِيلُ قَبْلَ سُؤَالِهِ (٣)
إِنَّ الرِّيَاحَ إِذَا عَمَدْنَ لِنَاظِرٍ ... أَغْنَاهُ مُقْبِلُهَا عَنِ اسْتِعْجَالِهِ (٤)
أَعْطَى وَمَنَّ عَلَى المُلُوكِ بِعَفْوِهِ ... حَتَّى تَسَاوَى النَّاسُ فِي إِفْضَالِهِ (٥)

سيف الدولة . أى جعلته سيفا لى ، كما هو سيف دولة هاشم ووصلت إلى أسد الملك بشق الخيس إليه ؛ يعنى أن نظام أمرى من عطاياه ، كما أن نظام الدولة من رأيه .

(١) يقول : شققت خيس الملك عن الليث ـ الأسد ـ الذى أعطى من الكمال مالم تعطه الاسود ، لأنه يشركها ببأسه ويفوتها بحسنه وجماله ، فهو لحسنه إذا بطش بعدوه شغله النظر إلى جماله عن خوفه ، وما يتوقعه من بأسه ؛ والأسود إذا افترست فريسة أفزعتها لقبح منظرها ومن روى خوفه : فالخوف مضاف إلى المفعول . لأنه المخوف ؛ ومن روى خوفها : فالمصدر مضاف إلى الفاعل ، لأن الفريسة هى الخائفة .

(٢) تواضع ـ بحذف إحدى التاءين ـ أى تتواضع ؛ والآكال : الأرزاق والأقوات يقول : إن الأمراء لرفعة شأنه يتواضعون له يقبلون الأرض حول سريره ويظهرون له المحبة وهى ـ المحبة ـ من جملة الأرزاق التى تجبى له من مملكته ؛ يعنى أنه محبوب إلى كل أحد .

(٣) النوال : العطاء . يقول : إنه يقتل العدو بخوفه وهيبته قبل أن يقاتله ، ويبش للسائل قبل أن يعطيه ، ويعطيه قبل أن يسأله .

(٤) عمدن : قصدن ؛ والناظر : بمعنى المنتظر ؛ ومقبلها ـ بكسر الباء ـ أى مايستقبل منها . قال الواحدى : والرواية الصحيحة مقبلها ـ بفتح الباء أى إقبالها ، فيكون مصدرا وهذا مثل لعجلته فى العطاء وسبقه السائل . يقول: إن الرياح إذا قصدت من ينتظرها أغنته بسرعتها عن أن يستعجلها فى وصولها إليه ، كذلك هو لا يحتاج إلى محرك له فى الكرم والفضل .

(٥) يقول : لم يخل أحد من إفضاله عليه ، فمن كان دون الملوك ممن هم أهل للعطاء أعطاهم ، أما الملوك فقد من عليهم بالعفو عنهم وترك مما لكهم لهم ، فتساوى الجميع فى إفضاله عليهم ، قال البحترى :

وَإِذَا غَنُوا بِعَطَائِهِ عَنْ هَزِّهِ ، وَالَى فَأَغْنَى أَنْ يَقُولُوا وَالِهِ (١)
وَكَأَنَّمَا جَدْوَاهُ مِنْ إِكْثَارِهِ حَسَدٌ لِسَائِلِهِ عَلَى إِقْلَالِهِ (٢)
غَرَبَ النُّجُومُ فَغُرْنَ دُونَ هُمُومِهِ ، وَطَلَعْنَ حِينَ طَلَعْنَ دُونَ مَنَالِهِ (٣)
وَاللَّهُ يُسْعِدُ كُلَّ يَوْمٍ جَدَّهُ ، وَيَزِيدُ مِنْ أَعْدَائِهِ فِي آلِهِ (٤)
لَوْ لَمْ تَكُنْ تَجْرِي عَلَى أَسْيَافِهِ مُهَجَاتُهُمْ لَجَرَتْ عَلَى إِقْبَالِهِ (٥)

عمّتْ صنائعهُ البريةَ كلها ، فعدَا المقلُّ على الغنيِّ المكثرِ

(١) هزه: أى تحريكه للعطاء بالسؤال ؛ ووالى : تابع . وأن يقولوا : مجرور بـ«عن» محذوفة صلة أغنى ؛ وواله: أمر من الموالاة ، والضمير للعطاء . يقول: وإذا استغنى الناس بما يعطيهم عن أن يحركوه للعطاء تابع عطاءه ؛ فأغناهم بذلك عن أن يكرروا السؤال .

(٢) الجدوى : العطية ؛ والإقلال : القلة والفقر . يقول : لإكثاره العطاء كأنما يحسد سائله على الفقر فيعطى عطاء كثيراً ليصير مثله فقيراً ، وكذلك قال المتنبى نفسه حين سأله ابن جنى عن معناه ، قال المتنبى : أردت إفراطه فى الجود ، حتى كأنه يطلب أن يكون مقلا — كسائله — فهو يفرط فى إعطائه طلباً للاقلال ، فكأنه — لكثرة إعطائه — يحسد على الفقر والقلة حتى يصير فقيراً .

(٣) فغرن : أى فغربن ؛ والهموم : جمع هم ، بمعنى همة . يقول : إن النجوم تغرب وتغور فى مكان أدنى من هممه وتطلع من مكان أدنى من الغاية التى ينالها : أى أن همته تبلغ إلى ماهو وراء النجوم ، وينال أبعد منها ؛ وعبارة الشراح : إن همته بلغت أقصى من مغارب النجوم ، وتطلع النجوم من مشارقها وهى دون ما ناله بهمته ؛ يعنى أن النجوم مع ارتفاع مواضعها وانتزاح مغاربها ومطالعها تغرب مقصرة عما تبلغه همته وتطلع متواضعة عما يدركه تناوله . قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى أن منال الممدوح أبعد من مطلع النجوم : أى لا يصيبه أعداؤه ولا يبلغون مناله .

(٤) الجد : الحظ ؛ وآل الرجل : أهله وأتباعه . يقول : يجدد الله له كل يوم سعادة ويجعل من أعدائه أولياء له ينضمون إليه ويوالونه رغبة أو رهبة ، فيزيد بذلك عدد صحبه وأشياعه .

(٥) يقول : لو لم يقتل أعداءه بسيفه ماتوا بقوة جده وإقبال سعده ، فكأن سيف

لَمْ يَتْرُكُوا أَثَرًا عَلَيْهِ مِنَ الْوَغَى ‏ إِلاَّ دِمَاءَهُمُ عَلَى سِرْبَالِهِ (١)

فَلِمِثْلِهِ جَمَعَ الْعَرَمْرَمُ نَفْسَهُ ، ‏ وَبِمِثْلِهِ انْفَصَمَتْ عُرَى أَقْتَالِهِ (٢)

يَا أَيُّهَا الْقَمَرُ الْمُبَاهِى وَجْهَهُ ‏ لاَ تُكْذَبَنَّ فَلَسْتَ مِنْ أَشْكَالِهِ (٣)

إقباله يقتلهم . جعل مهجهم تجرى على إقباله تشبيها له بالسيف من طريق المشاكله . والمهجة : دم القلب والروح .

(١) الوغى : الحرب ؛ والسربال : الثوب . يقول : لما قاتل أعداءه لم يؤثروا فيه أثراً غير تلطيخ ثوبه بدمائهم التى سفكتها منهم صوارمه .

(٢) العرمرم : الجيش الكثير . ويقال فصمه يفصمه فصما فانفصم : كسره من غير أن يبين ؛ أما القصم — بالقاف — فهو الكسر فيه بينونة ، يقال قصمه يقصمه قصما فانقصم وتقصم . قال ذو الرمة يذكر غزالا شبهه بدملج فضة :

كأنه دُمْلجٌ من فِضَّةٍ نَبَهٌ ‏ فى مَلعبٍ مِن جوارى الحى مفصوم (١)

والعرى — هنا — القوى ؛ والأقتال : الأعداء ، جمع قتل — بكسر القاف — أى المقاتل قال عبد الله بن قيس الرقيات :

واغْترابى عن عامرِ بنِ لؤىّ ‏ فى بلادٍ كثيرة الأقتالِ

والضمير فى «إقتاله» للممدوح ، أو للجيش . يقول : لمثل سيف الدولة — أى له لا لغيره — يجمع الجيش الكثيف نفسه ويسلم طاعته فهو — لأنه يغنمه ويسلبه — كأنه جمع نفسه له . ثم قال : وبمثله من أولى الحزامة والتدبير انفصمت عرى أعدائه وانفرط عقدهم ولم يكونوا شيئاً مذكوراً . أو تقول : إن مثله من يجتمع الجيش الكثير لقتاله ودفع بأسه ولكن مثله من يقتل الجيش ويكسر قواه فلا يغنى أمامه شيئاً .

(٣) المباهى : المفاخر . يقول : — للقمر — لا تسمعن الكذب ولا تكذبك نفسك لست من أمثاله فى الحسن والنور ؛ يعنى أن من قال لك إنك مثله فقد كذبك ، وجعل القمر مباهيا وجهه لانه بحسنه وزيادته كل ليلة كأنه يباهى وجهه

---

(١) شبه الغزال وهو نائم بدملج فضة قد طرح ونسى ، وكل شىء سقط من إنسان فنسيه ولم يهتد له فهو نبه ، وقيل فى نبه إنه المشهور ، وقيل النفيس الضال الموجود عن غفلة لا عن طلب وإنما جعله مفصوما لتثنيه وانحنائه ، ولم يقل مقصوم — بالقاف — فيكون بائنا بائنين .

وَإِذَا طَمَا الْبَحْرُ الْمُحِيطُ فَقُلْ لَهُ ... دَعْ ذَا فَإِنَّكَ عَاجِزٌ عَنْ حَالِهِ (١)
وَهَبَ الذِى وَرِثَ الْجُدُودَ وَمَا رَأَى ... أَفْعَالَهُمْ لِابْنٍ بِلَا أَفْعَـــالِهِ (٢)
حَتَّى إِذَا فَنِيَ التُرَاثُ سِوَى الْعُلَا ... قَصَدَ الْعُدَاةَ مِنَ الْقَنَا بِطِوَالِهِ (٣)

---

(١) طما البحر : ارتفع وزخر . يقول : قل للبحر — إذا امتلأ ماء — دع هذا الامتلاء والافتخار به ، فانك لن تبلغ مبلغه من الجود ؛ فالإشارة بقوله «ذا» إلى ما يفهم من قوله «طما» من العظمة والافتخار : وفى مثل هذا يقول البحترى :

قد قلتُ للغيثِ الرُّكام ولجَّ فى ... إبراقـــه وألحَّ فى إرعاده
لا تعَرِضَنَّ لجعفـــرٍ مُتشبهاً ... بِنَدَى يديهِ فلستَ مِنْ أنداده

(٢) ورث الجدود : أى ورثه من الجدود ، تقول ورثت زيداً مالا : أى من زيد ولابن : مفعول ثان لرأى ؛ والضمير فى «أفعاله» يعود إلى الابن ، و«لا» فى قوله «بلا أفعاله» فى معنى غير . يقول : وهب ما ورثه من جدوده من المال والمآثر كلها فوهب المـال للعفاة وترك مفاخر آبائه لقومه غير مفتخر بها ، لأنه لا يفتخر إلا إلا بفعل نفسه ولا يرى أفعال الجدود شرفا دون أن يبنى عليها . وبعبارة أخرى : وهب الذى ورثه من جدوده من المال ولم يفتخر بأفعالهم ، لأنه يرى أن أفعال الجدود لا يثبت شرفها للابن مالم يشفعها هو بأفعال تماثلها . والأصل فى هذا المعنى قول المتوكل الليثى .

لسنا وإنْ أحسابُنا كرُمتْ ... يوماً عَلَى الأحساب نتكلُ
نبنى كما كانت أوائِلُنـــا ... تَبنى ونفعلُ مثلَ ما فعـلوا

وقال كشاجم :

وإذا افتخرتَ بأعظمٍ مقبورةٍ ... فالناس بين مُـكَذِّبٍ ومُصَدِّق
فأقم لنفسِكَ فى انتسابِكَ شاهداً ... بحديثِ مجدٍ للقـــديم محققِ

وقال الشريف الرضى :

فَخَرْت بنفسى لا بِقَوْمِى مُوَفِّراً ... على ناقصى قومى مآثِرَ أسرَتى

(٣) التراث : المال الموروث . وقوله فنى التراث سوى العلا : لأن المال يفنى بالهبة ؛ والعلا لا تفنى ، وإن ترك الافتخار بها . يقول : لـما لم يبق من المال الموروث شىء قصد الأعداء بالرماح الطوال فامتلأت يده بغنائمهم : أو تقول : لـما فنى ماورثه من الأموال

وَبِأَرْعَنٍ لَبِسَ الْعَجَاجَ إِلَيْهِمِ ... فَوْقَ الْحَدِيدِ وَجَرَّ مِنْ أَذْيَالِهِ (١)

فَكَأَنَّمَا قَذِيَ النَّهَارُ بِنَقْعِهِ ... أَوْ غَضَّ عَنْهُ الطَّرْفَ مِنْ إِجْلَالِهِ (٢)

الْجَيْشُ جَيْشُكَ غَيْرَ أَنَّكَ جَيْشُهُ ... فِي قَلْبِهِ وَيَمِينِهِ وَشِمَالِهِ (٣)

تَرِدُ الطِّعَانَ الْمُرَّ عَنْ فُرْسَانِهِ ... وَتُنَازِلُ الْأَبْطَالَ عَنْ أَبْطَالِهِ (٤)

لا من المعالى ، لأنه لم يضع شيئاً من مجد آبائه — ركب إلى العدا فاتسعت يده بغنائمهم . وقوله بطواله : أى طوال القنا ،

(١) الأرعن: الجيش العظيم المضطرب لكثرته ؛ وقيل سمى الجيش العظيم «أرعن» لأن له فضولا كرعان الجبال . شبه بالرعن من الجبل وهو الأنف العظيم من الجبل تراه متقدماً ، ومن ذلك سميت البصرة رعناء : أى تشبيها برعن الجبل ؛ قال الفرزدق :

لَوْلا أبو مالكٍ المرْجُوُّ نائلُهُ ... ما كانت البصرة الرعناء لى وَطَنَا

والعجاج الغبار : يقول : قصد العدو بجيش عظيم قد لبس فوق ما عليه من الحديد دروعا من العجاج وجر أذيال ذلك العجاج خلفه ، والجيش كلما كثر كثر الغبار ؛ ومن فى قوله من أذياله — زائدة ، كما تقول : جاء يهز من عطفه .

(٢) القذى : ما يقع فى العين من الغبار ونحوه ؛ والنقع : الغبار ؛ وغض الطرف كسره وخفضه ؛ والضمير فى نقعه : للجيش . وفى عنه وإجلاله : للجيش ، أو لسيف الدولة يقول : أظلم النهار بشدة ذلك الغبار حتى كأنما وقع فى ضوئه قذى من الغبار ، يعنى أن الغبار غطى ضوء النهار فصار كالقذى فى عينه ، أو كأن النهار غض طرفه إجلالا له . قال الواحدى : وطرف النهار هو الشمس ، فالمعنى أن هذا الغبار نقص من ضوء الشمس وسترها بتكاثفه .

(٣) قلب الجيش : وسطه . يقول : الجيش على الحقيقة جيشك ، فكل جيش سوى جيشك ليس بجيش ، لكنك جيش جيشك ، لأنه بك يتقوى ، وقلبه وجناحاه تتقوى بك ؛ أو تقول : الجيش جيشك يذود عنك وينزل على حكمك ، ولكنك أنت فى الحقيقة جيشه الذى يقى قلبه وجناحه ويحتمى بك ، وإذا احتمى الملوك بجيوشهم فأنت تحمى جيشك وتدافع عنه بشجاعتك وإقدامك . قال أبو تمام :

لوْ لَمْ يَقُدْ جَحْفَلا يومَ الوَغَى لغدَا ... مِنْ نَفْسِهِ وَحْدَها فِى جَحْفَلٍ لجِبِ

(٤) هذا تبيين لما ذكره فى البيت السابق من أنه جيش جيشه . يقول : لأنك تقاتل

كُلٌّ يُرِيدُ رِجَالَهُ لِحَيَاتِهِ ... يَامَنْ يُرِيدُ حَيَاتَهُ لِرِجَالِهِ (١)
دُونَ الحَلاوَةِ فى الزَّمانِ مَرَارَةٌ ... لاَ تُخْتَطَى إلاَّ عَلَى أَهْوَالِهِ (٢)
فَلِذَاكَ جَاوَزَهَا عَلِيٌّ وَحْــدَهُ ... وَسَعَى بِمُنْصُلِهِ إلَى آمَالِهِ (٣)

* * *

وقال وقد توسط سيف الدولة جبالا بطريق آمد :

يُؤَمِّمُ ذَا السَّيْفُ آمَالَهُ ... وَلاَ يَفْعَلُ السَّيْفُ أَفْعَالَهُ (٤)
إذَا سَارَ فى مَهْمَهٍ عَمَّهُ ... وَإنْ سَارَ فى جَبَلٍ طَالَهُ (٥)

عن فرسان جيشك فيقع عليك الطعام المر دونهم ، وتقاتل أبطال أعدائك عن أبطال جيشك فتكفيهم القتال ومقاساة الطعان . وترد : من ورود الماء ؛ يريد تشبيه الطعان بالمنهل ، ولذلك وصفه بالمرارة .

(١) يقول : كل الملوك يريدون رجالهم ليدافعوا عنهم ويحموهم من أعدائهم ليبقوا ويسلموا ، وأنت تريد أن يبقى رجالك ويسلموا فتدافع عنهم وتحامى دونهم ، وهذا غاية الكرم والشجاعة . وقد بنى المتنبى هذا البيت على حكاية وقعت لسيف الدولة مع الأخشيد وذلك أنه جمع جيشاً وزحف به على بلاد سيف الدولة ؛ فبعث إليه سيف الدولة يقول : لا تقتل الناس بينى وبينك ، ولكن ابرز إلى فأينا قتل صاحبه ملك البلاد ؛ فامتنع الأخشيد ووجه إليه يقول : مارأيت أعجب منك ! أأجمع مثل هذا الجيش العظيم لأقى به نفسى ثم أبارزك ؟ ! والله لافعلت ذلك أبداً .

(٢) لا تختطى : لا تتجاوز . يقول : لا يوصل إلى حلاوة الزمان إلا بعد ذوق مرارته ، ولا تتجاوز تلك المرارة إلا بار تكاب الاهوال ، كما قال :

* ولابُدّ دون الشَّهْدِ من إبَرِ النَّحلِ *

(٣) على : اسم سيف الدولة ؛ والمنصل : السيف . يقول لأن تلك المرارة على ماذكر جاوزها — قطعها — الممدوح وحده ، لأنه لا يركب الأهوال غيره ووصل بسيفه إلى ما كان يؤمله ، فأدركه حين طلبه بالسيف .

(٤) يؤمم : يقصد . يقول : هو ـ سيف الدولة ـ سيف يقصد ويطلب مايؤمله ، ولكنه أمضى من السيف فى بلوغ آماله .

(٥) المهمه : المفازة البعيدة . وطاله ـ من قولهم طاولته فطلته : أى غلبته فى الطول

وَأَنْتَ بِمَا نُلْتَنَا مَالِكٌ ... يُثَمِّرُ مِنْ مَالِهِ مَالَهُ(١)
كَأَنَّكَ مَا بَيْنَنَا ضَيْغَمٌ ... يُرَشِّحُ لِلْفَرْسِ أَشْبَالَهُ(٢)

* * *

وقال يمدحه ويذكر الخيمة التى رمتها الريح ، وكان قد ضرب سيف الدولة خيمة عظيمة بميا فارقين وأشاع الناس أن مقامه يتصل بها فهبت ريح شديدة فوقعت الخيمة فتكلم الناس فى ذلك فقال » :

أَيَقْدَحُ فِى الْخَيْمَةِ الْعُذَّلُ ... وَتَشْمَلُ مَنْ دَهْرَهَا يَشْمَلُ(٣)
وَتَعْلُو الَّذِى زُحَلٌ تَحْتَهُ ... مُحَالٌ لَعَمْرُكَ مَا تُسْأَلُ(٤)

يقول : إذا سار فى الفلوات والأرض السهلة عمها بجنوده ، وإن سار فى الجبل علاه فصار فوقه وليس هذا من أعمال السيف .

(١) نال ينول : إذا أعطى ؛ وثمر ماله : أحسن القيام عليه وأنماه . يقول : أنت بما تعطينا كالمالك الذى ينمى أمواله ، ولكنك تنمى بعضها ببعض .

(٢) الضيغم : الأسد . ورشحه للأمر : هيأه وأهله ، والفرس بمعنى الافتراس ؛ والشبل : ولد الأسد . يقول : أنت ـ لأنك تمرست بمقارعة الأبطال ، وتفردت دوننا بمنازلة الأقران ـ أسد ينهج لأشباله ما يأتيه ويفعله ويضريها على ما يمثله ؛ يعنى أنك تضرينا على الحرب وتعودنا القتال كما يرشح الأسد أشباله للافتراس فيعلمها ذلك .

(٣) أيقدح : أيعيب ؛ والاستفهام إنكارى . والواو من « وتشمل » حالية ؛ والعذل : جمع عاذل ، اللائم . يقول : هؤلاء الذين يلومون الخيمة على السقوط أيعيبونها وعذرها فى هذا التقوض أنها اشتملت على من شمل الدهر فضاقت عنه فلم تثبت حوله ؟ قال الواحدى : وإضافة الدهر إلى الخيمة غير مستحسن ، ولو قال : من دهره يشمل لكان أحسن ؛ ومعنى شمل الشىء : أحاط به : أى أن الخيمة تحيط بمن أحاط بالدهر ؛ يعنى علم كل شىء ، فلا يحدث الدهر شيئاً لم يعلمه ، ومن كان بهذا المحل لا يعلوه شىء ولا يحيط به شىء . هذا : وفى رواية * أينفع فى الخيمة العذل * أى أينفع عذل العاذلين فى سقوط الخيمة ؟ والرواية الأولى أوجه .

(٤) محال : خبر مقدم ؛ و« ما »من « ماتسأل » بمعنى الذى : مبتدأ مؤخر . يقول : وهل تعلو الخيمة الذى زحل تحته فى علو القدر والنباهة ؟ فالذى تسأله الخيمة وتكلفه

فَلِمْ لَا تَلُومُ الَّذِى لَامَهَا وَمَا فَصُّ خَاتَمِهِ يَذْبُلُ(١)
تَضِيقُ بِشَخْصِكَ أَرْجَاؤُهَا وَيَرْكُضُ فى الْوَاحِدِ الْجَحْفَلُ(٢)
وَتَقْصُرُ مَا كُنْتَ فى جَوْفِهَا وَتُرْكَزُ فِيهَا الْقَنَا الذُّبَّلُ(٣)

من الثبوت فوقه محال ؛ ومن روى «ماتسأل» بفتح التاء ـ للمعلوم ؛ فالضمير للخيمة أو المخاطب : أى أن ما تسأله هى أو ما تسألها أنت من ذلك محال .

(١) ما : بمعنى ليس ؛ ويذبل : جبل معروف . يقول : لم لا تلوم الخيمة من لامها على سقوطها قائلة له : لم لا يكون فص خاتمك يذبل ؟ أى فكما يستحيل لوم من لم يتخذ الجبل فصا ، فكذلك لوم الخيمة . وعبارة ابن جنى : إن جاز أن تلام هذه الخيمة على عجزها عن علوها الممدوح ،وهو غير ممكن ـ لعلوه عنها ـ فلم لا تلوم من لامها على أنه ليس فص خاتمه يذبل ، وهو مستحيل أن يكون فص خاتم إنسان يذبل ، لأن هذا ليس فى طاقته ، فكذا هذه الخيمة لا تقدر أن تعلو الممدوح لقصورها عنه ، وقال ابن الإفليلى : المعنى لم لا تلوم من لامها وتقول له إنى تهيبت الرئيس وأعجزنى الاشتمال عليه بقصر يذبل مع عظمته عن فص خاتمه وخفته بجانب رزانته وقلته بالقياس إلى جلالته . فكيف أطيق الاشتمال على من هذه حاله ؟ وقال ابن القطاع : ما ـ من قوله وما فص خاتمه يذبل ـ بمعنى الذى ؛ والضمير فى خاتمه : لسيف الدولة ؛ والتقدير : لم لا تلوم لائمها ؛ وسيف الدولة الذى فص خاتمه يذبل تحتها ؟ فحذف الخبر . . . وهذا ـ كما ترى ـ تعسف من ابن القطاع . وقد قال لنا ابن جنى : سألت المتنبى عن هذا البيت فقال «ما» بمعنى ليس ، والتقدير كما قلنا ، لم لا تلوم الخيمة من لامها ، على أنه ليس فص خاتمه يذبل والضمير راجع إلى اللائم . هذا : والخاتم ـ بكسر التاء وفتحها ـ لغتان فصيحتان .

(٢) الأرجاء : النواحى ؛ والجحفل : الجيش العظيم . يقول : إن هذه الخيمة واسعة كبيرة بحيث يركض الجيش الكثير فى أحد نواحيها ، ولكنها مع ذلك ضاقت جميعها بشخصك هيبة لك وإجلالا أن تعلوك .

(٣) «ما» مصدرية زمانية ؛ والقنا : الرماح ؛ والذبل : جمع ذابل يوصف به الرماح للينها ، لأنها طويلة . يقول : وتقصر عنك مادمت فى جوفها فلا تستطيع أن تعلوك إجلالا لك وهيبة لعلو مرتبتك مع أنها هى فى الحقيقة عالية حتى تركز فيها الرماح

وَكَيْفَ تَقُومُ عَلَى رَاحَةٍ   كَأَنَّ الْبِحَارَ لَهَا أَنْمُلُ(١)
فَلَيْتَ وَقَارَكَ فَرَّقْتَهُ   وَحَمَّلْتَ أَرْضَكَ مَا تَحْمِلُ(٢)
فَصَارَ الْأَنَامُ بِهِ سَادَةً   وَسُدْتَهُمُ بِالَّذِي يَفْضُلُ(٣)
رَأَتْ لَوْنَ نُورِكَ فِي لَوْنِهَا   كَلَوْنِ الْغَزَالَةِ لَا يُغْسَلُ(٤)
وَأَنَّ لَهَا شَرَفًا بَاذِخًا   وَأَنَّ الْخِيَامَ بِهَا تَخْجَلُ(٥)

---

(١) الراحة : راحة الكف ؛ والأنامل : أطراف الأصابع . يقول : وكيف تبقى الخيمة قائمة وتحتها راحتك الواسعة الجود ؟ فكأن البحار أنامل لها .

(٢) يقول : فليتك فرقت وقارك على الناس وحملت أرضك من باقى وقارك ماتطيق حمله ، فإنك لو فعلت ذلك لخص الخيمة منه ما يوقرها ويثبتها فلا تسقط .

(٣) يقول : فصار الناس كلهم سادة بما أخذوا من الوقار وفضل لك منه ماتصير به سيد الناس . يصف رزانة حلمه وكثرة وقاره . وأنه لو فرق منه الكثير لبقى له مايسود به الناس

(٤) الغزالة : الشمس عند طلوعها ، يقال طلعت الغزالة ، ولا يقال غابت الغزالة ، وإنما يقال غربت الجونة ، وغزالة الضحى وغزالاته بعد ما تنبسط الشمس وتضحى ، يقال جاء فلا فى غزالة الضحى ؛ قال ذو الرمة :

فَأَشْرَفْتُ الْغَزَالَةَ رَأْسَ حُزْوَى   أَرَاقِبُهُمْ وَمَا أُغْنِى قِبَالَا(١)

يقول : صارت الخيمة بما اتصل بلونها من لون نورك كالغزالة التى لا يفارقها ذاتى نورها ، وأراد بقوله لا يغسل أن ذلك النور لا يزول عنها ولا يفارقها . والمعنى أن الخيمة اكتسبت من نورك ماصارت به موازية للشمس التى لا يزول نورها .

(٥) شرف باذخ : أى عال ؛ والباذخ والشامخ : الجبل الطويل ؛ وبذخ البعير يبذخ

---

(١) يريد بقوله أراقبهم : الأظعان ؛ ونصب الغزالة على الظرف ؛ ورأس حزوى : مفعول أشرفت على معنى علوت : أى علوت رأس حزوى فى غزالة الضحى ؛ ولك أن تقول : إن الغزالة ـ فى البيت ـ الشمس ، أى علوت رأس حزوى طلوع الغزالة : أى طلوع الشمس .

فَلاَ تُنْكِرَنَّ لَهَا صَرْعَةً فَمِنْ فَرَحِ النَّفْسِ مَا يَقْتُلُ(١)
وَلَوْ بُلِّغَ النَّاسُ مَا بُلِّغَتْ لَخَانَتْهُمُ حَوْلَكَ الْأَرْجُلُ(٢)
وَلَمَّا أُمِرْتَ بِتَطْنِيبِهَا أُشِيعَ بِأَنَّكَ لَا تَرْحَلُ(٣)
فَمَا اعْتَمَدَ اللهُ تَقْوِيضَهَا وَلَكِنْ أَشَارَ بِمَا تَفْعَلُ(٤)
وَعَرَّفَ أَنَّكَ مِنْ هَمِّهِ وَأَنَّكَ فِي نَصْرِهِ تَرْفُلُ(٥)

بذخانا فهو باذخ وبذاخ : اشتدّ هدره فلم يكن فوقه شيء . يقول : ورأت أن لها شرفاً عظيما إذ سكنتها ، وإذا رأتها الخيام خجلت ؛ إذ لم تبلغ ما بلغت من الاشتمال عليك .

(١) أنكر الشيء : استغربه ؛ والصرعة : السقطة ؛ ومن فرح النفس : خبر مقدم وما يقتل : مبتدأ مؤخر . يقول : فإذا سقطت الخيمة لم يكن ذلك نكراً مستغربا ، لأنها فرحت بذلك غاية الفرح ، والفرح قد يقتل إذا بلغ الغاية ، فكيف لا تصرع ؟ أى لا أسقط .

(٢) يقول : لو بلغ الناس العقلاء مبلغ هذه الخيمة من القرب منك والاشتمال عليك لخانتهم أرجلهم فلم تحملهم هيبة لك ، كما خانتها أطنابها وعمدها .

(٣) التطنيب : مد الأطناب . يقول : لما أمرت بهذه الخيمة أن تنصب وتمد أطنابها أشيع الخبر فى الناس أنك لست راحلا للغزو ، لامر دعاك إلى الإقامة .

(٤) الاعتماد : معناه القصد ؛ والتقويض : الهدم يريد قلع الخيمة . يقول : لم يقصد الله سبحانه هدم الخيمة ، وإنما أراد بإسقاطها أن يشير عليك بما ينبغى أن تفعل من معالجة النهوض والتوجه للغزو ، وأن الأمر ليس على ما يقول الناس ؛ وأشار : بمعنى أمر ، من المشورة ، لا من الإشارة — لأنه وصله بالباء . وقال العكبرى : أشار من الإشارة ، لا من المشورة فى الرأى ؛ فإن قيل : الإشارة إنما تكون بالإيماء بالجارحة ، والله تعالى يرتفع عن الوصف بالجوارح ، قيل : إنما أراد بالإشارة : التنبيه ؛ أى فنبهك بوقوعها على الرحيل الذى أعرضت عنه ؛ فالخيمة المشيرة إليه بالوقوع . وقال الآخرون : وجه جوازه أن يكون الله أشار إليه بجسم من الأجسام يحتمل الحركة إما حى وإما موات ؛ إذ لا جارحة له تعالى .

(٥) من همه : مما يهتم به ويحتفل . ويقال رفل يرفل : إذا تبختر وجر أذياله . يقول : وعرف الله الناس بتقويض الخيمة أنه لم يخذلك وإنما يعنى بك ؛ يريد إرشادك إلى

فَمَا الْعَانِدُونَ وَمَا أَثَّلُوا ... وَمَا الْحَاسِدُونَ وَمَا قَوَّلُوا(١)
هُمُ يَطْلُبُونَ فَمَنْ أَدْرَكُوا ... وَهُمْ يَكْذِبُونَ فَمَنْ يَقْبَلُ(٢)
وَهُمْ يَتَمَنَّوْنَ مَا يَشْتَهُونَ ... وَمِنْ دُونِهِ جَدُّكَ الْمُقْبِلُ(٣)
وَمَلْمُومَةٌ زَرَدٌ ثَوْبُهَا ... وَلَكِنَّهُ بِالْقَنَا مُخْمَلُ(٤)

ما تفعل ، وأنك تمشى فى نصر دينه ، فجعل قلع الخيمة سبباً لمسيرك وعلامة على أنه خار لك الارتحال .

(١) هذا استفهام تحقير وتصغير ، ولذلك استفهم بلفظ «ما». وعند يعند عنوداً فهو عاند : مال عن القصد ورد الحق وهو يعرفه ، وأصل العاند : البعير الذى يجور عن الطريق ويعدل عن القصد ؛ والجمع عند ـ مثل راكع وركع ـ وأنشد أبو عبيدة:

إذا رحلتُ فاجعلونى وسطاً ... إنى كبير لا أطيقُ العُنَّدا(١)

يقول : هؤلاء الأعداء الذين يميلون عن الصدق إلى الكذب والحاسدون ماهم وما قولهم ؟ أى لا تأثير لعداوتهم وحدهم فيك ولا لما يلفقونه من الأقوال أو يضربون لك من الفال بالنحوس عند سقوط الخيمة ، ومعنى ما أثلوا ما أصلوا من الكلام وجعلوه أصلا لتكذابهم ؛ ويروى : ما أملوا ويقال قولتنى مالم أقل : أى نسبته إلى ؛ ومعناه ؛ أنهم يحكون أقوالا كاذبة ويفشونها فيما بين الناس؛ وقال ابن جنى: قولوا،أى كرروا القول وخاضوا فيه .

(٢) فمن أدركوا : يروى« فما أدركوا» يقول: هم يطلبون رتبتك.فمن الذين أدركوا منهم شأوك ؟ ووجه آخر : هم يطلبون بكيدهم فمن الذين أدركوه حتى يطمعوا فيك ، أو ماذا أدركوا من ذلك ، وهم يكذبون فى تلفيق الأحاديث عنك ، ولكن من يقبل كذبهم ويصدقه؟.

(٣) الجد : البخت والإقبال . يقول : هم يتمنون الظهور عليك وإهلاكك ولكن إقبالك وسعادة جدك تحول دونهم ودون ما يشتهون .

(٤) وملمومة : عطف على جدك ـ فى البيت السابق ـ يريد كتيبة من الجيش مجموعة . وزرد: خبر مقدم ؛ وثوبها : مبتدأ مؤخر ـ أى اتخذت هذه الكتيبة الدروع ثياباً لها ؛ والزرد حلق الدروع ، وجعل رماحها كالخمل لتلك الثياب، وهو ما تدلى من

---

(١) جمع بين الطاء والدال وهو إكفاء ، ويقال هو يمشى وسطا لا عندا

يُفَاجِئُه جَيْشاً بِهَا حَيْنَهُ ... وَيُنْذِرُ جَيْشاً بِهَا القَسْطَلُ(١)

جَعَلْتُكَ بِالقَلْبِ لِي عُدَّةً ... لِأَنَّكَ بِاليَدِ لَا تُجْعَلُ(٢)

لَقَدْ رَفَعَ اللهُ مِنْ دَوْلَةٍ ... لَهَا مِنْكَ يَا سَيْفَهَا مُنْصُلُ(٣)

فَإِنْ طُبِعَتْ قَبْلَكَ المُرْهَفَاتُ ... فَإِنَّكَ مِنْ قَبْلِهَا المِقْصَلُ(٤)

وَإِنْ جَادَ قَبْلَكَ قَوْمٌ مَضَوْا ... فَإِنَّكَ فِي الكَرَمِ الأَوَّلُ(٥)

الثياب المخملة ؛ يعنى : وحال بينهم وبين مايشتهون جيشك الذى اتخذ فرسانه الدروع لباساً لهم حتى كأنهم منها فى ثوب سابغ إلا أن ذلك الثوب مخمل بالرماح ، وروى ابن الأفليلى: وملمومة ـ خفضاً ـ قال : أى ورب ململومة الخ .

(١) الحين : الهلاك ؛ والقسطل : الغبار . يقول : يفاجىء بهذه الكتيبة جيشا هلاكه بها ، وينذر غبارها جيشا آخر ؛ يعنى أنه تارة يسير بها ليلا فيبا كر جيشا من الأعداء لا يشعر به فيهلكه ، وتارة يسير بها نهاراً فتثير غباراً فينذر جيشاً آخر يرى ذلك الغبار فيهرب . وقيل المعنى : تحزن : أى تسير فى الحزن ـ فلا تثير غبارا ، وتارة تسهل : أى فى تسير فى السهل فتثير غبارا

(٢) العدّة : ما أعددته لحوادث الدهر من مال وسلاح ونحوهما . يقول : اتخذتك عدة لى بقلبى وعزمى : أى اعتقدت فيك أنك عدة لى فيما أحتاج إليه لأنك لستمن العدد التى تعد باليد كالسيوف والأسلحة ، ويجوز أن يريد لست من العدد التى تعمل باليد :أى لا تتصرف فيك الجوارح ، وإنما تنال بالفكر والاعتقاد ، وعبارة بعض الشراح ـ وقد روى البيت فى القلب وفى اليد ـ اتخذت عدة لى فى القلب أتشجع بك فى الملمات وأجعل رجاءك سلاحا لى على دفع غوائل الدهر لأنك أجل من أن تجعل فى اليد كسائر العدد

(٣) المنصل : السيف ؛ ومن دولة : فـ« من »زائدة ؛ يقول :لقد رفع الله دولة جعلتك سيفها على سائر الدول ؛ يعنى دولة الخلافة .

(٤) المرهفات : جمع مرهف ، السيف الرقيق الحد ؛ وطبع السيف :صنعه والمقصل القاطع . يقول : إذا كانت السيوف قد سبقتك بأن طبعت قبلك فإنك قد سبقتها بالقطع لأنك تقطع بعقلك ورأيك وحكمك مالا تقطعه السيوف . وقال ابن جنى : المعنى أنك لإفراط قطعك وظهوره على قطع جميع السيوف كأنك أول من قطع ؛ إذ لم ير قبلك مثلك وقال غيره يريد أن قطعها بسببك ، ولولا قطعك ما قطعت .

(٥) يقول : إن كان الكرام الأولون جادوا قبلك ، فإنك زدت عليهم وأبدعت فى ذلك ما صرت به أولا فى الكرم .

وَكَيْفَ تُقَصِّرُ عَنْ غَايَةٍ ... وَأُمُّكَ مِنْ لَيْثِهَا مُشْبِلُ(١)
وَقَدْ وَلَدَتْكَ فَقَالَ الْوَرَى ... أَلَمْ تَكُنِ الشَّمْسُ لاَ تُنْجَلُ(٢)
فَتَبًّا لِدِينِ عَبِيدِ النُّجُومِ ... وَمَنْ يَدَّعِى أَنَّهَا تَعْقِلُ(٣)
وَقَدْ عَرَفَتْكَ فَمَا بَالُهَا ... تَرَاكَ تَرَاهَا وَلاَ تَنْزِلُ(٤)

---

(١) الليث . الأسد ؛ ولبؤة مشبل : ذات أشبال ؛ والشبل : ولد الأسد . يقول : كيف تقصر عن إدراك الغايات البعيدة فى الكرم والفضل والشجاعة وقد ولدك الأسد ؟ فأمك أشبلت بك من أبيك الذى هو الاسد ، وقد ضرب ذلك مثلا لشجاعته وءضانه كأن أبويه أسدان ، ومن روى من ليثها ــ بفتح ميم من ــ فـ «من» عبارة : عن الأم ، وهى خبر المبتدأ ، وما بعدها مبتدأ وخبر صلة لها ، والمشبل ــ على هذا ــ هو الليث ، وهو الأب .

(٢) يقول : لما ولدتك أمك كنت شمسا فى رفعة المحل ونباهة الذكر ، فقال الناس : ألم تكن الشمس لا تنجل ــ أى لا تولد ــ فكيف ولدت هذه المرأة شمسا ؟ وهذا ينظر إلى قول الأول :

لَأُمٌّ لكمْ بخلت مالِكاً ... مِن الشمس لو نجلَتْ أكرمُ

ومن روى لا تنجل ــ بالبناء للمعلوم ــ جعل أمه الشمس : أى فقال الناس ولدت الشمس وهى لا تلد ، جعل الممدوح ــ لعلو قدره ــ كأنه نجل الشمس ؛ والرواية الأولى أجود وأمدح . هذا : والورى : الخلق ــ تقول العرب : ما أدرى أى الورى هو ؟ : أى الخلق هو ؟ ، قال ذو الرمة :

وكأيِّنْ ذَعَرْنَا من مهاةٍ ورامح ... بلاد الورى ليست له ببلاد

قال ابن جنى : لا يستعمل الورى إلا فى النفى ، وإنما سوغ لذى الرمة استعماله واجبا ، لأنه فى المعنى منفى كأنه قال ليست بلاد الورى له ببلاد .

(٣) التب : الهلاك والخسار ، وهو منصوب على المصدر . يقول : ضلالا وخسارا للذين يعبدون النجوم ويدعون أنها عاقلة . وقد بين العلة فى البيت التالى .

(٤) يقول : النجوم على زعم من يدعى أنها تعقل قد عرفتك وعرفت أنك أجل منها قدراً ، فما بالها لاتنزل إليك لتخدمك ، وهى تراك تنظر إليها ؛ يعنى أنها لا تعقل ولو عقلت لنزلت إليك .

وَلَوْ بِتُّمَا عِنْدَ قَدْرَيْكُمَا   لَبِتَّ وَأَعْلاَكُمَا الأَسْفَلُ(١)
أَنَلْتَ عِبَادَكَ مَا أَمَّلُوا   أَنَالَكَ رَبُّكَ مَا تَأْمُلُ(٢)

* * *

وقال يمدحه ويعتذر إليه وذلك فى شعبان سنة إحدى وأربعين:*

أَجَابَ دَمْعِي وَمَا الدَّاعِي سِوَى طَلَلٍ   دَعَا فَلَبَّاهُ قَبْلَ الرَّكْبِ وَالإِبِلِ(٣)
ظَلِلْتُ بَيْنَ أُصَيْحَابِي أُكَفْكِفُهُ   وَظَلَّ يَسْفَحُ بَيْنَ العُذْرِ وَالعَذَلِ(٤)

---

(١) يقول : لو بات كل منكما فى الموضع الذى يستحقه قدره لبت فى موضع النجوم وباتت هى فى موضعك لإربائك عليها فى الشرف .

(٢) قال الواحدى : لو قال عبيدك كان أحسن ، لأن الأكثر فى الاستعمال أن العباد تضاف لله سبحانه وتعالى ، فأما المضاف إلى الناس فقلما يقال فيه العباد . يقول : أعطيت عبيدك ـ يعنى الناس ، جعلهم عبيداً لأنه ملك مارجوه من عطائك ، ثم دعا له أن يكافئه الله بمثل فعله فينيله ما يؤمله .

(*) قال الواحدى : دخل أبو الطيب على سيف الدولة بعد تسعة عشر يوماً ، فتلقاه الغلمان وأدخلوه إلى خزانة الأكسية ، فخلع عليه ونضح بالطيب ، ثم أدخل على سيف الدولة ، فسأله عن حاله وهو مستحى ، فقال أبو الطيب : رأيت الموت عندك أحب إلى من الحياة عند غيرك ؛ فقال : بل يطيل الله عمرك ، ودعا له ، ثم ركب أبو الطيب وسار معه خلق كثير إلى منزله ، وأتبعه سيف الدولة هدايا كثيرة ، فقال أبو الطيب يمدحه بعدذلك ، وأنشده إياها فى شعبان سنة إحدى وأربعين وثلاث منه .

(٣) الطلل: ما شخص من آثار الديار ، والركب : القوم الراكبون. يقول استدعى الطلل دمعى بدثوره فأجابه الدمع وكنت أول من أجاب ببكائه قبل أصحابى وقبل الإبل . يريد أن الإبل . تعرف أيضاً ذلك الطلل وتبكى عليه كما قال التهامى :

بكيتُ فحنَّتْ ناقتى فأجابها   صهيلُ جوادِى حين لاحت ديارُها

والمعنى : أنه وقف على ديار محبوبه . فشجاه ماشاهد من دروس رسومها وتغير طلولها ، فاستدعى ذلك بكاءه ، فأجاب دمعه تلك الدعوة قبل أن يجيب ذلك سائر أصحابه بالتأسف والإبل بالحنين .

(٤) أصيحابى : تصغير تعظيم . وأكفكفه : أكفه مرة بعد أخرى . ويسفح : يجرى ويسيل . يقول : ظللت أكف الدمع خوفا من لوم الركب فظل الدمع يسيل

أَشْكُو النَّوَى وَلَهُمْ مِنْ عَبْرَتِي عَجَبٌ كَذَاكَ كُنْتُ وَمَا أَشْكُو سِوَى الْكِلَلِ (١)

وَمَا صَبَابَةُ مُشْتَاقٍ عَلَى أَمَلٍ مِنَ اللِّقَاءِ كَمُشْتَاقٍ بِلَا أَمَلِ (٢)

مَتَى تَزُرْ قَوْمَ مَنْ تَهْوَى زِيَارَتَهَا لَا يُتْحِفُوكَ بِغَيْرِ الْبِيضِ وَالْأَسَلِ (٣)

وأصحابى من بين عاذرلى وعاذل ـ لائم ـ والدمع يسيل بين العذر والعذل فى شاغل عنهما . هذا : ويقال ظل نهاره يفعل كذا وكذا يظل ظلاوظلولا ، وظللت أنا وظلت وظلت ، لا يقال ذلك إلا فى النهار لكنه سمع فى بعض الشعر ظل ليله ، وأصل ظلت ، ظللت ، إلا أنهم حذفوا فألقوا الحركة على الفاء . قال تعالى : « فظلتم تفكهون » ومثله مست ، فى « مسست » قال الجوهرى : وربما قالوا مست الشىء : يحذفون منه السين الأولى ويحولون كسرتها إلى الميم ، ومنهم من يترك الميم على حالها مفتوحة ؛ وأنشد الأخفش لابن مغراء :

مسنا السماء فنلناها وطاء لهم حتى رأوا أحداً يهوى وثهلانا

والأصل مسسنا السماء ، وهذا من شواذ التخفيف .

(١) النوى : البعد والفراق . والعبرة الدمع . والكلل : جمع كلة ، الستر الرقيق يقول : أشكو الفراق وهم يتعجبون من بكائى للفراق ، ولا عجب فى ذلك ، فإنى كنت على مثل ما يرون من البكاء حين كانت المحبوبة بقربى لا يحجبها عنى غير الستر ، فكيف الآن وقد حجبها عنى الفراق ؟ قالوا و فى قوله « وما أشكو للحال » أى حين لاأشكوسوى الستر : أى فى حال دنو المسافة ؛ ومن روى « كذاك كانت » فمعناه كانت العبرة حين كان الحاجب بيننا الكلة . والمصراع الثانى رد على أصحابه حين تعجبوا من بكائه أى لا تعجبوا من بكائى على فراقها ، فلقد كنت أبكى فى هجرها وما أشكو مانعاً دون الستور التى تحجبها والمنازل متجاورة والدور متصاقبة .

(٢) الصبابة : رقة الشوق ؛ وقوله « كمشتاق » أراد كصبابة مشتاق ، فحذف المضاف . يقول : إن المشتاق الذى لا يأمل لقاء حبيبه أشد حالا ممن يأمل ، لأنه إذا كان على أمل خفف التأميل برح اشتياقه . قال الواحدى : ويجوز أن يكون أخف حالا لاسترواحه إلى اليأس ؛ والأول أوجه .

(٣) الإتحاف : الإطراف بالهدية ؛ والبيض : السيوف . والأسل الرماح يقول :ـ مخاطبا نفسه ـ إن هذه الحبيبة منيعة فى قومها بالسيوف والرماح . فإذا زار قومها

وَالْهَجْرُ أَقْتَلُ لِي مِمَّا أُرَاقِبُهُ   أَنَا الغَرِيقُ فَمَا خَوْفِي مِنَ الْبَلَلِ (١)
مَا بَالُ كُلِّ فُؤَادٍ فِي عَشِيرَتِهَا   بِهِ الَّذِي بِي وَمَا بِي غَيْرُ مُنْتَقِلِ (٢)

لأجلها كانت تخفته من قبلهم السيوف والرماح : يعنى أنه يخافهم على نفسه إن زار محبوبته أى إن الوصول إليها متعذر لما يعترضه من شوكة قومها وعزتهم . وقد أرجع ضمير «من» على المعنى دون اللفظ ، فقال زيارتها ولو رده على اللفظ لقال زيارته .

(٢) ما يراقبه : يعنى ما يتوقعه من بأس قومها . يقول : إن هجرها أقتل له من سلاحهم ، فإذا كان مقتولا بالهجر لم يبال بعده بالسلاح ، لأن من غرق فى الماء لم يخش البلل . وهذا من قول بشار :

كَمُزِيلٍ رجليه عن بللِ القط   رِ وما حَوْلَهُ مِنَ الأرض بَحْرُ

وقال ابن وكيع — وأنت تعلم مقدار تجنيه على المتنبى — : هذا مأخوذ من قول عدى بن زيد :

لَوْ بِغَيْرِ المـــاء حلقى شَرِقٌ   كنتُ كالغصانِ بالماء اعتصارى (١)

قال العكبرى : وليس كما قال وإنما نقله من قول الحكيم : من علم أن الفناء مستول على كونه هانت عليه المصائب .

(١) قال الواحدى : كان حقه أن يقول ما بال فؤادى لا ينتقل عن حبها وبكل فؤاد من عشيرتها — أهلها وقرابتها — مابى ؟ لأن التعجب إنمـــا هو من فؤاده ، لامن أفئدتهم ؛ يعنى لم لا ينتقل حبهـــا عنى ولا أسلوها إذا كان قومها وعشيرتها يحبونهـــا كحبى ؟ يشير إلى أنها محبوبة فى قومها منيعة فيما بينهم ، وأنه فى يأس من الوصول إليها ، واليأس من الشىء يوجب السلو عنه ، كما قالوا : اليأس إحدى الراحتين ، وأنه مع هذا اليأس لا ينتقل عنه حبها . وذهب بعضهم إلى أن المعنى أنه يدعى بلوغة فى حبها مبلغاً لا يبلغه أحد مالم ينتقل إليه منه ؛ وهذا وجه التعجب فى البيت . يقول : مالى أرى كل قلب من قلوب عشيرتها فيه من حبها مثل ما فى قلبى مع أن مافى قلبى باق فيه لم ينتقل عنه إلى غيره ؟

---

(١) الاعتصار : أن يغص الإنسان بالطعام فيعتصر بالماء ، وهو أن يشربه قليلا قليلا ؛ والغصان : الغاص . ويقال : غصصت بالماء أغص غصصاً : إذا وقف فى حلقك فلم تكد تسيغه .

مُطَاعَةُ اللَّحْظِ فِي الْأَلْحَاظِ مَالِكَةٌ لِمُقْلَتَيْهَا عَظِيمُ الْمُلْكِ فِي الْمُقَلِ (١)
تَشَبَّهُ الْخَفِرَاتُ الآنِسَاتُ بِهَا فِي مَشْيِهَا فَيَنَلْنَ الْحُسْنَ بِالْحِيَلِ (٢)
قَدْ ذُقْتُ شِدَّةَ أَيَّامِي وَلَذَّتَهَا فَمَا حَصَلْتُ عَلَى صَابٍ وَلَا عَسَلِ (٣)

يعنى أنها قد بلغت مبلغا من الجمال حبها إلى كل أحد، حتى بلغ فيه كل قلب أقصى مبلغ من الغرام. وعبارة ابن جنى: أجود مايتأول فى هذا أن يجعل الذى يجده من الشوق كأنه شخص، والشخص إذا حصل فى مكان لم يشغل غيره. فإذا صح ذلك صح إنكاره لثبات وجده، لأنه فى أماكن كثيرة والشخص لا يشغل مكانين فأما العرض فلا يشغل مكانا، فإذا كان فى قلب واحد جاز أن يكون فى قلوب كثيرة. والمعنى يصفها بالحسن وأنها معشوقة الدل كل قلب فى عشيرتها به الذى بأبى الطيب من حبها، فما بال حبها فى قلبه ثابت لا ينتقل ومقيم لا يرتحل؟ يريد أن حب أهلها لها لبراعة حسنها غير حبه لها، وأن حبهم يتغير وينتقل، وحبه لا يتغير ولا ينتقل، بل هو ثابت.

(١) يقول: هى مطاعة اللحظ من بين ألحاظ الحسان؛ إذا دعا لحظها إنسانا إلى هواها لبى مطيعاً فهى مالكة القلوب فتانة؛ ولمقلتيها ملك عظيم فى دولة المقل، لهما دونها الأمر النافذ. وقال ابن فورجة: أى إن العيون إذا نظرت إلى عينيها لم تملك صرف ألحاظها عنها، لأنها تصير عقلة لها، فكأن عينيها مالكة العيون. وهو معنى قول أبى نواس:

كلَّ يَوْمٍ يسترقُّ لهـــا حُسنُهَا عبـداً بلا ثمنِ

(٢) تشبه — بحذف إحدى التاءين — أى تتشبه: والخفرات: الحييات، والآنسات: جمع آنسة، ويقال جارية آنسة؛ إذا كانت طيبة النفس تحب قربك وحديثك. يقول: إن النساء الحييات ذوات الانس يقصرن عن محاسنها فيتشبهن بها فى حسن المشية ويرين مثل دلها، فيكتسبن الحسن بالتشبه بها، ويحتلن حتى ينلن ذلك وعبارة ابن جنى والواحدى: إذا كان فى حسن امرأة تقصير تشبهت بها فى مشيها، فيجبر حسن المشى تقصير الحسن حتى تكون قد نالت الحسن بالحيلة.

(٣) الصاب: شجر مر. يقول: مرت بى من الدهر حلاوته ومرارته، فما حصلت من حلوه على عسل، ولا من مره على صاب، لانقضائهما وسرعة مرورهما، فكأنى لم أذق شيئا منهما: وهذا من قول البحترى:

وَقَدْ أَرَانِى الشَّبَابُ الرُّوحَ فِى بَدَنِى وَقَدْ أَرَانِى الْمَشِيبُ الرُّوحَ فِى بَدَلِى (١)
وَقَدْ طَرَقْتُ فَتَاةَ الْحَىِّ مُرْتَدِيًا بِصَاحِبٍ غَيْرِ عِزْهَاةٍ وَلَا غَزِلِ (٢)
فَبَاتَ بَيْنَ تَرَاقِينَا نُدَفِّعُهُ وَلَيْسَ يَعْلَمُ بِالشَّكْوَى وَلَا الْقُبَلِ (٣)

ومن عرَفَ الأيام لا يرَ خفضها نعيما ولا يعدُدْ تصرُّفها بلوَى

(١) يقول : إنه إنما كان حيا حين كان شابا ، فلما شاب صار كأنه قد مات وانتقل روحه إلى غيره ، كما قال الآخر :

من شاب قد مات وهْوَ حىٌّ يمشى على الأرض مشى هالكْ

والمعنى : أنه تغير بعد المشيب حتى صار غير ما كان أولا ، وعبارة العكبرى : قد صحبت الشباب مسرورا وأرانى الروح ـ يريد القوة والجلادة والنهضة ـ فى بدنى ثم صحبت المشيب مستكرها لصحبته فأرانى الروح فى بدلى بتغير أحوالى وعجزى عن النهوض والقيام بسرعة كما كنت أيام الشباب ، وصرت أستعين بغيرى يساعدنى على أحوالى ، وكأنى بهذا قد أرانى الروح فى بدلى ـ يريد القوة والنشاط ـ والذى كنت أفعله وحدى صرت أحتاج فيه إلى مساعد وتلخيص المعنى أن حقيقة أمور الإنسان أيام شبابه ثم تتبدل بالانتقال إلى مشيبه وكبره ، وقال ابن فورجه : أحسن ما يحمل عليه البدل فى هذا البيت الولد لأنه بدل الإنسان إذ كان يشب أو أن شيخوخة الأب وإذا مات ورثه، فيكون كأنه بدله فى ماله وبدنه .

(٢) رجل عزهاة وعزهاءة وعزهى وعزه وعزهى وعزهاء وعزهوة وعزهو : كله عازف عن اللهو والنساء لايطرب للهو ويبتعد عنه وعن مغازلة النساء والتحدث إليهن ، والجمع عزاه مثل سعلاة وسعال وعزهون ـ بالضم ـ قال ابن برى : ويقال عزهاة للرجل والمرأة . قال يزيد ابن الحكم :

فحقا أيقنى لا صبر عندى عليه وأنت عِزْهاة صبور

والغزل : الذى يهوى محادثة النساء . يقول : أتيت حبيبتى ليلا ومعى سيفى وقد جعل السيف موضع الرداء والسيف لايوصف بالميل إلى النساء ولا بالميل عنهن .

(٣) التراقى : جمع الترقوة ؛ العظم الذى بين المنكب وبين ثغرة النحر . يقول : فبات السيف بيننا ونحن متعانقان ولاعلم له بما يجرى بيننا من شكوى الاشتياق والقبل ولاغير ذلك مما يجرى بين المحبين إذا هما تعانقا ، ويشير بهذا إلى ما كان عليه من الحذر والمخافة وأنه حين عانق محبوبه لم يخلع السيف

ثُمَّ اُغْتَدَى وَبِهِ مِنْ رَدْعِهَا أَثَرٌ عَلَى ذُؤَابَتِهِ وَالْجَفْنِ وَالْخِلَلِ (١)

لَا أَكْسِبُ الذِّكْرَ إِلَّا مِنْ مَضَارِبِهِ أَوْ مِنْ سِنَانٍ أَصَمِّ الْكَعْبِ مُعْتَدِلِ (٢)

جَادَ الْأَمِيرُ بِهِ لِي فِي مَوَاهِبِهِ فَزَانَهَا وَكَسَانِي الدِّرْعَ فِي الْحُلَلِ (٣)

---

(١) الردع : التلطخ بالطيب ، يقال به ردع من زعفران : أى لطخ وأثر ، وردعه بالشيء يردعه ردعا فارتدع : لطخه به فتلطخ ؛ قال ابن مقبل :

يَخْدِي بهـا بازِلٌ فُتْلٌ مَرَافِقُهُ يجري بديباجتَيْهِ الرَّشْحُ مُرْتَدِعُ (١)

وروى من درعها : أى ثوبها . وذؤابة السيف ـ هنا ـ حمائله . وجفنه : غمده . والخلل : جمع خله ـ بكسر الخاء ـ وهى مايغشى به الغمد من الجلد المنقوش بالذهب وغيره . يقول : ثم غدا السيف وقد تأثر بما كان عليها من الطيب وظهرت آثاره على حمائله وغمده ؛ والغلاف الذى فيه الغمد ؛ يعنى أنه لصق بمحبوبته حتى لصق به الطيب الذى طيبت به .

(٢) المضارب : جمع مضرب ، وهو حد السيف والسنان: نصل الرمح، والأصم : الصلب ، وهو صفة لمحذوف : أى سنان رمح أصم الكعب ، والكعب العقدة بين الأنبوبتين يقول لاأطلب الشرف ولا أكسبه إلا من مضارب السيف أو من سنان الرمح ، يعنى أنه لا يكسب المجد إلا بإقدامه وبأسه. قل العكبرى : الرواية التى قرأنا بها الديوان بإضافة سنان إلى أصم بغير تنوين ورواه جماعة سنان ـ بالتنوين ـ والأجود الإضافة ، وإذا نون يكون المعنى:ومن سنان أصم كعبه ، والكعب للرمح لاللسنان ،وإذا جوزناه على الاستعارة كان للرمح أشبه ، وأيضا فإن فى السنان نونين ، وإذا نون صار فيه ثلاث نونات ، وثلاثة حروف بمعنى فى كلة ثقيل .

(٣) يقول : أعطانى الأمير هذا السيف فى جملة ماوهبه لى فزان بحسنه الهبات التى

---

(١) خدى البعير والفرس يخدى خديا أسرع وزج بقوائمه مثل وخد ، وجمل بازل بزل نابه : أى انشق وذلك فى السنة التاسعة ، وذلك أقصى أسنان البعير والفتل شدة عصب الذراع ، ومرفق أفتل بين الفتل . وقوله يجرى الخ قال بعضهم معناه متصبغ بالعرق الأسود ، كما يردع الثوب بالزعفران ، وقال آخرون : قوله مرتدع أى قد انتهت سنه .

وَمِنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ مَعْرِفَتِي ... بِحَمْلِهِ مَنْ كَعَبْدِ اللهِ أَوْ كَعَلِي (١)

مُعْطِى الْكَوَاعِبِ وَالْجُرْدِ السَّلَاهِبِ وَالْبِـ

يضِ الْقَوَاضِبِ وَالعَسَّالَةِ الذبُلِ (٢)

ضَاقَ الزَّمَانُ وَوَجْهُ الْأَرْضِ عَنْ مَلِكٍ

مِلْءِ الزَّمَانِ وَمِلْءِ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ (٣)

فَنَحْنُ فِي جَذَلٍ وَالرُّومُ فِي وَجَلٍ ... وَالْبَرُّ فى شُغُلٍ وَالْبَحْرُ فِي خَجَلِ (٤)

مِنْ تَغْلِبَ الغَالِبِينَ النَّاسَ مَنْصِبُهُ ... وَمِنْ عَدِيٍّ أَعَادِي الْجُبْنِ وَالْبَخَلِ (٥)

وهبنيها وكسانى فى جملة ما أعطانى من الثياب الدرع ؛ يعنى أنه وهبه سيفاً ودرعا فى جملة ما وهبه .

(١) على : هو سيف الدولة . يقول : منه تعلمت حمل السيف ، فهو واهبه لى ومعلمى حمله ثم قال مستأنفاً : من مثله أو مثل أبيه ، يعنى لا مثل لهما ؛ ومن على : خبر مقدم ومعرفتى : مبتدأ مؤخر .

(٢) الكواعب : الجوارى الشابات ؛ أى التى كعبت ـ نبتت ـ ثديهن والجرد : الخيل القصار الشعر ، وذلك آية عتقها وكرمها . والسلاهب : الخيل الطوال ؛ والبيض القواضب : السيوف القواطع الماضية . والعسالة : الرماح التى تضطرب للينها والذبل الرماح الضامرة . يقول : إنه يعطى سائليه هذه الأشياء التى تدل على أنه يستصحب كماة الفرسان وأعلام الشجعان فيعتمدهم فى هباته بما يوافقهم ويعضدهم بما يشا كلهم .

(٣) يقول : ضاق عنه الزمان والمكان ، فإن همه وما يحلده من جليل المكارم ويتابعه من كثرة الوقائع كل أولئك يحمل الزمان مالا يطيقه ويجشمه مالا يعهده ، فيضيق عن فخامة قدره ، ويقصر عن جلالة مجده ؛ وكذلك تضيق الأرض عما يحملها من جيوشه : وإذن فهو قد ملأ الزمان بمكارمه ومجده ، وملأ السهل والجبل بكتائبه وجمعه .

(٤) الجذل الفرح ؛ والوجل الخوف . يقول : نحن المسلمين فرحون بانتصاره والروم فى خوف منه لغاراته وغزواته والبر مشتغل بجيشه لا يتفرغ لغيره والبحر فى خجل من ندى يديه .

(٥) تغلب : قبيلة الممدوح ؛ وعدى ؛ رهطه . ومن تغلب : خبر مقدم ؛ ومنصبه

وَالْمَدْحُ لِابْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ تُنْجِدُهُ ... بِالْجَاهِلِيَّةِ عَيْنُ الْعِيِّ وَالْخَطَلِ (١)

لَيْتَ الْمَدَائِحَ تَسْتَوْفِي مَنَاقِبَهُ ... فَمَا كُلَيْبٌ وَأَهْلُ الْأَعْصُرِ الْأُوَلِ (٢)

خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ ... فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلِ (٣)

وَقَدْ وَجَدْتَ مَجَالَ الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ ... فَإِنْ وَجَدْتَ لِسَانًا قَائِلًا فَقُلِ (٤)

إِنَّ الْهُمَامَ الَّذِي فَخْرُ الْأَنَامِ بِهِ ... خَيْرُ السُّيُوفِ بِكَفَّيْ خَيْرَةِ الدُّوَلِ (٥)

مبتدأ مؤخر ؛ والمنصب : الأصل . وأعادى الجبن، صفة لعدى . يقول : أصله من تغلب التى غلبت الناس نجدة وشجاعة ، ومن عدى الذين هم أعداء الجبن والبخل .

(١) أبو الهيجاء كنية والد سيف الدولة ، وجملة تنجده — أى تعينه — حالية ، والعى العجز عن الكلام ؛ والخطل : اضطراب القول وفساده . قال الواحدى : هذا تعريض بأبى العباس النامى الشاعر ، فإنه مدح سيف الدولة بقصيدة ذكر فيها آباءه الذين كانوا فى الجاهلية . يقول : إذا مدحته بذكر آبائه الجاهليين كان ذلك عين العى ثم أكد هذا المعنى وتممه فى الأبيات التالية .

(٢) قوله فما كليب : أدخل ما على من يعقل ، لأنه أراد السؤال عن صفته مع الاحتقار لشأنه . وكليب : هو كليب بن ربيعة رئيس بنى تغلب فى الجاهلية . يقول: ليت ما مدح به من الشعر يستوفى ذكر فضائله ومحامده ، ومتى يتفرغ الشعر لذكر كليب وأهل الدهور السابقة وأين هم منه ؟

(٣) يقول . امدحه بما تشاهد منه واترك ما سمعت به ، فإن الشمس تغنيك عن زحل ، جعله كالشمس ، وآباءه كزحل . وهو نجم بعيد خفى — يعنى فيما قرب منك عوض عما بعد عنك لاسيما إذا كان القريب أفضل من البعيد : قال العكبرى . وهذا من قول الحكيم : العيان شاهد لنفسه ، والإخبار يدخل عليه الزيادة والنقصان فأولى ما أخذ ما كان دليلا على نفسه .

(٤) يقول : وقد وجدت من مآثر الممدوح المتوافرة الشائعة مجالا واسعاً للقول فإن وجدت لسانا يستطيع وصف تلك المآثر فافعل فإنك لن تعدم شيئاً تقوله ؛ يعنى أنه لا ينقصه شىء يمدح به ، وإنما ينقصه لسان ينهض بمدح ما فيه .

(٥) الهمام ذو الهمة العالية ؛ وخيرة : تأنيث خير ، بمعنى أفضل ، لما ألقوا الهمزة

تُمْسِى الْأَمَانِىُّ صَرْعَى دُونَ مَبْلَغِهِ　　فَمَا يَقُولُ لِشَىْءٍ لَيْتَ ذَلِكَ لِى (١)
أُنْظُرْ إِذَا اجْتَمَعَ السَّيْفَانِ فِى رَهَجٍ　　إِلَى اخْتِلَافِهِمَا فِى الْخَلْقِ وَالْعَمَلِ (٢)
هٰذَا الْمُعَدُّ لِرَيْبِ الدَّهْرِ مُنْصَلِتاً　　أَعَدَّ هٰذَا لِرَأْسِ الْفَارِسِ الْبَطَلِ (٣)

من أوله استسهلوا تأنيثه بالتاء لأنه قد أشبه الصفات : يقول : إن هذا الهمام الذى يفتخر الخلق كلهم به ، لأنه فيهم ، هو أفضل السيوف فى كف أفضل الدول . يعنى دولة الخلافة .

(١) الأمانى : جمع أمنية ، الشىء الذى تتمناه . وصرعه : طرحه على الأرض ، ويقال تركته صريعاً : أى قتيلا يقول : إنه مسلط على العالم مالك للرقاب والأموال فلا ترتقى الأمانى إليه لأنه لا يحتاج إلى أن يتمنى شيئاً فلا يرى نفيساً إلاوله خير منه،أوصار له ذلك الشىء ؛ وعبارة بعض الشراح : شبه الأمانى بالطرائد . يقول إذا سنحت له أمنية فطلبها سقطت دون مبلغ همته ، لأن همته أبعد شوطا منها فلم يبق فى الدنيا شىء يستحق أن يتمناه ، لأن كل شىء فى قبضة إمكانه . وقد فسر بهذا البيت ما أغلقه البحترى فى قوله :

وَمُظَفَّرٌ بالمجـــدِ إذرا كَانَهُ　　فى الحـــظ زائدةٌ على أوطارهِ

وهو ضد قول عنترة :

ألا قاتل الله الطلول البَوَاليـــا　　وقاتلَ ذكراك السنين الخواليا
وقولك للشىء الذى لا تنـــالهُ　　إذا ما حلا فى العين يا ليتَ ذاليا

(٢) و (٣) يريد بالسيفين : سيف الدولة وسيف الحديد ؛ والرهج : الغبار وريب الدهر : حدثانه ؛ ومنصلتا — أى مجرداً — حال من ضمير المعد . يقول إذا اجتمع السيفان فى رهج حرب اختلفا وبان تخلف أحدهما عن الآخر فأحد السيفين — وهو الممدوح — معد لدفع نوب الدهر وشدائده كما قال :

* وتقطعُ لزْباتِ الزمانِ مكارمه *

وقد أعد السيف الآخر وهو سيف الحديد لضرب رءوس الأبطال فالأول موكل بدفع المكروه ، والثانى موكل بإحلاله ، وذاك عامل ذو إرادة يضرب بالثانى ، وهذا لا عمل له من تلقاء نفسه ؛ وإذن : كان الأول هو الكل فى الكل . ومن هنا كان اختلافهما .

فالعُرْبُ مِنهُ مَعَ الكُدْرِيِّ طَائِرَةٌ
وَالرُّومُ طَائِرَةٌ مِنهُ مَعَ الحَجَلِ (١)

وَمَا الفِرَارُ إلَى الأجْبَالِ مِنْ أسَدٍ
تَمْشِي النَّعَامُ بِهِ فِي مَعْقِلِ الوَعِلِ (٢)

جازَ الدُّرُوبَ إلَى مَا خَلْفَ خَرْشَنَةٍ
وَزَالَ عَنهَا وَذاكَ الرَّوْعُ لَمْ يَزُلِ (٣)

فَكُلَّمَا حَلَمَتْ عَذْرَاءُ عِندَهُمُ
فَإنَّمَا حَلَمَتْ بِالسَّبْيِ وَالجَمَلِ (٤)

---

(١) الكدرى : ضرب من القطا ، وهو من طير السهل ؛ والحجل : طائر فى حجم الحمام ، أحمر المنقار والرجلين ، وهو يعيش فى الجبال ، والعرب بلادها المفاوز والصحارى والروم بلادها الجبال . يقول : العرب تفر منه مع القطا فى الفلوات والروم تفر منه مع الحجل فى جبالها .

(٢) من أسد : يروى من ملك ؛ والمراد سيف الدولة . والوعل : تيس الجبل ، ومعقله : المكان الذى يعتصم به فى رءوس الجبال : يقول: ما فائدة الفرار إلى الجبل من ملك تمشى به خيله فى آثار الفارين ؟ أى أنها لا تعجز عن جوب الجبال فى آثار الروم فالمراد بالنعام : خيله ، شبهها بها فى سرعة العدو ـ الجرى وطول الساق ـ قال الواحدى وفيه نكتة ، لأن النعام لا توجد فى الجبال فجعل خيله نعام الجبل ؛ وقال ابن فورجه : يعنى بالنعام خيله العراب لأنها من نتائج البدو ، وقد صارت تمشى بسيف الدولة فى الجبال لطلب الروم وقتالهم واستنزال من اعتصم بالجبال منهم .

(٣) الدروب : جمع درب ، وهو كل مدخل إلى بلاد الروم ؛ وخرشنة بلد من بلاد الروم ، والروع : الخوف والفزع . يقول إنه تغلغل فى بلاد الروم حتى خلف الدروب وخرشنة وراءه وفارقها بالانصراف عنها ولم يفارقها الروع الذى ألم بأهلها منه .

(٤) يقول : لشدة ما لحقهم من الخوف منهم وكثرة ما رأوا من السبي والغارة صاروا إذا نامت المرأة منهم رأت فى نومها السبي الذى تحذر وقوعه والجمل الذى تتوقع ركوبه وذلك أن السبايا كن يحملن على الجمال ، يعنى أن ما استقر فى قلوبهم من الخوف لا يفارقهم فى النوم أيضا هذا : والحلم ما يراه النائم ، وتقول حلمت بكذا وحلمته أيضا ، قال الأخطل :

حَلمتها وبنور فيدة دونها
لا يبعدن خيالها المحلوم (١)

---

(١) قال الجوهرى : يقال قد حلم الرجل بالمرأة إذا حلم فى نومه أنه يباشرها، وهذا البيت شاهد عليه .

إنْ كُنتَ تَرضَى بأنْ يُعطُوا الجِزَى بَذَلُوا
مِنهَا رِضَاكَ وَمَنْ لِلعُورِ بالحَوَلِ (١)
نَادَيتُ مَجدَكَ فِى شِعْرِى وَقَدْ صَدَرَا
يَا غَيْرَ مُنتَحَلٍ فِى غَيْرِ مُنتَحِلِ (٢)
بِالشَّرقِ وَالغَربِ أقوَامٌ نُحِبُّهُمُ
فَطَالِعَاهُمْ وَكُونَا أبلَغَ الرُّسُلِ (٣)

أما الحلم ـ بالكسر ـ فهو الأناة والعقل . تقول : حلم ـ بالضم ـ يحلم حلما : أى صار حليما ، وتحلم : تكلف الحلم ، قال حاتم الطائى

تحلَّمْ على الأدْنينَ واستبق وُدَّهُم ولن تستطيع الحلم حتى تحلَّما

أما قولهم حلم الأديم : فالأديم : الجلد المدبوغ ، وحلم : أى أفسده الحلم ، وهو دود يقع فى الجلد فيأ كله ، قال الوليد بن عقبة بن أبى عقبة من أبيات يحض فيها معاوية على قتال على عليه السلام ، ويقول له : أنت تسعى فى إصلاح أمر قد تم فساده كهذه المرأة التى تدبغ الأديم الحلم ـ الذى وقعت فيه الحلمة فنقبته وأفسدته فلا ينتفع به :

فإنَّكَ والكتابَ إلى علِيٍّ كدابغةٍ وقد حَلِمَ الأديمُ

(١) الجزى : جمع جزية ، وهو ما يعطيه المعاهد ليدفع عن رقبته ويحفظ دمه . يقول ـ مخاطبا سيف الدولة ـ : إن كنت ترضى منهم بأن يؤدوا الجزية وتعفو عن رقابهم قبلوها وأرضوك بها ، وذلك غاية أمنيتهم ، كالأعور يتمنى الحول ، والحول خير من العور يعنى أن الجزية خير لهم من القتل .

(٢) المنتحل : المدعى على غير حقيقة . يقول : ناديت مجدك الموصوف فى شعرى وقد صدرا عنى وعنك : أى سارا فى الآفاق وبعد ذكرهما يامجدا غير منتحل فى شعر غير منتحل ؛ يعنى أن كلا منهما حقيقة لادعوى ، وفيه إشارة إلى أن مجده خلد ذكره فى شعره وأنهما يسيران معا ، ثم ذكر تمام المعنى فيما يلى .

(٣) أبلغ : من التبليغ ؛ وأفعل لا يبنى من غير الثلاثى إلا شذوذا . يقول : ـ لشعره ومجد الممدوح ـ أنتما سائران فى الدنيا شرقا وغربا ، ولنا فيهما أناس نحب مشاركتهم فى أمرنا ومطالعتهم بأحوالنا فتحملا إليهم رسالتى وهى ماذكره فى البيت التالى .

وَعَـــرَّفَاهُمْ بِأَنِّى فِى مَكَارِمِهِ ... أُقَلِّبُ الطَّرْفَ بَيْنَ الْخَيْلِ وَالْخَوَلِ (١)

يَا أَيُّهَا الْمُحْسِنُ الْمَشْكُورُ مِنْ جِهَـــتِى ،

وَالشُّكْرُ مِنْ قِبَلِ الإحْسَانِ لاَ قِبَـــلِى (٢)

مَا كَانَ نَوْمِى إلاَّ فَوْقَ مَعْـــرِفَتِى ... بِأَنَّ رَأْيَكَ لاَ يُؤْتَى مِنَ الزَّلَلِ (٣)

أَقِلْ أَنِلْ أَقْطِعِ احْمِلْ عَلِّ سَلِّ أَعِدْ ... زِدْ هَشَّ بَشَّ تَفَضَّلْ أَدْنِ سُرَّ صِلِ (٤)

---

(١) الخول : الخدم . يقول : عرفاهم أنى متقلب فى نعماء فى سيف الدولة ، مغمور بمكارمه ، متصرف فى فواضله ، أقلب الطرف ـ النظر ـ بين الخيل المسومة والخدم الحسنة القيام على الخدمة .

(٢) يقول : إنما أتاك الشكر من جهة إحسانك فإحسانك هو الذى شكرك ، لا أنا كأنه ينفى المنة عليه بشكره ومدحه .

(٣) إلا فوق معرفتى : رواها ابن جنى «إلا بعد معرفتى» وقال: ما لحقنى السهو والتفريط إلا بعد سكون نفسى إلى فضلك وحلمك . . . وقال ابن فورجه : أقام النوم مقام السهو والغفلة . يقول : مانمت عما وجب على من صيانة مدحك عن خلطه بالعتاب إلا لثقتى باحتمالك وسكونى إلى جزالة رأيك . . . قال الواحدى ـ بعد أن أورد كلامهما ـ : وكلاهما قد بعد عن الصواب ، والمعنى إنما أخذنى النوم أى إنما سكنت نفسى واطمأنت مع عتبك لثقتى بحلمك ولزوم التوفيق لرأيك ، وعلى أنك لاتعجل على ولا ترهقنى عقوبة ، وأن الحساد لايستزلونك بوشاياتهم ، قال : وأراد النوم الحقيق لا السهو والتفريط ؛ ألا ترى أنه قال فوق معرفتى ؟ فجعل المعرفة بمنزلة الحشية التى ينام فوقها ؛ وقوله لايؤتى من الزلل ؛ أى أنت موفق فى كل ماتفعله لاتأتى الزلل .

(٤) أقل : من الإقالة من العثرة أى أقل من استنهضك من عثرته ؛ وأنل : من الإنالة ـ الإعطاء ـ وأقطع : من قولهم أقطعه أرض كذا : أى جعل له غلتها رزقا . واحمل : من قولهم حمله على فرس ونحوه : أى جعله ركوبة له . وعل : أى ارفع جاهى من التعلية . وسل : من التسلية ، وهى إذهاب الغم ؛ وأعد : أى أعدنى إلى موضعى من حسن رأيك ؛ وزد : أى زدنى من إحسانك ؛ وهش : أمر من قولهم : هش إلى كذا يهش ـ وبش : من قولهم بش بالرجل يبش : أى ابتسم إليه وآنسه . ويحكى أن سيف الدولة وقع تحت أقل : قد أقلنا ، وتحت أنل : يحمل إليه كذا وكذا من الدراهم ، وتحت أقطع : قد أعطيناك الضيعة الفلانية ـ وهى ضيعة بباب حلب ـ وتحت «عل» : قد

لَعَلَّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ ؛ فَرُبَّمَا صَحَّتِ الأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ (١)
وَمَا سَمِعْتُ ، وَلاَ غَيْرِي بِمُقْتَدِرٍ أَذَبَّ مِنْكَ لِزُورِ الْقَوْلِ عَنْ رَجُلِ (٢)

رفعنا مقامك ، وتحت سل : قد فعلنا فاسل ، وتحت أعد : قد أعدناك إلى حالك من حسن رأينا ؛ وتحت زد : يزاد كذا وكذ ، وتحت تفضل ـ وهو من الأفضال ـ قد فعلنا ، وتحت أدن: قد أدنيناك منا،وتحت«سر»قدسررناك ،فقال المتنبي : إنما أردت من القسرى ، فأمر له بجارية ، وتحت صل : قد وصلناك وسنصلك ، وكان بحضرة سيف الدولة : حينئذ شيخ ظريف يقال له المعقلي ، فحسد المتنبي على ما أمر له به فقال لسيف الدولة : قد أجبته إلى كل شيء سألك إياه فهلا وقعت تحت هش بش هي، هي،هي،؟ ـ يعني حكاية الضحك ـ فضحك سيف الدولة وقال له : ولك أيضا ما تحب ، وأمر له بصلة ، وأصل هذا المنهج قول امرئ القيس:

أفادَ وجادَ وسادَ وزادَ وذادَ وقادَ وعادَ وأفضلْ

ومثله لأبي العميثل :

يا مَنْ يُؤَمِّلُ أن تكون خِصالُهُ كخِصالِ عبدِ الله أنصِتْ واسمعِ
أُصْدُقْ وعِفَّ وبَرَّ واصبرْ واحتمِلْ واحلُمْ ودارِ وكافِ وابذلْ واشجعِ

(١) يقول : لعلى أحمد عاقبة عتبك وذلك أن أرتدع بعد عفوك ، فلا أعود إلى شيء أستوجب به العتب ، كمن يعتل ، فربما تكون علته أمانا له من أدواء أخرى ، فينجو جسمه بسبب هذه العلة مما هو أصعب منها ؛ أو تقول : لعل عتبك يكون سببا لتحقق وفائي وإخلاصي في خدمتك ، ويقطع عني ألسنة الحساد فأحمد عواقبه ، كما أن من العلل ماقد يكون سببا لصحة الأجسام ، وانتفاض الدخل منها فتأمن عود غيره إليها . وفي هذا نظر إلى قول الآخر :

لعلَّ عَتْبَاً يُفيدُ حُبّاً فالشرُّ للخيرِ قد يجُرُّ

وقريب منه قول ابن الرومي :

أحْمَدُ اللهَ إذْ رُزِقْتَ هِجاءً هُوَ بَعْدَ الخمولِ نَوَّهَ باسْمِكْ
قد تذكَّرْتُ مُوبقاتِ ذُنوبي فرجوْتُ الخلاصَ منها بشَتْمِكْ

(٢) غيري : معطوف على ضمير المتكلم ، وهو جائز للفصل بـ«لا» كما في قوله تعالى « ماأشركنا ولا آباؤنا » وبمقتدر متعلق بسمعت . يقول: ماسمعت ولا سمع غيري بملك

لِأَنَّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لَا تَكَلَّفُهُ
لَيْسَ التَّكَحُّلُ فِى الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحَلِ (١)
وَمَا ثَنَاكَ كَلَامُ النَّاسِ عَنْ كَرَمٍ ... وَمَنْ يَسُدُّ طَرِيقَ الْعَارِضِ الْهَطِلِ (٢)
أَنْتَ الْجَوَادُ بِلَا مَنٍّ وَلَا كَدَرٍ ... وَلَا مِطَالٍ وَلَا وَعْدٍ وَلَا مَذَلِ (٣)
أَنْتَ الشُّجَاعُ إِذَا مَا لَمْ يَطَأْ فَرَسٌ ... غَيْرَ السَّنَوَّرِ وَالْأَشْلَاءِ وَالْقُلَلِ (٤)

قادر يقدر على كل ما يريد ثم يذب ــ يذود ويدافع ــ عمن يغتاب عنده زوراً وبهتاناً ولا يحمله ما يسمعه من الوشايات والتحريش على من يحرش عليه أن يوقع به وينفذ فيه حكم الغضب ، فقوله أذب : أفعل تفضيل ، من قولهم ذب عنه : أى ذاد ودفع . وقوله عن رجل ــ يعنى المغتاب ــ وقد بين علة ما ذكره هنا فى البيت التالى .

(١) تكلفه بحذف إحدى التاءين ــ أى تتكلفه ؛ والكحل : سواد فى أجفان العين خلقة * كأن بها كحلا وإن لم تكحل * يقال : رجل أكحل وامرأة كحلاء ، يقول : إنما ذلك لأن لك حلما طبعت عليه لا يعوزك أن تتكلفه ومن ثم لا يستخفه الغضب ، ولا يؤثر فيه كلام الواشين ، ثم ضرب التكحل والكحل مثلا للمتكلف والمطبوع .

(٢) ثناك : ردك وصرفك ؛ والعارض : السحاب ؛ والهطل : الكثير المطر يقول : وما صرفك كلام الناس فى إفساد ما بيننا عن استعمال ما يوجبه الكرم معى ، ثم قال : ومن يقدر على أن يسد طريق السحاب الهاطل ؟ أى كما أنه لا يستطاع هذا لا يستطاع صرفك عن مقتضيات الكرم .

(٣) الجواد : الكريم ، ومننت على فلان : إذا كدرت صنيعتك بتعديدها له ، كأن تقول له : أعطيتك كذا ، وفعلت لك كذا ، وعطف الكدر عليه للتأكيد : والمطال ــ بالكسر ــ المماطلة ؛ والمذل : الضجر والقلق ، وكل من قلق بسره حتى يذيعه ، أو بمضجعه حتى يتحول عنه ، أو بماله حتى ينفقه فهو مذل . قال الأسود بن يعفر :

وَلَقَدْ أَرُوحُ عَلَى التِّجَارِ مُرَجَّلًا ... مَذِلًا بِمَالِى لَيِّنًا أَجْيَادِى

وقال قيس بن الحطيم :

فَلَا تَمْذُلْ بِسِرِّكَ كُلُّ سِرٍّ ... إِذَا مَا جَاوَزَ الِاثْنَيْنِ فَاشِى

يقول : لا تكدر عطاءك بالمن أو المماطلة أو الوعود أو الملل .

(٤) السنور : لباس من جلد كالدرع ، وسميت به دروع الحديد ؛ قال لبيد يرثى قتلى هوازن :

وَرَدَّ بَعْضُ الْقَنَا بَعْضًا مُقَارِعَةً ... كَأَنَّهُ مِنْ نُفُوسِ الْقَوْمِ فِى جَدَلِ (١)

لَا زِلْتَ تَضْرِبُ مَنْ عَادَاكَ عَنْ عُرُضٍ ... بِعَاجِلِ النَّصْرِ فِى مُسْتَأْخِرِ الأَجَلِ (٢)

* * *

ولما أنشد أقل أنل رآهم يعدون ألفاظه فقال وزاد فيه :

أَقِلْ أَنِلْ أَنْ (٣) صُنِ احْمِلْ عَلِّ سَلِّ أَعِدْ ... زِدْ هَشَّ بَشَّ هَبِ اغْفِرْ أَدْنِ سُرَّ صِلِ (٣)

وجاءوا به فى هَوْدَجٍ ووراءه ... كتائبُ خُضْرٌ فى نسيج السَّنَوَّرِ (١)

والأشلاء : جمع شلو ، وهو العضو . والقلل : جمع قلة ، أعلى الرأس . يقول : أنت الشجاع عند اشتداد القتال وتهافت القتلى ، فلا تطأ الخيل إذ ذاك إلا دروعهم وأجسامهم ورءوسهم : أى أنت الشجاع فى مثل هـذه الحال التى تنخلع فيها قلوب الأبطال .

(١) ورد : عطف على « لم يطأ » ومقارعة : حال من القنا أو مفعول ، والجدل اللدد فى الخصومة ، أو مقابلة الحجة بالحجة ، أو المناظرة والمخاصمة ، وقد جادله مجادلة وجدالا ، والاسم الجدل ، ويقال جادلت الرجل فجدلته : أى غلبته ، ولعله من قولهم جدلت الرجل : أى ألقيته على الجدالة ، وهى الأرض قال الراجز :

قد أركبُ الآلةَ بعد الآلهْ ... وأتركُ العاجزَ بالجــدالهْ

يقول : وحين تتشاجر الرماح فيرد بعضها بعضاً كأنها تجادل عن نفوس أصحابها . وبعبارة أخرى : وأنت الشجاع حين يرد بعض القنا بعضا بتخالف الطعان وتقارع الأقران حتى كأنه من شدة تلك المقارعة ، واتصال تلك المقاومة فى جدل لا يقلع ، وخصام لا ينقطع .

(٢) عن عرض : يريد كيفما اتفق ، يدعو له ، يقول : لا زلت ضاربا أعداءك كيفما وجدتهم مقبلين ومدبرين بنصر عاجل فى أجل مستأخر : أى معصوما بأجل يستأخرك ، وهذا من قول بعضهم — وقد سئل فى أى شىء تحب أن تلقى عدوك ؟ — قال فى أجل مستأخر .

(٣) أن : أى ارفق .

---

(١) قوله وجاءوا به : يعنى قتادة بن مسلمة الحنفى ، وهو ابن الجعد ، وجعد : اسم مسلمة لأنه غزا هوازن وقتل فيها وسبى .

فرآهم يستكثرون الحروف فقال :

عِشِ ٱبْقَ ٱسْمُ سُدْ قُدْ جُدْ مُرِ ٱنْهَ رِفِ ٱسْرِ نَلْ
غِظِ ٱرْمِ صِبِ ٱحْمِ ٱغْزُ ٱسْبِ رُعْ زَعْ دِلِ ٱثْنِ نُلْ (١)
وَهَـذَا دُعَاءٌ لَوْ سَـكَتُّ كُفِيتَهُ لِأَنِّى سَأَلْتُ اللهَ فِيكَ وَقَدْ فَعَلْ (٢)

* * *

وقال وقد حضر مجلس سيف الدولة و بين يديه أُتْرُجٌّ وَطَلْعٌ وهو يمتحن الفرسان ، فقال ابن حبيش شيخ المصيصة لا تتوهم هذا للشرب، فقال أبو الطيب :

شَدِيدُ الْبُعْدِ مِنْ شُرْبِ الشَّمُولِ تُرُنْجُ الْهِنْدِ أَوْ طَلْعُ النَّخِيلِ (٣)

---

(١) عش : من العيش . وابق : من البقاء . واسم : من السمو ، وهو الارتفاع . وسد : من السيادة . وقد: من قود الجيش ، أى قد الجيوش إلى أعدائك . وجد : من الجود . ومر : من الأمر ؛ وانه : من النهى : أى كن صاحب أمر ونهى . ور : من الورى ، وهو داء فى الجوف ؛ يقال وراه الله . يريد أصب رئات أعدائك بأن توجعهم وف : من الوفاء ؛ أى ف لأوليائك بالإحسان إليهم . وسر : من سرى يسرى ؛ أى أسر إلى أعدائك بجيوشك لتستأصلهم . ونل : من النيل؛ أى نل ما تريد بسعدك وإقدامك وتأييدك : وغظ : من الغيظ ؛ أى غظ حسادك . وارم : من الرمى ، أى ارم بيأسك من يكيدك ويبغضك . وصب : من صاب السهم الهدف يصيبه صيبا : لغة فى أصاب : أى أصب أعداءك برميك . واحم : من الحماية : أى احم حوزتك ؛ واغز : من الغزو : أى اغز أعداءك ؛ واسب : من السبى : أى اسب أعداءك ؛ ورع : أى أفزع أعداءك ؛ وزع : من وزعه ــ أى كفه ــ أى كف بوقائعك مسلطهم ؛ ود : من الدية : أى تحمل الدية عمن تجب عليه . و ل : من الولاية : أى ل الأمصار والبلدان محموداً فى ولايتك . واثن : من ثناه ، بمعنى رده : أى اصرف أعداءك عن مرادهم . ونل : من ناله ينوله إذا أعطاه : أى أعط عفاتك وقصادك .

(٢) يقول : كل ما دعوت الله لك به لو لم أدع به كنت مكفيا ذلك ، لأنى سألت الله هذه الأمور ، وهو قد فعلها فأغناك عن دعائى .

(٢) الشمول : من أسماء الخمر . والترنج . لغة فى الأترج ، وهو ثمر من جنس الليمون معروف . والطلع : نور النخلة مادام فى الـكافور ، وهو أول ما يرى من عذق

وَلَـكِنْ كُلُّ شَيْءٍ فِيـهِ طِيبٌ لَدَيْكَ مِنَ الدَّقِيقِ إِلَى الْجَلِيلِ (١)
وَمَيْدَانُ الْفَصَـــاحَةِ وَالْقَوَافِي وَمُمْتَحَنُ الْفَوَارِسِ وَالْخُيُولِ (٢)

***

وأنكر عليه بعض الحاضرين قوله : شديد إلخ ، فقال :

أَتَيْتُ بِمَنْطِقِ الْعَرَبِ الْأَصِيلِ ، وَكَانَ بِقَدْرِ مَا عَايَنْتُ قِيلِي (٣)

النخلة . يقول : يقول : إن الأترج أو الطلع بعيد من أن تشرب الخمر على رؤيته ، يعني أن الأترج والطلع لم يحضرا لديك ليشرب عليهما وإن كان غيرك يتخذهما لذلك . قال ابن فورجه : تقدير البيت : شديد البعد من شرب الشمول ترنج الهند لديك ، فحذف لديك وأتى به في البيت الثاني ، دالا على حذفه ، والظروف كثيراً ما تضمر . وقوله من شرب الشمول : أراد من شرب الناس الشمول عليه وعلى رؤيته ، فهو من باب إضافة المصدر إلى المفعول أي أن ترنج الهند بعيد من شرب الناس الشمول عليه .

(١) يقول : وإنما أحضر الأترج والطلع لأنهما طيبان ، ومجلسك مشتمل على كل شيء فيه طيب مما دق إلى ما جل ،أي أكان صغيراً أم كبيراً .فقوله : لديك خبر كل .

(٢) وميدان : عطف على كل – في البيت السابق – وممتحن : إما مصدر بمعنى الامتحان ، أو اسم مكان : أي المكان الذي يمتحن فيه الفوارس . يقول : ولديك يتبارى أهل الفصاحة والشعر وتمتحن الفوارس والخيل بالتسابق والتجاول والطراد ، هذا هو الذي الذي تنزع إليه همتك ويغمر به مجلسك ، لا الشراب واللهو . قال الواحدي : عارض المتنبي بعض الحاضرين في هذه الأبيات ، وقال : كان من حقه أن يقول :

بعيدٌ أنت مِن شرب الشمول على الأتْرُجِّ أو طلع النخيل
لشغلك بالمعـــالي والعوالي وكسبِ المجد والذكرِ الجميل
وقدح خواطر العلمـاء فحصاً ومُمتَحن الفوارس والخيـول

فقال أبو الطيب هذه الأبيات مجيباً له .

(٣) القيل والقول بمعنى واحد . يقول : إن الذي أتيت به هو كلام العرب الأصيل ، وكان بياني فيه بقدر ماعاينته ، لأنه أراد : الذي عندك من الأترج بعيد من شرب الشمول عليه أي لم تستحضره ليشرب على رؤيته ، ولكنه بنى الكلام على ماعاين : أي إنما بنيت البيان على العيان فأغناني عن أن أقول : أنت شديد البعد وفي مجلسك ترنج الهند .

فعَارَضَـــهُ كَلامٌ كَانَ مِنْهُ   بِمَنْزِلَةِ النِّسَاءِ مِنَ الْبُعُولِ (١)
وَهٰذَا الدُّرُّ مَأْمُونُ التَّشَـــظِّى ،   وَأَنْتَ السَّيْفُ مَأْمُونُ الْفُـلُولِ (٢)
وَلَيْسَ يَصِــحُّ فِى الْأَفْهَامِ شَىْءٌ   إِذَا احْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلِ (٣)

* * *

ودخل عليه فى ذى القعدة سنة إحدى وأربعين وثلثمائة ، وعنده رسول ملك الروم وقد جاء يلتمس الفداء ، وركب الغلمان بالتجافيف وأحضروا لبؤة مقتولة ومعها ثلاثة أشبال بالحياة وألقوها بين يديه ؛ فقال أبو الطيب مرتجلا :

لَقِيتَ الْعُفَاةَ بِآمَالِهَا ،   وَزُرْتَ الْعُدَاةَ بِآجَالِهَا (٤)
وَأَقْبَلَتِ الرُّومُ تَمْشِى إِلَيْـــكَ بَيْنَ اللُّيُوثِ وَأَشْبَالِهَا (٥)

---

(١) البعول : جمع بعل ، الزوج . يقول : إن كلام المعارض منزلته من كلامه منزلة المرأة من الرجل : أى أنه ينحط عن درجة كلامى انحطاط المرأة عن درجة الرجل . وهذا ينظر إلى قول أبى النجم :

إنى وكلُّ شاعر من البشرْ   شيطانه أنثى وشيطانى ذَكَرْ

(٢) هذا الدر : مبتدأ ؛ ومأمون التشظى : خبر ؛ ومأمون الثانية : بدل من السيف ، والتشظى : التكسر والتفرق : والفلول : جمع فل ، وهو الثلمة التى تصيب السيف من الضرب به . يقول : إن شعره لا وهن فيه كالدر لا تتفتت أجزاؤه ولا يصير قطعا لاكتنازه وصلابته ؛ وكذلك أنت السيف الذى لا يتثلم حده ولا يخشى عليه الانفلال .

(٣) يقول : إن من لايعرف النهار إلا بدليل يدله عليه لم يصح فى فهمه شىء لأنه لا فهم له ، كذلك كلامى كان واضحا ، فمن لم يفهمه كان كمن لا يعلم النهار نهاراً إلا بدليل .

(٤) العفاة : جمع عاف طالب المعروف . والعداة :جمع عاد ، الأعداء . يقول : إنك تعطى سائليك ما أملوه وتزور أعداءك بما يحذرون من شدة بأسك . فتقرب بزيارتك لهم آجالهم إذ تقتلهم .

(٥) الليوث : الأسود ، والأشبال أولادها .

إذا رأَتِ الأُسْدَ مَسْبِيَّةً فَأَيْنَ تَفِرُّ بِأَطْفَالِهَا[(١)]

* * *

ودخل عليه ليلا وهو يصف سلاحاً كان بين يديه ورُفع فقال ارتجالا :

وَصَفْتَ لَنَا وَلَمْ نَرَهُ سِلَاحاً كَأَنَّكَ وَاصِفٌ وَقْتَ النِّزَالِ[(٢)]

وَأَنَّ البَيْضَ صُفَّ عَلَى دُرُوعٍ فَشَوَّقَ مَنْ رَآهُ إِلَى القِتَالِ[(٣)]

فَلَوْ أَطْفَأْتَ نَارَكَ تَا لَدَيْهِ قَرَأْتَ الخَطَّ فِى سُودِ اللَّيَالِى[(٤)]

إِنِ اسْتَحْسَنْتَ وَهْوَ عَلَى بِسَاطٍ فَأَحْسَنُ مَا يَكُونُ عَلَى الرِّجَالِ[(٥)]

---

(١) هو من قول الآخر :

وَمَنْ كَانَتِ الأُسْدُ مِن صيده فَلَنْ يُفلِتَ الدهرَ منه أحدْ

(٢) يقول : وصفت لنا سلاحا ولم نره — لأنه رفع من عنده قبل دخوله عليه — فكأنك تصف وقت النزال — الحرب — لأنه إذا وصف مضارب السيوف وبريقها كان ذلك كأنه وصف للقتال . هذا : والضمير فى نره : عائد إلى السلاح لأنه فى نية التقديم . قال العكبرى : ونصب سلاحا على إعمال الفعل الأول — وهو وصفت — على مذهبه — أى مذهب المتنبى وهو كوفى مثل العكبرى — فى إعمال الفعل الأول ، ومثله لذى الرمة :

ولم أمْدَحْ لِأُرْضِيَهُ بِشِعْرِى لئيماً أن يكون أصاب مالا

(٣) البيض : جمع بيضة ، المغفر من الحديد يكون على الرأس . يقول : وذكرت أن البيض صفت على دروع فشوق من سمعه إلى الحرب . فـ« أن » وصلتها عطف على سلاحا .

(٤) تا : أى هذه . يعنى ناراً أوقدت بين يديه ، أو نار الشمع . أو السراج أو القناديل التى يستضىء بها . يقول : إن بريق هذه الأسلحة يغنى عن النار فى الإضاءة حتى يقرأ ما خط فى الصحف فى الليالى الحالكة . قال العكبرى : « تا » : نعت لـ« نارك » وهى فى موضع نصب ، كما تقول : ضربت زيداً هذا ، فهذا نعت لزيد : أى هذا المشار إليه ، ولو جعل بدلا لجاز و « تا » إشارة للمؤنث الحاضر . كما يشار بـ« ذا » إلى المذكر الحاضر .

(٥) استحسنت : أراد استحسنته ، فحذف الهاء للعلم به ؛ وعلى الرجال : حال سدت مسد الخبر . يقول : إن استحسنت هذا السلاح وهو ملقى على البساط فاحسن من ذلك إعماله فى الوغى ، وهو على الرجال .

وَإنَّ بِهَا ، وَإنَّ بِهِ لَنقصًا ، وَأنتَ لَهَا النِّهَايَةُ فِي الكَمَالِ (١)

وَلَوْ لَحَظَ الدُّمُسْتُقُ جَانِبَيْهِ لَقَلَّبَ رَأْيَهُ حَالاً لِحَالِ (٢)

* * *

وقال يمدحه ، وأنشدها فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة (*) :

لَيَالِيَّ بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شُكُولُ طِوَالٌ وَلَيْلُ العَاشِقِينَ طَوِيلُ (٣)

يُبِنَّ لِيَ البَدْرَ الَّذِي لا أُرِيدُهُ ، وَيُخْفِينَ بَدْراً مَا إلَيْهِ سَبِيلُ (٤)

---

(١) يقول : وإن بالرجال وبالسلاح نقصا ، وكمالها بك .

(٢) الدمستق : قائد الروم . يقول : لو رأى الدمستق جانبى ذلك السلاح لأكثر من تقليب رأيه فى التوقى منه . وقوله « حالا لحال » حال ؛ واللام : بمعنى على ، مثلها فى قولهم :

* قلب أمره ظهراً لبطن *

(*) كان سيف الدولة قد رحل من حلب إلى ديار مضر لاضطراب البادية بها ، فنزل حران وأخذ رهائن بنى عقيل وقشير وبلعجلان ، ثم حدث له بها رأى فى الغزو ، فعبر الفرات إلى دلوك إلى قنطرة صنجة إلى درب القلة ، فشن الغارة ، فعطف عليه العدو فقتل كثيراً من الأرمن ورجع إلى ملطية ، وعبر قباقب حتى ورد المخاض على الفرات ، ورحل إلى سميساط ، فورد الخبر بأن العدو فى بلد المسلمين ، فأسرع إلى دلوك وعبرها ، فأدركه راجعاً على جيحان ، فهزمه وأسر قسطنطين بن الدمستق ، وخرج الدمستق على وجهه ، فقال أبو الطيب هذه الأبيات يمدحه ويذكر ذلك .

(٣) الظاعنين : جمع ظاعن ، المرتحل . وشكول : جمع شكل ؛ أى شبيه يقول : إن ليالى الناس تقصر وتطول حسب اختلاف الفصول ، أما لياليه هو فهى متشابهة فى الطول لبعد الحبيب وامتناع النوم ، ولك أن تقول : إن مشاكلتها من جهة أنه لا يجد فيها روحا ولا نوما . يقول : لا يتغير حالى فى ليالى بعد الأحبة ولا ينقضى غرامى ووجدى بهم : أى أنه لا يسلو برغم تقادم العهد على الضد من قول القائل :

إذا ما شئت أن تسلو خليلاً فأكثر دونه عدد الليالى

ثم أخبر عن طول لياليه فقال هى طوال ، وكذا ليالى العشاق .

(٤) الضمير فى « يبن » و « يخفين » لليالى . يقول : يظهرن لى بدر السماء الذى لا أريده ويخفين البدر الذى لا أجد إليه سبيلا ، وهو الحبيب :

وَمَا عِشْتُ مِنْ بَعْدِ الأَحِبَّةِ سَلْوَةً　　وَلَـكِنَّنِي لِلنَّائِبَاتِ حَمُـــولُ(١)

وَإِنَّ رَحِيلاً وَاحِـــداً حَالَ بَيْنَنَا،　　وَفِي المَوْتِ مِنْ بَعْدِ الرَّحِيـــلِ رَحِيلُ(٢)

إِذَا كَانَ شَمُّ الرَّوْحِ أَدْنَى إِلَيْكُمُ　　فَلَا بَرِحَتْنِي رَوْضَـــةٌ وَقَبُولُ(٣)

---

(١) يقول : ليس بقائى بعدهم سلواً عنهم ، ولـكن لأنى صبور على النوائب والشدائد ، حمول لها ، كما قال أبو خراش الهذلى :

فلا تحسبي أنى تناسيتُ عهدَ كم　　ولـكنَّ صبرى يا أميمَ جميـلُ

وسلوة : مفعول له :

(٢) جملة «حال بيننا» خبر «إن» . يقول : إن ارتحال الأحبة عنى حال بينى وبينهم ، لأنا افترقنا ، وفى الموت الذى يسببه الفراق ارتحال آخر : يعنى أنه لا يعيش بعدهم ، أو تقول : إنه يريد أن يتصبر على بعدهم خوفا من أن يتبع فراقهم بفراق الحياة فيزداد بعداً عنهم .

(٣) الروح : نسيم الريح الشرقية . وبرحتنى : فارقتنى . والقبول : ريح الصبا . يقول : إذا كان شم الرائحة الطيبة والتنسم بها يدنيني إليكم — لأنها تذكرنى روائحكم وطيب أيام وصالـكم — فلا فارقتنى روضة أتنشق روائحها وريح قبول أتنسم بها لأكون أبداً على ذكر منكم ؛ وفى هذا المعنى يقول البحترى :

يذكّرنا ريّا الأحبةِ كلمـا　　تنفَّسَ فى جُنح من الليل باردُ

والأصل فيه قول الأول :

إذا هبّ عُلوىُّ الرياح وجدْتُنى　　كأنى لِعُلوىِّ الرياح نسيب

هذا . وقوله أدنى : أى أشد إدناء ، فبنى أفعل من المزيد . وقد ذهب ابن جنى فى تفسيره هذا البيت مذهباً أثار عليه غبار الناقدين . قال : إذا كنتم تؤثرون شم الروح فى الدنيا وملاقاة نسيمها ، فلا زلت روضة وقبولا انجذاباً إلى هوا كم ، ومصيراً إلى ما تؤثرونه ، ويكون سبب الدنو منكم . أراد : فلا برحت روضة وقبولا ؛ فجعل الاسم نـكرة ، والخبر معرفة للقافية . قال الواحدى : ومن فسر هذا التفسير فقد فضح نفسه وغر غيره : وقال ابن فورجه : الروح يؤثره من يأوى إلى هم وينطوى على شوق، فأما الأحبة — وإن كان إيثار الروح طبعاً فى الناس — فإنهم لا يوصفون بطلب الروح وشم النسيم ، والتعرض لبرد الريح والتشفى بنسيم الهواء ، وأيضاً فما الحاجة إلى أن

وَمَا شَرَقِي بِالْمَاءِ إِلاَّ تَذَكُّراً ... لِمَاءٍ بِهِ أَهْلُ الْحَبِيبِ نُزُولُ (١)
يُحَرِّمُهُ لَمْعُ الأَسِنَّةِ فَوْقَهُ ... فَلَيْسَ لِظَمْآنٍ إِلَيْهِ وُصُولُ (٢)
أَمَا فِي النُّجُومِ السَّائِرَاتِ وَغَيْرِهَا ... لِعَيْنِي عَلَى ضَوْءِ الصَّبَاحِ دَلِيلُ (٣)
أَلَمْ يَرَ هَذَا اللَّيْلُ عَيْنَيْكِ رُؤْيَتِي ... فَتَظْهَرَ فِيهِ رِقَّةٌ وَنُحُولُ (٤)
لَقِيتُ بِدَرْبِ الْقُلَّةِ الْفَجْرَ لَقْيَةً ... شَفَتْ كَمَدِي وَاللَّيْلُ فِيهِ قَتِيلُ (٥)

يكون الاسم نكرة والخبر معرفة ؟ وليس هذا من أخوات كان ، وإنما هى من برح فلان مكانه : أى فارقه . يقول : إذا لم يكن لى من فراقكم راحة إلا التعلل بالنسيم وطلب روح الهواء وتشممى لطيبه بروائحكم ، وما كان ينالنى أيام اللهو والفرح بقربكم فلا فارقتنى روضة وقبول يسوق إلى روائح تلك الروضة وقال ابن القطاع : برح ـ هنا ـ بمعنى زال . يقول : إذا بعدتم ولا أصل إليكم إلا بشم الروح الذى يشبه رائحة نسيمكم ، فلا فارقتنى روضة وقبول يأتينى برائحتكم ؛ وقد دعا لنفسه بالحياة ، فإنه مادام حياً جاءته الرياح بروائح أحبته لأن قبله :

* وفى الموت من بعد الرحيل رحيل *

(١) الشرق : الغصص . وتذكرا : مفعول لأجله ، أو حال سدت مسد الخبر ، بمعنى متذكراً ، فأقام المصدر مقام اسم الفاعل : ونزول : جمع نازل يقول : إنى كلما شربت الماء غصصت به لأنى أتذكر الماء الذى نزل به أهل الحبيب فلا يسوغ لى الماء الذى أشربه

(٢) يقول : إن ذلك الماء الذى نزل به الحبيب يحرم ورده لمع الرماح التى ركزها قومه حوله فلا يصل إليه عطشان ، يريد بذلك عزة أهله ومناعتهم ؛ وبالحرى مناعة حبيبه فيما بينهم : أى فلا سبيل إلى زيارته ، فحبيبه ممنوع منه على القرب والبعد .

(٣) فى النجوم : خبر مقدم ؛ ودليل ـ فى آخر البيت ـ مبتدأ مؤخر ؛ استطال ليله فقال : أليس فى هذه النجوم وغيرها مما يسترشد به دليل يدلنى على ضوء الصبح فأستروح إليه من طول الليل وما أقاسيه فيه من الكمد واللوعة ؟

(٤) رؤيتى : مفعول مطلق . وقوله فتظهر : جواب الاستفهام . يقول : إن من رآها عشقها فينحل ويرق من عشقها ، فهل لم ينظر هذا الليل إلى عينيها كما نظرت إليهما فيفتتن بهما افتتانى فيرق وينحل وتقل أجزاؤه فينكشف عنى وينحسر ؟

(٥) درب القلة : موضع وراء الفرات . والكمد : الحزن . ويروى شفت كبدى

وَيَوْماً كَأَنَّ الْحُسْنَ فِيهِ عَلَامَةٌ ... بَعَثْتِ بِهَا وَالشَّمْسُ مِنْكِ رَسُولُ(١)

وَمَا قَبْلَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ اثَّارَ عَاشِقٌ ... وَلَا طُلِبَتْ عِنْدَ الظَّلَامِ ذُحُولُ(٢)

والليل فيه قتيل : جملة حالية . يقول : إنه بدا له الفجر عند هذا المكان ، فاشتفت كبده بانصرام الليل كما يشتفى العدو بنكبة عدوه ، وجعل الليل قتيلا لظهور حمرة الشفق عند انقضائه فشبهها بالدم . قال ابن جنى : سألته ـ المتنبي ـ عن معنى هذا البيت فقال : وافينا القلة وقت السحر ، فكأنى لقيت بها الفجر ، ثم سرنا صبيحة ذلك اليوم إلى العصر أربعين ميلا وشننا الغارات وغنمنا ، وشفيت كمدى لا نحسار الليل عنى ، والليل قتيل في ذلك الموضع . فكأن النهار لما أشرق بضوئه على الليل قتله وظفر به . . . وقد أخذ هذا المعنى بعضهم وكشف عنه فقال :

ولمّا رأيتُ الصبحَ قد سَلَّ سيفَهُ ... وولى انهزاماً ليلُهُ وكواكِبُهْ

ولاح احمرارٌ قلت قد ذُبِحَ الدُّجى ... وهذا دم قد ضَمَّخَ الأرضَ ساكِبُهْ

(١) ويوما : عطف على الفجر ـ فى البيت السابق ـ يقول : ولقيت بدرب القلة بعد ذلك الليل المستبشع الكريه يوما حسناً جميلا ، فذكرت به محاسنك فكأن حسنه علامة صدق بعثت بها ، وكانت الشمس هى الرسول لأنها لما طلعت حسن ذلك اليوم فكأنها جاءت بحسنه والحبيبة بعثت ذلك الحسن . وقال ابن جنى : لما ثار الغبار ستر الشمس فكأنها رسول من محبوبته مستخف . وهذا المعنى من أحسن الكلام ، وفى معناه قول الآخر :

إذا طَلَعَتْ شمسُ النهار فإنها ... أمارة تسليمى عليكِ فسلّمى

(٢) اثار : افتعل ، من الثأر ، وأصله الهمز . أثار يثئر اثئارا : إذا أدرك الثأر ، فلينه . والذحول : جمع ذحل ، الثأر والعداوة والحقد . يقول : إنما حسن نهارى بما ناله سيف الدولة من ظفره بأعدائه ، وبه اشتفيت من ليلى وما قاسيته فيه ، فكأنى أدركت ثأرى منه ، وهى أول مرة أدرك عاشق ثأره وطولب الليل بما يحصل منه ، لأن ذلك لم يعهد قبل سيف الدولة . ولا بن فورجه هنا كلام حسن تزيد المقام إيضاحا قال : قد خلط أبو الطيب فى هذه الأبيات تشبيباً بتقريظ وهى من محاسن هذه القصيدة ، وغرضه أن يصف يوم ظفر سيف الدولة بالحسن والطيب ، ويذكر سوء صنيع الليل عنده فيما مضى ، وأراد بقوله والليل فيه قتيل : حمرة الشفق ، وأنه كدم على صدر نحير ، ولما لقيه كذلك شمت به لطول ما قاسى من همه ، وجعل حسن اليوم وهو ظفر

وَلٰكِنَّهُ يَأْبَى بِكُلِّ غَرِيبَةٍ تَرُوقُ عَلَى اسْتِغْرَابِهَا وَتَهُولُ(١)
رَمَى الدَّرْبَ بِالْجُرْدِ الْجِيَادِ إِلَى الْعِدَا وَمَا عَلِمُوا أَنَّ السِّهَامَ خُيُولُ(٢)
شَوَائِلَ تَشْوَالَ الْعَقَارِبِ بِالْقَنَا لَهَا مَرَحٌ مِنْ تَحْتِهِ وَصَهِيلُ(٣)
وَمَا هِيَ إِلَّا خَطْرَةٌ عَرَضَتْ لَهُ بِحَرَّانَ لَبَّتْهَا قَناً وَنُصُولُ(٤)

سيف الدولة لسروره به كالعلامة التى جاءت من المحبوب ، والشمس كرسوله لشدة الجذل بطلوعها ، ثم ادعى أن سيف الدولة قتل الليل وأثار لأبى الطيب على ماجرت به العادة من نسبة الغرائب إلى الممدوحين وإن كانت من المحال . يدل على هذا البيت التالى .

(١) الغريبة : الأمر الغريب . وتروق : تعجب . وعلى استغرابها : أى مع استغراب الناس لها . وتهول : تفزع وتخيف . يقول : ولكنه يأتى بأمور غريبة لا عهد للناس بها من قبل ، وهى مع استغراب الناس لها تعجب المتأمل فيها لحسنها وتوقع فى نفسه الهيبة استعظاما لقدرها .

(٢) الدرب : المدخل إلى بلاد الروم . والجرد : الخيل القصيرة شعر الجلد ، وهو آية كرمها . يقول : رمى الروم بخيل أسرع إليهم من السهام ولم يعلموا قبل ذلك أن السهام تكون خيلا .

(٣) شوائل : حال من الجرد — فى البيت السابق — وشالت العقرب ذنبها : رفعته ؛ وتشوال : مفعول مطلق ؛ وبالقنا : متعلق بشوائل ؛ وأراد شوائل بالقنا تشوال العقارب بأذنابها . والمرح : لعب يتبعه النشاط والضمير فى تحته : للقنا ، ويجوز أن يكون للممدوح . شبه الرماح على الخيل بأذناب العقارب إذا رفعتها ، يشير إلى سرعة سيرها وكثرة جريها ورفعها الأذناب فى ذلك الجرى ، وهو دليل كرمها وقوتها ، والتشوال أكثر ما يكون عند الجرى ، ثم دل على نشاطها بمراحها وعلى عزة نفسها بصهيلها .

(٤) هى : ضمير الشأن أخبر عنه بمفرد ؛ والخطرة : اسم مرة من خطر له كذا : مر بباله — وحران : بلد ؛ ولبتها : أجابتها ؛ والنصول : السيوف . يقول : لم تكن هذه الغزوة التى رمى بها أرض الروم إلا خاطراً عرض له ، فأجابت خاطره الرماح والسيوف ، أى أنها كانت — مع عظمتها وجلالها — من غير استعداد ولا احتفال .

هُمَامٌ إذَا مَا هَمَّ أَمْضَى هُمُومَهُ بِأَرْعَنَ وَطْءُ المَوْتِ فِيهِ ثَقِيلُ(١)
وَخَيْلٍ بَرَاهَا الرَّكْضُ فى كُلِّ بَلْدَةٍ إذَا عَرَّسَتْ فِيهَا فَلَيْسَ تَقِيلُ(٢)
فَلَمَّا تَجَلَّى مِنْ دَلُوكٍ وَصَنْجَةٍ عَلَتْ كُلَّ طَوْدٍ رَايَةٌ وَرَعِيلُ(٣)
عَلَى طُرُقٍ فِيهَا عَلَى الطُّرْقِ رِفْعَةٌ وَفِى ذِكْرِهَا عِنْدَ الأَنِيسِ خُمُولُ(٤)
فَمَا شَعَرُوا حَتَّى رَأَوْهَا مُغِيرَةً قِبَاحاً وَأَمَّا خَلْقُهَا فَجَمِيلُ(٥)

---

(١) الهمام : الملك العظيم الهمة . وهم : أراد فعل الشىء ؛ وأمضى : أنفذ ؛ والهموم : الهم ؛ والارعن : الجيش الكثير المضطرب لكثرته . يقول : هو همام إذا هم بأمر فعله وأنفذه بجيش حافل وطء الموت فيه ثقيل على من يحاول هلاكه من أعدائه ، أى أن أخذه شديد .

(٢) وخيل : عطف على أرعن ؛ أى وبخيل ؛ وبراها : هزلها ؛ والتعريس : نزول الركب آخر الليل للاستراحة . وتقيل : أى تنزل وقت الهاجرة أى نصف النهار للنوم . يقول : إن خيله التى تضمنها ذلك الجيش هزلها لما يجشمها من العدو فهى لا تزال دائبة التسيار فى بلاد العدو ، فإذا نزلت ليلا فى بلد لم تقم به نهاراً بل تقيل ببلد آخر .

(٣) دلوك : موضع وراء الفرات ؛ وصنجة : نهر بين ديار مضر وديار بكر ؛ والطود : الجبل العظيم ؛ والرعيل : القطعة من الخيل . يقول : لما فصل من هذين الموضعين وبان منهما تفرقت فرسانه فعمت راياته وخيله الجبال .

(٤) على طرق : حال من فاعل علت — فى البيت السابق — والرفعة : الاسم من الارتفاع ؛ والخمول : خفاء الذكر : أى سارت إلى الروم على طرق فى الجبال ، ومن ثم فهى مرتفعة على الطرق ، وهى خاملة الذكر عند الناس لأنها لم تسلك من قبل .

(٥) ضمير «شعروا» للعدو، و«قباحا» حال، وجاء بها لازمة لأنها على معنى مستقبحة وقال العكبرى : إنها صفة لمغيرة . يقول : فجأت الأعداء هذه الخيل فلم يشعروا بها إلا مغيرة عليهم ، فكانت قبيحة فى أعينهم لسوء فعلها بهم ، وهى مع ذلك جميلة الخلق، وهذا كقوله الآتى :

حسنٌ فى عيونِ أعدائهِ أقْـ ـبحُ من ضَيفهِ رأتهُ السوامُ

سَحَائِبُ يُمْطِرْنَ الْحَدِيدَ عَلَيْهِمِ ... فَكُلُّ مَكَانٍ بِالسُّيُوفِ غَسِيلُ (١)
وَأَمْسَى السَّبَايَا يَنْتَحِبْنَ بِعَرْقَةٍ ... كَأَنَّ جُيُوبَ الثَّاكِلَاتِ ذُيُولُ (٢)
وَعَادَتْ فَظَنُّوهَا بِمَوْزَارَ قُفَّلاً ... وَلَيْسَ لَهَا إِلاَّ الدُّخُولَ قُفُولُ (٣)
فَخَاضَتْ نَجِيعَ الْجَمْعِ خَوْضاً كَأَنَّهُ ... بِكُلِّ نَجِيعٍ لَمْ تَخُضْهُ كَفِيلُ (٤)
تُسَايِرُهَا النِّيرَانُ فِى كُلِّ مَسْلَكٍ ... بِهِ الْقَوْمُ صَرْعَى وَالدِّيَارُ طُلُولُ (٥)

---

(١) سحائب : خبر مبتدأ محذوف ؛ أى هى ـ الخيل ـ سحائب ، ورواها ابن جنى بالنصب على أنها بدل من قباحاً . قال العكبرى : ويجوز أن تكون بدلا من ضمير رأوها ، وغسيل : بمعنى مغسول ، جعل خيله كالسحائب لما فيها من بريق الأسلحة وصياح الأبطال وجعل مطرها الحديد لأنها تنصب عليهم بالسيوف والأسنة ، ولما جعل السيوف مطراً جعل إفناءها لهم بمنزلة غسل الأرض منهم ، وقال ابن جنى : يجوز أن يعنى بالسحائب : الغبار الثائر . يصف خيله بالكثرة يقول : سحائب تمطر الحديد عليهم وتعمل السلاح فيهم فكل مكان تغسله السيوف بما تسفكه من الدماء .

(٢) عرقة : بلد بالشام ؛ والانتحاب : البكاء ؛ والجيب : ما انفتح من القميص على النحر . والثاكلات : جمع ثكلى ، وهى التى فقدت ولداً أو بعلا أو أبا أو أخاً . يقول وأمسى الجوارى اللائى سبين من الروم يبكين بهذا الموضع مفجعات قد شققن جيوبهن على من فقدن من قتلاهن حتى انهدلت إلى الأرض فصارت كأنها ذيول .

(٣) موزار ؛ حصن ببلاد الروم . والقفول : الرجوع يقول : وعادت خيل سيف الدولة فظنها الروم راجعة إلى بلادها وليس لها رجوع إلا الدخول عليهم من درب موزار ؛ يعنى أن عودها الذى ظنوه رجوعاً كان دخولا عليهم .

(٤) النجيع :دم الجوف خاصة؛ والضمير فى «كأنه» للخوض؛ ويروى «نجيع» القوم يقول : نخاضت الخيل الدم الذى سفكت من الروم خوضاً وافراً تاماً هائلا حتى هان غيره بالإضافة إليه ، فكأنه كفيل لمن رآه بأن خيله لا يتعذر عليها خوض كل دم لم تخضه بعد ذلك .

(٥) فى كل مسلك : يروى فى كل منزل . وصرعى . جمع صريع ، أى قتيل ، والطلول : ما بقى من آثار الديار ؛ يقول : تسير النيران مع الخيل أينما سلكت ، أى أنهم كانوا يحرقون كل موضع وطئوه من بلادهم ويقتلون أهله فتخرب ديارهم وتبقى الآثار .

وَكَرَّتْ فَمَرَّتْ فِي دِمَاءِ مَلَطْيَةٍ مَلَطْيَةُ أُمٌّ لِلْبَنِينَ ثَكُولُ(١)
وَأَضْعَفْنَ مَا كُلِّفْنَهُ مِنْ قُبَاقِبٍ فَأَضْحَى كَأَنَّ الْمَاءَ فِيهِ عَلِيلُ(٢)
وَرُعْنَ بِنَا قَلْبَ الْفُرَاتِ كَأَنَّمَا تَخِرُّ عَلَيْهِ بِالرِّجَالِ سُيُولُ(٣)
يُطَارِدُ فِيهِ مَوْجَهُ كُلُّ سَابِحٍ سَوَاءٌ عَلَيْهِ غَمْرَةٌ وَمَسِيلُ(٤)
تَرَاهُ كَأَنَّ الْمَاءَ مَرَّ بِجِسْمِهِ ، وَأَقْبَلَ رَأْسٌ وَحْدَهُ وَتَلِيلُ(٥)
وَفِي بَطْنِ هِنْزِيطٍ وَسِمْنِينَ لِلظُّبَى ، وَصُمِّ الْقَنَا مِمَّنْ أَبَدْنَ بَدِيلُ(٦)

---

(١) كرت : عطفت ؛ وملطية : بلد بالروم معروف ، ولأنه اسم أعجمى ، والاسم الأعجمى إذا وقع إلى العرب تصرفت فيه ، أسكن الطاء وخفف الياء ؛ ويريد أهل ملطية . والثكول : التى تفقد أولادها . يقول : وعادت الخيل ومرت فى دماء أهل ملطية . أى سفكت دماءهم حتى خاضت فيها ، ثم جعل ملطية أماً لأهلها وجعلهم كالبنين لها ، وقد فقدتهم حين قتلوا .

(٢) قباقب : اسم نهر عبرته خيل سيف الدولة ؛ وكلفنه : أى كلفن قطعه و «من» الداخلة على قباقب لبيان « ما » . يقول : إن خيله أضعفت هذا النهر عند عبوره بكثرة قوائمها وشدة تزاحمها فأضحى ماؤه كالعليل الساقط القوة فجعلت جرى مائه ضعيفاً .

(٣) يقول : لما عبرت الخيل بنا الفرات راعته ـ أفزعته ـ كثرة الخيل ـ أى كثرة الجيوش ـ التى خاضته ، فكأنما تنحدر عليه سيول بالرجال ، ولما جعل الفرات مروعا استعار له قلبا لأن الروع يكون فى القلب .

(٤) السابح : الفرس الذى يمد يديه كأنه يسبح فى جريه ، ويحتمل هنا سباحة الماء والغمرة : معظم الماء ؛ والمسيل : مجرى الماء . يقول : إن الموج كان ينجفل عن قوائم الخيل ويجرى أمامها وهى تتبعه ، فجعل ذلك كالمطاردة، ثم قال: إن هذه الخيل ـ لقوتها كانت لا تكترث لغمرة الماء ، بل سواء لديها الغمرة والمسيل ، فتسبح فى الغمرة كما تسير فى المسيل الذى لا ماء فيه .

(٥) التليل : العنق : يقول : إذا سبح الفرس فى النهر لم يظهر منه إلا الرأس والعنق لكثرة ماء النهر وتعذر خوضه ، فكأن الماء ذهب بجسمه وبقى الرأس والعنق وحدهما يسبحان .

(٦) هنزيط وسمنين : موضعان ببلاد الروم . والظرف : خبر مقدم عن بديل . والظبى : جمع ظبة : حد السيف ؛ وصم القنا : الرماح الصلبة ؛ وممن أبدن . متعلق

طَلَعْنَ عَلَيْهِمْ طَلْعَةً يَعْرِفُونَهَا لَهَا غُرَرٌ مَا تَنْقَضِى وَحُجُولُ(١)

تَمَلُّ الْحُصُونُ الشُّمُّ طُولَ نِزَالِنَا، فَتُلْقِى إِلَيْنَا أَهْلَهَا وَتَزُولُ(٢)

وَبِتْنَ بِحِصْنِ الرَّانِ رَزْحَى مِنَ الْوَجَى
وَكُلُّ عَزِيزٍ لِلْأَمِيرِ ذَلِيلُ(٣)

وَفِى كُلِّ نَفْسٍ مَا خَلَاهُ مَلَالَةٌ، وَفِى كُلِّ سَيْفٍ مَا خَلَاهُ فُلُولُ(٤)

وَدُونَ سُمَيْسَاطَ الْمَطَامِيرُ وَالْمَلَا، وَأَوْدِيَةٌ مَجْهُولَةٌ وَهُجُولُ(٥)

يديل يقول: كانت السيوف والرماح قد أفنت أهل هذين الموضعين، فلما عاودته بعد مدة وجدت قوما آخرين قد أدركوا بدلا ممن أفنتهم. يعنى أن إغارة هذه الخيل على هذين الموضعين متتابعة متواصلة على الروم، فكلما أتتهما طائفة منهم أفنتها هذه الخيل.

(١) الغرر: جمع غرة: البياض فى وجه الفرس؛ والحجول: بياض يكون فى قوائمها. يقول: طلعت الخيل على أهل هذين الموضعين طلعة، قد عرفوها لها شهرة كغرر الخيل وحجولها، لأنها طالما طلعت عليهم وأغارت.

(٢) الشم؛ الطوال المرتفعة فى السماء. يقول: إن الحصون الشم تمل طول مقاتلتنا إياها فتزول هى عن أماكنها بالخراب وتمكننا من أهلها.

(٣) حصن الران: من حصون الروم؛ ورزحى؛ ساقطة هزالا من الإعياء. والوجى: الحفى. يقول: باتت الخيل معيية بهذا الموضع مما أصابها فى حوافرها، ثم اعتذر لها فقال: لم يلحقها ذاك لضعفها ولكن الأمير كلفها من همته صعباً فذلت له وإن كانت عزيزة قوية.

(٤) قوله وفى كل نفس الخ: حال من ضمير الخيل - فى صدر البيت السابق - والفلول: الثلوم. يقول وقد أدرك كل نفس من نفوس جيشه الملل لطول القتال وشدة مالاقوا ماخلا سيف الدولة، فإنه لا يفتر ولا يمل، وكذلك كل سيف فى ذلك الجيش قد فله - ثلمه - الضرب، أما هو فلم تكل عزائمه عن متابعة القتال، لأنه السيف لا ينبو عن ضريبته.

(٥) سميساط: بلد بشاطىء الفرات. والمطامير: جمع مطمورة، حفرة غائرة فى الأرض يخبأ فيها الطعام والشراب. والملا: جمع ملاة، وهى الفلاة ذات الحر والسراب والهجول: جمع هجل، المطمئن من الأرض، قال أبو زيد:

لَبِسْنَ الدُّجَى فيهَا إلَى أَرْضِ مَرْعَشٍ
وَلِلرُّومِ خَطْبٌ فِي الْبِلَادِ جَلِيلُ(١)

فَلَمَّا رَأَوْهُ وَحْدَهُ قَبْلَ جَيْشِهِ ... دَرَوْا أَنَّ كُلَّ الْعَالَمِينَ فُضُولُ(٢)

وَأَنَّ رِمَاحَ الْخَطِّ عَنْهُ قَصِيرَةٌ ، ... وَأَنَّ حَدِيدَ الْهِنْدِ عَنْهُ كَلِيلُ(٣)

فأَوْرَدَهُمْ صَدْرَ الْحِصَانِ وَسَيْفَهُ ... فَتًى بأْسُهُ مِثْلُ الْعَطَاءِ جَزِيلُ(٤)

تحنُّ للظِمْءِ مما قد ألمّ بهـا ... بالهجل منها كأصواتِ الزنابيرِ(١)

يقول : قبل الوصول إلى سميساط هذه الأشياء .

(١) مرعش : بلد بالثغر قرب أنطاكية ؛ أى سارت الخيل فى تلك الأودية إلى أرض مرعش ليلا ، فكأنها لبست الدجى حين سارت فى الظلمة . وقوله وللروم خطب فذلك أن سيف الدولة لما نزل بحصن الران ورد عليه الخبر أن الروم فى بلاد المسلمين يعيثون ويقتلون ، فرجع إليهم مسرعا ، فقتل منهم خلقاً كثيراً وأسر قسطنطين بن الدمستق . ويجوز أن يكون المعنى : أن لأرض الروم خطبا جليلا لأن الوصول إليها صعب لتعذر الطريق إليها ولشدة شوكة أهلها وقد داسها سيف الدولة بحوافر خيله وذلل أهلها .

(٢) فضول : أى زوائد لا حاجة إليها . يشير إلى أنه لشجاعته تقدم الخيل وحده حتى رآه الروم قبل أن يروا جيشه ، ولما رأوه كذلك علموا أنه يغنى غناء الناس جميعا وأن من سواه من العالمين لا حاجة إليهم مع وجوده .

(٣) الخط : موضع باليمامة تنسب إليه الرماح الخطية . والكليل : الذى لا يقطع يقول : وعلموا أن الرماح لا تصل إليه وأن السيوف تكل عنه فلا تقطعه : إما لأنها تندفع دونه لعزته ومنعته ، وإما لما يلقيه على الطاعن والضارب من الهيبة فلا يقدم عليه .

(٤) الحصان : الذكر من الخيل ، والجزيل : الكثير . يقول : إنهم قتلوا بحضرته وهو راكب ، جعلهم واردين صدر حصانه حين أحضروا بين يديه وهو راكب ، واردين سيفه حين قتلوا به . أو تقول : يشير إلى أنه لقيهم بنفسه وقتلهم بحد سيفه ،

---

(١) قوله بالهجل : خبر مقدم ؛ وكأصوات ـ أى مثل أصوات ـ مبتدأ مؤخر ، قال ابن برى : والذى فى شعره الزنانير ـ بالنون ـ وهى الحصى الصغار .

جَوَادٌ عَلَى الْعِلاَّتِ بِالْمَالِ كُلِّهِ ... وَلٰكِنَّهُ بِالدَّارِعِينَ بَخِيلُ (١)

فَوَدَّعَ قَتْلاَهُمْ وَشَيَّعَ فَلَّهُمْ ... بِضَرْبٍ حُزُونُ الْبَيْضِ فِيهِ سُهُولُ (٢)

عَلَى قَلْبِ قُسْطَنْطِينَ مِنْهُ تَعَجُّبٌ ، ... وَإِنْ كَانَ فِى سَاقَيْهِ مِنْهُ كُبُولُ (٣)

لَعَلَّكَ يَوْماً يَا دُمُسْتُقُ عَائِدٌ ... فَكَمْ هَارِبٍ مِمَّا إِلَيْهِ يَئُولُ (٤)

فجعل صدر فرسه موردا لأسلحتهم كناية عن استقباله لهم مكافحة ، وجعل سيفه موردا لأرواحهم يستقبلونه فيهلكون به ، فهو فتى بأسه شديد بالغ كما أن عطاءه جزل كثير .

(١) على العلات : على كل حال . والدارع : الذى عليه الدرع . يقول : يجود بماله على اختلاف أحواله . كيفما دار به الأمر كان جوادا ، ولكنه بخيل برجاله ، يعنى أنه يبذل المال ويصون الأبطال ، ولك أن تجعل الدار عين من الأعداء ، فيكون المعنى أنه يقتلهم ولا يجود بهم عليهم . وعبارة ابن جنى : بخله بالدارعين من أعدائه أنه يقتلهم بنفسه أو يسلبهم أو يحميهم اصطناعا (١)

(٢) الفل : المنهزمون . والحزون : جمع حزن ما غلظ من الأرض ، ضد السهل. والبيض : جمع بيضة ، ما يلبس على الرأس من حديد . يقول : ترك الذين قتلهم وتبع الذين انهزموا بضرب يقطع الخوذ على رءوسهم فيصبح مكانها مستويا بعد أن كانت ناتئة فوقه ، وقد طابق بين التوديع والتشييع والحزن والسهل .

(٣) قسطنطين : هو ابن الدمستق ، والكبول : جمع كبل ، القيد الضخم . يقول لم يشغله ما يعانى من القيد عن التعجب مما يرى من شجاعة سيف الدولة .وقال الخطيب التبريزى : لما أسر سيف الدولة قسطنطين أكرمه وأقام عنده بحلب مدة ، فهو يشير إلى تعجبه من حلم سيف الدولة وكرم أخلاقه وإن كان مقيدا عنده .

(٤) يقول : لعلك يوما تعود إلينا فيحيق بك الهلاك الذى استدفعته بفرارك ، فقد يهرب الإنسان مما يعود إليه ، فهذا تهديد له : أى أنك تعود فتؤسر أو تقتل ، ولعله من قول ابن الرومى :

---

(١) من اصطناع المعروف

نَجَوْتَ بإحْدَى مُهْجَتَيْكَ جَرِيحَةً ... وَخَلَّفْتَ إحْدَى مُهْجَتَيْكَ تَسِيلُ(١)

أَتُسْلِمُ لِلْخَطِّيَّةِ ابْنَكَ هَارِباً، ... وَيَسْكُنَ فى الدُّنْيَا إِلَيْكَ خَلِيلُ(٢)

بِوَجْهِكَ مَا أَنْسَاكَهُ مِنْ مُرِشَّةٍ ... نَصِيرُكَ مِنْهَا رَنَّةٌ وَعَوِيلُ(٣)

أَغَرَّكُمُ طُولُ الْجُيُوشِ وَعَرْضُهَا ... عَلِيٌّ شَرُوبٌ لِلْجُيُوشِ أَكُولُ(٤)

إِذَا لَمْ تَكُنْ لِلَّيْثِ إِلَّا فَرِيسَةً ... غَذَاهُ وَلَمْ يَنْفَعْكَ أَنَّكَ فِيلُ(٥)

وإذا خشيتَ من الأمور مقدراً ... وهربت منه فنحــوه تتوجّه

(١) المهجة : الروح ، وأنث جريحة بالناء ضرورة ، وخلفت : تركت خلفك : أراد بمهجته الأولى ـ وهى الجريحة ـ نفس الدمستق ، وبالثانية : ـ التى تسيل ـ ابنه وجعل مهجته مجروحة وإن كانت الجراحة لبدنه لأن جرح البدن يسرى إلى الروح ، وكنى بسيلان المهجة الأخرى ـ وهى ابنه ـ عن الهلاك : أى أنه يقتل فيسيل دمه ، قال السموءل :

تسيل على حدّ الظُّباتِ نفوسنا ... وليست على غير الظباتِ تسيل

يقول : إنه هرب مجروحا ـ لأن سيف الدولة جرح وجهه فى هذه الوقعة ـ فنجا بنفسه وترك ابنه فى يد الهلاك ، فهو وإن نجا بسلامة إحدى مهجتيه إلا أنه يعد هالكا بهلاك مهجته الأخرى ـ ابنه ـ لأن ما يدرك ابنه كأنما يدركه .

(٢) أسلمه . خذله وتركه والاستفهام : استفهام إنكار وتوبيخ ، والخطية : الرماح ويسكن بمعنى يطمئن ويركن ، وهو جواب الاستفهام . يقول : أتخذل ابنك وتتركه للرماح وتهرب ويثق بك أحد بعد ذلك من خلانك ؟ أى لا يثق بك أحد بعد هذا .

(٣) المرشة : الطعنة ترش الدم ، والرنة : الصياح ، والعويل : البكاء . يقول : بوجهك جراحة أنستك ابنك وليس لك من ينصرك منها إلا الصياح والعويل ، يعنى أنك عاجز عن نصرة نفسك فكيف تنصر ابنك ؟

(٤) يقول : أغركم كثرة رجالكم ؟ لا تغرنكم الكثرة ، فإن علياً ـ اسم سيف الدولة ـ يغلبكم وإن كثر عددكم ، فالمراد بالشرب والأكل : الإفناء والإبادة حتى لا يبقى منهم أثر ، لأن ما شرب أو أكل لا ترى له عين ، وكأن هذا ينظر إلى قول أبى نواس :

فإن يكُ باقى إفكِ فرعونَ فيكم ... فإن عصى موسَى بكفٍّ خصيب

(٥) غذاه : صار له غذاء ، والضمير لليث : وأنك فيل : فاعل ينفعك أو غذاه

إذَا الطَّعْنُ لَمْ تُدْخِلْكَ فِيهِ شَجَاعَةٌ ... هِيَ الطَّعْنُ لَمْ يُدْخِلْكَ فِيهِ عَذُولُ(١)

فإنْ تَكُنِ الأيَّامُ أبصَرْنَ صَوْلَهُ ... فَقَدْ عَلَّمَ الأيَّامَ كَيْفَ تَصُولُ(٢)

فَدَتْكَ مُلُوكٌ لَمْ تُسَمَّ مَوَاضِياً ، ... فَإنَّكَ مَاضِي الشَّفْرَتَيْنِ صَقِيلُ(٣)

إذَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ سَيْفاً لِدَوْلَةٍ ... فَفِي النَّاسِ بُوقَاتٌ لَهَا وَطُبُولُ(٤)

على طريق التنازع ، وهذا مثل ضربه . يقول : أنتم وإن كنتم أكثر عددا فإن الظفر له دونكم ، فلا تغنيكم هذه الكثرة شيئاً ، كالفيل مع الأسد فإن الفيل لا ينفعه عظمه إذا صار فريسة للأسد وبعبارة أخرى : إذا لم تكن إلا فريسة للأسد ، فكونك فيلا أى كونك ضخم الجثة ، يتوفر به غذاء الأسد ولا ينفعك فى النجاة منه ، يعنى أن كثرة الروم لا تنفعهم إذا وقعوا فى يد سيف الدولة ، ولكنها تكون سببا فى شفائه بكثرة ما يقتل منهم .

(١) قوله هى الطعن : نعت شجاعة يقول : إذا لم يدخلك فى الطعن شجاعة هى الطعن وبها يكون البطش والعمل لم يدخلك فيه اللوم ؛ يعنى أن التحريض لا يحرك الجبان

(٢) صال عليه : وثب واستطال ، يقول : إن كانت الأيام قد أبصرت بطشه بأهل الروم فقد علمها من ذلك مالم تعلمه ونهج لها سبيل الصول والغلبة ، يعنى أن الأيام تتعلم منه البأس .

(٣) مواضيا : سيوفا ، وشفرة السيف : حده . يقول : فدتك ملوك تروم مشابهتك ولم تسم سيوفا ، إذ ليست أهلا لهذه التسمية لأنك أنت السيف اسما ومضاء .

(٤) البوقات : جمع بوق ، وهو ذاك الذى ينفخ فيه ويزمر . وعنى ببعض الناس : سيف الدولة . يقول : إذا كنت سيف الدولة ، فإن غيرك من الملوك بالإضافة إليك للدولة بمنزلة البوق والطبل : أى لا يغنون غناءك ولا يقومون مقامك ؛ أو تقول : إذا كنت سيفا للدولة يذود عنها ويقاتل بنفسه فغيرك من الملوك للدولة بمنزلة الأبواق والطبول لا غناء عندهم ولا منفعة لهم إلا جمع الجيوش لتقاتل عنهم كما تجمع بصوت البوق والطبل وقال العروضى : أراد بالبوق والطبل ، الشعراء الذين يشيعون ذكره ويذكرون فى أشعارهم غزواته فينتشر بهم ذكره فى الناس ، كالبوق والطبل اللذين هما لإعلام الناس بما يحدث : قال ابن جنى : وقد عاب على أبى الطيب من لا خبرة له بكلام العرب جمع بوق ، والقياس يعضده ، إذ له نظائر كثيرة : مثل حمام وحمامات ، وسرادق وسرادقات ،

أَنَا السَّابِقُ الْهَادِى إِلَى مَا أَقُولُهُ ... إِذِ الْقَوْلُ قَبْلَ الْقَائِلِينَ مَقُولُ (١)
وَمَا لِكَلَامِ النَّاسِ فِيمَا يُرِيبُنِى ... أُصُولٌ وَلَا لِقَائِلِيهِ أُصُولُ (٢)
أُعَادَى عَلَى مَا يُوجِبُ الْحُبَّ لِلْفَتَى ... وَأَهْدَأُ وَالأَفْكَارُ فِيَّ تَجُولُ (٣)
سِوَى وَجَعِ الْحُسَّادِ دَاوِ فَإِنَّهُ ... إِذَا حَلَّ فى قَلْبٍ فَلَيْسَ يَحُولُ (٤)
وَلَا تَطْمَعَنْ مِنْ حَاسِدٍ فى مَوَدَّةٍ ... وَإِنْ كُنْتَ تُبْدِيهَا لَهُ وَتُنِيلُ (٥)
وَإِنَّا لَنَلْقَى الْحَادِثَاتِ بِأَنْفُسٍ ... كَثِيرُ الرَّزَايَا عِنْدَهُنَّ قَلِيلُ (٦)
يَهُونُ عَلَيْنَا أَنْ تُصَابَ جُسُومُنَا ... وَتَسْلَمَ أَعْرَاضٌ لَنَا وَعُقُولُ (٧)

وجواب وجوابات ، وهو كثير فى كلام العرب فى جمع مالا يعقل من المذكر ؛ إذ لا يوجد له مثال القلة.

(١) الهادى : بمعنى المهتدى ، وإذ : ظرف مضاف إلى الجملة بعده . يقول : أنا الذى أتقدم غيرى وأسبقه إلى ما أقول ، يعنى أنه يخترع المعانى الأبكار التى لم يسبق إليها إذا كان غيره من الشعراء يقول ما سبق إليه وقيل من قبله .

(٢) أرابه : جعل فيه ريبة ، والريبة الشك والتهمة . يقول : إن ما يتكلم به حسادى فيما يريبنى لا أصل له لأنه كذب وباطل ، وكذلك هم لا أصل لهم ؛ أى ليس لهم نسب يعرف به أصلهم

(٣) يقول : أعادى على علمى وفضلى وتقدمى فى الشعر ، وذلك مما يوجب الحب ، لا العداوة ، وأسكن أنا والأفكار تجول فى ولا تسكن : أى لا أتعرض لهم ، أما هم فلا يفترون عن تلمس ما يشنعون به على .

(٤) يقول : لا تشتغل بمداواة حسد الحساد ، فإن الحسد داء عياء إذا حل فى قلب فلا أمل فى زواله ، فسوى : مفعول داو .

(٥) وتنيل : تعطى . يقول : لاتطمعن فى مودة حاسد ، فهو لا يود محسوده ولو أظهر له المودة وبذل له من نعمته وأعطاه .

(٦) يصف نفسه بالجلد وقلة الجزع لنوب الدهر . يقول : وإنا لنلقى الحادثات بأنفس جلدة تحتقر الخطوب الجليلة وتستقل الرزايا الكثيرة .

(٧) هذا من قول أبى تمام :

لا يأسفون إذا هم سمنت لهم ... أحسابهم أن تهزل الأعمار

فَتِيهاً وَفَخْراً تَغْلِبَ ابْنَةَ وَائِلٍ ، فَأَنْتِ لِخَيْرِ الْفَاخِرِينَ قَبِيلُ(١)
يَغُمُّ عَلِيًّا أَنْ يَمُوتَ عَـدُوُّهُ إِذَا لَمْ تَغُلْهُ بِالأَسِنَّةِ غُولُ(٢)
شَرِيكُ الْمَنَايَا وَالنُّفُوسُ غَنِيمَةٌ ، فَـكُلُّ مَمَاتٍ لَمْ يُمِتْهُ غُلُولُ(٣)
فَإِنْ تَـكُنِ الدَّوْلَاتُ قِسْماً فَإِنَّهَا لِمَنْ وَرَدَ الْمَوْتَ الزُّؤَامَ تَدُولُ(٤)
لِمَنْ هَوَّنَ الدُّنْيَا عَلَى النَّفْسِ سَاعَةً وَلِلْبِيضِ فِي هَامِ الْـكُمَاةِ صَلِيلُ(٥)

* * *

(١) أنث « تغلب » لأنها قبيلة . ويجوز رفعها على النداء المفرد ، وجعل ابنة وائل منصوبا بالنداء المضاف ونصبها على جعلها مضافة إلى وائل ؛ وابنة بدلا منها . يقول لتغلب : افخرى وتيهى ، فإنك قبيلة خير من فخر ، يعنى سيف الدولة . وتيها وفخراً : منصوبان على المصدر .

(٢) تغله : تهلكه وتذهب به ، يقال غاله يغوله ؛ إذا أهلكه والغول : المهلك ؛ يقال الغم غول النفس والغضب غول الحلم . يقول : إذا مات عدوه حتف أنفه ولم يقتل برماحه غمه ذلك ،لأنه على يقين من الظفر به

(٣) ممات : مصدر ميمى ، والضمير فى قوله لم يمته : مفعول مطلق مثله فى قوله تعالى « عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين » والغلول: الخيانة فى المغنم والسرقة من الغنيمة وكل من خان فى شىء خفية فقد غل . جعله شريك المنايا لـكثرة من يقتله. يقول : بينه وبين المنايا شركة فى النفوس ، فـكل منية لم تـكن عن سيفه فقد خانته المنايا فيها . يشير إلى كثرة وقائعه واتصال ملاحمه .

(٤) الدولات : جمع دولة ــ بضم الدال وفتحها ــ العقبة فى المال والحرب سواء ، وقيل بالضم فى المال ، وبالفتح فى الحرب . وقيل بالضم اسم للشىء الذى يتداول به بعينه ، وبالفتح : الفعل ، وهى فى الحرب أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى ، يقال كانت لنا عليهم الدولة ، ويقال صار الفىء دولة بينهم ، يتداولونه مرة لهذا ومرة لهذا ، والدولات هنا : بمعنى المصدر، والموت الزؤام : الوحى ــ العاجل ــ أو الـكريه . يقول : إذا كانت الدولة قسما لبعض الناس فإنها قسمة من حضر الحرب وشهد مواقع القتال وورد الموت الزؤام غير متهيب ولا مكترث .

(٥) لمن : بدل من « لمن » فى البيت السابق ؛ والبيض : السيوف : والهام : الرءوس ؛ والـكماة : الأبطال المدججون بالسلاح . يقول : إن الدولة تدول لمن وطن نفسه على القتل ولم يمل إلى الدنيا بالنـكوص عن الحرب وصبر على المـكروه وهو يسمع صليل الحديد فى رءوس الشجعان .

وقدجرى ذكر ما بين العرب والأكراد من الفضل فقال له سيف الدولة ماتقول في هذا وما تحكم يا أبا الطيب ؟ فقال :

إن كُنْتَ عَنْ خَيْرِ الأنامِ سائِلاً فَخَيْرُهُمْ أَكْثَرُهُمْ فَضائِلاَ
مَنْ أنْتَ مِنْهُمْ يا هُمامَ وَائِلاَ أَلطَّاعِنِينَ فى الوَغَى أَوائِلاَ(١)
وَالعاذِلِينَ فى النَّدَى العَواذِلاَ قَدْ فَضَلُوا بِفَضْلِكَ القَبائِلاَ(٢)

***

وقال يمدحه عند دخول رسول الروم عليه فى صفر سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة :

دُرُوعٌ لِمَلْكِ الرُّومِ هذِى الرَّسائِلُ يَرُدُّ بِها عَنْ نَفْسِهِ وَيُشاغِلُ(٣)
هِىَ الزَّرَدُ الضَّافِى عَلَيْهِ وَلَفْظُها عَلَيْكَ ثَناءٌ سابِغٌ وَفَضائِلُ(٤)

---

(١) من : مبتدأ ، خبره قد فضلوا — فى البيت التالى — والهمام : الملك العظيم الهمة. ووائل ، أبو قبيلة الممدوح ، جعله اسما للقبيلة فلم يصرفه . والطاعنين : نعت وائلا . والوغى : الحرب . وقوله أوائلا : مفعول به ، أى أوائل الأعداء ، ويجوز أن تكون حالا أى أنهم السابقون إلى الطعان : ومن روى الأوائلا : تعينت المفعولية. أراد الطاعنين وجوه الأعداء وصدورهم وسادتهم .

(٢) العاذلين : جمع عاذل . أى اللائم ؛ والندى : الجود ؛ والعواذل : جمع عاذلة ، أى لائمة . يقول : إن قومك يلومون من يلومهم على جودهم ، ومن كان هذا شأنهم فإنهم مع ذلك يفضلون القبائل بفضلك ، ويتفردون بالمكارم بما زدتهم من مجدك .

(٣) هذى الرسائل : مبتدأ مؤخر ؛ ودروع : خبر مقدم ؛ وملك — بسكون اللام — مخفف ملك — بكسرها — . يقول — مخاطبا سيف الدولة — : إن هذه الرسائل التى أرسلها ملك الروم هى له بمنزلة الدروع يردك بها عن نفسه ويشغلك عن قتاله ، وقد زاد ذلك بيانا فيما يلى . وقوله يشاغل : قال ابن جنى لفظة غريبة ، إلا أن العامة ابتذلتها فلو تجنبها كان أجود .

(٤) الزرد : الدرع المزرودة ، يدخل بعضها فى بعض ؛ والضافى والسابغ بمعنى الطويل التام . يقول : هذه الرسائل عليه درع سابغة : أى تقوم فى الرد عنه مقام الدرع ولكن ألفاظها فضائل لك وثناء مخلد عليك ، لأنها خضوع منه واستسلام إليك ، فهو يخطب منك الصلح خوفا ورهبة .

وَأَنَّى اهْتَدَى هٰذَا الرَّسُولُ بِأَرْضِهِ
وَمَا سَكَنَتْ مُذْ سِرْتَ فِيهَا الْقَسَاطِلُ (١)

وَمِنْ أَيِّ مَاءٍ كَانَ يَسْقِي جِيَادَهُ وَلَمْ تَصْفُ مِنْ مَزْجِ الدِّمَاءِ الْمَنَاهِلُ (٢)

أَتَاكَ يَكَادُ الرَّأْسُ يَجْحَدُ عُنْقَهُ وَتَنْقَدُّ تَحْتَ الذُّعْرِ مِنْهُ الْمَفَاصِلُ (٣)

يُقَوِّمُ تَقْوِيمُ السِّمَاطَيْنِ مَشْيَهُ إِلَيْكَ إِذَا مَا عَوَّجَتْهُ الْأَفَاكِلُ (٤)

فَقَاسَمَكَ الْعَيْنَيْنِ مِنْهُ وَلَحْظَهُ سَمِيُّكَ وَالْخِلُّ الَّذِى لَا يُزَايِلُ (٥)

وَأَبْصَرَ مِنْكَ الرِّزْقَ وَالرِّزْقُ مُطْمِعٌ
وَأَبْصَرَ مِنْهُ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ هَائِلُ (٦)

---

(١) أنى : بمعنى كيف ؛ والاستفهام : للتعجب ، والقساطل : جمع قسطل ، وهو الغبار الذى تثيره الخيل . يقول : كيف اهتدى هذا الرسول فى أرض الروم إلى الطريق وغبار جيشك منذ سرت فيها لغزوهم لا يزال منتشراً لم يسكن ؟

(٢) الجياد : الخيل ، والمناهل : الموارد . يقول : لكثرة من قتلت بأرض الروم لم يبق منهل إلا صار ممزوجاً بالدماء فمن أى ماء كان يسقى خيله ؟

(٣) يجحد : ينكر ؛ وجملة يكاد وما يليه : حال من فاعل أتاك ؛ وتنقد : تنقطع . يقول : أتاك هذا الرسول وقد ساوره من خوف الإقدام عليك ما مثل له السيف واقعاً عليه حتى يكاد رأسه ينكر عنقه توهماً منه أنه قد انفصل عنه ، وتكاد مفاصله تنقطع هيبة لك وفرقاً منك . وقوله تحت الذعر : يروى تحت الدرع .

(٤) السماطان : الصفان ، يريد صفين من الجند كانا بين يدى سيف الدولة . والأفاكل : جمع أفكل ، الرعدة تعرض عند الفزع . يقول : إذا عوجت الرعدة مشى الرسول إليك هيبة لك قومه تقويم السماطين عن جانبيه لضيق ما بينهما فمر مستقيماً .

(٥) سميك : فاعل قاسمك ، ويعنى بسميه : السيف . وهو خليله الذى لا يزايله — لا يفارقه — يقول : إن سيفك قاسمك عينى الرسول ولحظه ، فكان ينظر بإحدى عينيه إليك وبالأخرى إلى السيف ، يعنى أن رسول ملك الروم ملكه من هيبة سيف الدولة ما ملكه من هيبة سيفه ، فأجال لحظه متهيباً لهما معاً . وقد ذكر علة هذه المقاسمة فى البيت التالى .

(٦) الهائل : المفزع المخيف . والضمير فى منه : للسيف . يقول : فأبصر منك

وَقَبَّلَ كُمًّا قَبَّلَ التُّرْبَ قَبْلَهُ ‏ وَكُلُّ كَمِيٍّ وَاقِفٌ مُتَضَائِلُ[1]

وَأَسْعَدُ مُشْتَاقٍ وَأَظْفَرُ طَالِبٍ ‏ هُمَامٌ إلَى تَقْبِيلِ كُمِّكَ وَاصِلُ[2]

مَكَانٌ تَمَنَّاهُ الشِّفَاهُ وَدُونَهُ ‏ صُدُورُ المَذَاكِي وَالرِّمَاحُ الذَّوَابِلُ[3]

فَمَا بَلَّغَتْهُ مَا أَرَادَ كَرَامَةٌ ‏ عَلَيْكَ ولٰكِنْ لَمْ يَخِبْ لَكَ سَائِلُ[4]

وَأَكْبَرَ مِنْهُ هِمَّةً بَعَثَتْ بِهِ ‏ إلَيْكَ العِدَى وَاسْتَنْظَرَتْهُ الجَحَافِلُ[5]

فَأَقْبَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهْوَ مُرْسَلٌ،

وَعَادَ إلَى أَصْحَابِهِ وَهْوَ عَاذِلُ[6]

بعموم جودك الرزق المحي فأطمعه ، وتمثل من سيفك الموت الهائل فتجاذبه طرفان من الطمع واليأس ، وقسم عينيه بين شطرين : التأميل والخوف .

(١) الكمى : الشجاع المدجج بالسلاح ؛ والمتضائل . المتصاغر خوفا . يقول : وقبل الرسول كمك بعدأن قبل الأرض والأبطال من رجالك وقوف بين يديك متصاغرون هيبة لك.

(٢) الهمام : الملك العظيم الهمة . يقول : إن أسعد مشتاق بنيل ما أمله ملك رفيع الهمة وصل إلى تقبيل كمك ، وإذن نال الرسول بذلك شرفا عظيما لأنه وصل إلى ما يتمنى مثله جلة الملوك .

(٣) المذاكى من الخيل : التى كملت أسنانها ؛ والذوابل من الرماح : اللينة لطولها. يقول : كمك مكان تتمنى الشفاه أن تقبله ولكن يتعذر الوصول إليه لكثرة ما يحول دونه من الخيل والرماح .

(٤) يقول : لم يصل به إلى تقبيل كمك كرامته عليك ومنزلته الرفيعة لديك ولكنه سألك ذلك وأنت لا تخيب السائل .

(٥) أكبر . فعل ماض ؛ وفاعله : العدى ؛ ويقال أكبرته : أى استكبرته ، قال تعالى «فلما رأينه أكبرنه » وهمة : مفعول به وقوله بعثت به : نعت همة ، وأراد بعثته ، فأدخل عليه الباء قالوا : كل شىء ينبعث بنفسه كالعبد ، فإن الفعل يتعدى إليه بنفسه ، فيقال : بعثته ، وكل شىء لاينبعث بنفسه كالكتاب والهدية ، فإن الفعل يتعدى إليه بالباء فيقال بعثت به ، وهذا هو مراد قول أهل اللغة بعثه أرسله وحده وبعث به أرسله مع غيره والجحافل : الجيوش ، يقول : إن أعداءك الروم استعظموا همة هذا الرسول إذ حملته همته على أن يأتيك مع مايعترضه من المهابة وقد لبثت جيوشهم — بعد أن طلبوا إليه أن يشغلك عن حربهم — تنتظر قدومه ليبلغهم جوابك .

(٦) يقول : أقبل من عند أصحابه وهو رسول لهم مبلغ لكلامهم ، فلما عاد إليهم

تَحَيَّرَ فِي سَيْفٍ رَبِيعَةُ أَصْلُهُ ... وَطَابِعُهُ الرَّحْمٰنُ وَالْمَجْدُ صَاقِلُ(١)
وَمَا لَوْنُهُ مِمَّا تُحَصِّلُ مُقْلَةٌ ، ... وَلَا حَدُّهُ مِمَّا تَجُسُّ الْأَنَامِلُ(٢)
إِذَا عَايَنَتْكَ الرُّسْلُ هَانَتْ نُفُوسُهَا ... عَلَيْهَا وَمَا جَاءَتْ بِهِ وَالْمُرَاسِلُ(٣)
رَجَا الرُّومُ مَنْ تُرْجَى النَّوَافِلُ كُلُّهَا ... لَدَيْهِ وَلَا تُرْجَى لَدَيْهِ الطَّوَائِلُ(٤)
فَإِنْ كَانَ خَوْفُ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ سَاقَهُمْ
فَقَدْ فَعَلُوا مَا الْقَتْلُ وَالْأَسْرُ فَاعِلُ(٥)

أزرى بهم ولامهم على محاربتهم إياك وعدم خضوعهم لك حين تبين عظيم شأنك ، ورأى جنودك وكثرة عديدك ، ووازن بين ذلك وبين ضعف أصحابه

(١) ربيعة : قبيلة سيف الدولة ؛ وطبع السيف : عمله ، يقول : رأى الرسول منك سيفاً ربيعة أصله والله عز وجل صانعه والمجد قد صقله فتحير إذ لم ير سيفا قبلك بهذه الصفة

(٢) المقلة : شحمة العين التى تجمع السواد والبياض ، والأنامل : رءوس الأصابع ؛ ولون السيف : فرنده وجوهره ؛ والمراد به شرف سيف الدولة وكرم مناقبه ، وأراد بحده عزيته ، وكلا الامرين لا يدرك بالحواس ، وعبارة الواحدى : إن العيون لا تحصل لونه لأنها لا تستوفيه بالنظر هيبة له كما قال :

كأن شُعاعَ عين الشمس فيهِ ... ففى أبصارنا عنه انكسارُ

ولا تجس الأنامل حده كما تجس حد السيف لأنه ليس سيفاً على الحقيقة . وقال ابن وكيع هذا من قول الأول :

إذَا أبصَرْتَني أعْرَضْتَ عنِّي ... كأنَّ الشمْسَ مِنْ قِبَلِي تدور

(٣) يقول : إذا عاينتك رسل الروم وشاهدوا ما أنت فيه من الفخامة والمهابة تصاغرت عندهم أنفسهم وما أتوا به من الهدايا وتصاغرت لديهم الملوك الذين أرسلوهم إليك كما قال البحترى :

لَحظوكَ أوَّلَ لَحظَةٍ فاستَصغَروا ... مَنْ كان يُعظَمُ عِندهمْ وَيُبجَّل

(٤) النوافل : جمع نافلة ، وهى العطية من حيث لا تجب ؛ والطوائل : الأحقاد ، واحدتها . طائلة : أى عداوة وترة . يقول : رجا الروم عفو من ترجى كل العطايا عنده ولا يرجى أن يدرك لديه ثأر : أى لا يؤمل عدوه أن يدال عليه فيظفر بإدراك ترته .

(٥) يقول : إن كان الذى ساقهم إليك هو خوفهم القتل والأسر من جهتك فقد

فَخَافُوكَ حَتَّى مَا لِقَتْلٍ زِيَادَةٌ ‌ ‌ وَجَاءُوكَ حَتَّى مَا تُرَادُ السَّلَاسِلُ(١)
أَرَى كُلَّ ذِى مُلْكٍ إِلَيْكَ مَصِيرُهُ ‌ ‌ كَأَنَّكَ بَحْرٌ وَالْمُلُوكُ جَدَاوِلُ(٢)
إِذَا مَطَرَتْ مِنْهُمْ وَمِنْكَ سَحَائِبٌ ‌ ‌ فَوَابِلُهُمْ طَلٌّ وَطَلُّكَ وَابِلُ(٣)
كَرِيمٌ مَتَى اسْتُوهِبْتَ مَا أَنْتَ رَاكِبٌ ‌ ‌ وَقَدْ لَقِحَتْ حَرْبٌ فَإِنَّكَ بَاذِلُ(٤)
أَذَا الْجُودِ أَعْطِ النَّاسَ مَا أَنْتَ مَالِكٌ ‌ ‌ وَلَا تُعْطِيَنَّ النَّاسَ مَا أَنَا قَائِلُ(٥)

فعلوا بأنفسهم بما أظهروه من الذلة والانقياد مالا يفعل القتل أكثر منه ، وقد فسر هذا فى البيت التالى .

(١) يقول : نخافوك خوفا، لو قتلتهم لم يزد خوفهم على ذلك ، وجاءوك طائعين حتى لا تحتاج فى أسرهم إلى السلاسل ، وفى المثل : الحذر أشد من الوقيعة

(٢) الجداول : جمع جدول ، النهر الصغير ، وإليك مصيره : أى منتهاه إلى الخضوع لك ووصل حباله بحبالك والتصرف حسب أمرك

(٣) الطل : المطر الضعيف ؛ والوابل : المطر الغزير ، يقول : إذا ساجلك هؤلاء الملوك وحاولوا أن يحتذوا حذوك فى جودك فأمطروا وأمطرت فطل عطائك يستغرق وابلهم ؛ يعنى أن كثيرهم قليل بالإضافة إليك وقليلك كثير بالإضافة إليهم

(٤) كريم : خبر عن محذوف ضمير المخاطب : أى أنت كريم ؛ ولقحت حرب : اشتدت أو وقعت ؛ وحرب لاقح مثل بالأنثى الحامل ؛ قال الأعشى :

إِذَا شَمَّرَتْ بِالنَّاسِ شهباء لا قح ‌ ‌ عَوانٌ شَدِيدٌ هَمْزُها وأظلت(١)

يقول : أنت كريم ما تسأل شيئاً إلا أعطيته حتى لو سئلت فرسك وقد اشتدت الحرب لوهبته مع شدة حاجتك إلى الفرس ، يعنى لو سئلت شيئاً فى أحوج ماتكون إليه لوهبته

(٥) يقول : أعط الناس أموالك ولا تعطهم شعرى ، أى لا تحوجنى إلى مدح غيرك ، وقال ابن جنى : أى لا تعط الناس أشعارى فيسلخوا معانيها ، قال الواحدى : وهذا — أى كلام ابن جنى — ليس بشىء لأنه لا يمكنه ستر أشعاره وإخفاؤها عن الناس ، وأجود

---

(١) حرب عوان قوتل فيها مرة كأنهم جعلوا الأولى بكرا ، ويقال همزته بناب : أى عضته .

أفي كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَ ضِبْنِي شُوَيْعِرٌ ... ضَعِيفٌ يُقَاوِينِي قَصِيرٌ يُطَاوِلُ(١)

لِسَانِي بِنُطْقِي صَامِتٌ عَنْهُ عَادِلٌ ... وَقَلْبِي بِصَمْتِي ضَاحِكٌ مِنْهُ هَازِلُ(٢)

وَأَتْعَبُ مَنْ نَادَاكَ مَنْ لاَ تُجِيبُهُ ... وَأَغْيَظُ مَنْ عَادَاكَ مَنْ لاَ تُشَاكِلُ(٣)

وَمَا التِّيهُ طِبِّي فِيهِمِ غَيْرَ أَنَّنِي ... بَغِيضٌ إِلَىَّ الْجَاهِلُ الْمُتَعَاقِلُ(٤)

الشعر ماسار فى الناس ، وقال المعرى : يريد لا تعط الناس شعرى فتجعلهم فى طبقق فتقول أنت مثل فلان

(١) الضبن : مابين الأبط والكشح ؛ والشويعر تصغير شاعر ،والاستفهام :للتعجب والإنكار ، يقول : أفى كل يوم يتمرس بى شويعر صناعته فى صناعته قصير فى معرفته فأراه يباريني فى القوة وهو لا قوة له ويطاولنى وهو قصير أحمله تحت ضبنى ؟يريدحقارة ذلك الشاعر حتى لو أراد أن يحمله تحت ضبنه لقدر على ذلك ، ثم هو مع حقارته يباهيه بمدح سيف الدولة

(٢) الباء — فى الشطرين — بمعنى «فى»أى إذا نطقت صمت لسانى عنه وعدل عن مخاطبته وقلبى يضحك منه ازدراء به ؛ وبعبارة أخرى يقول: يعدل عنه لسانى فلا أ كلمه ولا أهاجيه لأنى لا أراه أهلا لذلك ، وقلبى يضحك منه ويسخر وإن كنت صامتالاأبدى الضحك والسخر ثم بين لم يفعل ذلك ؟ فيما يلى «هذا»والهزل ضد الجدىقال:هزل يهزل قال الكميت :

أَرَانَا عَلَى حُبِّ الْحَيَاةِ وطولِهَا ... نَجِدُّ بِنَا فى كُلِ يَوْمٍ ونَهْزِلُ

(٣) يقول : إنما لا أجيبهم لأتعبهم بترك الجواب كما أنهم يغيظوننى بالمعاداة وهم غير أشكال لى . وتقدير البيت أتعب مناد لك من ناداك فلم تجبه لأنك لا تشفيه بالجواب فيجهد فى النداء ، كما أن أغيظ الأعداء لك من عاداك وهو دونك لأنك ترفع عن معارضته فلا تشفى منه .

(٤) التيه : الكبر ؛ والطب : العادة والديدن ؛ قال فروة بن مسيك المرادى :

فإنْ نَغْلِب فغلاَّبون قِدْماً ... وَإِنْ نُغْلَبْ فغيرُ مُغَلَّبِينا

فما إنْ طِبُّنا جُبْنٌ وَلَكِنْ ... مَنايانا وَدولةُ آخرينـــا

كذاكَ الدهر دولتهُ سجال ... تَكُرُّ صُروفه حِيناً فحينا(١)

---

(١) قوله وإن نغلب فغير مغلبينا . يعنى إن كانت همدان ظهرت علينا فى يوم الردم

وَأَكْبَرُ تِيهِي أَنَّــــنِي بِكَ وَاثِقٌ ... وَأَكْثَرُ مَالِي أَنَّنِي لَكَ آمِلُ(١)

لَعَلَّ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْقَرْمِ هَبَّـــةً ... يَعِيشُ بِهَا حَقٌّ وَيَهْلِكُ بَاطِلُ(٢)

رَمَيْتُ عِـــدَاهُ بِالْقَوَافِي وَفَضْلِهِ ... وَهُنَّ الْغَوَازِي السَّالِمَاتُ الْقَوَاتِلُ(٣)

وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ النُّجُومَ خَوَالِدٌ ... وَلَوْ حَارَبَتْهُ نَاحَ فِيهَا الثَّوَاكِلُ(٤)

وبغيض : خبر مقدم عن المرفوع بعده ؛ والجملة خبر أن ؛ وإلى : بمعنى عندى . يقول ليس الكبر عادتى وديدنى غير أنى أبغض الجاهل الذى يتكلف ويرى أنه عاقل ، يعنى أن الذى يمنعنى من تكليمهم إنما هو بغضى إياهم لا التكبر عليهم : أقول . ولو عكس المعنى وقال إنى أعرض عنهم تكبرا واحتقارا لا بغضا واجتواء ـ لأنهم أقل من أن يبغضوا ـ لكان أروع ، وما أجمل قول الطرماح .

لقدْ زادنى حُبًّا لنفسِىَ أنَّـــنِى ... بغيض إلَى كلِّ امْرِىءٍ غيرِ طائِلِ

إذا ماراآنى قطع الطرْفَ بينه ... وبينى كفعلِ العارف المتجاهِلِ

قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : إن الحكيم تريه الحكمة أن فوق علمه علما فهو يتواضع لتلك الزيادة والجاهل يظن أنه قد تناهى فيسقط بجهله وتمقته النفوس

(١) يقول : أكبر ما أتيه به أنى واثق بجميل رأيك فى ، كما أن أكثر ثرائى هو من ناحية تأميلى لك ورجائى فيك .

(٢) القرم : السيد ؛ وأصله : الفحل الكريم من الإبل . وهبة . أى انتباهة . يقول . لعل سيف الدولة ينتبه لما يقال له ويمدح به فلا يستجيز من الشعراء ما يأتونه به من القول الركيك ، فيهلك باطلهم ـ يعنى شعرهم ـ ويبقى الحق ـ يعنى شعره ـ .

(٣) المراد بالقوافى : القصائد ؛ والغوازى : من الغزو يقول : مدحته بإذاعة فضائله ـ فكأنى رميت بتلك القوافى التى ذكرت فيها فضائله أعداءه فقتلتهم غيظاً وحسداً ، وجعل القوافى غوازى قواتل لأنها قتلت أعداءه بالغيظ والحسد ، وجعلها سالمات لأنها تصيب ولا تصاب .

(٤) الثواكل : جمع ثاكل ، الفاقدة ابنها أو أباها أو أخاها . يقول : لو كانت

فغلبتنا فغير مغلبين ؛ والمغلب . الذى يغلب مراراً . أى لم تغلب إلا هذه المرة . وقوله فما إن طبنا الخ : أى ما عادتنا وشأننا ؛ وقيل الطب ههنا . العلة والسبب أى لم يكن سبب قتلنا الجبن وإنما كان ماجرى به القدر من حضور المنية وانتقال الحال عنا والدولة، والسجال ـ بالكسر ـ مصدر ساجل يساجل بمعنى ناوب .

وَمَا كَانَ أَدْنَاهَا لَهُ لَوْ أَرَادَهَا وَأَلْطَفَهَا لَوْ أَنَّهُ الْمُتَنَاوِلُ (١)
قَرِيبٌ عَلَيْهِ كُلُّ نَاءٍ عَلَى الْوَرَى إِذَا لَثَّمَتْهُ بِالْغُبَارِ الْقَنَابِلُ (٢)
تُدَبِّرُ شَرْقَ الْأَرْضِ وَالْغَرْبَ كَفُّهُ وَلَيْسَ لَهَا وَقْتًا عَنِ الْجُودِ شَاغِلُ (٣)

النجوم جيوشا ثم حاربته لقامت عليها النوائح ، يعنى أنها وإن قيل إنها خالدة لا تفنى لو حاربته لأتى عليها وأفناها .

(١) يقول : ما كان أقربها له لو قصدها وألطفها — أخفها — لو حاول تناولها ، يعنى أن سعده يقرب له البعيد ، وقال الواحدى : فى جميع النسخ وألطفها برد الكناية — الضمير — إلى النجوم ، ولا معنى له ؛ والصحيح : وألطفه ، برد الكناية إلى الممدوح : أى ما ألطفه لو تناول النجوم على معنى ما أحذقه وأرفقه بذلك التناول ، من قولهم فلان لطيف بهذا الأمر : أى رفيق ، يعنى أنه يحسنه وليس بأخرق ، وبعد ، فإن النجوم فى البيتين مثل يريد البعيد من الأشياء الذى يستحيل على غيره بلوغه وقد بين ذلك فى البيت التالى .

(٢) النائى : البعيد ؛ والورى : الخلق ؛ والقنابل : الجماعات من الخيل . واحدتها قنبلة ، قيل القنبلة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ونحوه ، والقنبلة من الناس الطائفة منهم ، وقدر قنبلانية تجمع القنبلة من الناس : أى الجماعة ، يقول . قريب عليه كل بعيد على غيره من المطالب إذا حاوله بجيشه فانعقد عليه الغبار من كثرة الخيل حتى حتى يصير له كاللثام . وبعبارة أوضح : إذا قاد جيشه وأنفذ نحو العدو خيله ولثمت كتائبه بما تثيره من الغبار فكل ما يبعد على غيره فإن مرامه قريب منه وتناوله غير مستعص عليه .

(٣) وقتا : ظرف ؛ ولها : خبر ليس ؛ وشاغل ؛ اسمها يقول : إن تدبير ممالك الشرق والغرب بكفه ، فإنه بسيفه وقوة يده يدبرها ومع كل هذا الشغل العظيم ليس لها شىء يشغلها وقتاً عن الجود ، أى لايغفل عن الجود وإن عظم شغله، كما قال البحترى :

تَبِيتُ عَلَى شُغْلٍ وَلَيْسَ بِضَائِرٍ لِمَجْدِكَ يَوْمًا أَنْ تَبِيتَ عَلَى شُغْلِ

وروى ابن فورجه . وقت بالرفع ، على أنه اسم ليس وشاغل : نعت له . قال الواحدى : تهوس ابن فورجه فى هذا البيت فروى وقت بالرفع قال : وفيه معنى لطيف ليس يؤديه اللفظ إذا نصب وقت وذلك أنه يريد لهذه الكف الشرق والغرب وما يحويانه وليس لها وقت يشغلها عن المجد ، وكف تملأ الشرق والغرب كان بأن تملأ

يُتْبِعُ هُرَّابَ الرِّجَالِ مُرَادُهُ فَمَنْ فَرَّ حَرْباً عَارَضَتْهُ الْغَوَائِلُ(١)
وَمَنْ فَرَّ مِنْ إِحْسَانِهِ حَسَداً لَهُ تَلَقَّاهُ مِنْهُ حَيْثُمَا سَارَ نَائِلُ(٢)
فَتًى لاَ يَرَى إِحْسَانَهُ وَهْوَ كَامِلٌ لَهُ كَامِلاً حَتَّى يُرَى وَهْوَ شَامِلُ(٣)
إِذَا الْعَرَبُ الْعَرْبَاءُ رَازَتْ نُفُوسَهَا فَأَنْتَ فَتَاهَا وَالْمَلِيكُ الْحُلاَحِلُ(٤)
أَطَاعَتْكَ فِى أَرْوَاحِهَا وَتَصَرَّفَتْ بِأَمْرِكَ وَالْتَفَّتْ عَلَيْكَ الْقَبَائِلُ(٥)

ما هو أحقر منهما أولى ، قال الواحدى . وهذا الذى قاله ــ ابن فورجه ــ باطل محال لا يقوله إلا غمر جاهل ، والوجه : النصب لأنه ظرف لشاغل .

(١) هراب . جمع هارب . ومراده : فاعل يتبع ، ولك أن تجعله مفعولا ثانياً ليتبع ؛ وحربا : نصب على الحال ؛ أى محاربا ــ يقال فلان حرب لفلان إذا كان معاديا له ، ولك أن تجعل حربا منصوبا بنزع الخافض : أى من الحرب . والغوائل : جمع غائلة ، وهى الداهية تغول : أى تهلك . يقول : إن جده يسعده وينفذ مراده فى أعدائه ، فمن فر منه محاربا جرى مراده فى أثره فهلك بسبب من الأسباب ، واستقبلته غائلة تأتى عليه .

(٢) النائل : العطاء . يقول : من فر من إحسانه وأزمع مجانبته حسداً له استقبله حيثما توجد عطاء منه ، وذلك لعموم نائله الأرض ؛ وبعبارة أخرى : إن جوده يشمل الولى والحاسد ويعم المحسن والمسىء ؛ وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

وإذا سَرَحْتَ الطَرفَ حولَ قِبَابِهِ لم تلقَ إلا نعمـــــةً وحسودا

(٣) وهو كامل : حال من إحسانه ؛ وكاملا مفعول ثان لـ«يرى» وقوله : له الضمير للممدوح ، والظرف حال من الضمير فى «كاملا» : أى كاملا فى حقه وبالنسبة إليه يقول : هو مع كون إحسانه كاملا قد بلغ الغاية لايراه كاملا بالإضافة إليه وإلى علو همته حتى يكون عاما يشمل الناس جميعاً .

(٤) العرب العرباء : القديمة الخالصة التى لم تشبها هجنة ؛ ورازت : جربت واختبرت ، وفتاها : كريمها وسخيها ؛ والحلاحل : السيد . يقول : إذا اختبروا نفوسهم عند الجود والشجاعة علموا أنك فتاهم وسيدهم لأنك أجودهم وأشجعهم .

(٥) يقول : هم لك مطيعون حتى لو أمرتهم يبذل أرواحهم لبذلوها فى طاعتك ، وقد تصرفوا فى إيرادهم وإصدارهم حسب أمرك واجتمعت قبائلهم على نصرتك ودانوا أجمعين بالخضوع لطاعتك ، ويجوز أن يكون معنى التفت عليك القبائل : أحاطت أنسابها بنسبك . فأنت وسيط بينهم .

وَكُلٌّ أَنَابِيبُ الْقَنَا مَــدَدٌ لَهُ ... وَمَا يَنْكُتُ الْفُرْسَانَ إِلاَّ الْعَوَامِلُ (١)

رَأَيْتُكَ لَوْ لَمْ يَقْتَضِ الطَّعْنُ فى الْوَغَى ... إِلَيْكَ انْقِيَاداً لاَقْتَضَتْهُ الشَّمَائِلُ (٢)

وَمَنْ لَمْ تُعَلِّمْهُ لَكَ الذُّلَّ نَفْسُهُ ... مِنَ النَّاسِ طُرًّا عَلَّمَتْهُ الْمَنَاصِلُ (٣)

* * *

---

(١) الأنابيب : جمع أنبوب ، العقدة الناشزة فى القناة ؛ والقنا : عيدان الرماح ؛ والعوامل : جمع عامل ، وهو ما يلى السنان من الرمح . والنكت : الوخز . ويقال طعنه فنكته : أى ألقاه على رأسه . شبه قبائل العرب بأنابيب الرمح وسيف الدولة بالعامل قال الواحدى : هذا مثل يقول : إن الطعن إنما يتأتى بالرمح كله وما لم يعاون بعض الرمح بعضاً لم يحصل الطعن ، ولكن العوامل هى التى تصيب الفرسان لأن السنان فيها . كذلك القبائل : كلهم مدد لك والعمل منك ، فأنت منهم كالعوامل من الرمح ؛ وهذا من قول بشار :

خُلقوا سادةً فكانوا سواءً ... ككعوبِ القناةِ تحت السِّنان

وقال البحترى :

كالرُّمح فيه بضعَ عشْرةَ فِقرةً ... مُنقادةً تحت السِنان الأصْيد

وبعبارة أخرى : يقول له ــ مؤكداً لما ذكره من انقياد العرب لأمره ــ كل أنابيب الرمح مما تمده وتعينه ، ولكن العامل منها هو الذى به يكون الطعن وصرع الفرسان. جعل موضع سيف الدلة من العرب ــ وإن كانوا مدداً له ــ موضع العامل من الرمح الذى به يكون الطعن ، وإليه ينسب الفعل من دون سائر الأنابيب . وقال ابن جنى : المعنى أن أصحابك وإن كانوا أعوانا لك فأنت الذى تتولى الحرب بنفسك وتتقدم إليها كتقدم السنان .

(٢) الوغى : الحرب ؛ وإليك : صلة انقياداً ؛ والشمائل : الأخلاق ؛ والمفعول الثانى لرأيت : محذوف سد مسده شرط ، « لو » وجوابها . يقول : إن لم يطعك الناس خوفا من طعنك أطاعوك حبا لشمائلك ، أى إن كرمك وحسن أخلاقك أدعى إلى طاعتك من الطعان فى القتال .

(٣) المناصل : جمع منصل ، وهو السيف . يقول : من لم تعلمه نفسه الخضوع لك وترشده سعادته إلى الاعتلاق بك أجبرته على ذلك سيوفك ؛ أى إن من لم يخضع لك طوعا ورغبة خضع لك خوفا ورهبة .

وقال يعزيه بأخته الصغرى ، ويسليه بالكبرى ، وأنشدها فى رمضان سنة أربع وأربعين وثلثمائة :

إنْ يَكُنْ صَبْرُ ذِى الرَّزِيَّةِ فَضْلاً   تَكُنِ الْأَفْضَلَ الْأَعَزَّ الْأَجَلاَّ[1]
أَنْتَ يَا فَوْقَ أَنْ تُعَزَّى عَنِ الْأَحْبَابِ فَوْقَ الَّذِى يُعَزِّيكَ عَقْلاَ[2]
وَبِأَلْفَاظِكَ اهْتَدَى فَإِذَا عَزَّ   اكَ قَالَ الَّذِى لَهُ قُلْتَ قَبْلاَ[3]

---

(١) يقول : إن كان صبر صاحب المصيبة على ما أصيب به يعد فضلا له فأنت الأفضل الأجل لإرباء صبرك على صبر غيرك ؛ يعنى أنت أصبر ذوى الرزايا وأفضلهم . والرزية والرزيئة — بالهمز وبتركه — المصيبة .

(٢) يقول : أنت أجل من أن تعزى عمن ترزأ به من الأحباب لأنك أعقل من الذى يعزيك وأهدى منه إلى معانى التعزية . قال ابن جنى : فوق — الأولى — نداء مضاف إلى أن تعزى ، والثانية : ظرف ، وعلى هذا تكون « أنت » مبتدأ ؛ و« فوق » الثانية : خبر . وقال التبريزى : يحتمل وجهين : أحدهما أن يكول حذف المنادى : أى أنت ياسيف الدولة وعلى هذا تكون فوق — الأولى والثانية — ظرفين ، وتكون الأولى : خبراً أول ؛ والثانية : خبراً آخر ؛ والوجه الثانى أن تكون « فوق » : نعتا له وقد أخرجها من باب الظرفية إلى الأسماء ؛ وعقلا : نصب على التمييز .

(٣) اهتدى : أى الذى يعزيك . ونصب « قبلا » على الظرفية وجعله نكرة على حد قولك : جئتك أولا وآخراً ، كما قال :

وساغ لِىَ الشرابُ وكنت قبْلاَ   أكادُ أغصُّ بالماء الفُرَاتِ[1]

---

(١) روى عجز هذا البيت : أكاد أغص بالماء الحميم . وروى أيضا بالماء المعين ، وروى ؛ أغص بنقطة الماء الحميم ؛ قال البغدادى : وهو آخر أبيات خمسة ليزيد ابن الصعق وهى .

ألا أبلغ لديك أبا حُريثٍ   وعاقبة الملامة للمُليمِ
فكيف ترى معاقبتى وتسعى   بأذواد القُصَيْبَةِ والقصيمِ
وما برِحَتْ قلوصى كلَّ يوم   تكر على المخالِفِ والمقيم

قَدْ بَلَوْتَ الْخُطوبَ مُرًّا وَحُلْوًا   وَسَلَكْتَ الْأَيَّامَ حَزْنًا وَسَهْلًا(١)
وَقَتَلْتَ الزَّمَانَ عِلْمًا فَمَا يُغْـرِبُ قَوْلًا وَلَا يُجَدِّدُ فِعْلًا(٢)

يقول : إن الذى يعزيك، منك تعلم ألفاظ التعزية . فهو يقول لك فى التعزية ما قاته قبل ذلك واستفاده منك . وعبارة العكبرى الإنشائية الانيقة : المعزى لك إنما يهتدى بألفاظك ويخاطبك بما تعلمه من قولك فقدرك مرتفع عن التعزية . فإن حقائق الأمور مستفادة منك ، وجواهر الكلام مأثور عنك ، إنما يقابلك بما أنت أعلم به ويذكرك بما أنت أحفظ له ، فهو كمن جلب إلى هجر القطيعاء(١) وإلى الفرات الماء ، وإلى البدر الضياء .

(١) بلوت ؛ خبرت . والخطوب ؛ حوادث الدهر . والحزن ؛ ضد السهل ، وهو ماخشن من الأرض وارتفع ؛ والمنصوبات ــ فى البيت ــ أبدال . يريد ؛ حلوها ومرها وحزنها وسهلها وتفسير العكبرى الجيل ؛قد خبرت طوارق الدهر بمعرفتك،وعرفت حلوها ومرها بتجربتك ، وسرت فى الأيام مالكا صعبها تسلك منها ماصعب وسهل ، وتعانى ما بعد وقرب ، ناهضا بنفسك ، مكتفيا بعلمك .

(٢) يغرب ؛ يجىء بشىء غريب ؛ وعلماوقولا ؛ كلاهما تمييز ، يقول ؛ عرفت الزمان وألوانه وصروفه معرفة تامة ، فلا يأتى بشىء غريب ولا فعل جديد لم تره ولم تعرفه ، وقتلت الزمان علما يعنى علمت منه كل شىء حتى أذللته بعلمك ولينته لك ، ومعنى القتل فى اللغة ؛ إزالة الحركة ، ومنه يقال شراب مقتول ؛ إذا كسرت سورته بالماء .

فنِمتُ الليل إذ أوقعت فيكم   قبــائل عامر وبنى تميم

وساغ لى الشراب .. البيت . المليم : من ألام الرجل إذا أتى بما يلام عليه ؛ والمعاقبة ؛ المناوبة ــ من العقبة ، وهى النوبة ــ والذود من الإبل ؛ ما بين الثلاث إلى العشر ؛ والقصيبة والقصيم ؛ موضعان ؛ والمخالف من الخلوف ، وهم المقيمون فى الحى حينما يذهب الرجال للغزو . وقوله وساغ ؛ عطف على نمت . والحميم ؛ الماء الحار ، وليس بمراد ، وقيل هو من الاضطداد يطلق على الماء البارد أيضا ؛ وأغص : مضارع غصصت بالطعام ، والغصة ؛ ماغص به الإنسان من طعام ، وهو هنا مستعمل مكان الشرق .

(١) هجر : بلد بالبحرين، مذكر مصروف ، مشهور بتمره؛ والقطيعاء ــ ممدود،مثل الغبيراء ــ صنف من التمر .

أجِدُ الْحُزْنَ فِيكَ حِفْظاً وَعَقْلاً ... وَأَرَاهُ فِي الْخَلْقِ ذُعْراً وَجَهْلاً[١]
لَكَ إِلْفٌ يَجُرُّهُ وَإِذَا مَا ... كَرُمَ الْأَصْلُ كَانَ لِلْإِلْفِ أَصْلاً[٢]
وَوَفَاءٌ نَبَتَّ فِيهِ وَلٰكِنْ ... لَمْ يَزَلْ لِلْوَفَاءِ أَهْلُكَ أَهْلاً[٣]
إِنَّ خَيْرَ الدُّمُوعِ عَوْناً لَدَمْعٌ ... بَعَثَتْهُ رِعَايَةٌ فَاسْتَهَلاَّ[٤]

---

(١) الذعر : الخوف قال ابن فورجه . يقول : أنت إذا حزنت على هالك فإنما تحزن حفاظا منك لوده وصحبته ووفاء له ، والحفاظ والوفاء مما يدعو إليه العقل؛ وغيرك يحزن خوفا من ألم الفراق وجبنا منه وجهلا من غير معرفة بالسبب الموجب للحزن ؛ قال الواحدى ، وتفسير الحفظ على ماذكره ؛ وأما تفسير العقل والذعر والجهل فلم يصب فيه . والوجه أن يقال أراد بالعقل : الاعتبار بمن مضى ، فإن العاقل إنما يحزن على الميت اعتباراً به وعلما أنه عن قريب يتبعه على أثره ؛ وحزن غير العاقل يكون ذعراً من الموت ، وهو جهل لأنه ميت لا محالة وإن حزن .

(٢) الإلف : السكون إلى الشىء والأنس به . يقول : لك إلف يجر هذا الحزن ويجلبه عليه ، ثم ذكر أن الإلف من كرم الأصل وأن الكريم ألوف ، وإذا كان ألوفا حزن على فراق من ألفه ؛ وعبارة العكبرى : لك إلف لكرم صحبتك يجر الحزن إليك ممن تفقده من أحبتك ، ويوجب الإشفاق منك على مواصلك ، وكذلك الأصل إذا كان كريما كأصلك متمكنا فى مثل نصاب شرفك ، كان أصلا لكريم المواصلة والمؤالفة، وباعثا على مشكور المعاملة ، لمنزلتك من الشرف تضمن الفضل عنك ، ومحلك من الكرم يوجب حسن المؤالفة . « ويجره » : رواها ابن جنى : تجره ـ بالتاء ـ قال : أى تسحبه وتحمل ثقله .

(٣) ووفاء : عطف على إلف ـ فى البيت السابق ـ . يقول : ولك وفاء نبت فيه وسقيت ماءه صغيراً ونشأت عليه ، فلا تعرف غير الوفاء للأحباب ؛ ولا بدع : فإنك من عشيرة هم أهل الوفاء فانحدر إليك منهم ، وهذا الذى جر إليك الحزن على من فقدت . وقوله ولكن : هو استثناء معروف فى كلام العرب ، يقولون فلان شريف غير أنه سخى ؛ وفى الحديث : « أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش » أى فلا عجب فى كونى أفصحهم. وقالوا :

فتى كملت أخلاقه غير أنه ... جواد فما يُبقى من المال باقيا

(٤) الرعاية : حسن المحافظة ؛ والاستهلال : الانسكاب . يقول : إن الدمع الذى

أَيْنَ ذِى الرِّقَّةُ الَّتِى لَكَ فِى الْحَرْ ... بِ إِذَا اُسْتُكْرِهَ الْحَدِيدُ وَصَلَا(١)
أَيْنَ خَلَّفْتَهَا غَدَاةَ لَقِيتَ الرُّومَ ... وَالْهَامُ بِالصَّوَارِمِ تُفْلَى(٢)

سببه رعاية العهد هو خير الدموع عونا على الحزن والرزية ، وذلك أن الدمع يخفف برح الوجد ، كما قال ذو الرمة :

لعلَّ انحدارَ الدمعِ يُعقِبُ راحةً ... من الوجدِ أو يشفى نجىَّ البلابِلِ

وقوله عوناً : يروى «عندى» وروى ابن جنى : عينا ، قال : وهو منصوب على التمييز كقولك : إن أحسن الناس وجها لزيد ، والمعنى أن عينه خير الأعين ، لأن موجب دمعه حتى استهل وفاض هو الرعاية والحفاظ .

(١) استكره الحديد : أى أكره على الضرب ، وهو بدل من قوله فى الحرب ؛ وصل الحديد : صوت . يقول : هذه الرقة والرحمة التى نشاهدها منك الآن أين هى فى وقت الحرب حين يكره الحديد على الضرب ويصل بقرع بعضه البعض عند تجالد الأبطال ؟ قال البحترى :

لم يكن قلبك الرقيق رقيقا ... لا ولا وَجْهُك المصونُ مصونا

وقوله إذا استكره الحديد وصلا : قال العكبرى . فيه نظر إلى قول لبيد :

أحْكَمَ الْجِنْثِيُّ من عَوْرَاتِها ... كلُّ حِرْبَاءٍ إذا أُكْرِهَ صَلّ(١)

(٢) خلفتها : رواها ابن جنى : غادرتها ، وهما بمعنى ؛ والغداة البكرة ،وهى مضافة إلى الجملة التى بعدها . والهام : الرءوس . والصوارم : السيوف ؛ وتفلى: من فليت رأسه إذا فصلت القمل منه ، وأصله من فلوت الفلو عن أمه : إذا أنت فصلته عنها . يقول : أين تركت رقتك هذه ساعة لقيت الروم فى الحرب والرءوس تطلب بالسيوف فى جميع الجهات كالفالى يتبع كل موضع من الرأس . هذا هو تفسير الواحدى ، وقد أبعد فى تفسيره «تفلى» بما قال ؛ ولم هذا وقد جاء فى كتب أهل اللغة أنه يقال فلى رأسه بالسيف فليا : ضربه وقطعه ، قال الشاعر :

تُخَاطِبُهُمْ بألسنةِ المنايا ... وتَفْلى الهام بالبيضِ الذُّكور

فيجب أن يكون التفسير على هذا الوجه : أين تركت هذه الرقة ساعة لقيت الروم فى الحرب والرءوس تضرب بالسيوف ، والنفوس تخترم بالحتوف ؟

---

(١) الجنثى : السيف بعينه ؛ وأحكم : أى رد الحرباء — وهو مسمار الدرع — من عوراتها السيف .

قَاسَمَتْكَ الْمَنُونُ شَخْصَيْنِ جَوْراً ... جَعَلَ الْقِسْمُ نَفْسَهُ فِيكَ عَدْلا (١)

فَإِذَا قِسْتَ مَا أَخَذْنَ بِمَا أَغْـ ... ـدَرْنَ سَرَّى عَنِ الْفُؤَادِ وَسَلَّى (٢)

وَتَيَقَّنْتَ أَنَّ حَظَّكَ أَوْفَى ... وَتَبَيَّنْتَ أَنَّ جَدَّكَ أَعْلَى (٣)

---

(١) المنون : المنية ؛ ويجوز تذكيره وتأنيثه ، وقد يراد به الجمع ، وهو ما يقصده المتنبي — كما يدل على ذلك البيت التالى — وجوراً : حال ؛ والقسم — بالكسر — الاسم من قسمه . يعزيه بأخته الكبرى الباقية . يقول : قاسمك الموت شخصين — يعنى أختيه — فذهب بإحداهما — الصغرى — وترك الأخرى — الكبرى — وكانت هذه المقاسمة جوراً — ظلماً — لأنه كان من حقك أن يتركهما ، ولكن هذا الجور عدل فيك حيث ترك لك حياً وكانت المقاسمة معك فى الاختين : يعنى إذا كنت أنت البقية فالجور عدل ، هذا إذا انصب القسم وجعل الفعل للجور ، وروى « جعل القسم نفسه فيه عدلا » يعنى أن القسم جعل نفسه عدلا فى الجور ؛ لأنه وإن أخذ الصغرى فقد أبقى الكبرى فأترك بأفضل النصيبين لأنك أفضل المتقاسمين . ولنرجع إلى المنون فنقول ؛ قال علماء اللغة : المنون الموت لأنه يمن كل شيء أى يقطعه ويضعفه وينقصه ، وقيل المنون : الدهر ، وجعله عدى بن زيد جمعاً فقال :

من رأيت المنون خلدن أم من ... ذا عليه من أن يضام خفيرُ

وهو يذكر ويؤنث ، فمن أنث حمل على المنية ، ومن ذكر حمل على الموت قال أبو ذؤيب الهذلى :

أمِنَ المَنُون وريْبه تتوجَّع ... والدَّهر ليس بمُعتب من يجزع

وقد روى : وريبها حملا على المنية ، وقيل إنما أنث على معنى الدهور فرده على عموم الجنس ، كقوله تعالى « أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء » ، وقوله تعالى « ثم استوى إلى السماء فسواهن » لأن الألف واللام فى الطفل بمعنى الأطفال ؛ والسماء بمعنى السموات : وقال أبو العباس : المنون يحمل معناه على المنايا فيعبر بها عن الجمع ، وأنشد بيت عدى بن زيد : من رأيت المنون الخ أراد المنايا ، فلذلك جمع الفعل .

(٢) أغدرن كغادرن : تركن . وسرى عنه : فرج . وسلى : عزى ؛ والضمير فى سرى وسلى : للقياس ، أو لما أغدرن : يقول : إذا قست الصغرى التى أخذتها المنية بالكبرى التى أبقتها لك وجدت فى ذلك ما تتعزى به لأنها أبقت لك أحبهما إليك .

(٣) أى حين بقيت الكبرى . وأوفى : أتم . وجدك : أى سعدك .

وَلَعَمْرِى لَقَدْ شَغَلْتَ المَنَايَا بِالْأَعَادِى فَكَيْفَ يَطْلُبْنَ شُغْلَا(١)

وَكَمِ انْتَشْتَ بِالسُّيُوفِ مِنَ الدَّهْـرِ أَسِيراً وَبِالنَّوَالِ مُقِلَّا(٢)

عَدَّهَا نُصْرَةً عَلَيْـــهِ فَلَمَّا صَالَ خَتْلاً رَآهُ أَدْرَكَ تَبْلَا(٣)

كَذَبَتْهُ ظُنُونُهُ أَنْتَ تُبْلِيـ ـهِ وَتَبْقَى فِي نِعْمَةٍ لَيْسَ تَبْلَى(٤)

وَلَقَدْ رَامَكَ العُدَاةُ كَمَا رَا مَ فَلَمْ يَجْرَحُوا لِشَخْصِكَ ظِلَّا(٥)

وَلَقَـــدْ رُمْتَ بِالسَّعَادَةِ بَعْضاً

مِنْ نُفُوسِ العِـدَا فَأَدْرَكْتَ كُلَّا(٦)

---

(١) يقول : لقد شغلت المنايا بما تواصله فى أعدائك من القتل فى الحرب فكيف تطلب المنايا شغلا بغيرهم فتفرغ إلى ذى قرابتك ؟

(٢) انتاشه : تناوله وانتشله . ويقال انتاشه من صرعه : إذا استنقذه ؛ والنوال : العطاء ؛ والمقل : الفقير . يقول : كم نصرت أسيراً للدهر لا ناصر له استنقذته من أسر الدهر ، وكم من فقير معدم نصرته بعطائك فأنقذته من أنياب الإقتار، والفاقة .

(٣) فاعل عدها : ضمير الدهر ؛ والهاء : ضمير النصرة : أى عد نصرتك لهذين نصرة عليه ، ولك أن ترجع الهاء لأفعال سيف الدولة ، وصال : وثب واستطال ؛ والختل الغدر ؛ والتبل : الثأر . يقول : عد الدهر أفعالك ـ من انتياشك الأسير والمقل من يده ـ نصرة عليه ومراغمة له ، فلما استطال عليك بأخذ أختك رأى نفسه قد أدرك ثأره منك لأنه حقد عليك بما فعلته ، فقوله رآه : أى رأى الدهر نفسه وهى من رؤية القلب : أى ظن نفسه واعتقد .

(٤) يقول : ليس الأمر كما ظن الدهر من أنه أدرك منك ثأراً لأنك تبلى الدهر بقطعك أيامه وطول سلامتك وتبقى فى نعمة لا تفنى ، إذ آتاك الله من السعد مالا تقوى عليه غير الدهر وصروفه . ويقال كذبه ظنه : إذا خدعه وزين له الباطل .

(٥) رامك : طلبك . يقول : ولقد حاول أعداؤك كما حاول الدهر أن ينالوا منك ويدركوا ثأرهم فلم يستطيعوا أن يصيبوا ظل شخصك فضلا عن أن ينالوا خاصة نفسك والمعنى لم يقاربوك بسوء ، وذلك أن ظله يقرب منه . وحاصل معنى البيتين أن الله قد صرف عنه كيد الزمان وأهله فلا يصلون إليه بسوء .

(٦) يقول : طلبت بعض أعدائك فأدركت الكل بما أعطيت من السعد والإقبال

قَارَعَتْ رُمحكَ الرِّمَاحُ وَلَـكِنْ تَرَكَ الرَّامِحِينَ رُمحكَ عُزْلاَ[١]

لَوْ يَـكُونُ الذِى وَرَدْتَ مِنَ الْفَجْـعَةِ طَعْناً أَوْرَدْتَهُ الْخَيْلَ قُبْلاَ[٢]

وَلَـكَشَفْتَ ذَا الْحَنِينَ بِضَرْبٍ طَالَمَا كَشَّفَ الْكُرُوبَ وَجَلَّى[٣]

فى الظفر بالأعداء ، يعنى أن سعده يقاتل أعداءه عنه ويؤتيه من الظفر بهم زيادة على ما يطلب ؛ فقوله: بالسعادة ، متعلق بـ «رمت»

(١) الرامحين : أى حاملى الرماح . وعزلا : جمع أعزل ، وهو الذى لا سلاح معه يقول : قارعت رمحك رماح الأعداء ، ولكنك ظهرت عليهم وغلبتهم وسلبت أرواحهم فكأنك سلبت رماحهم وتركتهم عزلا لا سلاح معهم . يشير إلى حذقه بالطعن والاقتدار على التصرف فى الحرب .

(٢) وردت : استقبلت . والفجعة : المرة من فجعه : إذا أوجعه بعزيز لديه . والقبل جمع أقبل ، وهو الذى يقبل بإحدى عينيه على الأخرى عزة وتشاوسا . وقال بعض اللغويين : الأقبل الذى أقبلت حدقتاه على أنفه ؛ والأحول : الذى حولت عيناه جميعاً . وقال آخرون : إذا أقبل سواد العين على الأنف فهو أقبل ، وإذا أقبل على الصدغين فهو أخزر ، وقد قبلت عينه وأقبلتها أنا ، ورجل أقبل بين القبل ، وهو الذى كأنه ينظر إلى طرف أنفه ؛ قالت ليلى الأخيلية فى فائض بن عقيل ـ وكان قد فر عن توبة يوم قتل ـ ؛

ولمـا أن رأيتَ الخيــل قُبْلاً تبارِى بالْخُدُودِ شَبا العوالِى[١]

يقول : لو كان الذى أصابك من هذه الرزية طعنا لدفعته عنك بالخيل والسلاح ؛ أو تقول : لو يكون الذى ألم بك من الرزية طعنا ومنازلة وقتالا لأوردت ذلك الموطن خيلك قبلا مقدمة ولأقحمتها على الموت كل الإقحام .

(٣) الحنين : ما يجده الإلف إذا فارق إلفه ، وهو فى معنى الشوق . يقول :

---

(١) بعده :

نسيتَ وِصالهُ وَصَدَدْتَ عنــه كما صَدَّ الأَزَبُّ عَنِ الظِّلاَلِ

« الأزب : الكثير الشعر فى الأذنين والحاجبين ، وفى المثل : كل أزب نفور ، لأنه ينبت على حاجبيه شعيرات ، فإذا ضربته الريح نفر »

خِطْبَةٌ لِلْحِمَامِ لَيْسَ لَهَا رَ ... دٌّ وَإِنْ كَانَتِ الْمُسَمَّاةَ ثُكْلَا(١)
وَإِذَا لَمْ تَجِدْ مِنَ النَّاسِ كُفْوًا ... ذَاتُ خِدْرٍ أَرَادَتِ الْمَوْتَ بَعْلَا(٢)
وَلَذِيذُ الْحَيَاةِ أَنْفَسُ فِي النَّفْـــسِ وَأَشْهَى مِنْ أَنْ يُمَلَّ وَأَحْلَى(٣)
وَإِذَا الشَّيْخُ قَالَ أُفٍّ فَمَا مَـــلَّ حَيَاةً وَإِنَّمَا الضَّعْفَ مَلَّا(٤)

ولكشفت عن نفسك هذا الحنين الذى تجده إلى المفقود بضرب طالما كشف الكروب وجلاها عن أوليائك . أو تقول : لو كان هذا الحنين المتصل على رزيتك مما يستدفع بمغالبة ويستكشف بمكاثرة ، لكشفته بضرب بالغ وإقدام على الموت صادق ، فطالما كشفت الكروب الموجعة ، ولكن الموت لايدفع بشدة ولا يعتصم منه بقوة .

(١) خطبة : أى هذه خطبة ، وأصل الخطبة : طلب المرأة للزواج: والحمام : الموت والثكل : فقد من يعز من ولد أو حبيب أو قريب . جعل الثكل خطبة لها لأنها كانت بكراً : أى لما استأثر بها الموت صار كأنه خاطب لها وإن كانت هذه الخطبة هى المسماة بالثكل وعبارة الواحدى : إن هذه الوفاة جرت مجرى الخطبة من الحمام للميتة وإن كانت تلك الخطبة تسمى ثكلا ؛ هذا إذا نصبت المسماة على أنها خبر كان ونصب ثكلا بالمسماة ، كما تقول ضربت المعطاة درهما ؛ وإن رفعت المسماة فالمعنى : وإن كانت هذه التى سميتها أى ذكرتها ثكلا ، فتكون « ثكلا » خبر كان . هذا : وقد وصف الخطبة بأنها لا ترد ، لأنه إذا كان الخاطب الحمام لم يستطع رده كغيره من الخطاب .

(٢) الكفو والكفوء : المثل ؛ وبعلا — أى زوجا — حال . يقول : إذا لم تجد المرأة الشريفة كفواً لها من الناس تتزوج منه اختارت الموت بعلا لها ؛ قال الواحدى : لأنها إذا عاشت وحدها لم تنتفع بالدنيا وبشبابها فاختارت الموت على الحياة . . والأوجه أن يقال لأنها تأبى أن تمس كرامتها وصيانتها إذا هى تزوجت من غير أكفائها ، ومن ثم تؤثر الموت الذى يكمل صيانتها ويوفيها حق جلالتها .

(٣) يقول : إن الحياة للذاتها أنفس فى نفوس ناسها وأشهى إليهم من أن تمل وتستكره لعله يريد أن يقول إن ذات الخدر إنما تؤثر الموت خوفا من أن تصير إلى غير كفو فتمتهن ، لا بغضا فى الحياة .

(٤) أف : كلمة يقولها المتضجر الكاره للشىء ، وهى بتثليث الفاء وبالتنوين وتركه يقول : إذا ضجر الشيخ فقال أف فإن ذلك الضجر والملال إنما هو من ضعف الشيخوخة لا من طول الحياة ، لأن الحياة حبيبة إلى النفوس فى الشبيبة والكبر . هذا : وقوله

آلَةُ الْعَيْشِ صِحَّةٌ وَشَبَابٌ ... فَإِذَا وَلَّيَا عَنِ الْمَــرْءِ وَلَّى(١)
أَبَدًا تَسْتَرِدُّ مَا تَهَبُ الدُّنْيَــا فَيَا لَيْتَ جُودَهَا كَانَ بُخْلَا(٢)
فَكَفَتْ كَوْنَ فَرْحَةٍ تُورِثُ الْغَــمَّ وَخِلٍّ يُغَادِرُ الْوَجْدَ خِلَّا(٣)
وَهْيَ مَعْشُوقَةٌ عَلَى الْغَدْرِ لَا تَحْـــفَظُ عَهْداً وَلَا تُتَمِّمُ وَصْلاً(٤)

وإنما الضعف ملا : فالضعف مفعول مقدم ، وهو فى مثل هذا الموضع غير جائز التقديم لأنه مقصور بـ«إنما» ، ولكن قدمه للضرورة .

(١) يقول : إنما يحلو العيش ويطيب بالصحة والشباب ، فإذا لم يكن هناك صحة وشباب فسد العيش وتنغص وذهب ؛ أو تقول : آلة العيش وقوامه وحقيقته الشباب والصحة ، فإذا هما وليا وذهبا ولى العيش وذهب

(٢) يقول : إن الدنيا تعود على ما تهب فتأخذه . فليتها بخلت وما جادت ، كما قال الجلاح :

* وَلَلْمَنْعُ خيرٌ من عطاءٍ مُكَدَّرِ *

وقال الأول :

الدهرُ آخِذُ ما أعطى مُكَدِّرُ ما ... أصفى ومُفسد ما أهوى له بيدِ
فَلَا يغرَّنْك من دهرٍ عطيَّتُهُ ... فليس يترك ما أعطى على أحَدِ

وقال حكيم : الدنيا تطعم أولادها وتأكل أولادها . هذا ؛ وقد قال العلامة العكبرى النحوى الكوفى : « الدنيا » مرفوعة بـ« تسترد » عندنا ، وبـ« تهب » عند البصريين لأنهم يعملون الثانى .

(٣) هذا جواب التمنى فى قوله « فياليت » . وكفيته الشىء : أغنيته عنه ، والكون : بمعنى الحصول ، والفرحة ــ بالضم والفتح ــ اسم بمعنى المسرة ، ويغادر : يترك ؛ والوجد بمعنى الحزن ؛ والخل : الخليل . يقول : لو بخلت ولم تجد لأغنت عن حصول فرحة تعقب بزوالها الغم ، وعن وجود صاحب يموت فيصير الحزن بعده صاحبا لمن فقده . فالدنيا مثل رجل وهب لرجل شيئا ، فلما فرح به واغتبط أخذه منه ؛ فكان أسفه عليه أكثر من اغتباطه به .

(٤) على الغدر : أى معه ؛ والظرف حال من نائب معشوقة يقول : وهى ــ أى الدنيا ــ مع غدرها بالناس ــ فلا تحفظ لأحد عهدا ولا تدوم على العهد ورجوعها ــ على ما تهب ــ معشوقة محبوبة .

كُلُّ دَمْعٍ يَسِيلُ مِنْهَا عَلَيْهَا ... وَبِفَكِّ الْيَدَيْنِ عَنْهَا تُخَلَّى (١)

شِيَمُ الْغَانِيَاتِ فِيهَا فَلَا أَدْ ... رِى لِذَا أَنَّثَ اسْمَهَا النَّاسُ أَمْ لَا (٢)

يَا مَلِيكَ الْوَرَى الْمُفَرِّقَ مَحْيًا ... وَمَمَاتًا فِيهِمِ وَعِزًّا وَذُلًّا (٣)

قَلَّدَ اللهُ دَوْلَةً سَيْفُهَا أَنْـ ... ـتَ حُسَامًا بِالْمَكْرُمَاتِ مُحَلَّى (٤)

فَبِهِ أَغْنَتِ الْمَوَالِيَ بَذْلًا ... وَبِهِ أَفْنَتِ الْأَعَادِيَ قَتْلًا (٥)

وَإِذَا اهْتَزَّ لِلنَّدَى كَانَ بَحْرًا ... وَإِذَا اهْتَزَّ لِلْوَغَى كَانَ نَصْلًا (٦)

---

(١) يسيل : صفة لدمع ؛ ومنها : متعلقة بـ« يسيل » وعليها : خبر كل ؛ والحرفان للتعليل . أى كل دمع يسيل من جرائها هو عليها : أى كل من أبكته الدنيا فإنما يبكى أسفا على فوت شىء منها ولا يخلى الإنسان يديه منها إلا قسراً حين تفك يداه عنها بالموت .

(٢) الشيم : الطبائع ؛ والغانيات : الحسان اللاتى غنين بحسنهن وجمالهن . وقوله لذا : أى ألذا ؟ فحذف الاستفهام . يقول : شيمة الدنيا كشيمة النساء فالنساء لا يدمن على الوصل ولا يحفظن العهد ؛ وكذلك الدنيا ، ثم قال : ولست أدرى ألهذه المشابهة جعل الناس اسمها مؤنثا ؟ وهذا من تجاهل العارف ، لأنه يعلم أن الدنيا لم تؤنث لأنها تشبه الغوانى ، كما قال زهير :

وما أدرى وسوف إخال أدرى ... أقومٌ آلُ حِصْنٍ أم نساء

هو يدرى أنهم رجال ، ولكنه تجاهل هذا ، لأن فيه ضربا من الهزء بهم .

(٣) الورى : الخلق . والمحيا : الحياة . يقول : إنه ملك عظيم الشأن يفرق الحياة والموت والعز والذل فيمن والاه وأطاعه وخالفه وعاداه .

(٤) سيفها أنت : نعت « دولة » وحساما : أى سيفاً قاطعاً ، مفعول قلد . يقول إن الله سبحانه قد قلد دولة جعلك سيفها الذائد عن بيضتها سيفا قاطعا حلاه بالمكارم ، فهو حامى الدولة وزينتها وعزها .

(٥) أغنت وأفنت : أى الدولة ؛ وبذلا وقتلا : تمييز . والموالى : الأصدقاء والحلفاء والأعادى : جمع أعداء ، جمع عدو ، يشدد ويخفف : أى بذلك الحسام أغنت هذه الدولة أولياءها بذلا . وبه أفنت أعاديها قتلا ، فهو يحيي الموالى بماله ، ويميت الأعادى بسيفه ورجاله .

(٦) اهتز : ارتاح ؛ والوغى . الحرب ؛ والنصل : السيف ؛ أى إذا اهتز للعطاء

وَإِذَ الأَرْضُ أَظْلَمَتْ كَانَ شَمْساً
وَإِذَا الأَرْضُ أَمْحَلَتْ كَانَ وَبْلَا[١]

وَهُوَ الضَّارِبُ الكَتِيبَةِ وَالطَّعْـــنَةُ تَغْلُو وَالضَّرْبُ أَغْلَى وَأَغْلَى[٢]

أَيُّهَا البَاهِرُ العُقُولَ فَمَا تُدْ رَكُ وَصْفاً أَتْعَبْتَ فِكْرِي فَمَهْلَا[٣]

كان كالبحر فى كثرة مواهبه وعموم فواضله ، وإذا اهتز للحرب كان كالسيف فى نفاذ عزمه وقوته فيما يحاول من أمره .

(١) المحل : الجدب وقلة النبات فى الأرض لقلة المطر . والوبل : المطر الكثير ؛ أى إذا أظلمت الأرض وأعتمت خطوبها كان كالشمس المشرقة ، وإذا أجدبت كان جوده كالسحاب المغدقة ، فهو ينير إذا استبهم الأمر ويجود إذا بخل الدهر .

(٢) الكتيبة : الطائفة من الجيش ؛ وتغلو ـ من غلاء السعر ـ أى يعز وجودها والجملة : حال . وقوله أغلى وأغلى : كأنه يريد التوكيد ، والعاطف زائد . يقول : هو الضارب الكتيبة من الجيش بسيفه حين يكون الطعن غاليا عزيز المنال لصعوبة الموقف واشتداد الحال ، وإذا كان الطعن غاليا كان الضرب أغلى منه لحاجة الضارب إلى فضل إقدام ؛ لأن الضارب أقرب من الطاعن . والمعنى أنه يقدم على الضرب حين لا يقدم غيره على الطعن ، وقال ابن فورجه : يريد أنه إذا لم يقدر على الدنو من العدو قيد رمح ـ أى مقدار رمح ـ فالدنو إليه قيد سيف أصعب . والمعنى أنه يضرب بسيفه حين لا يقدم الطاعن والضارب . وقال ابن جنى : يريد إن كان الطعن صعبا على الطاعن فهو أيسر من الضرب ، لأن بعد الطاعن عن عدوه أكثر من بعد الضارب ، والرامى أبعد من الطاعن ، وقد رتبه زهير فقال :

يَطْعَنُهم ما ارتَمَوْا حــتى إذا اطَّعنوا
ضارَبَ حتى إذا ما ضاربوا اعتنقـــا

وعبارة العكبرى : هو الضارب الكتيبة من الجيش والحرب متوقدة ونيرانها مضطرمة ، والطعن بين الفرسان يغلو ويشتد ، والضرب أغلى وأشد فدل على أن سيف الدولة عند اشتداد الحرب يقتحم الكتائب بنفسه ، ويستخف ذلك بشدة بأسه .

(٣) بهره : غلبه ؛ ووصفا تمييز . وقوله فما تدرك : يروى بالتاء على الخطاب للممدوح ، وبالياء عوداً على لفظ المنادى ؛ والعقول : قال العكبرى بالنصب هو الأصل ، وبالخفض تشبيهاً بالحسن الوجه . يقول : يامن غلب العقول بما أظهر من بدائع الأفعال

مَنْ تَعاطَى تَشَبُّهًا بِكَ أَعْيا ... هُ وَمَنْ دَلَّ فِي طَرِيقِكَ ضَلَّا[1]

فَإِذَا مَا اشْتَهَى خُلُودَكَ دَاعٍ ... قَالَ لَا زُلْتَ أَوْ تَرَى لَكَ مِثْلَا[2]

* * *

وقال يمدحه ويذكر نهوضه إلى ثغر الحدث لما بلغه أن الروم أحاطت به ، وذلك في جمادى الأولى سنة أربع وأربعين وثلثمائة (*) .

فما يدرك وصفك أتعبت فكرى إذ لم يبلغك . فمهلا : أى ارفق . وعبارة العكبرى : أيها الملك الذى بهر العقول بكثرة فضائله وأعجز الأوصاف بتتابع مكارمه : مهلا على فكرى فقد أتعبته ، ورفقاً بما أنظم فيك فقد أعجزته .

(١) التعاطى : التناول . ويقال فلان يتعاطى كذا : إذا عنى به وتفرغ له ؛ وأعياه أعجزه . يقول : وكيف لا يكون ذلك ومن حاول أن يتشبه بك فى كرم أخلاقك أعجزه ذلك فلم يقدر على التشبه بك لان كرمك لا ينال بالتكلف ، ومن سلك طريقك ضل فيه : أى لم يقدر على مجاراتك فيما تسلكه لبعد مذهبك واتساعه .

(٢) زلت : من الزوال وقوله أو ترى : أى إلى أن ترى . يقول : إذا اشتهى أحد أن يدعو لك بالخلود فدعاؤه هو أن يقول لك . لا زلت — أى لامت — كما فى رواية — حتى ترى لك مثيلا ، وإذا كان ذلك كذلك بقيت إلى الأبد ، لأنه لن يكون لك مثيل .

* قال الشراح : سبب عمل هذه القصيدة أن سيف الدولة ورد عليه أن الدمستق وجيوش الروم قد نزلوا على حصن الحدث ونصبوا عليه مكايد وقدروا أنها فرصة فيه لما تداخل أهله من الانزعاج والقلق ؛ وكان ملكهم قد ألزمهم قصده وأنجدهم بأصناف من البلغر والروس والصقالبة ، وأنفذ معهم العدد الكثير والعدد ، فركب سيف الدولة نافرا ؛ وانتقل إلى غير الموضع الذى كان فيه ، ونظر فيما يجب أن ينظر فيه ، وسار عن حلب فى جمادى الأولى ، فنزل رعبان وأخبار الحدث عليه مستعجمة ، لأنهم ضبطوا الطرق ليخفى عليه خبرهم ، فلما ضجر لبس سلاحه وأمر أصحابه بمثل ذلك ، وسار زحفا فلما قرب من الحدث عادت الجواسيس تعلمه أن العدو لما أشرفت عليه خيول المسلمين من عقبة يقال لها العبرى رحل ولم تستقر به دار ، وامتنع أهل الحدث من البدار بالخبر خوفاً من كمين يعترض الرسل . فنزل سيف الدولة بظاهره وأتتهم طلائعهم تخبر سيف الدولة بانصرافهم إلى حصن رعبان ووقعت الضجة ، وظهر الاضطراب ، وولى كل فريق

ذِى الْمَعَالِى فَلْيَعْلُوَنْ مَنْ تَعَالَى هٰكَذَا هٰكَذَا وَإِلَّا فَلَالَا(١)
شَرَفٌ يَنْطَحُ النُّجُومَ بِرَوْقَيْـهِ وَعِزٌّ يُقَلْقِلُ الْأَجْبَالَا(٢)
حَالُ أَعْدَائِنَا عَظِيمٌ وَسَيْفُ الدَّ وْلَةِ ابْنُ السُّيُوفِ أَعْظَمُ حَالَا(٣)

على وجهه ، وخرج أهل الحدث فأوقعوا ببعضهم ، وأخذوا آلة سلاحهم وأعدوه فى حصنهم ،

(١) ذى : أى هذه اسم مبهم : يشار به إلى المؤنث كما يشار بـ « ذا » إلى المذكر ؛ وهكذا خبر عن محذوف : أى هكذا المعالى ، والكلام استئناف ، ويجوز أن تكون نائب مفعول مطلق ، عامله فليعلون : أى فليعلون علواً هكذا ، أو محذوف العامل : أى هكذا فليعلون ، وإلاهى « إن » الشرطية و « لا » النافية ، والشرط والنفى محذوفان يقدران بحسب ما يقدر قبلهما ، وكرر « لا » توكيدا . يقول : هذه المعالى التى تراها لك هى المعالى حقيقة ، ومن تعالى فليعلون كما علوت ، وإلا فليدع التعالى ؛ وبعبارة أخرى يقول مشيراً إلى ما فعله سيف الدولة فى بداره إلى جيوش الروم وانهزامهم من بين يديه ومنعه لهم مما كانوا عليه من حصار الحدث — : هذه هى المعالى التى تؤثر والمكارم التى تخلد فمن حاول التعالى ، فلينهض بمثلها فهذا سبيلها ، وإلا فلا يتعرض الرؤساء لها :

(٢) شرف : مبتدأ محذوف الخبر : أى لك شرف ؛ والروق : القرن . واستعار للشرف روقين لما استعار له النطح على سبيل الترشيح ، وهو معلوم أن القرنين فى الحيوان من أسباب القوة ودواعى الإقدام والمنعة ، يفسر معاليه أو ما أشار إليه بقوله هكذا ، بهذا البيت . يقول : لك شرف يزاحم النجوم فى العلو وعز أثبت من الجبال وأرسى حتى صارت الجبال بالإضافة إليه قلقة ، أو تقول قد بلغت شرفاً باذخا يمس أعلاه النجوم وعزاً راسخا لو صادم الجبال لأقلقها وبقى راسخا لا يتزعزع : أو تقول : وبلغت عزا تتقلقل الجبال هيبة له وإجلالا . قال الواحدى : ويجوز أن يريد أن سلطانه ينفذ فى كل شىء حتى لو أراد أن يزيل الجبال لأقلقها.

(٣) قوله : ابن السيوف : ذهب إلى ما فى السيف من معنى المضاء والقهر : أى كلهم ملوك قاهرون . يقول : حالهم عظيمة فى كثرتهم ومنعتهم ، ولكن سيف الدولة ابن الملوك القاهرة والسيوف الماضية على الأعداء أعظم وأنفذ وأمنع ؛ والحال : تذكر وتؤنث .

كُلَّمَا أَعْجَلُوا النَّذِيرَ مَسِيراً أَعْجَلَتْهُ جِيَادُهُ الإِعْجَالاَ[١]
فَأَتَتْهُمْ خَوَارِقَ الأَرْضِ مَا تَحْمِلُ إِلاَّ الْحَدِيدَ وَالأَبْطَالاَ[٢]
خَافِيَاتِ الأَلْوَانِ قَدْ نَسَجَ النَّقْعُ عَلَيْهَا بَرَاقِعاً وَجِلاَلاَ[٣]

---

(١) قال ابن جنى : أى كلما عاد إليهم نذيرهم سبقوه بالهرب قبل وصوله إليهم ثم تلتهم جياد سيف الدولة فسبقت سبقهم النذير : أى لحقتهم وجاوزتهم . قال ابن فورجه : يقال أعجلته بمعنى استعجلته ، فأما سبقته ، فيقال فيه عجلته . يقول : كلما استعجلوا النذير بالمسير إليهم وإخبارهم بقدوم جيش سيف الدولة طلعت عليهم خيله قبل ورود النذير عليهم. أقول : وهذا كله تخبط من الشراح ، وإنما النذير نذير سيف الدولة . يقول : كلما باغت الروم قلعة الحدث وأرادوا أن يسبقوا إليها قبل مسير النذير إلى سيف الدولة جاءهم سيف الدولة وسبقهم إليها وهزمهم عنها قبل أن يسبقوا الاستيلاء عليها؛ وهذا ما أشار إليه الواحدى: قال : ويجوز أن يريد أن العدو كلما أعجلوا النذير بهم وبادروا المتقلدين لأعمال سيف الدولة فى الأطراف والمتصرفين فى أقاصى بلاده ورجوا أن يصيبوا منهم غرة وينتهزوا فيهم فرصة بادرتهم خيوله ولحقتهم جيوشه وأعجلتهم عن ذلك الأعجال فصرفتهم على أسوأ الأحوال . هذا : ويقال أعجله عن الأمر إذا بادره قبل أن يتمكن منه، ومسيراً : منصوب بنزع الخافض : أى عن مسير ؛ وكذا قوله الإعجالا — فى آخر البيت — والنذير : الذى ينذر أصحابه ويحذرهم .

(٢) فأتتهم : أى الجياد ؛ وخوارق : حال ، وما تحمل — ويروى لا تحمل — حال أخرى . يقول : فأتتهم خيل سيف الدولة تقطع الأرض سرعة . وعليها الأبطال مدججين بالسلاح . ويقال خرق الارض يخرقها : أى قطعها حتى بلغ أقصاها ؛ وفى التنزيل : « إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا » وقد روى العكبرى « خوارق » بالرفع على أنها فاعل أتتهم ؛ وليس بوجيه ، وزاد على ذلك أن قال: خوارق الأرض : الخيل ، لشدة وطئها ؛ وهذا عمرك الله تخليط أى تخليط ، وإنما الخوارق التى تجوب الأرض وتقطعها مسرعة — هذا : والحصر فى البيت — فى قوله ما تحمل إلا الحديد — لمجرد التاكيد ، كما تقول ما أمامك إلا الأسد: أى المعروف بهوله وقوة بطشه .

(٣) خافيات الألوان : حال أخرى ؛ والنقع : الغبار ؛ والجلال جمع جل وهو ما كان على ظهر الدابة تحت السرج . يقول : أتتهم وقد خفى لونها فلا يعرف الأدهم من الكميت والأشهب والأشقر لما علاها من الغبار ، فقد تكاثف

حَالَفَتْهُ صُـــدُورُهَا وَالْعَوَالِي لَتَخُوضَنَّ دُونَهُ الْأَهْوَالاَ[١]
وَلَتَمْضِنَّ حَيْثُ لاَ يَجِدُ الرُّمْـــحُ مَدَاراً وَلاَ الْحِصَانُ مَجَالاَ[٢]

ذلك الغبار عليها حتى صار على وجوهها كالبراقع وعلى متونها كالجلال . وكأن هذا المعنى من قول عدى بن زيد بن الرقاع العاملى :

يتعاورانِ من الغبار مُلاءةً دكناء مُحدثةً هما نَسجاها[١]

قال العكبرى : وفيه نظر إلى قول عرف بن الخرع :

كأنَّ الظِباءَ بها والنِعا جَ يُكْسَيْنَ مِنْ رَازِقِيٍّ شِعارًا[٢]

(١) المحالفة : المعاهدة ؛ والعوالى ؛ الرماح ؛ واللام ـ من قوله لتخوضن ـ للقسم . يقول ؛ إن صدور خيله وعوالى رماحه عاهدته على أن تخوض الأهوال والحروب دونه : أى تكفيه إياها ، كما قال :

فقدْ ضمنتْ له المُهجَ العوالى وحمَّل همَّه الخيلَ العِتاقا

وقد روى ابن جنى لتخوضن ، ليخوضن ، ثم قال ؛ طال الكلام بينى وبينه أى ـ المتنبى ـ ؛ فى قوله: ليخوضن ، فقال ـ أى المتنبى: ـ هو مثل قولى ؛ وقلنا السيوف هلمن ـ بضم الميم ـ . وذلك أنه لما وصفها بالمحالفة أجراها مجرى من يعقل مثل الجماعة المذكرين ، ويؤيده قوله تعالى ؛ يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم » وقوله « وكل فى فلك يسبحون » وقوله جل شأنه: «ورأيتهم لى ساجدين» كل هذا أجرى مجرى من يعقل لما خوطب وأخبر عنه بالسجود والسباحة ، والأفعال فى الأكثر إنما تكون لذوى العقل، لأن كل ذى عقل يصح منه الفعل، وما ليس من ذوى العقول فإنما يصح الفعل من بعضه كالفرس ونحوه ، ومنه مالا يصح منه الفعل كالدار وشبهها مما ليس فيه روح، فإحراق النار لما وقع فيها ليس بفعل لها فى الحقيقة ، وإنما هو فعل الله تعالى ، وهذا يعرفه أهل الكلام. انتهى كلام ابن جنى مضافا إليه العكبرى .

(٢) يقول : وحالفته صدور الخيل والرماح على أن تفعل ما عجز عنه غيرها ؛ وقوله حيث لا يجد الرمح الخ : أى فى مضايق الحرب التى لا يجد فيها الرمح مداراً لشدة المجالدة ولا الحصان مجالا لكثرة المزاحمة ، قالوا : وكان الوجه أن يقول :

---

(١) يصف ثورين وما يثيران فى عدوهما من الغبار ؛ وبعده :

تطوى إذا علوا مكانا جاسياً وإذا السنابك أسهلت نشراها

(٢) الرازقى هنا : الكتان نفسه ؛ والرازقى أيضاً : ثياب بيض من الكتان .

لاَ أَلُومُ ابْنَ لاَوُنٍ مَلِكَ الرُّو ... مِ وَإِنْ كَانَ مَا تَمَنَّى مُحَالاَ(١)

أَقْلَقَتْهُ بَنِيَّـــــةٌ بَيْنَ أُذْنَيْــــهِ وَبَانٍ بَغَى السَّمَاءَ فَنَالاَ(٢)

كُلَّمَا رَامَ حَطَّهَا اتَّسَعَ الْبَنْـــىُ فَغَطَّى جَبِينَهُ وَالْقَذَالاَ(٣)

يَجْمَعُ الرُّومَ وَالصَّقَالِبَ وَالْبُلْـــغَرَ فِيهَا وَتَجْمَعُ الآجَالاَ(٤)

وليمضين ، كما تقول : حلفت هند لتقومن ؛ وقد أجاز الكوفيون حذف الياء فى مثل هذا ، فيقال : حلفت هند لتمضن لسكونها وسكون النون بعدها — ولم تحرك الياء بالفتح ، وكان ممكنا أن يقول : وليمضين — بالياء دون توكيد . هذا : والحصان : الفحل من الخيل ؛ والجمع : حصن ؛ وسمى الفرس الذكر حصانا قيل لأنه ضن بمائه فلم ينز إلا على كريمة ، ثم كثر ذلك حتى سموا كل ذكر من الخيل حصانا ، وقيل مشتق من الحصانة ، لأنه محرز لفارسه ، والعرب تسمى الخيل حصونا . وسئل بعض الحكام عن رجل جعل مالا له فى الحصون ، فقال اشتروا خيلا واحملوا عليها فى سبيل الله .

ذهب إلى قول الجعفى :

ولقد علمتُ على توقِّى الرَّدى ... أنَّ الحصونَ الخيلُ لا مَدَرُ القُرى

(١) يقول : لا ألوم ملك الروم على تمنيه محالا من تخريب هذه القلعة ، وذلك أن ملك الروم كان قد قصد حصن الحدث طلبا لغرة سيف الدولة ثم بين سبب عدم اللوم فيما يلى .

(٢) البنية : بمعنى المبنية ، يريد القلعة ، وبين أذنيه ، صفة لبنية . وبغى : طلب . يقول : أقلقت ملك الروم هذه القلعة التى بناها سيف الدولة وهى من ثقلها عليه كأنها على رأسه وقفاه ، وأقلقه بانيها — يعنى سيف الدولة — الذى بغى أن ينال السماء فنالها علوا وعزة ، أى أن لملك الروم العذر فى محاولته تخريبها لذلك .

(٣) رام : طلب ؛ وحطها : إنزالها . والبنى : مصدر كالبناء ؛ والجبين : ناحية الجبهة من محاذاة النزعة إلى الصدغ ، وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها ، فتكون الجبهة بين جبينين : والقذال مؤخر الرأس ، وهو ما بين جنبتى القفا . يقول : كلما أراد ملك الروم إنزالها عن رأسه اتسع بناؤها فازداد ثقلا فغشى الجبين والقذال ، وهذا مثل ، يريد أن سيف الدولة كلما زادها توثيقا وسعة ازداد مضض ملك الروح وغيظه .

(٤) فيها : أى فى نواحيها وجوانبها : أى يجمع هؤلاء ليهدمها بهم وتجمع أنت آجالهم إذ تأتيهم فتقتلهم .

وَتُوافِيهِم بِهاَ فى الْقنا السُّمْـــرِ كَمَا وَافَتِ الْعِطَاشُ الصِّلالاَ[1]
قَصَدُوا هَدْمَ سُورِهاَ فَبَنَوْهُ وَأَتَوْا كَىْ يُقصِّرُوهُ فطَالاَ[2]
وَاسْتَجَرُّوا مَكَايِدَ الْحَـــرْبِ حَتّى
تَرَكُوهاَ لهَـــا عَلَيْهِمْ وَبالاَ[3]
رُبَّ أَمْرٍ أَتاكَ لاَ تَحْمَدُ الْفَعّا لَ فيهِ وَتَحْمَــدُ الأفْعالاَ[4]
وَقِسِىٍّ رُمِيتَ عَنهاَ فرَدَّتْ فى قلُوبِ الرُّماةِ عَنْكَ النِّصالاَ[5]

(١) توافيهم : تأتيهم ؛ وبها : أى بالآجال . والصلال : جمع صلة ، وهى الأرض التى أصابها مطر بين أرضين لم تمطرا . يقول : وتأتيهم بآجالهم ومناياهم فى الرماح وهى ظامئة إلى دمائهم ، أى تسرع إليهم إسراع العطاش إلى الأرض المطورة

(٢) يقول : لما قصد الروم هدمها بعثوا سيف الدولة على إتمام بنائها ، فكان قصدهم إلى الهدم والتقصير سببا لبنائها وإطالته .

(٣) الضمير فى « لها » للقلعة . والمراد بمكايد الحرب : آلاتها . والوبال : الشدة . يقول : جروا آلات الحرب إلى القلعة ثم انهزموا عنها وتركوا هذه الآلات لها فكانت وبالا عليهم ، لأن أهل قلعة الحدث لما هرب الروم تعقبوهم وأخذوا معهم ما تركوه من السلاح وحاربوهم مستعينين على قتالهم به .

(٤) الفعال هنا : هم الروم الذين جلبوا آلات الحرب ، وفعلهم حملهم إلى القلعة المكايد والآلات ، وهم الروم ـ غير محمودين لأنهم أعداء المسلمين ، أما أفعالهم ـ وهى جلبهم آلات الحرب إلى القلعة ـ فهى محمودة فى العاقبة لأنهم لو لم يجلبوها لما ظفر بها المسلمون وكانت عونا عليهم .

(٥) قسى : جمع قوس على القلب ، وهو معطوف على أمر . يقول : ورب قسى ترمى عنها السهام فترتد على راميها . يريد السلاح الذى حمله الروم لقتال المسلمين ، فلما هربوا وأخذ المسلمون سلاحهم قاتلوهم به ورموهم بالسهام عنك ، فكان ذلك وبالا على الروم قال ابن وكيع ـ وأنت تعلم تجنى هذا ابن وكيع دائما على المتنبى ـ : هذا البيت هو من قول القائل :

قَوْمِى هُمُ قتلوا ـ أُمَيْمَ ـ أَخى فإذا رَميتُ يُصيبنى سهمى[1]

فقوله فردت الخ : تقديره فردت عنك النصال فى قلوب الرماة الذين كانوا يرمونك

(١) أخى : مفعول « قتلوا » ؛

أَخَــــذُوا الطُّرْقَ يَقْطَعُونَ بِهَا الرُّسْـ
ـلَ فَكَانَ انْقِطَاعُـــهَا إِرْسَالاَ(١)

وَهُمُ الْبَحْرُ ذُو الْغَوَارِبِ إِلاَّ   أَنَّهُ صَارَ عِنْدَ بَحْرِكَ آلاَ(٢)

مَا مَضَوْا لَمْ يُقَاتِلُوكَ وَلٰـكِنْ   الْقِتَالَ الَّذِى كَفَاكَ الْقِتَالاَ(٣)

وَالَّذِى قَطَّعَ الرِّقَابَ مِنَ الضَّرْ   بِ بِكَفَّيْكَ قَطَّعَ الآمَالاَ(٤)

وَالثَّبَاتُ الَّذِى أَجَادُوا قَدِيماً   عَلَّمَ الثَّابِتَيْنِ ذَا الإِجْفَالاَ(٥)

(١) يقول : أخذوا الطرق ليقطعوا الرسل عن النفاذ إلى سيف الدولة فلا يبلغه الخبر أنهم يقصدون قلعة الحدث ، فلما أبطأت الأخبار وتأخرت عن عادتها تطلع سيف الدولة لما وراء ذلك فوقف على جلية الأمر فسار إليهم مسرعا ، فكان انقطاع الرسل عنه كأنه إرسال ، وهذا كقوله السالف .

* قصدُوا هدْمَ سُورِهَا فبَنَوْهُ *

(٢) الغوارب : أعالى الأمواج ، جمع غارب . والآل : ما تراه فى أول النهار وآخره كالسراب . يقول : هم كالبحر المائج نوافرا وكثرة ، إلا أنهم اضمحلوا أمام جيوشك فصاروا كالآل ، يعنى أن شأنهم يتلاشى عندك ، وإن جل وعظم .

(٣) «ما» نافية . ولم يقاتلوك : حال . يقول : ما انهزموا عنك غير مقاتلين ولكن القتال الذى قاتلتهم قبل هذا كفاك القتال الآن ، يعنى أنهم قد بلوك قبل هذا فأشعرت قلوبهم الرعب وخافوك الآن فانهزموا ومضوا ؛ وعبارة العكبرى : ما مضوا غير مقاتلين لجيشك ولا ولوا غير متيقنين لأمرك ، ولكن القتال عند التأمل ما أسكنت وقائعك قلوبهم من الهيبة وأودعها من المخافة ، حتى صار اسمك يهزم عساكرهم ، وذكرك يثنى عزائمهم .

(٤) يقول : إن السيف الذى قطع رقاب إخوانهم من قبل قطع آمال هؤلاء من الظفر بك فتركوك وهربوا .

(٥) الإجفال : الإسراع فى الهزيمة . يقول : إن الأولين منهم أجادوا الثبات فى الحرب فلم يغن عنهم وأدى إلى هلاكهم ، فعلم ذلك الثبات هؤلاء أن يفروا منك خشية أن يحل بهم ماحل بالذين سبقوهم . قال الواحدى : يريد بهذه الأبيات أن يبين أن أهل الروم شجعان أهل للحرب ولكنهم لا يقاومونك ، ولك الفضل عليهم ، فيكون هذا أمدح له .

نَزَلُوا فِي مَصَارِعٍ عَرَفُوهَا يَنْدُبُونَ الْأَعْمَامَ وَالْأَخْوَالاَ(١)
تَحْمِلُ الرِّيحُ بَيْنَهُمْ شَعَرَ الْهَا مِ وَتَذْرِى عَلَيْهِمِ الْأَوْصَالاَ(٢)
تُنْذِرُ الْجِسْمَ أَنْ يُقِيمَ لَدَيْهَا وَتُرِيهِ لِكُلِّ عُضْوٍ مِثَالاَ(٣)
أَبْصَرُوا الطَّعْنَ فِي الْقُلُوبِ دِرَاكاً
قَبْلَ أَنْ يُبْصِرُوا الرِّمَاحَ خَيَالاَ(٤)

---

(١) يقول : نزلوا فى الأماكن التى قتلت فيها أقرباءهم فلما نظروا إليها عرفوها فذكروهم فبكوا عليهم . وتمثلوا هذه الحال فى أنفسهم وتوقعوا أن يحل بهم مايشبهها؛ والمصارع : جمع مصرع ، وهو اسم مكان من صرعه ، إذا طرحه على الأرض .

(٢) الأوصال : جمع وصل - بالضم والكسر - وهو العضو . والهام : الرءوس . وتذرى : تنثر وتفرق . تقول ذرا يذرو ، وذرا يذرى ، وأذرى يذرى ، يريد : لم يبعد عهد ذلك المكان بالقتل ، فشعور القتلى وأعضاؤهم لا تزال باقية هناك تحملها الريح وتلقيها عليهم فيفزعهم ذلك فينزعجون ويهربون .

(٣) يقول : إن تلك المصارع تنذرهم الإقامة بها إذ تريهم لكل عضو منهم عضواً من المقتولين . قال العكبرى : ويجوز أن يكون الضمير فى تنذر للأوصال ؛قال : والمعنى تنذر الأوصال ، الجسم بأن يصير مثلها ويقيم لديها فى مثل حالها وتريه لكل عضو من أعضائها مثالا شاهداً ؛ ونظيراً حاضراً . قال : وأشار بذلك إلى وقعة سيف الدولة على الروم عند بنائه الحدث وقد وصفها فى قوله :

* على قدْرِ أهل العزْم تأتى العزائمُ *

ولم تكن ببعيدة من هذه الوقعة ، فلما أشرفوا على موضع تلك الوقعة وذكروا عظم تلك البلية أشفقوا من أن يعاودهم سيف الدولة بمثلها فولوا مدبرين .

(٤) فى القلوب : صلة الطعن ؛ ودراكا متتابعاً ، وخيالا : متخيلا ، وهما حالان من الطعن ؛ وفى البيت تقديم وتأخير ؛ والتقدير : أبصروا الطعن فى القلوب دراكا خيالا قبل أن يبصروا الرماح ، يعنى ؛ لشدة خوفهم منك وتصورهم ماصنعت بهم قديماً رأوا الطعن متداركا متتابعاً فى قلوبهم تخيلا قبل أن يروا الرماح حقيقة ؛ وقال الخطيب التبريزى : اعتبر المتأخرون - أى من الروم - بالمتقدمين - منهم - فكأنهم تخيلوا الطعن دراكا وبينهم وبين من يطلبهم مسافة بعيدة ففروا قبل أن ينظروا إلى خيال الرماح

وَإذَا حاوَلَتْ طِعانَكَ خَيْـــلٌ أبْصَرَتْ أذْرُعَ القَنَا أمْيالاَ(١)
بَسَطَ الرُّعْبُ فِي اليَمِينِ يَمِيناً ، فَتَوَلَّوْا ، وَفِي الشِّمَالِ شِمَالاَ(٢)
يَنفُضُ الرَّوْعُ أيْدِياً لَيْسَ تَدْرِي أسُيُوفاً حَمَلْنَ أمْ أغْـــلالاَ(٣)
وَوُجُوهاً أخافَهَا مِنْكَ وَجْهٌ تَرَكَتْ حُسْنَهَا لَهُ وَالجَمالاَ(٤)

---

(١) القنا : عيدان الرماح ، والخيل ، يريد بها الفرسان، يقول : إذا أرادت جيوش الأعداء طعانك خيل إليهم الرعب وشدة الخوف أن الذراع من رماحك ميل فتوقعوا أن تدركهم رماحك ولو كانوا على أميال ؛ ومن غريب التفاسير ماذهب إليه بعضهم من أن المراد بالقنا قنا الأعداء الذين يحاولون الطعان ، قال ، والمعنى أنهم كلما حاولوا طعانك برماحهم استطالوها فرأوا أذرعها أميالا ؛ أى أنها تثقل عليهم جبنا وخوفا منك،

(٢) يعنى أن الرعب ـ الخوف ـ شاع فيهم وعمهم حتى كأنه بسط يمينه فى ميمنة جيشهم وشماله فى ميسرته فتولوا هاربين، وقال ابن الأفليلى: المعنى بسط الرعب فى أيديهم أيديا مثلها تمنعها من البطش فولوا مخذولين وهذا ضد قول الآخر :

إنا وجدْنا بنى جُلاّنَ كلَّهُمُ كساعِدِ الضبِّ لا طُول ولا قِصَر

(٣) الروع : الخوف والفزع ؛ والأغلال : جمع غل ، القيد ، يقول : أثر فيهم الخوف حتى ارتعدت أيديهم فلا تقدر على الضرب كأن السيوف التى فى أيديهم أغلال لها وعبارة بعض الشراح : يرعش الخوف أيديهم فصارت فى قلة الغناء ـ وإن كان فيها سيف ـ بمنزلة الأيدى المغلولة وعبارة العكبرى : ينفض الفزع من أيديهم السلاح فيسقط ، ويسلبهم إياه الذعر فيذهب ، حتى كأن سيوفهم فى أيديهم أغلال وموانع تمنعهم من التصرف بها وهو من قول جرير فى الفرزدق :

ضربتَ به عند الإمام فأُرْعِشَت يداكَ فقالوا مُحْدَث غيرُ صارِمِ

(٤) وجوها : عطف على أيديا ـ من جهة اللفظ ، لا من جهة المعنى ـ لأنه لا يريد ينفض وجوها : والمعنى يغير وجوها : أى يغير ألوانها بأن يورثها صفرة ، فهو من باب:

وَرأيتَ زَوْجَــكِ فى الوَغَى مُتقـــلداً سيفاً ورُمحـــا

يقول : ويغير الروع وجوهاً تمتقع وتصفر وتكلح ويذهب بجمالها الذعر قد أخافها منك وجه طلق نضير ، أحرز غايات الحسن وغلبها على الجمال ، فالحسن والجمال لوجهك لا لها ، إذ سلبها الخوف حسنها فانحاز إلى حسنك فتضاعف جمالك ونضرتك.

وَالعِيَانُ الجَلِيُّ يُحْدِثُ لِلظَّنِّ زَوَالاً وَلِلمُرَادِ انْتِقَالاَ(١)
وَإِذَا مَا خَلاَ الجَبَانُ بِأَرْضٍ طَلَبَ الطَّعْنَ وَحْدَهُ وَالنِّزَالاَ(٢)
أَقْسَمُوا لاَ رَأَوْكَ إِلاَّ بِقَلْبٍ طَالَمَا غَرَّتِ العُيُونُ الرِّجَالاَ(٣)
أَيُّ عَيْنٍ تَأَمَّلَتْكَ فَلاَقَتْكَ وَطَرْفٍ رَنَا إِلَيْكَ فَآلاَ(٤)

(١) يقول : كانوا يظنون أنهم يقدرون على قتالك فلما قصدوا محاربتك انهزموا وعاينوا قصورهم عنك ، فأزال العيان ما كان الظن يحدث لهم ، وانتقل ذلك المراد الذى كانوا يريدونه من محاربتك .

(٢) هذا كما تقول العرب فى أمثالها :

* كل مُجْرٍ فى الخلاء يُسَر *

أى إذا أجرى الإنسان فرسه وحده سر بجريه ، فإذا قاربه مثله ذهب سروره. يقول المتنبي : إن الجبان ـ والجبان ضد الشجاع ـ إذا كان وحده منفرداً يحس من نفسه شجاعة ، ويظن عنده غناء ويطلب الطعان والمنازلة ، يريد أن الروم شجعاء مالم يروك . وقوله وحده : فى موضع نصب على الحال ؛ أى منفردا . والنزال فى الحرب : أن يتنازل الفريقان . وفى المحكم أن ينزل الفريقان عن إبلهما إلى خيلهما فيتضاربوا ، ونزال مثل قطام ، بمعنى انزل ، وهو معدول عن المنازلة ، ولهذا أنثه زهير فى قوله :

وَلَنِعْمَ حَشْوُ الدرْعِ أنت إذا دُعِيَتْ نَزَالِ وَلُجَّ فى الذُّعْرِ

(٣) إلا بقلب : أى إلا والقلب معهم و «ما» من قوله «طالما» : مصدرية ، والجملة استئناف . يقول : حلفوا ليحضرن عقولهم وليعملن أفكارهم فى قتالك ، ثم قال: طالما غرت العيون الرجال : أى كذبهم عنك كثيراً ما رأوه بعيونهم مما يوهمهم أن فى مكنتهم محاربتك ؛ أو تقول : لما امتحنوا بأسك وعاينوا أفاعيلك علموا أن عيونهم غرتهم قبل ذلك وأطمعتهم فى مقاومتك ، وحينئذ بطل اعتمادهم على رؤية العيون واعتمدوا على رؤية القلب : أى صاروا يرجعون فى الرأى إلى ما علموه بقلوبهم وعقولهم من قوة بطشك ، لا إلى ما يرون من كثرة عددهم وأحلافهم . قال الواحدى : ولا تناقض بين قوله غرت العيون الرجال وبين قوله والعيان الجلى ، لأن قوله غرت العيون : أى قبل التجربة ، وأما ذاك فإنما يعنى بعد التجربة .

(٤) لاقتك : من اللقاء ؛ والطرف : العين ؛ ورنا إليه يرنو رنوا : إذا أدام النظر ؛ وسنعود إلى توفية مادة «رنا» حقها بعد شرح البيت ؛ وآل : رجع . يقول : إن العين التى تأملتك لا يجترئ صاحبها على ملاقاتك ومواقعتك لما يرى من هيبتك وأفعالك ،

مَا يَشُكُّ ٱللَّعِينَ فِى أَخْـذِكَ ٱلْجَيْـــشَ فَهَلْ يَبْعَثُ ٱلْجُيُوشَ نَوَالَا(١)

وإذا رنت إليك وأدامت النظر لم يجترئ صاحبها على العود إليك خوفا ورهبا ؛ وهنا يقول الواحدى : هذا متناقض الظاهر ، لأنه أنكر أن تديم عين النظر إليه فى المصراع الأول ، وأنكر فى الثانى أن يعود طرف رنا إليه ولم يشخص ، ثم قال : لعل هذا يحمل على عيون الأعداء والأولياء ؛ فعين العدو لا تديم النظر إليه هيبة له ، وعين الولى تتحير فيه وتبقى شاخصة ، فلا ترجع إلى صاحبها . وقال فى لا قتك : إنه من لاق الشىء وألاقه إذا أمسكه ، ثم قال : وهذا مما لم يتكلم فيه أحدمن الشراح . وماأظرف ما علق العكبرى على كلام الواحدى هذا ، قال العكبرى :وصدق الواحدى فى قوله ، لان أحدا من الشراح لا يستحسن أن يقول مثلهذا . ولنعد بعد هذا إلى «رنا» ؛ قال الجوهرى : يقال أرنانى حسن ما رأيت . أى حملنى على الرنو ، أى إدامة النظر ،ومن هذا يقال كأس رنوناة أى دائمة على الشرب ساكنة ووزنها فعلعلة ؛ قال ابن أحمر :

مدتْ عليه المُلكَ أطنابَها كأسٌ رَنَوناة وطِرف طِمِرّ(١)

(١) اللعين : يعنى ملك الروم ، والنوال : العطاء ، وهو حال . وقوله فهل يبعث الجيوش نوالا : هو استفهام تجاهل ، لأنه علم أنه لا يبعث الجيوش نوالا ، لكن لما

(١) قبل البيت :

إن امرأ القيسِ على عهدِهِ فى إرْثِ ما كان أبوهُ حُجُرْ

وأول الشعر :

قد بكرت عاذلتى بُكرَةً تزْعُمُ أنى بالصبا مُشْتَهِرْ

وإنما العَيشُ بِرُبّانِهِ ، وأنت من أفنانه مقتفرْ

ومنها :

إن الفتَى يُقترُ بعد الغِنَى ويَغتنى من بعد مايفتقرْ

والحىُّ كالميت ويبقى التقى ، والعيشُ فنانِ : فحلو ومُرْ

قوله : وإنما العيش الخ : يريد أن عاذلته قالت له قد شهرت بالصبا وأنت مسن به ، وإنما الصبا والعيش بأوله وجدته أزمان أنت من أفنانه ـ أى من نواحيه واحدها فنن ـ مقتفر ؛ أى واجد ماطلبت ، يقال خرج فلان فى طلب إبله فاقتفر آثارها ؛ أى وجد آثارها فاتبعها . وقوله مدت عليه الملك الخ ؛ أراد مدت كأس رنوناة عليه أطناب الملك، فذكر الملك ثم ذكر أطنابها ، وفى اللسان أبيات غير ما ذكرنا من هذا الشعر فانظره

مَا لِمَنْ يَنْصِبُ الْحَبَائِلَ فى الأرْ ضِ وَمَرْجَاهُ أنْ يَصِيدَ الْهِلَالَا[1]
إنَّ دُونَ الَّتِي عَلَى الدَّرْبِ وَالأحْدَبِ وَالنَّهْرِ مِخْلَطاً مِزْيَالَا[2]

كانت الحالة توجب هذه الشبهة قال ذلك . يقول : إن كل جيش يبعثه إليك تغنمه وتأتى عليه لا محالة ، فهل يبعث الجيوش إليك لتأخذها ولتكون عطاء لك ؟ أى ليس لإرسالها معنى إلا هذا . وهذا مثل قوله :

* وهادٍ إليه الجيش أهدى وما هَدَى *

(١) ما : استفهام تعجب مبتدأ ، والخبر : الظرف بعده ، والحبائل : جمع حبالة ، وهى الشرك ، ومرجاه : مصدر ميمى : أى ورجاؤه . والواو : واو الحال . يقول : ما لهذا الذى ينصب فى الأرض حبالة ورجاؤه أن يصيد الهلال ؟ وهذا استفهام تعجب ، يتعجب من حماقة من يفعل هذا ، وهذا مثل يريد به امتناع سيف الدولة عليه وبعده من أن تناله يد وأن من يبعث إليه الجيوش طمعا فى الظفر به كمن يروم صيد الهلال بحبالة ينصبها فى الأرض .

(٢) الدرب : المدخل إلى بلاد الروم ، ولكنه هنا موضع بعينه ، والأحدب : جبل قرب حصن الحدث ، والنهر : موضع قرب الحصن المذكور ، ويقال رجل مخلط مزيل ومخلاط مزيال : يخالط الأمور ثم يزايلها — أى يفارقها — إلى غيرها ، يوصف به الشجاع الداهية ، وقد وصفوا به الفرس إذا طلبت الخيل الغارة خالطها ، وإذا طلبته وجدته مزيالا لاتلحقه ، قال أبو داود الأيادى :

مِخْلطٌ مِزْيَلٌ مِكَرٌّ مِفَرٌّ أجْوَلِيٌّ ذو مَيْعة إضْرِيجُ[1]

ويريد بالتى على الدرب والأحدب والنهر : قلعة الحدث . يقول : إن دون الوصول إليها رجلا هذه صفته ، يعنى سيف الدولة ؛ وعبارة العكبرى : هذه القلعة دونها ودون الوصول إليها رجل مخلط مزيال كثير المخالطة للأمور يخالطها ثم يزايلها يحمى حريمها ويقاتل الأعداء عنها ، أو دونها ملك مقتدر مزيال عن أطراف بلاد ، فهو يثق بما يحميها من هيبته ، مخلط بالأعداء فيها عند قصدهم لها ، سريع لا يتوانى فى سطوته ، فهو وإن بعد أدنته منهم قوته . . .

---

(١) أجولى : من الجولان فى الحرب . والميعة : النشاط . والإضريج : الجواد الشديد العدو — الجرى —

غَصَبَ الدَّهْرَ وَالمُلُوكَ عَلَيْهَا، فَبَنَاهَا فى وَجْنَةِ الدَّهْرِ خَالاَ(١)
فَهِىَ تَمْشِى مَشْىَ العَرُوسِ اخْتِيالاً
وَتَثَنَّى عَلَى الزَّمَانِ دَلاَلاَ(٢)
وَحَمَاهَا بِكُلِّ مُطَّرِدِ الأَكْـ ـعُبِ جَوْرَ الزَّمَانِ وَالأَوْجَالاَ(٣)
وَظُبًى تَعْرِفُ الحَرَامَ مِنَ الحِلْـ ـلِ فَقَدْ أَفْنَتِ الدِّمَاءَ حَلاَلاَ(٤)

---

(١) يقال غصبه على كذا أى قهره عليه . وخالا : حال : أى شبيهة بالخال . يقول إنه استنقذها من أيدى الدهر والملوك وبناها ، فكانت خالا فى وجنة الدهر ، فكأن الدهر تزين بها كما يتزين الوجه بالخال . وقال الواحدى: يجوز أن يريد الشهرة كشهرة الخال فى الوجه ويجوز أن يريد ثبوتها ورسوخها ، فيكون كقول مزرد بن ضرار أخى الشماخ :

فمنْ أرْمِهِ مِنها بسهمٍ يَلُحْ به كشَامةِ وجهٍ ليْسَ للشامِ غاسِل

وعبارة العكبرى يقول إنه بناها فى وجه الدهر كالخال الذى يتزين به الوجه مع مخالفته للونه ويحسنه مع ماثبت فيه من حسنه ؛ يعنى أن هذه المدينة قد جل قدرها فكأن الدهر زين بها وجهه ووسم برفعتها نفسه ، وهى استعارة حسنة .

(٢) اختيالا ودلالا : حالان أو مفعول لهما ، والاختيال : الزهو، والتكبر وتثنى - بحذف إحدى التاءين - أى تتثنى . والدلال : الشكل والغنج من دلال المرأة : أى تدللها على زوجها ، وذلك أن تريه جراءة عليه فى تغنج وتشكل كأنها تخالفه ، وليس بها خلاف ؛ لما شبهها بالعروس - لحسنها - جعلها تمشى اختيالا وتتثنى دلالا . يقول: لوكانت هذه القلعة تمشى لا ختالت فى مشيها عزة وتكبراً ولتدللت عل الزمان ، إذ لم يقدر الزمان على إصابتها بسوء والمراد أنها فى عز ونعيم بسيف الدولة .

(٣) المطرد : المتصل الذى لاعوج فيه . والأكعب ؛ العقد التى تكون بين أنابيب الرمح . والأوجال ؛ المخاوف ، جمع وجل ، وهو الخوف والفزع يقول ؛ ذاد العدو عنها بالرماح فحماها بذلك من ظلم الزمان ومخاوفه .

(٤) وظبى ؛ عطف على كل - فى البيت السابق - والظبى ؛ جمع ظبة ، طرف السيف وطرف السهم ، قال بشامة النهشلى :

إذا الكماةُ تنحّوا أن ينالهمُ حَدُّ الظباةِ وصلناها بأيدينا

وأصل الظبة ؛ ظبو - بوزن صرد - فحذفت الواو وعوض منها الهاء ، والجمع ظباة وظبون . يقول ؛ وحماها بسيوف لا يقتل بها إلا من حل دمه . يعنى الروم

فِي خَمِيسٍ مِنَ الْأُسُودِ بَئِيسٍ ... يَفْتَرِسْنَ النُّفُوسَ وَالْأَمْوَالَا (١)
إِنَّمَا أَنْفُسُ الْأَنِيسِ سِبَاعٌ ... يَتَفَارَسْنَ جَهْرَةً وَاغْتِيَالَا (٢)
مَنْ أَطَاقَ الْتِمَاسَ شَيْءٍ غِلَابًا ، ... وَاغْتِصَابًا لَمْ يَلْتَمِسْهُ سُؤَالَا (٣)
كُلُّ غَادٍ لِحَاجَةٍ يَتَمَنَّى ... أَنْ يَكُونَ الْغَضَنْفَرَ الرِّئْبَالَا (٤)

* * *

وأشباههم من المعادن ، ونسبة التمييز بين الحرام والحلال إلى السيوف مجاز ، إذ الذى يميز بينهما فى الحقيقة هم أصحاب السيوف . وقال ابن جنى ؛ هذا مثل ضربه ؛ أى سيوفه معودة الضرب ، فهى تعرف – بالدربة – الحلال من الحرام، وقد رد عليه ابن فورجة قال : العادة والدربة ليستا مما يعرف به الحلال والحرام من الناس ، فكيف فيما لا يعقل ؟ وإنما يعنى المتنبى أن سيف الدولة غاز للروم فلا يقتل إلا كافراً قد حل دمه فنسب ذلك إلى سيوفه .

(١) الخميس : الجيش العظيم ، سمى بذلك قيل لأنه خمس فرق : المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساق ، وقيل لأنه يخمس ما يجد : أى يأخذه . والبئيس : الشديد ذو البأس . وقوله والأموالا : أى وينتهبن الأموال ، فهو من باب * علفتها تبناً وماءاً بارداً * كما تقدم ، ولما جعل الخميس من الأسود قال يفترسن ، دون يفترس .

(٢) أراد بالأنيس – الذى معناه المؤانس – الأنس ، خلاف الوحش ، ويتفارسن : يتقاتلن ، والاغتيال : القتل بالخديعة أوأخذ الإنسان من حيث لا يدرى ، جعل الناس كالسباع – وهى الحيوانات المفترسة – لوجود الافتراس منهم فى الحالين ، مجاهرين ومغتالين ، والبيتان التاليان تأكيد لهذا .

(٣) غلابا : مغالبة . والاغتصاب : الأخذ بالقهر . يقول : من أمكنه أن ينال من الناس شيئاً غلبة وقهراً لم يتكلف أن يناله بذل السؤال ، قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : الغلبة طبع الحياة ؛ والمسألة طبع الموت ، والنفس لا تحب الموت فلذلك تحب أخذ الشىء بالغلبة .

(٤) غاد – فى الأصل – ذاهب غدوة ، والمراد هنا : مطلق الذهاب ، أى وقت كان ؛ والغضنفر والرئبال : من أسماء الأسد ، وجعل الرئبال وصفا للغضنفر مبالغة كأنه قال الأسد الشديد : يقول : كل غاد منهم لحاجته يود لو أنه أشد بأسا وقوة ليتناول ما يريده بيأسه وأيده . قال العكبرى : يشير بهذا إلى أن الروم لم يفروا من بين يدى سيف الدولة أنفا ومكارهة وإنما كان فرارهم فرقا ومحاذرة ، لأن طبائع البشر أن يستعملوا فيما يطلبونه غاية قوتهم ، وأن يتناولوا ذلك بأبلغ قدرتهم .

وأنفذ إليه سيف الدولة ابنه من حلب إلى الكوفة ومعه هدية ، وكان ذلك بعد خروجه من مصر ومفارقته كافوراً ، فقال : يمدحه ، وكتب بها إليه من الكوفة سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة :

مَا لَنَا كُلُّنَا جَوٍ يَا رَسُولُ أَنَا أَهْوَى وَقَلْبُكَ الْمَتْبُولُ(١)
كُلَّمَا عَادَ مَنْ بَعَثْتُ إِلَيْهَا غَارَ مِنِّي وَخَانَ فِيمَا يَقُولُ(٢)
أَفْسَدَتْ بَيْنَنَا الأَمَانَاتِ عَيْنَا
هَا ، وَخَانَتْ قُلُوبَهُنَّ الْعُقُولُ(٣)
تَشْتَكِي مَا اشْتَكَيْتُ مِنْ أَلَمِ الشَّوْ
قِ إِلَيْهَا وَالشَّوْقُ حَيْثُ النُّحُولُ(٤)

---

(١) كلناجو : مبتدأ وخبر ، والجملة حالية ، والجوى : الذى أصابه الجوى ، وهو الحرقة فى القلب من حزن أو عشق . والمتبول . الذى هيمه الحب وأفسده وأسقمه ؛ يتهم رسوله الذى أرسله إلى الحبيبة بمشاركته إياه فى حبها . يقول : مالنا أيها الرسول كلانا جو بحبها فأنا الوامق العاشق ، وأنت الرسول قد ملك عليك الحب قلبك ، فما لك تشبهنى فيما ألقاه وأقاسيه ؟

(٢) يقول : كلما عاد إلى الرسول من عندها غار منى عليها لأنه رأى حسنها وافتتن بحبها . فحمله ذلك على الغيرة وخان فيما يؤدى من الرسالة إلى منها وإليها منى

(٣) الضمير فى قلوبهن : يعود إلى العقول ، أى وخانت العقول قلوبهن ، أضمر قبل الذكر ، كما تقول لبس ثوبه زيد ، يقول : أفسدت على عيناها بسحرهاأمانةالرسول حتى ترك الأمانة فى الرسالة حبا لها وحتى خانت العقول قلوبها : أى فارقت العقول القلوب بسببها قال الواحدى : ومعنى خيانة العقول أنها لا تصور للقلوب وجوب حفظ الأمانة لأن الرسول إذا نظر إليها غلبه هواها على الأمانة وغلب عقله ،وهذا كقوله:

وما هى إلا لحظة بعد لحظة إذا نزلت فى قلبهِ رحلَ العقلُ

(٤) قوله من ألم الشوق : يروى من طرب الشوق ؛ والطرب : خفة تحدث عند الفرح والحزن ، يقول : إن الحبيبة تشكو من الشوق إلى مثل ما أشكوا إليها ، ثم كنى عن تكذيبها فى تلك الشكوى فقال : والشوق حيث النحول ، يعنى أن للشوق دليلا من النحول ، فمن لم يكن ناحلا لم يكن مشتاقا ، يعنى أن نحولى يدل على شوقى ، أما أنت فلا نحول ، وبالحرى : لاشوق ، وقال ابن الأفليلى : الضمير فى «تشتكى» للرسول ، يقول

وَإِذَا خَامَرَ الْهَوَى قَلْبَ صَبٍّ ، فَعَلَيْهِ لِكُلِّ عَيْنٍ دَلِيـــلُ[1]

زَوِّدِينَا مِنْ حُسْنِ وَجْهِـــكِ مَا دَا م فَحُسْنُ الْوُجُـوهِ حَالٌ تَحُـولُ[2]

وَصِلِينَا نَصِلْكِ فِى هٰذِهِ الدُّنْـــيَا فَإِنَّ الْمُقَامَ فِيهَا قَلِيـلُ[3]

لرسوله ـ وهو يعاتبه أنت تظهر من شكوى الحب ما أظهره ، وليس كذلك ، وإنما الشوق على حقيقته النحول ، قال بعض الشراح : والأظهر على هذا التفسير أن الاشتكاء هنا بمعنى التألم والتوجع دون الإظهار لأنه لا يتصور من الرسول أن يبوح له بهواها : أى أرى بك من الشوق إليها مثل مابى لأنك ناحل والنحول يدل على الشوق ، وهذا كالإثبات لما يتهمه به من حبها ، هذا وقوله «حيث النحول» فالنحول مبتدأ ،خبره محذوف، تقديره موجود ، لأن حيث لا تضاف إلا إلى الجمل

(١) خامر : خالط ولابس ؛ والصب : العاشق ؛ والبيت : تأكيد للبيت السابق : أى كل من يراه يستدل برؤيته على أنه عاشق ، وعبارة العكبرى : إذا خالط قلب محب هوى من يحبه فملكه واستولى عليه وغلبه فمما يظهر من تغير حاله ، وتبين من تشتت باله ، دليل لكل عين على ما يضمره ، ومخبر على ما يجنه ويستره

(٢) ما دام ههنا تامة بمعنى ما ثبت ، وتحول تتغير وتتبدل ، أى زودينا من حسن وجهك غير معرضة ، ومتعينا بالنظر إليه غير مخيبة ، فحسن الوجوه حال تذهب وتحول ويتبدل جمالها ويزول ، لأن الشبيبة يتلوها الكبر ، والاقبال يعقبه التغير والهرم

(٣) نصلك : جواب الأمر ؛ والمقام : مصدر ميمى بمعنى الإقامة ، وقالوا المقام ـ بالضم والفتح ـ كل واحد منهما قد يكون بمعنى موضع القيام ، لأنك إذا جعلته من قام يقوم فمفتوح ، وإن جعلته من أقام يقيم فمضموم ، فإن الفعل إذا جاوز الثلاثة فالموضع مضموم الميم لأنه مشبه ببنات الأربع نحو دحرج ، وهذا مدحرجنا وقوله تعالى « لا مقام لكم » أى لا موضع لكم ؛ وقرىء « لا مقام لكم » ـ بالضم ـ أى لا إقامة لكم «وحسنت مستقرا ومقاما » : أى موضعا ، وقول لبيد :

عَفَتِ الديارُ مَحلها فمُقامُها بِمِنًى تأبَّدَ غَوْلُها فرِجامُها[1]

---

(١) محلها : أى ماحل فيه لأيام معدودة ؛ ومقامها: ماطالت الإقامة به ، و« منى » هنا موضع غير « منى » الحرم ، وتأبد توحش ؛ والغول والرجام جبلان ، والضمير فيهما : للديار .

مَنْ رَآهَا بِعَيْنِهَا شَاقَهُ القُطَّا نُ فِيهَا كَمَا تَشُوقُ الْحُمُولُ[(١)]
إِنْ تَرَيْنِي أَدِمْتُ بَعْدَ بَيَاضٍ فَحَمِيدٌ مِنَ الْقَنَاةِ الذُّبُولُ[(٢)]

يعنى الإقامة ، وقوله عز وجل «كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم» قيل المقام الكريم : هو المنبر ، وقيل المنزلة الحسنة ،

(١) بعينها : أى بعين الدنيا ؛ والقطان : السكان المقيمون ؛ والحمول المرتحلون المتحملون ، يقول : من نظر إلى الدنيا بالعين التى ينبغى أن ينظر بها إليها رق للباقين لقلة مقامهم ووشك فراقهم رقته للماضين الفانين ، أى من عرف الدنيا حق معرفتها تيقن أن أهلها راحلون ـ لا محالة ـ فلم يجد بين المقيم والراحل فرقا ، فهذا يشوقه : أى يستدعى رقته ، وهذا يشوقه لأن الرحيل قد شملهما ، وقد كنى عن الرقة بالشوق لأن الشوق رقة القلب ، وعبارة بعض الشراح : إن المقيم فى الدنيا على وشك تخليتها والرحيل عنها ، فمن رآها بعينها أى من صور نفسه فى مكانها ورأى أهلها على أهبة فراقها : شاقه النظر إليهم ، كما يشوقه النظر إلى حمول الراحلين ، وقد فسرنا الحمول بالمتحملين الراحلين ، ولكن الحمول فى الأصل : الإبل عليها الهوادج والأثقال ، وهى أيضا الهوادج ، كان فيها النساء أو لم تكن ، وتطلق الحمول أيضا على النساء المتحملات كقول معقر :

أَمِنْ آلِ شَعْثَاءَ الْحُمُولُ البَوَاكِرُ مَعَ الصُّبْحِ قَدْ زَالَتْ بِهِنَّ الأَبَاعِرُ

وإذا أبقيت الحمول على معنى الإبل عليها الهوادج ، أو الهوادج ، كان الكلام على حذف مضاف : أى ذوو الحمول .

(٢) أدم : شحب لونه وتغير ونزع إلى السواد ظاهره ، من الأدمة ، وهى السمرة ويقال أدم وأدم بكسر الدال وضمها . والقناة : عود الرمح : والذبول اليبس والدقة . يقول : إن غيرت الأسفار وجهى حتى صرت آدم بعد بياض الوجه ، فليس ذلك بعاب فى ، كما أن الذبول وإن كان مذموما فى غير القناة فإنه محمود فيها ، لأنه آية صلابتها ، كما قال أبو تمام :

لَانَتْ مَهَزَّتُه فعزَّ وإنما يَشْتَدُّ رَأْسُ الرُّمحِ حِينَ يَلِينُ

وعبارة بعض الشراح : يمدح نفسه بقلة الفكرة فى تغير لونه بعد بياضه ونضرته : أى تغيرت بعد حسن وشبيبة وذلك لما عاينته من الأسفار وتقلبت فيه من الأحوال ، وأنا فى ذلك مثل الرمح الذى تعرب سمرته عن عتقه ، وتدل ذبوله على صلابته وصدقه .

صَحِبَتْنِي عَلَى الْفَلَاةِ فَتَاةٌ عَادَةُ اللَّوْنِ عِنْدَهَا التَّبْدِيلُ(١)
سَتَرَتْكِ الْحِجَالُ عَنْهَا وَلَكِنْ بِكِ مِنْهَا مِنَ اللَّمَى تَقْبِيلُ(٢)
مِثْلُهَا أَنْتِ لَوَّحَتْنِي وَأَسْقَمْتِ وَزَادَتْ أَبْهَاكُمَا الْعُطْبُولُ(٣)
نَحْنُ أَدْرَى وَقَدْ سَأَلْنَا بِنَجْدٍ أَقَصِيرٌ طَرِيقُنَا أَمْ يَطُولُ(٤)

---

(١) أراد بالفتاة : الشمس ، وجعل الشمس فتاة لأن طلوعها يتجدد ، فهى بكر كل يوم ، أو لأن الدهر لا يؤثر فيها ، كبرا ، والشمس من عادتها أن تبدل بضوئها الألوان فتحيل البياض إلى سواد . يقول : صحبتنى على الفلاة التى قطعتها فى سيرى والأسباب التى عاينتها وتجشمتها فتاة لايهرم شخصها ولاينتقص حسنها، عادتها فى الألوان أن تبدلها وتنقلها إلى الأدمة ـ السمرة ـ وتغيرها . هذا : وجعلهم الشمس فتاة كما يقال للدهر : الأزلم الجذع ، يريدون أن الدهر باق على حاله لا يتغير على طول إناه فهو أبداً جذع لا يسن ،

(٢) الحجال : جمع حجلة ، وهى الستر وبيت العروس . واللمى : سمرة فى الشفة . يقول : ـ لمحبوبته ـ سترتك الحجال عن هذه الفتاة ـ الشمس ـ التى غيرت لونى : لأنك فى كن عنها لا يصيبك حرها ، ولكن بك منها تقبيل لما فى شفتيك من الأدمة ـ السمرة ـ كأنها قبلتك فأورثتك هذا اللمى الذى فى شفتيك . وبعبارة أخرى : أنت محجوبة عن الشمس بالستور فلا يصيبك شعاعها إلا أن فى شفتيك سواداً من قبيل السواد الذى تحدثه حتى لكأنها قبلت فاك فأثرت فى موضع التقبيل .

(٣) مثلها : خبر مقدم ؛ وأنت : مبتدأ مؤخر ؛ ولوحتنى : غيرت لونى ؛ وأسقمت أراد وأسقمتنى ؛ وأبهاكما : من البهاء وهو الحسن . والعطبول : الطويلة العنق التامة الجسم ؛ والعطبول : بيان لـ « أبهاكما » . يقول : أنت مثل الشمس فى تغير جسمى فهى لوحتنى وسفعتنى وغيرت لونى وأنت أسقمت جسمى ، وزادت تأثيراً فى أبهاكما التى هى العطبول ، وهى أنت . وعبارة بعض الشراح : أنت مماثلة لها بحسنك وغير بعيدة منها فى فعلك ، وكلاكما له فى جسمى فعل غيره وتأثير بدله ؛ فالشمس لوحته وأنت أسقمته وأذهبت نضرته وأنحلته ، وزدت أنت فى قوة التأثير ، وأفرطت فيما أوجبته من التغيير . وهذا إشارة إلى أن محبوبته بزيادتها على الشمس فى حسنها زادت عليها فى فعلها .

(٤) يقول : كنا أعلم بمقدار الطريق ولكنا سألنا تعللا بذكر الطريق

وَكَثِيرٌ مِنَ السُّؤَالِ اشْتِيَاقٌ وَكَثِيرٌ مِنْ رَدِّهِ تَعْلِيـــلُ[(١)]

لاَ أَقَمْنَا عَلَى مَكَانٍ وَإِنْ طَـا بَ وَلاَ يُمْكِنُ الْمَكَانَ الرَّحِيلُ[(٢)]

إليه — كما قال فى البيت التالى — فإن الإنسان إذا أحب شيئا أكثر السؤال عنه وإن كان يعرفه ، كما قال بشر بن أبى خازم :

أسائلُ صاحِبِي وَلقدْ أرَانى بصيراً بالظعائِنِ حيث صاروا

وكما قال الآخر :

وَخبّرَنى عَنْ مجلِس كنتَ زينه بحَضْرةِ قوْم والمــلاء شهُود

فَقلت لهُ كَرِّ الحَديثَ الذى مَضَى وذكْرُكَ مِن كَرِّ الحديث أرِيد

أنَاشِــدهُ إلا أعادَ حَديثَه كأنى بَطِيء الفهم حِين يُعيد

ورواية ابن جنى :

* أطويل طريقنا أم يطول *

يعنى أطويل طريقنا فى الحقيقة أم يطول من الشوق ؟

(١) علله بالشىء : ألهاه به ، يقول : إن كثيراً من السؤال يكون سببه الاشتياق ، وكثيراً من رد السؤال يكون تطييباً للسائل ، يريد أن الذى حملنى على السؤال عن الطريق هو الاشتياق وترقب جواب أتعلل به عن طول الطرق .

(٢) لا أقمنا : معناه لم نقم ، كقوله تعالى « فلا صدق ولا صلى » . يقول : لم نقم فى الطريق إليه بمكان وإن طاب ذلك المكان لئلا يؤخرنا عن الوصول ، ثم قال : ولا يمكن المكان أن يرحل معنا لنتمتع بطيبه . يريد لم نبال براحة ولا لذة حتى نصل إلى المكان الذى نقصده ، وإليك بعد هذا تعليقات سائر الشراح على هذا البيت ، قال ابن القطاع وقد دخل فيه كلام العكبرى : المعنى لا نقيم على مكان وإن طاب ولا يمكن المكان الرحيل : أى لا نقيم ألبتة لأن المكان لا يرحل معنا فلا نقيم على مكان أبداً حتى تلقاه إلا أن يسير المكان معنا ، فكذلك نحن لا نقيم فى مكان وإن طاب ، وقيل نفى النفى إثبات فى كلام العرب ، فكأنه : قال : لا نقيم فى مكان إلا أن يرحل معنا ، وهذا مثل قول الفرزدق :

. . . .

بِأَيْدِى رِجالٍ لم يَشِيموا سُيوفَهُم ولم تَكْثُرِ القَتْلَى بِها حِينَ سُلَّتِ (١)

قيل معناه لم يشيموا سيوفهم إلا بعد أن كثرت القتلى ، وفى البيت معنى آخر ، وهو وهو على التقرير بأن تقرر صفة الشىء ، والمراد ضده ، فكأنه قال : لم يشيموا ولم تكثر القتلى : أى كثرت جدا ، ومنه قول الشنفرى :

صَلِيتُ مِنِّى هُذَيلٌ بِحَرْقٍ لا يَمَلُّ الشَّرَّ حتى يَمَلُّوا (٢)

معناه على مذهب التقرير لا يمل الشر وإن ملوه ، وقد جاء فى الحديث « إن الله لا يمل حتى تملوا » (٣) معناه لا يجازيكم جزاء الملل وإن مللتم ؛ وجاء فى الحديث « وإن صهيباً لو لم يخف الله لم يعصه » (٤) معناه لو لم يخف : أى أمن ، فكأنه قيل لو أمن الله ما عصاه ، وفيه معنى آخر وهو أن نفى النفى إيجاب فيكون التقدير : إن صهيباً لو أمن الله ما عصاه : أى لم يعصه ، وعلى مذهب التقرير : لو لم يخف الله ما عصاه : أى لم يعصه أبداً ، وفيه معنى آخر ، وهو أن « لو » فى الكلام تدل على امتناع الشىء لامتناع غيره فيكون المعنى : العصيان امتنع لأجل الخوف : أى لما خاف لم يعص ، والمعنى الأول وما بعده أبلغ من هذا ، لأن معناه لو أمن الله ما عصاه . ومعنى هذا الآخر أن العصيان امتنع من أجل الخوف .. وقال الواحدى: قوله « لا أقمنا » يجوز أن يكون على الدعاء كما تقول : لافض الله فاك ، وقال ابن جنى : يجوز أن يكون على القسم : أى والله

---

(١) لم يشيموا سيوفهم ـ هنا ـ لم يغمدوها ، قال ابن برى : الواو فى قوله « ولم » واو الحال: أى لم يغمدوها ،والقتلى بها لم تكثر، وإنما يغمدونها بعد أن تكثر القتلى بها.

(٢) الحرق ؛ النار وصلى بالنار : قاسى حرها ؛ والمراد : لاقت منى شدة .

(٣) الحديث هو : « اكلفوا من العمل ما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا » قيل معناه : إن الله لا يمل أبداً : مللتم أو لم تملوا ؛ فجرى مجرى قولهم حتى يشيب الغراب ويبيض الفار ؛ وقيل معناه . إن الله لا يطرحكم حتى تتركوا العمل وتزهدوا فى الرغبة إليه ، فسمى الفعلين مللا وكلاهما ليس بملل كعادة العرب فى وضع الفعل موضع الفعل إذا وافق معناه ، نحو قول عدى بن زيد :

ثم أضحوا لعبَ الدهرُ بهم وكذاك الدهر يودى بالرجال

(٤) هو صهيب بن سنان : مولى عبد الله بن جدعان التيمى ، صحابى ، من ولد النمر ابن قاسط .

كُلَّمَا رَحَّبَتْ بِنَا الرَّوْضُ قُلْنَا حَلَبٌ قَصْدُنَا وَأَنْتِ السَّبِيلُ(١)
فِيكِ مَرْعَى جِيَادِنَا وَالْمَطَايَا وَإِلَيْهَا وَجِيفُنَا وَالذَّمِيلُ(٢)
وَالْمُسَمَّوْنَ بِالْأَمِيرِ كَثِيرٌ وَالْأَمِيرُ الَّذِى بِهَا الْمَأْمُولُ
الَّذِى زُلْتَ عَنْهُ شَرْقاً وَغَرْباً وَنَدَاهُ مُقَابِلِى مَا يَزُولُ(٣)
وَمَعِى أَيْنَمَا سَلَكْتُ كَأَنِّى كُلُّ وَجْهٍ لَهُ بِوَجْهِى كَفِيلُ(٤)

لا أقمنا ، وقالا تعليقاً على قوله « ولا يمكن المكان الرحيل » : أى لو أمكنه لا ارتحل معنا شوقاً إليه : أى إلى سيف الدولة .

(١) يقول : كلما طاب لنا مكان كأنه يرحب بنا بما يبدى من حسنه وما يستميلنا به من وروده وأزهاره ، فكأنه يدعونا للنزول به ، اعتذرنا إليه وقلنا له لا نقيم عندك ، لأن قصدنا حلب — مقام سيف الدولة — وأنت الممر فلا نقدر أن نقيم عندك وإن كنت طيباً ؛ ورحب به : قل له مرحبا ؛ والروض : جمع روضة ، المكان فيه خضر .

(٢) الجياد : الخيل : والمطايا : الإبل . والضمير فى « إليها » لحلب . والوجيف : ضرب من سير الخيل سريع ، والذميل : ضرب من سير الإبل . يقول ـ مخاطباً الروض ـ : فيك مرعى مطايانا وبك نستعين على ما نحاوله من سيرنا ، وإلى حلب نوجف مسرعين ؛ وإليها نبادر غير متوقفين .

(٣) زلت عنه : فارقته . يقول : الذى سافرت عنه شرقاً وغرباً ولم يفارقنى عطاؤه فهو مقابلى حيثما كنت ، وإنما قال هذا لأن سيف الدولة أنفذ إليه هدية عند وروده العراق ـ كما تقدم ـ وهذا مثل قوله فيه :

ومن فرّ من إحسانه حسداً له تلقاه منه حيثما سار نائل

(٤) الوجه : ما توجهت إليه ، والضمير فى « له » للندى . والكفيل : الضامن .

لجمل إهلاكه إياهم لعبا ؛ وقيل معناه . إن الله لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا سؤاله ، فسمى فعل الله مللا على طريق الازدواج فى الكلام ، كقوله تعالى « وجزاء سيئة سيئة مثلها » وقوله « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه » وهو باب واسع فى العربية كثير فى القرآن .

وَإِذَا الْعَذْلُ فِي النَّدَا زَارَ سَمْعاً   فَفِدَاهُ الْعَذُولُ وَالْمَعْذُولُ(١)

وَمَوَالٍ تُحْيِيهِمِ مِنْ يَدَيْهِ   نِعَمٌ غَيْرُهُمْ بِهَا مَقْتُولُ(٢)

فَرَسٌ سَابِقٌ وَرُمْحٌ طَوِيلٌ   وَدِلَاصٌ زُغْفٌ وَسَيْفٌ صَقِيلُ(٣)

يقول : ونداه معى فى أى طريق سلكته ، فكأن كل جهة من الأرض ضامنة لنداه فى وجهى : أى أمامى ، وهذا فيمن يعدّى « كفل » بنفسه ، فتكون اللام من « له » « للتقوية » والباء بمعنى فى ؛ كذا يروى هذا البيت ؛ ولعل الرواية الصحيحة: بهلوجهى أى كأن كل جهة كافلة لوجهى بلقاء نداه . وقال الواحدى : يريد لزوم عطائه إياه وأنه لا يتوجه وجها إلا واجهه جوده ، فكأن كل طريق يتوجه إليه كفيل لنداه بوجهه ، وهذا محمول على القلب ؛ أراد كفيل لى بوجه نداه يرينيه ويأتينى به ، والقلب شائع فى الكلام كثير فى الشعر. يقول : كل وجه توجهته كفيل لى بوجه نداه ويصح المعنى من غير حمل اللفظ على القلب ، وذلك أن من واجهك فقد واجهته ، ومن استقبلك فقد استقبلته ، والأفعال المشترك فيها يستوى المعنى فى إسنادها إلى الفاعل وإلى المفعول ، كما تقول لقيت زيداً ، ولقينى زيد ، وأصبت مالا ، وأصابنى مال ؛ وإذا كان للندى كفيل بوجهه كان لوجهه كفيل بالندى . وقال ابن الأفليلى : يقول : كل وجهة أقصدها تتكفل بى لسيف الدولة مزعجة لى إليه وتضمننى له بكثرة الحض عليه .

(١) العذل : اللوم . يريد أنه لا يسمع العذل على الجود ، أما غيره فإنه يسمع :يقول إذا عذل جواد على الجود فسمع ذلك ووعاه ففداء هذا الممدوح الأجواد والعاذلون . وقال ابن فورجه : يريد فداؤك كل من عذل فى جوده فسمعه أو رده لأنك فوقه جوداً. وعبارة بعض الشراح : أى فداه كل عاذل ، لأنه مردود عنده ،وكل معذول ؛ لأنه فوقه فى الجود .

(٢) وموال : عطف على العذول ؛ والموالى : العبيد ، والأولياء . يقول ؛ وفدته موال حياتهم من إنعامه عليهم ، وغيرهم مقتول بذلك الإنعام ، لأن مواليه يستخدمون نعمه فى قتل أعدائه ، وقد بين تلك النعم فى البيت التالى ؛ وعبارة العكبرى : وفداه موال شملتهم مكارمه وأحيتهم مواهبه ، ومن جملة تلك المواهب ما غيرهم من أعاديه مقتول بها ، يريد أنه يسلبها من الأعداء ويعطيها الأولياء ؛ فالموالى : الأولياء . وقال ابن جنى : الموالى ههنا العبيد ؛ أى ينعم على العبيد وغيرهم بتلك النعم مقتول حسداً .

(٣) فرس سابق : بدل من نعم ؛ ويروى « سابح » بدل « سابق » ؛ والسابح : السريع الجرى كأنه يسبح . والدلاص : الدرع البراقة الملساء . والزغف : اللينة

كُلَّمَا صَبَّحَتْ دِيَارَ عَدُوٍّ
قَالَ تِلْكَ الْغُيُوثُ هٰذِي السُّيُولُ(١)

دَهِمَتْهُ تُطَايِرُ الزَّرَدَ الْمُحْكَمَ عَنْهُ كَمَا يَطِيرُ النَّسِيلُ(٢)

تَقْنِصُ الْخَيْلَ خَيْلُهُ قَنَصَ الْوَحْشِ وَيَسْتَأْسِرُ الْخَمِيسَ الرَّعِيلُ(٣)

وَإِذَا الْحَرْبُ أَعْرَضَتْ زَعَمَ الْهَوْ
لُ لِعَيْنَيْهِ أَنَّهُ تَهْوِيلُ(٤)

المحكمة النسيج : يقول : إنه يعطى عبيده هذه الأشياء فتصير عونا لهم على قتل أعدائه قال العكبرى : فهو معنى قوله : غيرهم بها مقتول : فبين ما يهبه بأنه من الخيل والسلاح مما يؤذن للذى يهبه له بمقارعة الأعداء ؛ والتوطين على الصبر عند اللقاء .

(١) صبحت : جاءت صباحاً ؛ وفاعل قال : تلك ؛ والغيوث : الأمطار ؛ وهذى السيول : مبتدأ وخبر ؛ والجملة : مقول القول ؛ أى كلما صبحت مواليه ديار عدو فصبت عليهم الغارة قالت غيوث مواهبه: هذه سيولنا ، شبه مواهبه المذكورة بالمطر ، والغارة بها على العدو بالسيل الذى يكون عن المطر ؛ وقال الواحدى : أى كلما أتت مواليه ديار عدو صباحا للغارة ، قال العدو تلك التى رأيناها قبل ، كانت بالإضافة إلى هؤلاء غيوثا بالإضافة إلى السيول ؛ يريد كثرة مواليه . وقال ابن جنى : هذا مثل ، وعنى بالغيوث سيف الدولة ؛ وبالسيول : مواليه ، وذلك أن السيل يكون عن الغيث ، وكذلك مواليه به قدروا وعزوا .

(٢) دهمته : فاجأته ، والهاء : للعدو . والزرد : حلق الدرع ؛ والمحكم : الموثق الصنعة . والنسيل ما يتساقط من ريش الطير ووبر البعير وغيره . وغيره . يقول : فاجأت الموالى العدو بقوة من الضرب تهتك الدروع فيتطاير زردها كما يطير الريش إذا سقط من الطير .

(٣) قنص الوحش : مفعول مطلق ، ويستأسر : يأسر ، والخميس : الجيش العظيم من خمس فرق القلب والجناحين والمقدمة والساقة . والرعيل : القطعة من الخيل بين العشرين والثلاثين ، يقول : إن خيله تصيد خيل العدو كما تصيد الوحش ؛ والقليل من جيشه يأسر الجيش الكثير . يشير إلى أنه سعيد موفق وأن توفيقه كفيل له بذلك .

(٤) أعرضت : ظهرت وقامت . والحرب : فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور

وَإِذَ صَحَّ فَالزَّمَانُ صَحِيحٌ وَإِذَا اعْتَلَّ فَالزَّمَانُ عَلِيلُ (١)
وَإِذَا غَابَ وَجْهُهُ عَنْ مَكَانٍ فَبِهِ مِنْ ثَنَاهُ وَجْهٌ جَمِيلُ (٢)
لَيْسَ إِلَّاكَ يَا عَلِيُّ هُمَامٌ سَيْفُهُ دُونَ عِرْضِهِ مَسْلُولُ (٣)
كَيْفَ لَا يَأْمَنُ الْعِرَاقُ وَمِصْرٌ وَسَرَايَاكَ دُونَهَا وَالْخُيُولُ (٤)
لَوْ تَحَرَّفْتَ عَنْ طَرِيقِ الْأَعَادِي رَبَطَ السِّدْرُ خَيْلَهُمْ وَالنَّخِيلُ (٥)

بعده ؛ والهول : الفزع ؛ والتهويل : التفزيع ؛ والضمير فى أنه : للهول . يقول : إذا قامت الحرب وظهرت لم تهله ؛ وزعم الهول لعينيه أنه تهويل لا حقيقة له ، يعنى أنه لا يفزعه شىء يراه ، فكأن الهول يقول له : لا يهو لنك ماترى ، وذلك أن التهويل يكون بالكلام ؛ وبعبارة أخرى : إذا قامت الحرب لم يبال بما يرى من أهوالها، فكأن الهول يظهر لعينيه فى صورة التهويل ؛ يعنى أنه يستخف بالهول ويقدم عليه كأنه تهويل لا حقيقة له . ويروى بدل « أنه » أنها ، فيكون الضمير للحرب :

(١) يقول : هو الزمان فصحته صحة الزمان وكذلك علته ؛ يريد أن الزمان تابع لحاله ، صائر إلى مثل مآله . وهذا كما يروى عن معاوية أنه قال : نحن الزمان فمن رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتضع وروى أنه سمع رجلا يذم الزمان ، فقال : لو يعلم ما يقول لضربت عنقه ، إن الزمان هو السلطان :

(٢) ثناه : يروى نثاه ؛ والنثا : الخبر ، وهو ما ينثى — أى ينثر — من حديث ، وهو بمعنى الثناء ، يقول : بكل مكان يسمع له خبر جميل ، وعبارة العكبرى ؛ إذا غاب عن مكان وجهه وانتقل إلى غيره شخصه ، فى المكان الذى يفارقه من طيب خبره وكرم أثره وجه جميل لا يعدم، وذكر كريم لا يفقد :

(٣) الهمام : الملك العظيم : يقول : ليس أحد من الملوك يقى عرضه بسيفه غيرك: أى أنت الشجاع دونهم ، هذا : وكان الأجود أن يقول إلا إياك ، ولكنه أتى بالضمير المتصل فى موضع المنفصل وهو جائز فى ضرورة الشعر :

(٤) السرايا : جمع سرية ، وهى القطعة من الجيش مابين خمس وتسعين إلى ثلاثمائة، وقوله ودونها : أى دون بلاد العراق وبلاد مصر ، يقول : كيف لا تأمن ديار المسلمين وأنت فى وجه الروم تدفعهم عنها بجيوشك وخيولك ، ولولاك لاستبيحت تلك الديار :

(٥) تحرفت : انحرفت وملت ، والسدر : شجر النبق ، يقول : لو ملت عن

وَدَرَى مَنْ أَعَزَّهُ الدَّفْعُ عَنْهُ ... فِيهِمَا أَنَّهُ الْحَقِيرُ الذَّلِيلُ(١)
أَنْتَ طُولَ الْحَيَاةِ لِلرُّومِ غَازٍ ... فَمَتَى الْوَعْدُ أَنْ يَكُونَ الْقُفُولُ(٢)
وَسِوَى الرُّومِ خَلْفَ ظَهْرِكَ رُومٌ ... فَعَلَى أَيِّ جَانِبَيْكَ تَمِيلُ(٣)
قَعَدَ النَّاسُ كُلُّهُمْ عَنْ مَسَاعِيكَ ... وَقَامَتْ بِهَا الْقَنَا وَالنُّصُولُ(٤)

طريق الروم لساروا فأو غلوا فى ديار العرب دون أن يقف فى طريقهم أحد حتى يربطون خيولهم بالسدر والنخيل التى بالعراق ومصر ؛ يعنى : لولا ذودك عن هذه الممالك لملكتها الأعداء ، يريد بهذا : الغض ممن بالعراق ومصر من الملوك والرفع من شأن سيف الدولة ، هذا : وقد أسند الفعل للسدر والنخيل توسعاً ، لأنها هى الممسكة إذا ربطت الخيل إليها ، فكأنها ربطتها ، وهذا كما تقول أحلنى بلد كذا : أى حللت فيه ؛ وعبارة ابن جنى : هو من باب القلب كقولك ساءنى أمر كذا أى وقع السوء فيه ، وفيه معنى آخر وهو أنه وصف سيف الدولة بالسعادة حتى لو تحرف عن طرق من يعاديه لربط السدر والنخيل خيولهم كقول الآخر :

تركوا جارهم يأكلُــــهُ ... ضَبُعُ الوادى ويرميه الشجرْ

(١) درى : عطف على ربط ؛ وفيهما : أى فى العراق ومصر ، يقول: ولو تحرفت عن طريق الأعادى لعلم من أعزه دفعك عنه من ملوك العراق ومصر — يعنى كافوراً وآل بويه — أنه حقير ذليل بغلبة العدو إياه ، فلولاك لأتاه العدو فرأى نفسه حقيراً ذليلا :

(٢) أن يكون : أى بأن يكون — أى يحصل — القفول، أى الرجوع ؛ فـ«يكون» : تامة يشير إلى أن غزواته لا تنقطع

(٣) سوى : استثناء مقدم ؛ وخلف ظهرك روم : مبتدأ وخبر ، أى أن خلف ظهرك روما سوى الروم — يريد آل بويه — أى أن هناك أعداء لك كالروم ، فليس أعداؤك الروم حسب ، وإنما أعداؤك كثير فأيهم تقاتل ؟

(٤) المساعى : جمع مسعاة ، المكرمة والمعلاة فى أنواع المجد والجود والقنا: الرماح والنصول : جمع نصل ، حد السيف ، يقول : لم يبلغ أحد من الملوك مساعيك التى قامت بها رماحك وسيوفك

مَا الَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الْمَنَايَا ... كَالَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الشَّمُولُ(١)
لَسْتُ أَرْضَى بِأَنْ تَكُونَ جَوَادًا ... وَزَمَانِي بِأَنْ أَرَاكَ بَخِيلُ(٢)
نَغَّصَ الْبُعْدُ عَنْكَ قُرْبَ الْعَطَايَا ... مَرْتَعِي مُخْصِبٌ وَجِسْمِي هَزِيلُ(٣)
إِنْ تَبَوَّأْتُ غَيْرَ دُنْيَايَ دَارًا ... وَأَتَانِي نَيْلٌ فَأَنْتَ الْمُنِيلُ(٤)
مِنْ عَبِيدِي إِنْ عِشْتُ لِي أَلْفُ كَافُو ... رٍ وَلِي مِنْ نَدَاكَ رِيفٌ وَنِيلُ(٥)
مَا أُبَالِي إِذَا اتَّقَتْكَ الرَّزَايَا ... مَنْ دَهَتْهُ حُبُولُهَا وَالْخُبُولُ(٦)

***

---

(١) المنايا : جمع منية ، وهى الموت . والشمول : الخمر ، يقول : إن غيره من للملوك يشتغلون باللهو وشرب الخمر . أما هو فشغله الشاغل الحرب .

(٢) وزمانى الخ : حال . وبأن أراك :متعلق بـ«بخيل». يقول :لا أرضى بأن يصل إلى عطاؤك وأنا بعيد عنك لا أراك .

(٣) المرتع ؛ المرعى ؛ والتنغيص : التكدير ؛ والهزيل : ضد السمين ، يقول : أنا فى قرب عطائك منى وبعدى عنك كمن يرتع فى مكان مخصب وهو مع ذلك مهزول: أى لست أهنأ بعطائك مع البعد عن لقائك :

(٤) تبوأ المكان ، نزل به ، والنيل : العطاء ؛ والمنيل : المعطى . يقول: إن عطاياه تتبعه حيثما سار ، فلو هو اتخذ دارا غير الدنيا ووصلت إليه عطية لكان سيف الدولة هو معطيها

(٥) يقول : إذا عشت وبقيت حيا كان لى من العبيد الذين تهبهم لى ألف عبد مثل كافور الذى رغبت عنه واجتويت البقاء فى جملته ، وكان لى من نداك وجودك عوض من ريف مصر ونيلها اللذين بهما شرف بلده وفيهما بسطت يده

(٦) اتقتك : اجتنبتك ؛ والرزايا ، جمع رزية ، وهى المصيبة ؛ والحبول:الدواهى، جمع حبل ــ بكسر الحاء ــ أنشد المفضل :

وقال فى صباه وقد قيل له وهو فى المكتب ما أحسن هذه الوفرة :

لَا تَحْسُنُ الْوَفْرَةُ حَتَّى تُرَى ... مَنْشُورَةَ الضَّفْرَيْنِ يَوْمَ الْقِتَالْ(١)

عَلَى فَتًى مُعْتَقِلٍ صَعْدَةً ... يَعُلُّهَا مِنْ كُلِّ وَافِى السِّبَالْ(٢)

* * *

فَيَا عَجَباً لِلْخَوْدِ تُبْدِى قِنَاعَهَا ... تُرَأْرِئُ بالعينين لِلرَّجُلِ الخَبِل(١)

وقال الأخطل :

وكنت سليمَ القلبِ حتى أصابنى ... مِنَ اللامِعاتِ الْمُبْرِقَاتِ خُبُول

وقال كثير :

فلا تعجلِى يا عَزّ أنْ تتفهمى ... بِنصحٍ أتى الواشون أم بخُبول

والخبول : جمع خبل ، مصدر خبله : إذا أفسد من أعضائه أو عقله ، والخابل : الشيطان ؛ والخابل : المفسد ؛ والخابلان : الليل والنهار لأنهما لا يأتيان على أحد إلا خبلاه بهرم ؛ وفى الحديث « وبطانة لا تألوه خبالا » أى لا تقصر فى إفساد أمره ؛ وقالوا خبل خابل : يذهبون إلى المبالغة ، قال :

نُدَافِعُ قوماً مُغْضَبِين عليكم ... فعلتمْ بهم خبْلاً من الشرِّ خابِلاَ

يقول : إذا تخطتك الرزايا ولم تصبك الأقدار بسوء فلا أبالى من أصابته دواهيه وآفاته ، لأن أملى إنما هو معقود بك .

(١) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس ؛ والضفر : الشد ، ويسمى ما يشد على الرأس من الدوائب : الضفائر ، ومن سماها الضفر : فقد سمى بالمصدر .

يقول : إنما يحسن الشعر يوم القتال إذا نشرت ذوائبه ؛ يعنى بهذا أنه شجاع صاحب حروب يستحسن شعره إذا انتشر على ظهره يوم القتال ، وكانوا يفعلون ذلك تهويلا للعدو .

(٢) على فتى : متعلق بـ«منشورة» ـ فى البيت السابق ـ وهو عاب فى الشعر يسمى التضمين . والصعدة : الرمح القصير ، يقال اعتقل الرمح وتنكب القوس وتقلد السيف إذا حمل كلا منها حمل مثلها : ومعنى يعلها : يسقيها الدم مرة بعد أخرى ، ومن كل وافى

---

(١) يقال : رأرأت بعينيها : إذا أدارتهما ، تغمز الرجل :

وقال فى صباه :

مُحِبِّى قِيَامِىَ مَا لِذَالِكُمُ النَّصْلِ ... بَرِيئاً مِنَ الْجَرْحَى سَلِيماً مِنَ الْقَتْلِ (١)

أَرَى مِنْ فِرِنْدِى قِطْعَةً فِى فِرِنْدِهِ ... وَجَوْدَةُ ضَرْبِ الْهَامِ فِى جَوْدَةِ الصَّقْلِ (٢)

وَخُضْرَةُ ثَوْبِ الْعَيْشِ فِى الْخُضْرَةِ الَّتِى ... أَرَتْكَ احْمِرَارَ الْمَوْتِ فِى مَدْرَجِ النَّمْلِ (٣)

السبال : أى يعلها من كل رجل تام السبلة وهى ما استرسل من مقدم اللحية . يقول : إنما يحسن شعرى إذا كنت على هذه الحالة .

(١) بريئاً وسليما : حالان ؛ ومحبى قيامى : منادى والنصل . السيف ، يقول : يامن يحب مقامى وتركى الأسفار كيف أقيم ولم أجرح بنصلى أعدائى . وقال الواحدى : القيام هنا قيام إلى الشىء أو بالشىء . يقول : أيها المحبون قيامى إلى الحرب أو بالحرب ما لنصلكم لا يقتل ولا يجرح وليس فيه آثار الضرب : أى لم لا تعينونى بالسيف إن أحببتم قيامى ؟

(٢) فرندى : يروى بفتح الراء وكسرها ، معرب معناه ، ما يستدل به على جودة الحديد كالآثار والنقط ؛ والهام : الرءوس ؛ والنصل ، السيف يقول ، أرى من قوتى ونشاطى قطعة فى فرند هذا السيف : أى أن له حدة ومضاء كحدتى ومضائى، ثم قال إن جودة الضرب فى جودة الصقل؛أى إذا لم يكن السيف جيد الصقل لم يجد به الضرب،وهذا تمثيل يريد كثرة الأسفار وتمرسه بالخطوب وأنها تصقل الهمم وتورثها مضاء كالصقل للسيف

(٣) المراد بخضرة ثوب العيش : النعمة والخصب ، استعارة من خضرة النبات ، والنبات إذا كان أخضر كان رطبا ناعما . وقوله فى الخضرة الخ : يعنى خضرة السيف ، ويحمد من السيوف ما كان مشربا خضرة ؛ قال الشاعر :

مُهَنَّدٌ كأنما طابِعُهُ ... أَشْرَبَهُ بالهِنْدِمَاءِ الهِنْدَبَا (١)

وقال البحترى :

حملَتْ حمائِلُهُ القديمةُ بقلةً ... من عهد عادٍ غضَّةً لم تذْبلِ

---

(١) الهندبا ـ بفتح الدال ـ مقصور ، نبت معروف يؤكل

أَمِطْ عَنْكَ تَشْبِيهِي بِمَا وَكَأَنَّهُ ... فَمَا أَحَدٌ فَوْقِي وَلَا أَحَدٌ مِثْلِي (١)

وَذَرْنِي وَإِيَّاهُ وَطِرْفِي وَذَابِلِي ... نَكُنْ وَاحِداً يَلْقَى الْوَرَى وَانْظُرَنْ فِعْلِي (٢)

* * *

واحمرار الموت : شدته ، يقال موت أحمر : أى شديد ، وأصله من القتل وسيلان الدم . ومدرج النمل : مدبه ، وهو حيث درج فيه بقوائمه فأثر فيه آثاراً دقيقة . جعل النصل مدرج النمل لما فيه من آثار الفرند . يقول : طيب العيش وهناؤه فى السيف ، أى فى استعماله والضرب به .

(١) الإماطة : الرفع والتنحية والإزالة ، ومنه إماطة الأذى عن الطريق ولعل الأقرب أن يكون مراده بقوله بما وكأنه : قول القائل ما أشبهه بكذا وكأنه كذا . يقول: لا تشبهنى بأحد ولا تقل كأنه فلان وما أشبهه بفلان، لأنه ليس فوقى أحد ولا مثلى أحد فتشبهنى به ، وهناك أقوال أخرى للشراح فى قوله « بما وكأنه » نورد منها أهمها : قال ابن القطاع : الصحيح من معنى هذا البيت أن « ما » نكرة بمعنى شىء موضوعة للعموم كأنه قال أمط عنك تشبيهى بشىء من الأشياء كما أنك تقول مررت بما معجب لك : أى بشىء معجب لك ؛ وقال أبو بكر الخوارزمى : « ما » ههنا اسم بمعنى الذى ، يقال لمن يشبه بالبحر : كأنه ماهو نصف الدنيا ، يعنون البحر ، لأن الدنيا بر وبحر ويقولون كأنه ما هو سراج الدنيا ، يعنون الشمس والقمر ، ولما كان لفظها فى المشبه به ذكره المتنبى مع كأن . وقال ابن جنى : إنه يعتبر كأن قائلا قال بما يشبه فيقول الآخر: كأنه الأسد ، فقال هو معرضا عن هذا القول : أمط عنك تشبيهى بما وكأنه ، فلما جاء بحرف التشبيه — أى كأن — ذكر « ما » .

(٢) وإياه : يعنى النصل ؛ والطرف : الفرس الكريم ؛ والذابل : مالان واهتز من الرماح . وقوله « نكن » جواب الأمر . يقول: دعنى وهذا السيف وفرسى ورمحى حتى نجتمع فنكون فى رأى العين شخصا واحداً يلقى الورى — أى يحاربهم — فانظر بعد ذلك إلى ما أفعله من قتل الأعداء ، قال ابن جنى : وقد لاذ فى هذا البيت بلفظ ذى الرمة ، ومعناه فى قوله :

وليلٍ كجلباب العروس ادَّرعْتُهُ ... بأربعةٍ والشخصُ فى العين واحد

أحمُّ غُـدَافِيٌّ وأبيضُ صارم ... وأعيسُ مَهرِىٌّ وأروعُ ماجدُ

وقال فى صباه يمدح سعيد بن عبد الله بن الحسن الكلابى المنبجى :

حَيًا وَأَيْسَرُ مَا قَاسَيْتُ مَا قَتَلَا ... وَالْبَيْنُ جَارَ عَلَى ضَعْفِي وَمَا عَدَلَا(١)

وَالْوَجْدُ يَقْوَى كَمَا تَقْوَى النَّوَى أَبَدًا ... وَالصَّبْرُ يَنْحَلُ فِي جِسْمِي كَمَا نَحِلَا(٢)

وَلَا مُفَارَقَةُ الْأَحْبَابِ مَا وَجَدَتْ ... لَهَا الْمَنَايَا إِلَى أَرْوَاحِنَا سُبُلَا(٣)

هذا : وقوله يلق الورى : نعت « واحداً » ؛ ويروى نلق : مجزوما على البدل من نكن .

(١) أحيا : فعل المتكلم ، وجملة «وأيسر» : حالية : يخبرعن نفسه بأنه حى باق ، مع أن أقل مايقاسيه من شدائد الهوى قاتل . يقول أقل وأهون ماقاسيت قاتل وأنا مع ذلك أحيا ، والفراق جار على ضعفى حين فرق بينى و بين أحبتى وكنت ضعيفا بمقاساة الهوى فلم يعدل حين ابتلانى بيعدهم .

وقال بعض الشراح : يحتمل أن يكون أحيا فى معنى أفعل التى للتفضيل : أى أعمد ما يكون فى الإنسان وأيسر ما قاسيت شىء قاتل ، فكأن الكلام على التقديم والتأخير أى الشىء الذى يقتل أحيا وأيسر مالاقيت ، ، أو ما ألقاه ، وإذا حمل على هذا الوجه فقد حذف المضاف إليه : أى أحيا ما لاقيت وأيسر مالاقيت . قال : وهم يستعملون هذا فى الشعر ، ولو قلت فى النثر أفضل وأكرم الناس زيد ، يريد أفضل الناس وأكرمهم لقبح ، وإنما الفصيح أفضل الناس وأكرمهم ، وقال بعض الشراح تعليقا على قوله وما عدلا : كرر المعنى فقال جار وما عدلا والمفهوم أن جار علم منه أنه لم يعدل ، قل وإنما كرره لأن الجائر فى وقت قد يعدل فيوصف بالجور إذا جار وبالعدل إذا عدل ، وهذا جار عليه وما عدل ، ومثله فى القرآن الكريم « أموات غير أحياء » والمعنى أنها أموات لا تحيا فى المستقبل كما يحيا الناس عند البعث .

(٢) الوجد : الحزن والشوق ؛ والنوى : البعد ، يقول : إن الحزن يزداد قوة كما يزداد البعد كل يوم ، والصبر يضعف ويقل كما يضعف جسمى .

(٣) المنايا : جمع منية ، الموت ، يقول : لولا الفراق لما كان للمنايا طريق إلى أرواحنا : أى إنما توصلت إلينا بطريق فراق الأحباب كما قال أبو تمام :

لو حار مُرْتَادُ المَنِيَّةِ لم يجِدْ ... إلا الفراق على النفوس دليلا

بِمَا بِجَفْنَيْكِ مِنْ سِحْرٍ صِلِي دَنِفاً ... يَهْوَى الْحَيَاةَ وَأَمَّا إِنْ صَدَدْتِ فَلاَ(١)

إِلَّا يَشِبْ فَلَقَدْ شَابَتْ لَهُ كَبِدٌ ... شَيْباً إِذَا خَضَّبَتْهُ سَلْوَةٌ نَصَلاَ(٢)

ولابن القطاع تأويل حسن . قال : إن « لها » جمع لهاة والمعنى ماوجدت لهوات المنايا الخ ، فلها : فاعل وجدت ؛ والمنايا : فى موضع جر بالإضافة ؛ واللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم . والسبل : جمع سبيل ؛ والسبيل : الطريق ، تذكر وتؤنث .

(١) الدنف : الذى أثقله المرض ؛ وقال علماء اللغة الدنف : المرض اللازم المخامر ويقال رجل دنف ودنف ومدنف ومدنف : أى براه المرض حتى أشفى على الموت ؛ فمن قال دنف : لم يثنه ولم يجمعه ولم يؤنثه ، كأنه وصف بالمصدر ؛ ومن كسر النون ثنى وجمع وأنث لا محالة فقال رجل دنف ـ بالكسر ـ ورجلان دنفان ، ورجال أدناف. وامرأة دنفة ، ونسوة دنفات . ومن المجاز والاستعارة قول العجاج .

والشمسُ قد كادت تكون دنفاً ... أدفعها بالراح كَىْ تَزَحْلفا(١)

يقول : أقسم عليك بحق ما بجفنيك من سحر أن تصلى مريضاً يحب الحياة فى وصالك فإن هجرت ، وأعرضت فليس يحب الحياة ؛ وعنى بسحر جفنيها أنها بنظرها تصيد القلوب وتسبى عقول الرجال ، فكأنها سحرتهم ، والمعنى من قول دعبل :

ما أطيب العيش فأمّا على ... أن لا أرى وَجْهَكِ يوماً فلا

لو أنّ يوماً مِنكِ أو ساعةً ... تباعُ بالدُّنيا إذن ما غلا

وقوله يهوى الحياة : نعت دنفاً ، وروى : يهو ـ بدون ياء على أنه جواب للأمر ـ وقال العكبرى ـ تعليقا على قوله « وإما إن صددت فلا » : الفاء جواب « أما » لأنها أسبق وجواب الشرط محذوف دل عليه الجواب المذكور ؛ ومثله قولك : والله إن تزرنى لأكرمنك بجعل الجواب للقسم لتقدمه وسد جواب القسم مسد جواب الشرط . وإذا قدمت الشرط جعلت الجواب له فتقول :إن تزرنى والله أكرمك .

(٢) نصل الخضاب : ذهب ؛ والسلوة : الاسم ـ من سلا عنه سلواً ـ والسلو : طيب نفس الإلف عن إلفه ، ويقول الرجل لصاحبه سقيتنى سلوة وسلوانا : أى طيبت نفسى عنك ، قال :

---

(١) يريد : حين اصفرت ودانت الغروب ، فكأنها دنف حينئذ ، يقال دنفت الشمس وأدنفت : إذا دنت للمغيب واصفرت .

يُجَنُّ شَـــوْقاً فَلَوْلاَ أَنَّ رَائِحَةً تَزُورُهُ فِي رِيَاحِ الشَّرْقِ مَا عَقَلاَ[1]

هَا فَانْظُرِي أَوْ فَظُنِّي بِي تَرَىْ حُرَقاً مَنْ لَمْ يَذُقْ طَرَفاً مِنْهَا فَقَدْ وَأَلاَ[2]

عَلَّ الْأَمِيرَ يَرَى ذُلِّي فَيَشْفَعَ لِي إِلَى الَّتِي تَرَكَتْنِي فِي الْهَوَى مَثَلاَ[3]

جعلتُ لِعرّاف اليمامةِ حُكمه وعرّافِ نجدٍ إن هُما شفيانى

فما تركا من رُقيـةٍ يعلمانِها ولا ســلوةٍ إلا بِها سقيانى

يقول : إن لا يشب هذا الدنف ــ يعنى نفسه ، لأنه لا يزال شابا ــ فلقد شابت كبده لشدة مايقاسى من حرارة الوجد والشوق ؛ فإن خضبت السلوة ذلك الشيب ذهب ذلك الخضاب ، لأن سلوته لا تبقى ولا تدوم ، فإذا زالت السلوة زال خضاب كبده وعاد شيبه . يريد إذا سلا حينا لم يلبث الشوق أن يعود ، وما أروع قول أبى تمام :

شابَ رَأْسِى ومارَأيْتُ مشيبَ الرَّأْ سِ إلاَّ مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الفؤادِ

والمتنبى نقل شيب الفؤاد إلى الـكبد ، وهو مما استقبح من استعاراته .

(١) يجن : من الجنون ، ويروى يحن ــ من الحنين ، وهو الصبوة والطرب ــ ورواية يجن أليق ليطابق قوله عقلا ــ فى آخر البيت ــ يقول : إن هذا الدنف يصير مجنونا لشدة شوقه ، فلولا أنه يجد رائحة من حبيبه إذا هبت الرياح من ناحية المشرق لما كان له عقل ولـكن يخف جنونه إذا وجد ريح المشرق من قبل أحبائه :

فإنَّ الصَّبا رِيحٌ إذا ما تنَسَّمت على كَبِدٍ مَحْزُونٍ تجلَّتْ هُمُومها

وقد نظر المتنبى فى هذا إلى قول عبد الله بن الدمينة :

وأستنشِقُ النَّسماءَ مِن نحوِ أرضكم كأنى مريضٌ والنسيمُ طبيبُ

(٢) ها : للتنبيه . أى ها أناذا فانظرى : وترى : جواب الأمر ؛ ووأل . نجا يقول : ها أنا ذا فانظرى إلى أو فـكرى فى إن لم تنظرى ترى بى حرقا من حبك ، من لم يجرب القليل منها ، فقد نجا من بلاء الحب ، وقد أجمل المتنبى ما فصله البحترى فى بيتين قال :

أعِيــدى فِىَّ نظرةَ مُسْتَثِيبٍ توخَّى الأجْرَ أو كُرِه الأثاما

تَرَىْ كبِداً مُحرَّقَــةً وَعيناً مؤرَّقَــــةً وقلباً مُسْتهاماً

(٢)عل : كامل ؛ ويشفع ــ بالنصب ــ جواب الترجى ؛ وبالرفع : عطف على يرى

أَيْقَنْتُ أَنَّ سَعِيداً طَالِبٌ بِدَمِي لَمَّا بَصُرْتُ بِهِ بِالرُّمْحِ مُعْتَقِلَا(١)

يقول : لعل الممدوح يرى ما أنا فيه من ذل الهوى فيكون شفيعاً لى إلى الحبيبة ـ التى جعلتنى بحيث يضرب بى المثل فى العشق ـ لتواصلنى بشفاعته ، قال الواحدى : وهذامن قول أبى نواس :

سأشكو إلى الفضل بن يحيى بن خالد هواها لعلَّ الفضلَ يجمعُ بيننا

قال : وهذا أحسن من قول المتنبى لأن الجمع بينهما يمكن بأن يعطيه من المال ما يتوصل به إلى محبوبته ، والشفاعة تكون باللسان، وذلك نوع من القيادة . . قال : على أنى سمعت العروضى يقول : سمعت الشعرانى يقول:لم أسمع المتنبى ينشده إلا فيشفعنى ـ من قولهم كان وتراً فشفعه بآخر وإلى آخر : أى صيره شفعاً . فيكون كما قال أبو نواس .

وقال العكبرى ـ تعليقا على قوله عل ـ : « عل » حرف ذهب أصحابنا الكوفيون إلى أن لامه الأولى أصلية ، وذهب البصريون إلى أنها زائدة . وحجتهم أنها حرف ، والحروف كلها حروفها أصلية ، لأن حروف الزيادة العشرة التى يجمعها « اليوم تنساه» إنما تختص بالأسماء والأفعال ؛ فأما الحروف فلا يدخلها شىء من هذه الحروف على سبيل الزيادة ، بل يحكم على حروفها كلها بأنها أصلية فى كل مكان على كل حال . ألا ترى أن الألف لا تكون فى الاسم والفعل إلا زائدة أو منقلبة ولا يجوز أن يحكم عليها فى « ما » و « لا » بأنها زائدة أو منقلبة بل يحكم عليها بأنها أصلية ؟ فدل على أن اللام الأولى فى « لعل » أصلية ، والذى يدل على ذلك أيضاً أن اللام خاصة لا تكاد تزاد إلا على سبيل الشذوذ ، فكيف يحكم عليها بزيادة فيما لا يجوز فيه الزيادة بحال ؟وحجة البصريين أنهم وجدوها فى كلام العرب وأشعارهم ، كقول نافع الطائى :

ولستُ بلوَّامٍ على الأمر بعدَمَا يفوت ولكن علَّ أن أتقدَّما

وكقول الآخر :

لا تُهِينَ الفقيرَ علَّكَ أن تركع يوماً والدهرُ قد رفعه(١)

(١) بصرت به : أى أبصرته . واعتقل رمحه : جعله بين ركابه وساقه . يقول : إنى

---

(١) لا تهين . أراد لا تهينن ، فحذف النون الخفيفة لما استقبلها ساكن ، والبيت للأضبط بن قريع السعدى .

وَأَيْقَنْتُ أَنِّي غَيْرُ مُحْصٍ فَضْلَ وَالِدِهِ ... وَنَائِلٌ دُونَ نَيْلِي وَصْفَهُ زُحَلاَ(١)

قَيْــلٌ بِمَنْبِجَ مَثْوَاهُ وَنَائِلُهُ ... فِي الْأُفْقِ يَسْأَلُ عَمَّنْ غَيْرَهُ سَأَلاَ(٢)

يَلُوحُ بَدْرُ الدُّجَى فِي صَحْنِ غُرَّتِهِ

وَيَحْمِلُ الْمَوْتُ فِي الْهَيْجَاءِ إِنْ حَمَلاَ(٣)

أيقنت بأن الممدوح يطلب بدمى إن سفكته الحبيبة ويأخذ منها ثأرى لأنى رأيته قد اعتقل رمحه متوجها لقتال الأعداء فعلمت أنه يدرك ثأر أوليائه .

(١) فضل والده : يروى فضل نائله ، والنائل، العطاء . وزحل، الكوكب المعروف وقد كان الظن أنه أبعد الكواكب السيارة من الأرض . يقول ؛ وأيقنت أنى لاأستطيع عد عطائه لكثرته وأنى أدرك زحلا قبل أن أدرك وصف عطائه أو وصف فضل والده .

(٢) القيل ؛ الملك ــ بلغة حمير ــ أو الرئيس دون الملك الأعلى . ومنبج : بلد بالشام . والمثوى . المنزل والمقام . والأفق ، القطر والناحية ؛ وقيل ؛خبرمبتدأ محذوف أى هو قيل؛ وبمنبج خبرمقدم، ومثواه ، مبتدأ مؤخر؛ ونائله ،مبتدأ ،خبره ؛ فى الأفق؛ ويسأل ؛ فى موضع الحال . يقول . هو مقيم بمنبج وعطاؤه يطوف فى الآفاق يسأل عمن يسأل غيره من الناس ، يعنى أن جوده ذاع حتى صرف العفاة عن غيره إليه ، وفى مثل هذا يقول أبو تمام .

فأضحتْ عطاياهُ نوازعَ شُرَّداً ... تسائلُ فى الآفاقِ عَنْ كلِّ سائلِ

ويقول :

وفدتْ إلى الآفاقِ مِنْ معرُوفه ... نِعمٌ تسائلُ عَنْ ذَوى الإقتارِ

ويقول أبو العتاهية :

وإن نحنُ لم نَبغِ معروفه ... فمعرُوفهُ أبداً يَبْتَغِينـــا

(٣) الغرة : غرة الوجه ؛ وصحنها : وسطها ؛ والهيجاء : الحرب . يقول : إن وجهه لحسنه يضىء كالبدر فى ظلام الليل ، وإذا صال على أعدائه فإن الموت يحمل معه ويصول عليهم فيقتلهم ، فالموت من أعوانه ، ويروى : الموت ــ بالنصب ــ أى أنه إذاحمل على أعدائه أصحب الموت حاملا إياه إليهم .

تُرَابُهُ فِي كِلَابٍ كُحْلُ أَعْيُنِهَا   وَسَيْفُهُ فِي جَنَابٍ يَسْبِقُ الْعَذَلَا (١)

لِنُـورِهِ فِي سَمَاءِ الْفَخْرِ مُخْـتَـرَقٌ   لَوْ صَاعَدَ الْفِكْرُ فِيهِ الدَّهْرَ مَا نَزَلَا (٢)

هُوَ الْأَمِيرُ الَّذِي بَادَتْ تَمِيمُ بِهِ   قِدْمًا وَسَاقَ إِلَيْهَا حَيْنُهَا الْأَجَلَا (٣)

لَمَّا رَأَتْهُ وَخَيْـلُ النَّصْرِ مُقْبِلَةٌ   وَالْحَرْبُ غَيْرُ عَوَانٍ أَسْلَمُوا الْحِلَلَا (٤)

وَضَاقَتِ الْأَرْضُ حَتَّى كَانَ هَارِبُهُمْ   إِذَا رَأَى غَيْرَ شَيْءٍ ظَنَّهُ رَجُلَا (٥)

---

(١) يقول : إن كلابا ـ وهم قبيلة الممدوح ـ لشدة حبهم إياه يكتحلون بالتراب الذى يمشى عليه ـ كناية عن اغتباطهم بولائه ، وسيفه فى جناب ـ وهم قبيلة عدوه ـ يسبق ملامة من يلومه فى قتلهم ـ كناية عن شقائهم بعداوته ـ وهذا مثل يقال سبق السيف العذل وأصل ذلك أن الحارث بن ظالم ضرب رجلا فقتله ، فأخبر بعذره ، فقال : سبق السيف العذل ؛ قال الواحدى : وروى هنا بيت منحول ليس فى روايات الديوان وهو:

مهذَّب الجَدِّ يُسْتَسقى الغمامُ له   حُلو كأنَّ على أخلاقه عسلا

أى هو طيب الأصل لأن جده كان مبرأ من العيوب ، وهو مبارك يستنزل به القطر من الغمام فيسقى الله به وهو عذب الأخلاق يستحلى خلقه كأنه معسول: ممزوج بالعسل.

(٢) استعار للفخر « سماء » لعلو الفخر . يقول : له نور يصعد فى سماء الفخر لو صعد فكر واصفه فى مخترقه طوال الدهر ما نزل ، لأنه يبقى يرقى فى أثر ذلك النور فلا يلحقه والمخترق : موضع الاختراق ، ويريد به : المصعد فى الهواء ، كأنه يشق الهواء شقا ، ويريد بالنور : ما اشتهر وذاع فى الناس من ذكره وصيته : أى أنه عال علوا لا يدرك بالوهم والفكر .

(٣) بادت : هلكت ، وقدما : بمعنى قديما : أى زمانا قديما ، ولم يصرف تميما لأنه أراد القبيلة ، فاجتمع فيه التعريف والتأنيث . والحين : الهلاك . يقول : إن هلاكهم بسيفه ساق إليهم الاجل قبل وقته .

(٤) الحرب العوان : التى قوتل فيها المرة بعد المرة والحلل جمع الحلة وهى المنازل التى حلوها . يقول : لما رأت تميم هذا الممدوح وخيله المنصورة قد أقبلت عليهم ولم يقاتلهم بعد : تركوا منازلهم وهربوا فى أول الأمر .

(٥) قال الواحدى : يعنى لشدة ما لحقهم من الخوف ضاقت عليهم الأرض فلم يجدوا مهربا ـ كقوله تعالى « ضاقت عليهم الأرض بما رحبت » ـ وهاربهم إذا رأى ما ليس

فَبَعْدَهُ وَإِلَى ذَا الْيَوْمِ لَوْ رَكَضَتْ ... بِالْخَيْلِ فِى لَهَوَاتِ الطِّفْلِ مَا سَعَلَا[1]

فَقَدْ تَرَكْتَ الْأُلَى لَاقَيْتَهُمْ جَزَراً ... وَقَدْ قَتَلْتَ الْأُلَى لَمْ تَلْقَهُمْ وَجَلَا[2]

بشيء يعبأ به أو توهم ماليس بشى شيئاً ظنه إنساناً يطلبه ، وكذا عادة الهارب الخائف كقول جرير :

ما زلتَ تحسبُ كلَّ شيء بعدهم ... خيلا تكرُّ عليهم ورجالا

قال أبو عبيد : لما أنشد الأخطل قول جرير هذا قال : سرقه والله من كتابهم — يريد القرآن الكريم — : « يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو » قال : ويجوز حذف الصفة وترك الموصوف دالا عليها ، كقوله عليه الصلاة والسلام « لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد » أجمعوا على أن المعنى لا صلاة كاملة فاضلة ، ويقولون هذا ليس بشيء يريدون شيئاً جيدا — وقال بعض المتكلمين : إن الله خلق الأشياء من لا شيء . فقيل هذا خطأ ، لأن لا شيء لا يخلق منه شيء ، ومن قال . إن الله يخلق من لاشيء جعل لاشيء شيئا يخلق منه ؛ والصحيح أن يقال : يخلق لامن شيء لأنه إذا قال لامن شيء : نفى أن يكون قبل خلقه شيء يخلق منه الأشياء .

(١) اللهوات : جمع لهاة ، وهى لحمة فى الحلق عند أصل اللسان . يقول : فبعداليوم الذى بادت فيه تميم إلى يومنا هذا الذى نحن فيه لور كضت خيلهم فى لهوات صبى صغيرلما شعر بهم حتى يسعل لقلتهم وذلتهم . وقد بالغ فى هذا حتى أحال . . . قالوا : وهذامأخوذ من قول الشاعر :

لو أنه حركَ الجردَ الجياد على ... أجفان ذى حلم لم ينتبه فرقا

وفيه نظر إلى قول بعضهم :

وَمَرَّ بِفكرى خاطراً فَجَرَحْتُهُ ... ولم أرَ شيئاً قطُّ يجْرَحُهُ الفكْرُ

وقال بعض الشراح : ويجوز أن يجعل الطفل منهم — أى من تميم — أى ماجسر الطفل منهم أن يسعل خوفا وإشفاقا مع أنه لا عقل له ، فكيف الظن بكبيرهم فى أمر الخوف وله عقل ؟ وعلى هذا : « ركضت » فعل خيل النصر وقبيلته وقومه .

(٢) الألى : بمعنى الذين ، والجزر : اللحم الذى يلقى للسباع ، يقال ما كانوا إلا جزراً لسيوفنا : أى الذين نقتلهم فنلقيهم للسباع ، والوجل : شدة الخوف يقول : إن الذين لقوك منهم أفنيتهم وجعلتهم جزرا للسباع . والذين لم يلقوك ماتوا خوفاً منك .

كَمْ مَهْمَهٍ قَذَفٍ قَلْبُ الدَّلِيـلِ بِهِ ... قَلْبُ الْمُحِبِّ قَضَانِى بَعْدَ مَا مَطَلَا (١)
عَقَدْتُ بِالنَّجْمِ طَرْفِى فِى مَفَاوِزِهِ ... وَحُرَّ وَجْهِى بِحَرِّ الشَّمْسِ إِذْ أَفَلَا (٢)
أَنْكَحْتُ صُمَّ حَصَاهَا خُفَّ يَعْمَلَةٍ ... تَغَشْمَرَتْ بِى إِلَيْكَ السَّهْلَ وَالْجَبَلَا (٣)
لَوْ كُنْتَ حَشْوَ قَمِيصِى فَوْقَ نُمْرُقِهَا ... سَمِعْتَ لِلْجِنِّ فِى غِيطَانِهَا زَجَلَا (٤)

---

(١) المهمه : الفلاء الواسعة ، والقذف : البعيد . يقول : كم فلاة بعيدة مترامية الأطراف قلب الدليل فيها — أى الذى يدل على الطريق — مضطرب خائف كقلب المحب ، قطعتها بعد أن طال السير فيها ، وهذا معنى قوله : قضانى بعد ماطلا ، وهو استعارة جميلة ، لأن المهمه كالمطلوب منه انقطاعه بالمسير فيه وهو — بطوله وتأخير انقطاعه — كالماطل عما يقتضى منه ، فالضمير فى « قضانى » عائد إلى المهمة .

(٢) المفاوز : الفلوات ، والطرف : العين ، وحر الوجه : أشرف موضع فيه أو ما بدا منه . وأفل : غاب . يقول كنت أنظر إلى النجم دائما فى مسيرى ليلا حتى كأن أجفانى معقودة به مخافة أن أضل الطريق ، وإذا غاب النجم — أى فى النهار — كنت أنصب وجهى للشمس دائما حتى كأنه معقود بها ، وإنما يهتدى فى الفلوات إلى الطريق ليلا بالنجم ونهارا بالشمس ، والمراد أنه سافر فيه ليلا ونهارا حتى بلغ ما أراد .

(٣) الصم : الصلاب الشداد من كل شىء ، واليعملة : الناقة القوية . وتغشمرت : تعسفت وركضت على غير قصد . يقول : أو طأت خف ناقتى حجارة المفاوز حتى وطئتها وسارت بى فى السهل والجبل متعسفة حتى وصلت إليك .

(٤) حشو قميصى : يريد بدلى وفى مكانى ، والنمرق : وسادة يعتمد عليها الراكب ، والغيطان : جمع غائط ، وهو ما اطمأن من الأرض وانخفض . والزجل : الصياح والضجيج . يقول : لو كنت مكانى فوق نمرق ناقتى لسمعت أصوات الجن فى وهاد هذه المفاوز . أى أنها مسكن الجن لبعدها عن الإنس ، والعرب إذا وصفت المكان بالبعد جعلته مساكن للجن ، كما قال الأخطل :

ملاعِبُ جِنَّانٍ كأن تُرابها ... إذا اطَّردت فيها الرياح مُغربَلُ

وبيت المتنبى من قول ذى الرمة :

لِلجنِّ بالليلِ فى حافاتها زجل ... كما تجاوبَ يوم الريح عَيْشُومُ

« العيشوم : شجر له صوت مع الريح »

حَتّى وَصَلْتُ بِنَفْسٍ مَاتَ أَكْثَرُهَا ... وَلَيْتَنِي عِشْتُ مِنْهَا بِالَّذِي فَضَلَا[١]

أَرْجُو نَدَاكَ وَلَا أَخْشَى الْمِطَالَ بِهِ ... يَا مَنْ إِذَا وَهَبَ الدُّنْيَا فَقَدْ بَخِلَا[٢]

* * *

وقال فى صباه ـ وقد أهدى له عبيد الله بن خلكان من خراسان هدية فيها سمك من سكر ولوز فى عسل :

قَدْ شَغَلَ النَّاسَ كَثْرَةُ الْأَمَلِ ... وَأَنْتَ بِالْمَكْرُمَاتِ فِى شُغُلِ[٣]

تَمَثَّلُوا حَاتِماً وَلَوْ عَقَلُوا ... لَكُنْتَ فِى الْجُودِ غَايَةَ الْمَثَلِ[٤]

---

(١) يقول : وصلت إلى الممدوح بنفس مات أكثرها : أى ذهب أكثر لحمها وقوتها لما قاست من هول الطريق ومشقته ، ثم تمنى أن يعيش بما بقى من نفسه ليقضى حق الممدوح بخدمته له . وعبارة بعض الشراح : لما جعل ما قاساه من مشقة الطريق موتاً : سمى الإقامة والراحة عيشاً . والمعنى : ليتنى أصادف عيشا بما بقى من عمرى قبل أن أموت ، فقوله ليتنى عشت : أراد ليتنى أعيش ، فعبر بالماضى عن المضارع .

(٢) يقول : لو وهبت الدنيا بأسرها كنت بخيلا لعلو همتك ، فالدنيا حقيرة بالإضافة إلى همتك ، وهذا من قول حسان :

يعطى الجزيلَ ولا يراهُ عندهُ ... إلا كبعض عطيّة المذموم

ومن قول أبى العتاهية :

إنى لأيأسُ منها ثمّ يُطمِعُنى ... فيها احتقارُكَ للدنيا وما فيها

(٣) يقول : إن الناس مشغولون بآمالهم فيك والطمع فيما يأخذون من أموالك وأنت مشغول بتحقيق آمالهم وتصديق أطماعهم ، والبيت فى ذاته يحتمل أن يكون معناه أن الناس مشغولون بطمعهم وحرصهم على حطام الدنيا ، أما أنت فقد شغلت بتبديد هذا الحطام كرماً .

(٤) أراد : تمثلوا بحاتم ، فحذف الباء ضرورة . يريد أن الناس ضربوا المثل بحاتم فقالوا : أكرم من حاتم وأجود من حاتم ، وهم لو نظروا بعين العقل لضربوا المثل بك ، لأنك الغاية فى الجود .

أَهْلاً وَسَهلاً بِمَا بعثْتَ بِهِ ... إيهاً أَبَا قَاسِمٍ وَبالرُّسُلِ [(١)]

هَدِيَّةٌ مَا رَأَيْتُ مُهْدِيَهَا ... إلاَّ رَأَيْتُ الْعِبَادَ فِي رَجُلِ [(٢)]

أَقَلُّ مَا فِي أَقَلِّهَا سَمَكٌ ... يَلْعَبُ فِي بِرْكَةٍ مِنَ الْعَسَلِ [(٣)]

كَيْفَ أُكَافِي عَلَى أَجَلِّ يَدٍ ... مَنْ لاَ يَرَى أَنَّهَا يَدٌ قِبَلِي [(٤)]

* * *

وقال أيضاً فى صباه :

قِفَا تَرَيَا وَدْقِي فَهَاتَا الْمَخَايِلُ ... وَلاَ تَخْشَيَا خُلْفاً لِمَا أَنَا قَائِلُ [(٥)]

---

(١) وبالرسل : عطف على بما بعثت . وإيها : اسم فعل بمعنى كف ودع ؛ أما إيه – بالخفض – فهى الاستزادة من المتكلم . يقول : أهلا وسهلا بهديتك ورسولك فكف ، فقد أكثرت الهدايا وغمرنى إحسانك .

(٢) هدية : خبر مبتدأ محذوف ؛ أى هديتك هدية ما رأيت صاحبها الذى أهداها – يعنى الممدوح – إلا رأيت الناس كلهم فى شخص واحد ، يعنى أنه جمع فيه جميع مافى الناس من معانى الفضل والكرم ، وهذا كما قال أبو نواس :

وليسَ على الله بمستنكرٍ ... أن يجمعَ العالمَ فى واحدِ

وقد قرر المتنبى هذا المعنى فقال :

* أمِ الخلقُ فى شخص حى أعيدا *

وقال :

* ومنزلك الدُّنيا وأنتَ الخلائقُ *

(٣) أراد بالبركة : الوعاء الذى كان فيه العسل ؛ يعنى أن هذه الهدية عظيمة أقل شىء اشتمل عليه أقل مافى هذه الهدية سمك بهذه الصفة .

(٤) أكافى : من المكافأة ، وهى أن يقابل الشىء بمثله ، فأصلها الهمزة . واليد : النعمة : يقول : كيف أكافىء من لا يعتقد فى أعظم نعمة له عندى أنها نعمة احتقاراً لها وتصغيراً ؛ أو تقول : بماذا أكافىء الذى أسدى إلى نعمة عظمية وهو يستصغرها حتى يرى أنها لا تعد نعمة له عندى .

(٥) الودق : المطر . وهاتا : بمعنى هذه . والمخايل جمع المخيلة – بضم الميم وكسر الخاء – السحابة الخليقة بالمطر . والخلف : اسم من الإخلاف فى الوعد . يقول

رَمَانِى خِسَاسُ النَّاسِ مِنْ صَائِبٍ اُسْتِهِ
وَآخَــــرُ قُطْنٌ مِنْ يَدَيْهِ الْجَنَادِلُ(١)

وَمِنْ جَاهِلٍ بِى وَهْوَ يَجْهَلُ جَهْلَهُ   وَيَجْهَلُ عِلْمِى أَنَّهُ بِىَ جَاهِـلُ(٢)

وَيَجْهَلُ أَنِّى مَالِكَ الْأَرْضِ مُعْسِرٌ
وَأَنِّى عَلَى ظَهْرِ السِّمَاكَيْنِ رَاجِــلُ(٣)

ـ لصاحبيه ـ : اصبرا قليلا تريا من أمرى شأنا عظيما فقد ظهرت مخايله وما يشهد لى بتحقيق ما كنت أعدكما من نفسى من قتل الأعداء وبلوغ الآمال ، وإنى لا أقول شيئاً أعد به ولا أفعله .

(١) الصائب : بمعنى المصيب ؛ يقال : صابه يصوبه ، وأصابه يصيبه . وآخر ـ بالنصب ـ عطف على لفظ صائب ، وبالرفع : عطف على الموضع من « صائب » وقطن : خبر مقدم ؛ والجنادل : مبتدأ مؤخر . يقول: عابنى أخساء الناس وأراذلهم من بين من يصيب استه ما يرمينى به : أى يلحقه ما يعيبنى به ، وآخر لا يؤثر فى ما يرمينى به ولا يعلق بى ما يقوله فى كأنه يرمينى بقطعة قطن ، فقوله من صائب استه : كقولهم جاءنى القوم من فارس وراجل ؛ يعنى أنهم من هذين الجنسين .

(٢) أى ومن رجل آخر لا يعرفنى ولا يعرف أنه جاهل بى ، فهاتان جهالتان ، ويجهل أنى أعلم أنه جاهل بى . فعلمى : مفعول يجهل ، وأنه : مفعول علمى : أى يجهل معرفتى بجهله بى . ومما يتصل بهذا المعنى قول الخليل بن أحمد صاحب علم العروض :

لو كنت تعلم ما أقول عـذرتنى   أو كنتُ أجهل ماتقول عذلتكا
لكن جهلتَ مقالتى فعذلتنى   وعلمتُ أنك جاهل فعذرتـكا

وقول الآخر :

جهلتَ ولم تعـلم بأنك جاهـل   فمَنْ لِى بِأَنْ تدرى بأنَّكَ لا تدرى

(٣) مالك الأرض : نصب على الحال ، وعلى ظهر السماكين : فى موضع الحال . يقول : ويجهل هذا الجاهل أنى فى الحال التى أملك فيها الأرض أعد نفسى معسراً بالقياس إلى مقتضى همتى ، وأنى إذا علوت السماء وركبت السماكين عددت نفسى راجلا ، لاقتضاء همتى مافوق ذلك .

تُحَقِّرُ عِنْدِي هِمَّتِي كُلَّ مَطْلَبٍ ... وَيَقْصُرُ فِي عَيْنِي المَدَى المُتَطَاوِلُ[١]
وَمَازِلْتُ طَوْدًا لَا تَزُولُ مَنَاكِبِي ... إِلَى أَنْ بَدَتْ لِلضَّيْمِ فِيَّ زَلَازِلُ[٢]
فَقَلْقَلْتُ بِالْهَمِّ الَّذِي قَلْقَلَ الْحَشَا ... قَلَاقِلَ عِيسٍ كُلُّهُنَّ قَلَاقِلُ[٣]

---

(١) يقول : إن همتى ترينى كل شىء أطلبه حقيراً ، والغاية البعيدة قصيرة فى عينى .

(٢) الطود : الجبل العظيم ؛ ومناكبه : أعاليه . والضيم : الظلم . يقول : لم أزل ثابتاً ذا وقار كالطود لا يحركنى شىء إلى أن ظلمت فلم أطق الظلم وإنما تجردت لدفعه عن نفسى .

(٣) القلقلة : التحريك ؛ ويريد بالحشا : مافى داخل الجوف . والقلاقل ـ الأولى ـ جمع قلقل ، وهى الناقة الخفيفة ؛ ويقال أيضاً : رجل قلقل ، وفرس قلقل : إذا كانا سريعى الحركة . والقلاقل ـ الثانية ـ جمع قلقلة ، وهى الحركة . يقول حركت ـ بسبب الهم الذى حرك نفسى ـ إبلا خفافا فى السير ، يعنى سافرت ولم أعرج بالمقام الذى يلحقنى فيه الضيم . ويجوز أن تكون القلاقل الثانية أيضاً بمعنى الأولى ، وإذن : يعود الضمير من كلهن على العيس ، لا على القلاقل . يقول : خفاف إبل كلهن خفاف ، يعنى أنهن خفاف الخفاف وسراع السراع كما يقال : أفضل الفضلاء . هذا : وقد عاب الصاحب بن عباد أبا الطيب بهذا البيت قال : ماله قلقل الله أحشاءه وهذه القافات الباردة ؟ قال الواحدى : ولا يلزمه فى هذا عيب فقد جرت عادة الشعراء بمثله ـ قال الثعالبى : قال لى أبو نصر بن المرزبان : ثلاثة من رؤساء الشعراء : شلشل أحدهم . وسلسل الثانى ، وقلقل الثالث ؛ أما الذى شلشل فالأعشى ـ وهو من رؤساء شعراء الجاهلية ـ قال :

وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى الحَانُوتِ يَتْبَعُنِي ... شَاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ

« الشاوى : الذى شوى ؛ والمشل : المطرد ؛ والشلول : الخفيف ؛ والشلشل : الخفيف القليل ، وكذلك الشول ، والألفاظ متقاربة . أريد بذكرها والجمع بينها : المبالغة » . وأما الذى سلسل فمسلم بن الوليد إذ يقول :

سُلَّتْ وَسُلَّتْ ثُمَّ سُلَّ سَلِيلُهَا ... فَأَتَى سَلِيلُ سَلِيلِهَا مَسْلُولَا

وأما الذى قلقل فهو المتنبي الذى . يقول : البيت ـ ثم قال : لى فبلبل أنت أيضاً ، فقلت : أخشى أن أكون رابع الشعراء ، أعنى قول من قال :

إذَا اللَّيْلُ وَارَنَا أَرَتْنَا خِفَافُهَا ... بِقَدْحِ الْحَصَى مَالاَ تُرِينَا الْمَشَاعِلُ(١)

كَأَنِّى مِنَ الْوَجْنَاءِ فى ظَهْرِ مَوْجَةٍ ... رَمَتْ بِى بِحَاراً مَا لَهُنَّ سَوَاحِلُ(٢)

يُخَيِّلُ لِى أَنَّ الْبِلاَدَ مَسَامِعِى، ... وَأَنِّى فِيهَا مَا تَقُولُ الْعَوَاذِلُ(٣)

وَمَنْ يَبْغِ مَا أَبْغِى مِنَ الْمَجْدِ وَالْعُلاَ
تَسَاوَى الْمَحَايِى عِنْدَهُ وَالْمَقَاتِلُ(٤)

الشعراء ـ فاعلمَنَّ ـ أربعهْ ... فشاعر يَجْرِى ولاَ يُجْرَى معهْ

وشاعر يُنْشِدُ وسْط المعمعه ... وشاعر من حقّه أن تسمَعَه

* وشاعر من حقه أن تصفَعه *

قال ثم قلت بعد حين من الدهر :

وإذا البلابلُ أفصحت بِلغَاتِها ... فانفِ البلابِلَ باحتساء بلابِلِ

قال الثعالبى : وفى هذا ما يبطل إنكار ابن عباد على أبى الطيب .

(١) وارانا : سترنا . والمشاعل : جمع مشعلة ـ بفتح الميم ـ النار الموقدة ، وبكسر الميم : الآلة التى تحمل فيها النار ، يقول : إذا سترنا الليل بظلامه أسرعت هذه الإبل حتى تصطك الحجارة بعضها ببعض وتتقدح النار فيها فترى مالا نراه بضوء المشاعل .

(٢) الوجناء : الناقة الشديدة . جعل الناقة لشدة عدوها كالموج ، وجعل المفازة كالبحار فى سعتها . يقول : كأنى منها إذا ركبتها فى هذه المفازة فى ظهر موج ترمينى فى بحر لاساحل له .

(٣) يقول : يخيل إلى أن البلاد تلفظنى فلا أستقر فيها . كما لا يستقر فى مسامعى كلام العذال . يريد أنه دائم الأسفار لا يلقى عصاه ببلد حتى ينتقل إلى غيره ، وهذا المعنى من قول القائل :

* كأنى قذًى فى عينِ كلِّ بلادِ *

وقد قال البحترى .

تَقاذَفُ بى بلاد عن بلادٍ ... كأنى بينهـا عَيْرٌ شرُودُ

(٤) العلا : جمع العليا ، تأنيث الأعلى ـ كالكبر فى جمع الكبرى ـ وتساوى : إن كان ماضياً ثبت الياء فى آخره ، وهو فى موضع جزم ؛ وإن كان بمعنى تتساوى ـ بحذف إحدى التاءين ـ فلا ياء ، لأنه مجزوم لوقوعه جواباً للشرط والمحايى والمقاتل جمع المحيا والمقتل : مصدرين ميميين بمعنى الحياة والقتل يقول : من يطلب ما أطلب

أَلاَ لَيْسَتِ الْحَاجَاتُ إِلاَّ نُفُوسَكُمْ   وَلَيْسَ لَنَا إِلاَّ السُّيُوفَ وَسَائِلُ(١)

فَمَا وَرَدَتْ رُوحَ امْرِئٍ رُوحُهُ لَهُ
وَلاَ صَدَرَتْ عَنْ بَاخِلٍ وَهْوَ بَاخِلُ(٢)

غَثَاثَةُ عَيْشِي أَنْ تَغِثَّ كَرَامَتِي   وَلَيْسَ بِغَثٍّ أَنْ تَغِثَّ الْمَآكِلُ(٣)

***

وقال لصديق له فى صباه :

أَحْبَبْتُ بِرَّكَ إِذْ أَرَدْتَ رَحِيلاَ
فَوَجَدْتُ أَكْثَرَ مَا وَجَدْتُ قَلِيلاَ(٤)

وَعَلِمْتُ أَنَّكَ فِى الْمَكَارِمِ رَاغِبٌ   صَبٌّ إِلَيْهَا بُكْرَةً وَأَصِيلاَ(٥)

فَجَعَلْتُ مَا تُهْدِى إِلَىَّ هَدِيَّةً   مِنِّى إِلَيْكَ وَظَرْفَهَا التَّأْمِيلاَ(٦)

من الشرف والرتب العالية استوى لديه الحياة والقتل ، لأنه علم أن معالى الأمور فيها المخاوف والهلاك ، فيكون قد وطن نفسه على الهلاك ، فهو يصبر عليه ولا يكترث له

(١) نصب السيوف لانها استثناء مقدم كبيت الكميت :

ومالى إلا آلَ أحمدَ شيعة   ومالى إلا مذهبَ الحقِّ مذهبُ

والوسائل جمع الوسيلة ، وهى الواسطة بين الطالب والمطلوب . يقول : ــ لملوك عصره ــ : لا نطلب إلا أرواحكم ولا نتوسل إلا بسيوفنا .

(٢) قال ابن جنى : يعنى إذا وردت السيوف روح امرىء كانت أملك بها منه وإذا صدرت عنه صار وإن كان بخيلا غير بخيل، لأن السيف ينال منه ما يطلب منه أو يفتدى روحه بماله :

(٣) الغث : الردىء من كل شىء ؛ وأصله من غث اللحم : إذا كان مهزولا . يقول رداءة عيشى فى رداءة كرامتى لا فى رداءة مطاعمى

(٤) الرحيل : اسم بمعنى الارتحال . يقول : لما أزمعت أن ترحل مسافراً أحببت أن أبرك ، فوجدت أكثر ما عندى قليلا بالإضافة إلى عظم قدرك .

(٥) الصب : المشتاق ؛ ورغب فى الشىء : أراده وطلبه : ورغب عنه : لم يرده : والبكرة : أول النهار : والأصيل : آخره .

(٦) قال الواحدى : قال ابن جنى . هذا البيت يحتمل معنين : أحدهما أن يكون

بِرٌّ يَخِفُّ عَلَى يَدَيْكَ قَبُولُهُ ، وَيَكُونُ مَحْمِلُهُ عَلَيَّ ثَقِيلا(١)

***

وقال يمدح شجاع بن محمد الطائى المِنبجى :

عَزِيزُ أَسًى مَنْ دَاؤُهُ الْحَدَقُ النُّجْلُ

عَيَاءٌ بِهِ مَاتَ الْمُحِبُّونَ مِنْ قَبْلُ(٢)

أهدى إليه شيئاً كان أهداه إليه صديقه الممدوح ، والآخر : أن يكون أراد جعلت ما كان من عادتك أن تهديه إلى وتزودنيه وقت فراقك هدية منى إليك ، أى أسألك أن لا تتكلفه لى ، ثم قال الواحدى : قال العروضى فيما أملاه على مما استدركه على ابن جنى : أراد ـ أى المتنبى ـ أنك تحب أن تعطى فجعلت قبول هديتك إلى هدية منى إليك لحبك ذلك . وقول العروضى أمدح وأليق بما قبله من رغبته فى المكارم واشتياقه إليها . وقوله وظرفها التأميلا : فالظرف وعاء الشىء . يقول : جعلت تأميلى مشتملا على قبول هذه الهدية كاشتمال الظرف على ما فيه .

(١) قال ابن جنى : أى لا كلفة عليك فيه ، لأنى لم أتكلف لك شيئا من مالى ، وإنما هو مالك عاد إليك أو بقى بحاله لديك ، ويكون تحمل شكرك على قبوله ثقيلا على لتكامل صنيعك به ، وقال العروضى : هذا البيت تأكيد لما فسرته ، فتأمله ، لأنه يقول : هذه الهدية بر تحبه فيخف عليك قبوله لأنه إعطاء لى ، وأنت تخف إلى الإعطاء ولا منة عليك فيه وإنما المنة لك ، ومحمله إنما يثقل على لا عليك ، لأنك إذا أعطيتنى أثقلت رقبتى بالشكر .

(٢) العزيز : الشىء الذى يقل وجوده ، ويجوز أن يكون بمعنى شديد صعب غالب للصبر ، والأسى : العلاج ، يقال : أسوت الجرح آسوه أسوا وأسى إذا داويته وأصلحته قال الأعشى :

عنده البرُّ والتُّقى وأسا الشـقِّ وحَمْلٌ لمضلِـع الأثقالِ(١)

وعزيز : خبر مقدم ، وهو مضاف إلى أسى ، ومن دوائه : مبتدأ مؤخر . والنجل جمع النجلاء ، الواسعة . والعياء : الداء الذى لا علاج له قد أعيا الأطباء . وهو خبر عن ضمير محذوف يرجع إلى الداء أو إلى الحدق ، يقول : يعز علاج من داؤه هوى الحدق النجل وهو داء عياء به مات العشاق من قبلنا ويروى عزيز أسى من داؤه ـ بتنوين عزيز ـ

(١) الشق : الصدع ، ويروى : الصدع . ، والمضلع : المثقل للأضلاع ، أى الأثقال والأحمال المضلعة .

فَمَنْ شَـــاءَ فَلْيَنْظُرْ إِلَيَّ فَمَنْظَرِى
نَذِيرٌ إِلَى مَنْ ظَنَّ أَنَّ الْهَوَى سَهْلُ(١)

وإضافة أسى إلى « من » ورفعه بالابتداء لتخصصه بالإضافة ، وعزيز : خبره ، والتقدير أسى من داؤه الحدق النجل عزيز . ويروى عزيز أسى — على أن أسى تمييز كما تقول : عزيز دواء ، فيكون عزيز خبراً مقدما ، ومن داؤه : مبتدأ مؤخر ، قال العكبرى : وهذا إذا جعلت « من » معرفة ، أما إذا جعلت « من » نكرة كان عزيز مبتدأ . وذهب بعض النحويين إلى أن المبتدأ والخبر إذا كانا نكرتين فالمبتدأ هو الأول لا غير ؛ وقد يكون المبتدأ والخبر نكرتين وأحدهما أخص من الآخر ، كقولك : ذهب خاتم فى أصبعه ، فخاتم هنا أخص من ذهب ، وهو ثان ، فيكون مبتدأ أولى من ذهب .

و« من » توصف . على وجهين بالجملة والمفرد ، فوصفها بالجملة نحو :

رُبَّ مَنْ أَنضجتُ غَيظاً قلبه قد تمنّى لِىَ مَوْتاً لم يُطَعِ(١)

وبالمفرد نحو قول حسان بن ثابت رضى الله عنه :

فكفى بنا فضلاً على مَن غيرِنا حُبُّ النبىِّ محمدٍ إيانا(٢)

فمن : نكرة فى البيتين ، لأن « رب » لا يليها المعرفة . وقول حسان : على من ؛ أى على قوم أوناس ؛ ويجوز رفع « غيرنا » على أنه خبر مبتدأ محذوف . يريد من هو غيرنا ، كقراءة الأعمش « تماما على الذى أحسن » بالرفع ، فيجعل « من » موصولة ؛ ويجوز لمن نون أسى — أى ونون عزيز — أن يرفع من رفع الفاعل بفعله على رأى الكوفيين والأعمش من إعمال اسم الفاعل ، والصفة المشبهة باسم الفاعل من غير اعتماد ، كقولك قائم غلامك :

(١) منظرى : أى موضع النظر منى ، ويجوز أن يكون مصدراً مضافاً إلى المفعول

---

(١) من أبيات لسويد ابن أبى كاهل اليشكرى : وبعده :

ويرانى كالشجا فى حلقه عَسِراً مُخرَجهُ ما يُنتزعْ
ويحيِّينى إذا لاقيتــه وإذا مُكّنَ من لحمى رتعْ

وقوله رب من : أى رب رجل أنضجت قلبه من الغيظ : أى أكمدته . والشجا : ما يعترض فى الحلق ؛ ومخرجه : إخراجه ؛ ورتع : أكل فيه كيف شاء .

(٢) فضلا : يروى شرفاً ، وهو تمييز ؛ وحب : فاعل كفى ؛ والباء زائدة فى المفعول ، وهو « بنا » .

وَمَا هِيَ إلاَّ لَحْظَةٌ بعدَ لَحْظَةٍ إذَا نَزَلَتْ فى قَلْبِهِ رَحَلَ العَقْلُ(١)

جَرَى حُبُّهَا مَجْرى دَمِي فى مَفَاصِلِي
فَأَصْبَحَ لِي عَنْ كُلِّ شُغْلٍ بِهَا شُغْلُ(٢)

وَمِنْ جَسَدِي لَمْ يَتْرُكِ السُّقْمُ شَعْرَةً
فَمَا فَوْقَهَا إلاَّ وَفِيهَا لَهُ فِعْلُ(٣)

إذَا عَذَلُوا فِيهَا أَجَبْتُ بأَنَّةٍ حُبَيِّبَتَا قَلْبًا فُؤَادًا هَيَا جُمْلُ(٤)

والنذير : المنذر ؛ وعداه بإلى على تضمينه معنى الرسول . يقول : من أراد أن يعرف حال الهوى فلينظر إلى فمنظرى منظر من ظن أن أمر الهوى سهل .

(١) الضمير : للقصة والشأن . يقول : ماهى إلا أن يلحظ العاشق مرة بعد أخرى فإذا تمكنت النظرة من قلبه رحل عقله وطار ، لأن الهوى والعقل لا يجتمعان .

(٢) يقول : جرى حب هذه المحبوبة فى عروقى مجرى الدم لشدة امتزاجه بى ، فشغلنى عن كل ماسواها ، ويروى به ـ أى بالحب ـ ؛ وقوله حبها : الضمير للمحبوبة وإن لم يجر لها ذكر لدلالة المقام ، وهو كثير فى كلامهم . قال الواحدى : ويروى بعد هذا البيت بيتان منحولان وهما :

سَبتنى بِدَلٍّ ذاتُ حُسْنٍ يَزِينها تَكَحُّلُ عَينيها وليس لها كُحلُ
كأنَّ لحاظ العَينِ فى فَتكِهِ بنا رقيبٌ تعدّى أو عدوٌّ له دَخلُ

« سبتنى أسرتى ؛ والدل : الدلال ؛ واللحاظ : مؤخر العين ؛ والدخل : الريبة »

(٣) فما فوقها : أى فما هو أعظم منها ، ويجوز أن يريد فما دونها فى الصغر ، يقول : قد أثر سقم الهوى فى كل شىء من بدنى فظهر فيه فعله . وما أبدع قول القائل فى مثل هذا المعنى :

خَطراتُ ذِكرِكِ تستفِزُّ مدامعى فأحِسُّ منها فى الفؤادِ دبيبا
لا عُضوَ لى إلا وفيه صَبابةٌ فكأنَّ أعضائى خُلقن قلوبا

(٤) عذلوا : لاموا . وأنة : فعلة من الأنين ، يكون من شدة الوجع . تقول أن يئن أنينا : إذا اشتكى وجعا ، وهيا : حرف نداء ـ كيا وأيا وأى والهمزة ـ والحبيبة: تصغير الحبيبة . قال العكبرى : قوله حبيبتا : أراد حبيبة فصغرها للتقريب من قلبه ، كقول بعضهم :

كَأَنَّ رَقِيباً مِنْكِ سَدَّ مَسَامِعِي
عَنِ الْعَذْلِ حَتَّى لَيْسَ يَدْخُلُهَا الْعَذْلُ(١)

يابنَ أمى ويا حبيبَ نفسى أنتَ خلقتَنى لدهر شديد

وتصغير التعظيم كقول لبيد :

وكلُّ أناس سوفَ تدخل بينهم دُوَيْهِيَةٌ تصفرُّ منها الأناملُ

وكقول الحباب بن منذر يوم السقيفة «أنه جذيلها المحكك وعذيقها المرجب»(١)

وتصغير التحقير مثل أنيسان ونحوه . قال ابن جنى : والألف فى « حبيبتا » وفى « قلبا » وفى « فؤادا » : بدل من ياء الإضافة ، وكلها فى موضع نصب ، لأنه نداء مضاف ، أراد : ياحبيبتى ، ياقلبى ، يافؤادى ، ياجمل ـ وجمل اسم الحبيبة ـ وقال الواحدى : يجوز أن تكون الألف فيها للندبة أراد ياحبيبتاه ، ياقلباه ، يافؤاداه ، فحذف الهاء للدرج قال : وكذا ذكر ابن فورجه ، ثم قال ابن فورجه : قلبا فؤادا يدعوهما لأنه يتشكاهما شكوى العليل ، كما قال ديسم ابن شاذلويه الكردى :

أنينى أنيسى، وشجوى وسادى، وعَينى كحيلٌ بشوك القتادِ
إذا قيل دَيسمُ ما تشتكى أقول بشَجْوٍ فؤادى فؤادِى

فهذا أيضاً يقول قلبى فؤادى : أى هو الذى أتشكاه ، ومعنى البيت: إنى إذا عذلت فى حبها أجبتهم بأنة ثم قلت قلبى فؤادى ياجمل . يريد أنى لا ألتفت إلى العذل ولا أزيد على الأنين ودعاء المحبوب ليغيثنى مما أنا فيه . وقال بعض الشراح : قلباً فؤاداً فى محل رفع على تقدير حبيبتى قلبى فؤادى : أى هى لى بمنزلة القلب ، وعلى هذا « جمل » اسم واحدة من العواذل : أى أقول لها هى قلبى فلا أفارقها ولا أسمع عذلك فيها :

(١) المسامع : جمع مسمع ـ كمنبر ـ الأذن . يقول ـ لمحبوبته ـ : كأنك أقمت رقيبا

---

(١) عنى بالجذيل ـ ههنا ـ الأصل من الشجرة تحتك به الإبل فتشتفى به : أى قد جربتنى الأمور ولى رأى وعلم يشتفى بهما كما تشتفى هذه الإبل الجربى بهذا الجذل ؛ وصغر على جهة المدح ؛ وعذيق : تصغير العذق ، وهو النخلة ؛ والترجيب : إرفاد النخلة من جانب ليمنعها من السقوط : أى أن لى عشيرة تعضدنى وتمنعنى وترفدنى ؛ والتصغير للتعظيم .

كَأَنَّ سُهَادَ اللَّيْلِ يَعْشَقُ مُقْلَتِي ، فَبَيْنَهُمَا فِي كُلِّ هَجْرٍ لَنَا وَصْلُ(١)
أُحِبُّ الَّتِي فِي الْبَــدْرِ مِنْهَا مَشَابِهٌ ، وَأَشْكُو إِلَى مَنْ لَا يُصَابُ لَهُ شَكْلُ(٢)

على مسامعي يحول دون العذل فليس يدخلها ؛ وأول هذا البيت من قول العباس ابن الأحنف :

أقامت على قلبي رقيباً وناظرى فليس يؤدّى عن سواها إلى قلبي

وقول الآخر :

كأن رقيباً منك يرعى خواطرى ، وآخرَ يرعى ناظرى ولسانى

هذا : والرقيب الحافظ ، والرقيب : المنتظر ، رقبه يرقبه رقبة ورقباناً — بالكسر فيهما — ورقوبا ، وترقبه وارتقبه : انتظره ورصده ، ورقيب القداح : الأمين على الضريب ، وقيل هو أمين أصحاب الميسر ، وهو أيضا اسم السهم الثالث من قداح الميسر ؛ والرقيب الذى فى المشرق يراقب الغارب ومنازل القمر ، كل واحد منها رقيب لصاحبه ، كلما طلع منها واحد سقط آخر ، مثل الثريا رقيبها الإكليل : إذا طلعت الثريا عشاء غاب الإكليل ، وإذا طلع الإكليل عشاء غابت الثريا ؛ قال : —

أحقاً عبادَ الله أنْ لستُ لاقيا بثينة أوْ يَلقى الثريَّا رقيبُها

(١) السهاد : الأرق ، وقد سهد الرجل — بالكسر — يسهد سهدا وسهدا وسهادا : لم ينم . ورجل سهد : قليل النوم ، قال أبو كبير الهذلى :

فأتت بهِ حُوشَ الفؤادِ مُبطناً سُهداً إذا ما نام ليلُ الهوْجَلِ(١)

والضمير فى «بينهما» : للسهاد والمقلة . يقول : إذا تهاجرنا واصل السهاد عينى ، أى لم أنم وجداً لفقد من أحبه ، وهذا كقوله — أى المتنبى — :

إنى لأبغض طَيف مَن أحبته إذ كان يهجرُنا زمانَ وِصالهِ

فجعل الطيف يهجر عند الوصال ، كما أن السهاد يصل عند الهجران .

(٢) المشابه : جمع الشبه — بفتحتين — على غير قياس . ويصاب : يوجد . والشكل المشاكل ، أى الشبيه والنظير . تخلص فى هذا البيت من النسيب إلى المديح مفضلا

---

(١) رجل حوش الفؤاد : حديده ، والهوجل : الرجل الأهوج ، والمبطن : الضامر البطن .

إِلَى وَاحِدِ الدُّنْيَا إِلَى ابْنِ مُحَمَّدٍ   شُجَاعِ الذِي لِلّٰهِ ثُمَّ لَهُ الفَضْلُ[(١)]

الممدوح بالكمال على المعشوق فى الجمال ، فذكر أن فى البدر أنواعا من شبه الحبيبة منها الحسن والضياء والعلو والبعد عن الناس ؛ ثم قال : وأشكو هواها إلى من لا يوجد له نظير ، وإنما يشكو إليه ليعطيه من المال ما يتوصل به إليها .

(١) شجاع الذى : أراد شجاع الذى ، بالتنوين ، فحذفه لسكونه وسكون اللام الأولى من «الذى» وذلك كثير فى الشعر . وعبارة العكبرى :شجاع بدل من ،«ابن»وحذف منه التنوين على مذهبه ، ومثله كثير فى الشعر القديم والحديث ، ومنه ما ذكر مسلم والبخارى وابن إسحاق فى المغازى من قول عباس بن مرداس السلمى بالجعرانة للنبى صلى الله عليه وسلم حين أعطى الأقرع ابن حابس التميمى وعيينة بن حصن الفزارى من أموال هوازن كل واحد منهما مائة من الإبل وأعطى العباس دونهما فقال :

أَتَجعلُ نَهبِي ونَهبَ العُبيـــدِ   بَيْنَ عُيينـــةَ والأقرعِ

وما كانَ حِصْنٌ ولا حابِسٌ   يَفوقانِ مِرداسَ فى المجمعِ

وما كنتُ دون امرىءٍ مِنهما   ومَن تخفِضِ اليومَ لاَ يُرفَعِ[(١)]

فترك تنوين مرداس ، وهو اسم منصرف ، ومثله :

عَمرو العُلا هشمَ الثريدَ لقومِهِ   ورجالُ مكةَ مُسْنِتونَ عِجافُ[(٢)]

فهذا حجة الكوفيين فى ترك صرف ما ينصرف ضرورة ، والقياس إذا كان يجوز حذف الواو المتحركة للضرورة فى قول الشاعر — وهو بيت الكتاب — :

فَبيناه يَشرِى رَحلهُ قال قائِلٌ   لِمَنْ جَمَلٌ رِخْوُ المِلاطِ نجيبُ[(٣)]

(١) النهب — ههنا — بمعنى المنهوب ، والعبيد — مصغر — اسم فرسه .

(٢) هو لابنه هاشم بن عبد مناف جد النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان يسمى عمراً ، وهو أول من ثرد الثريد وهشمه فسمى هاشماً ، فقالت فيه ابنته هذا البيت ؛ وقيل هو لابن الزبعرى ، ومسنتون ، أصابتهم سنة وقحط ، وأجدبوا ؛ والعجاف : من العجف ، وهو الهزال وذهاب السمن .

(٣) هو للعجير السلولى ، وصف بعيراً ضل عن صاحبه ، فيئس منه ، وجعل يبيع رحله ، فبينا هو كذلك سمع منادياً يبشر به ، وإنما وصف ما ورد عليه من السرور بعد الأسف والحزن ؛ والملاط : ماولى العضد من الجنب . ويقال

إلَى الثَّمَرِ الْحُلْوِ الَّذِي طَيِّئٌ لَهُ فُرُوعٌ وَقَحْطَانُ بْنُ هُودٍ لَهُ أَصْلُ(١)

إلَى سَيِّدٍ لَوْ بَشَّرَ اللهُ أُمَّةً بِغَيْرِ نَبِيٍّ بَشَّرَتْنَا بِهِ الرُّسْلُ(٢)

لجواز حذف التنوين للضرورة أولى ، لأن الواو من « هو » متحركة ، والتقدير فبينا هو ، والتنوين ساكن ، ولا خلاف أن حذف الساكن أسهل من المتحرك ، وحجة بعض نحاة البصريين أن الأصل فى الأسماء الصرف ، فلو جوزنا لأدى ذلك إلى رده عن عن الأصل إلى غير الأصل ، وإلا التبس ما ينصرف بما لا ينصرف . وقد تقدم ما هو أوفى من ذلك فيما أسلفنا من هذا الشرح

(١) طيء : قبيلة الممدوح ، وقحطان بن هود : أبو قبائل اليمن ، وعدنان أبو قبائل العرب . وجعل الممدوح كالثمر الحلو فى جوده وحسن خلقه . وقوله له : أى للثمر ، ومن روى « لها » : فالضمير للفروع ، أو لطيء . يقول : إنه ثمر قد خرج من غصون هى طيء ، وهذه الغصون قد خرجت من أصل هو قحطان .

(٢) يقول : إن الله سبحانه لا يبشر عباده بأحد من الخلق إلا أن يكون نبياً ، فلو كان يبشر بغير نبى لبشرنا به على لسان الرسل ، ويروى : لو بشر الله خلقه . هذا : وقال الجوهرى : يقال بشرت الرجل أبشره بالضم بشرا وبشوراً من البشرى ، وكذلك الإبشار والتبشير ، والاسم البشارة ـ بكسر الباء وضمها ـ يقال بشرته بمولود فأبشر إبشارا : أى سر ، وبشرت بكذا ـ بالكسر ـ أبشر : استبشرت به ، قال عبد القيس ابن خفاف البرجمى :

وإذا رأيت الباهشينَ إلى العلا غُبْراً أكفهم بِقاعٍ مُمحِل

فأعِنهم وابْشِر بما بشِروا بِهِ وإذا هُمُ نزلوا بضَنكٍ فانزلِ

وقال بعض علماء اللغة : البشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير ، وإنما تكون بالشر إذا كانت مقيدة ، كقوله تعالى « فبشرهم بعذاب أليم ، وقد يكون هذا على حد قولهم : تحيتك الضرب ، وعتابك السيف .

للعضدين : ابنا ملاط ، ووصفه برخاوته لأن ذلك أشد لتجافى عضديه عن كركرته وأبعد له من أن يصيبه ناكث أو ماسح أو ضبب ، وهذه كلها آفات تلحقه إذا حك بعضده كركرته ـ زور البعير ـ ومعنى يشرى : يبيع ، وهو من الأضداد .

إِلَى الْقَابِضِ الْأَرْوَاحِ وَالضَّيْغَمِ الَّذِى
تُحَدِّثُ عَنْ وَقْفَاتِهِ الْخَيْـــلُ وَالرَّجْلُ[(١)]

إِلَى رَبِّ مَالٍ كُلَّمَا شَتَّ شَمْلُهُ تَجَمَّعَ فِى تَشْتِيتِهِ لِلْعُلَا شَمْلُ[(٢)]

هُمَامٌ إِذَا مَا فَارَقَ الْغِمْدَ سَيْفُهُ وَعَايَنْتَهُ لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا النَّصْلُ[(٣)]

رَأَيْتُ ابْنَ أُمِّ الْمَوْتِ لَوْ أَنَّ بَأْسَـــهُ
فَشَا بَيْنَ أَهْلِ الْأَرْضِ لَانْقَطَعَ النَّسْلُ[(٤)]

عَلَى سَابِحٍ مَوْجَ الْمَنَـايَا بِنَحْرِهِ
غَـــدَاةَ كَأَنَّ النَّبْلَ فِى صَدْرِهِ وَبْلُ[(٥)]

---

(١) الضيغم : الأسد . وسكن القاف ــ فى وقفاته ــ للضرورة . وقوله تحدث الخيل: يعنى أصحابها ؛ أى الفرسان . والرجل : الرجالة وهم المشاة . وإلى القابض الأرواح : أى أشكو إلى قابض الأرواح . يريد لكثرة غزواته ووقائعه وقتله الاعداء . والأرواح تروى بالنصب على أنها مفعول القابض ، وبالخفض على الإضافة ، مثل الحسن الوجه .

(٢) شت : تفرق ، والشمل : الاجتماع . يقول : كلما تفرق جمع ماله اجتمع شمل معاليه ؛ وعبارة بعض الشراح : كلما جمع مالا من غزواته أو فرقه على أولياء تجمع له شمل المعالى

(٣) من خفض هماما : فعلى البدل مما تقدم ، ومن رفعه : فعلى إضمار مبتدأ محذوف، والهمام : الملك الرفيع الهمة . والغمد : جفن السيف . يقول : إنه يمضى فى الامور مضاء السيف ، فإذا جرد سيفه من غمده لم تدر أيهما السيف كما قال أبو تمام :

يَمدّون بالبِيْض القواطِع أيدياً وَهُنَّ سواء والسيوفُ القواطع

(٤) ابن أم الموت : يعنى أخا الموت، جعله أخا للموت لكثرة قتله أعداءه والباس: الشدة . وفشا شاع يقول : لو كان لكل أحد من الناس بأسه لكانوا كلهم شجعانا وإذ ذاك يقتل بعضهم بعضا فينقطع النسل لكثرة القتل

(٥) السابح : الفرس الذى كأنه من حسن جريه يسبح ، ولما سمى فرسه سابحا : استعار للمنايا موجاً ، ونصب « موج المنايا » على الظرفية : أى فى موج المنايا و« بنحره » صلة سابح ، وهذا كقول مالك بن خالد الخناعى :

وَكَمْ عَيْنِ قِرْنٍ حَدَّقَتْ لِنِزَالِهِ   فَلَمْ تُغْضِ إِلَّا وَالسِّنَانُ لَهَا كُحْلُ[(٢)]

بِأَسْرَعَ الشَّدَّ مِنِى يَوْمَ لَانِيَةٌ   لَمَّا عَرَفْتُهُم واهْتَزَّتِ اللِّمَمُ[(١)]

أراد بأسرع فى الشد منى ، فحذف ونصب ؛ ويروى موج المنايا ـ بالرفع ـ فيكون « موج » : مبتدأ ، خبره : بنحره : أى أن موج المنايا صار عند نحره . وأضاف « غداة » إلى الجملة التى بعدها لأن ظروف الزمان تضاف إلى الجمل ؛ تقول : رأيتك يوم قدم زيد . والمراد بالغداة هنا : مطلق الحين ؛ لا وقت بعينه ؛ كما يقال : أصبح وأمسى ؛ يراد بهما مطلق الكون أو الصيرورة ؛ والوبل : المطر الكثير . يقول : رأيت الممدوح على فرس يسبح فى موج بحر الحرب : أى يسرع الجرى فيه يوم كثرت سهام الأعداء فى صدر فرسه كما يكثر الوبل ؛ وذلك لإقدامه وشجاعته ؛ فهو لا يبالى لذلك ويمضى قدما .

(١) القرن : الكفؤ فى الحرب ؛ والتحديق : شدة النظر ؛ والنزال : القتال ؛ وكانوا إذا اشتد القتال نزل بعضهم إلى بعض بالسيوف ؛ وقيل كانوا يركبون الإبل ويجنبون الخيل إذا غزوا ؛ فإذا وصلوا إلى العدو تداعوا : نزال فينزلون عن الإبل ويركبون الخيل ؛ ومنه قول الحماسى :

ولقد شهدتُ الخيل يوم طِرَادِها   بِسَلِيم أو ظِفَةِ القوائِم هَيكلِ

فدعَوا نَزالِ فكنتُ أوّلَ نازلٍ   وعَلامَ أركبُهُ إذا لم أنزل[(١)]

---

(١) نية : لغة فى نية ؛ واللمم : جمع لمة ؛ شعر الرأس إذا كان فوق الوفرة . هذا وقد روى البيت : بأسرع الشد منى . يريد بأسرع شداً منى ؛ فزاد اللام ؛ كزيادتها فى بنات الأوبرا .

(٢) إذا جعلت « نزال » بمعنى النزول إلى الأرض : كان المعنى : وعلام أركبه حين لم أنزل إلى الأرض ، ومعلوم أنه حين لم ينزل هو راكب ، فكأنه قال : وعلام أركبه فى حين أنا راكب ؟ أما إذا جعلت نزال بمعنى المنازلة ـ لا بمعنى النزول ـ كان المعنى : وعلام أركبه إذا لم أنازل الأبطال عليه ؟ أى ولم أركبه إذا لم أقاتل عليه ؟ أى فى حين عدم قتالى عليه ، والشعر لربيعة ابن مقروم الضبى . والأوظفة جمع وظيف ، وهو مستدق الذراع والساق من الخيل وغيرها والقوائم : الأرجل ؛ والهيكل : العظيم ، وصف به الفرس . يقول : شهدت الفرسان يوم تطاردهم بالرماح ، وأنا على فرس ضخم سليم الأوظفة من العيوب .

إِذَا قِيلَ رِفْقاً قَالَ لِلْحِلْمِ مَوْضِعٌ وَحِلْمُ الفَتَى فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلُ(١)

وَلَوْلَا تَوَلِّى نَفْسِهِ حَمْلَ حِلْمِهِ عَنِ الْأَرْضِ لَانْهَدَّتْ وَنَاءَ بِهَا الْحِمْلُ(٢)

ثم سمى القتال نزالا ، والمقاتلة منازلة ، وإن لم يكن هناك نزول ، وأغضت العين : غمضت ؛ والسنان : طرف الرمح . يقول ، كم عين قرن حددت النظر نحوه قصداً لقتاله فلم تطرف عينه إلا وقد أدخل فيها سنانه ، فجعله لعينه بمنزلة الكحل .

(١) يقول : إذا طلب إليه الرفق بالأقران ، وقيل له ارفق رفقا ، قال موضع الحلم غير الحرب : يعنى أن الرفق والحلم إنما يكونان فى السلم ، أما الحرب فلا رفق فيها ، والمتحلم فيها جاهل ـ أحمق ـ يضع الشىء فى غير موضعه .

وهذا المعنى قد طرقه كثير من الشعراء ، ومنه قول الفند الزمانى :

* وبعض الحلم عندَ الجهلِ للذِّلةِ إذعان *

وقول سالم بن وابصة :

إنَّ من الحِلم ذلاً أنتَ عارفه وَالحِلمُ عن قدرةٍ فَضلٌ مِنَ الكرم

وقال الحريمى :

أرَى الحِلمَ فى بعض المواطِنِ ذِلةً وفى بعضها عِزًّا يُسوِّد صاحبهُ

وقال الأعور الشنى :

خُذِ العفوَ واغفر أيُّها المرء إننى أرَى الحِلمَ مالمْ تخشَ منقصةً غُنْما

والحلم : نقيض السفه ، وهو الأناة والتثبت والعقل .

(٢) ناء به الحمل : أثقله ؛ ويقال ناء بالحمل : إذا نهض به مثقلا ؛ والمرأة تنوء بها عجيزتها أى تثقلها ؛ وهى تنوء بعجيزتها : أى تنهض بها مثقلة . والحمل ـ بكسر الحاء ـ ما حمل على ظهر أورأس ، وأما الحمل ـ بفتح الحاء ـ فهو ما يحمل فى البطن من الأولاد فى جميع الحيوان ؛ أما ما تحمله الشجرة من الثمر فمنهم من يفتحه تشبيها بحمل البطن . ومنهم من يكسره يشبهه بما يحمل على الرأس ، فكل متصل حمل ـ بالفتح ـ وكل منفصل حمل ـ بالكسر ـ يصف حلمه بالرزانة يقول : لولا أنه باشر بنفسه حمل حلمه عن الأرض ونهض به دونها لعجزت الأرض عن حمله واندكت لثقله ، ولما كان الحلم يوصف بالرزانة والثقل والحليم يشبه بالطود ـ الجبل ـ ساغ فى وصف حلم الممدوح هذا الكلام ، والمعنى أنه لو كان الحلم جسما لكان من الثقل بهذه الصفة .

تَبَاعَدَتِ الآمَالُ عَنْ كُلِّ مَقْصِدٍ وَضَاقَ بِهَا إلاَّ إلَى بَابِكَ السُّبْلُ(١)
وَنَادَى النَّدَى بِالنَّائِمِينَ عَنِ السُّرَى فَأَسْمَعَهُمْ هُبُّوا فَقَدْ هَلَكَ الْبُخْلُ(٢)
وَحَالَتْ عَطَايَا كَفِّهِ دُونَ وَعْدِهِ فَلَيْسَ لَهُ إنْجَازُ وَعْدٍ وَلاَ مَطْلُ(٣)

---

(١) يقول : تباعدت آمال الناس عن جميع المقاصد ، يعنى أنها قصدتك وتوجهت نحوك دون غيرك ، وهو قوله «وضاق بها الخ» أى لا سبيل لها إلا إلى بابك ويروى إلى بابه على الغائب .

(٢) الندى : الجود ، والسرى : السير ليلا ، و«هبوا» وما بعدها إلى آخر البيت ـ حكاية ـ . يقول: إن شيوع نداه يستحث القاعدين عنه على طلبه، فكأنه يناديهم ويقول لهم : استيقظوا من نومكم ، واسروا إليه ؛ فقد هلك بجوده البخل . هذا : ويقال هب الرجل من نومه إذا استيقظ ، وهو فعل موضوع لقوة الشىء ونشاطه ،فقد قالوا: إن الهباب النشاط ما كان ، قال لبيد :

فَلها هِباب فى الزِّمَامِ كأنها صهباء خَفَّ مع الجَنوبِ جَهامها(١)

ومنه هب النائم لأنه يزايل السكون ، وهبت الريح إذا جاءت بعد سكون وهب التيس هاج ، وأراد السفاد ، وهب السيف : إذا اهتز للقطع .

(٣) حالت اعترضت . يقول : إن عطاياه لم تدع مجالا للوعد لأنه يعطيها معجلة . ومن ثم لا يعزى إليه إنجاز ولا مطل ، لأنه إذا لم يكن ثم وعد لم يكن هناك إنجاز ولا مطل ، كما قال أشجع السلمى :

يسبق الوعدَ بالنوال كما يسـ ـبق برقَ الغيوث صوبُ الغمام

هـذا : ويقال نجزت الحاجة إذا قضيت ؛ وإنجازكها : قضاؤها ؛ ونجز حاجته ينجزها ـ بالضم ـ نجزاً : قضاها ونجز الوعد ؛ ويقال أنجز حرما وعد . ومن أمثالهم إذا أردت المحاجزة فقبل المناجزة . يضرب لمن يطلب الصلح بعد القتال (٢) وكل ذلك من نجز الشىء : فنى وذهب فهو ناجز .

---

(١) الهباب : النشاط ؛ وصهباء : يريد كأنها سحابة صهباء : أى حمراء . وخف أسرع ؛ والجهام ، السحاب الذى لا ماء فيه : أى لهذه الناقة فى مثل هذه الحال نشاط فى السير ، فكأنها فى سرعة سيرها سحابة حمراء قد ذهبت الجنوب بقطعها التى هراقت ماءها فانفردت عنها ، وتلك أسرع ذهاباً من غيرها

(٢) تناجز القوم : تسافكوا دماءهم ، كأنهم أسرعوا فى ذلك

فَأَقْرَبُ مِنْ تَحْدِيدِهَا رَدُّ فَائِتٍ ۞ وَأَيْسَرُ مِنْ إِحْصَائِهَا القَطْرُ وَالرَّمْلُ(١)
وَمَا تَنْقِمُ الأَيَّامُ مِمَّنْ وُجُوهُهَا ۞ لِأَخْمَصِهِ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ نَعْلُ(٢)
وَمَا عَزَّهُ فِيهَا مُرَادٌ أَرَادَهُ ۞ وَإِنْ عَزَّ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ(٣)
كَفَى ثُعَلاً فَخْراً بِأَنَّكَ مِنْهُمُ ۞ وَدَهْرٌ لِأَنْ أَمْسَيْتَ مِنْ أَهْلِهِ أَهْلُ(٤)

قال النابغة الذبيانى :

وكنتَ ربيعاً لليتامى وعِصْمةً ۞ فمُلكُ أبى قابوس أضحى وقد نجز(١)

(١) يقول : إن عطاياه لا يقدر أحد على تحديدها : أى أن يجعل لها حداً تنتهى إليه ، كما لا يقدر أحد على رد ما فات ، بل رد الفائت أقرب من تحديدها ، وأيسر من إحصائها إحصاء المطر والرمل وهما لا يحصيان .

(٢) ما تنقم : ما تعيب ، والاستفهام : معناه الإنكار ، ويجوز أن يكون نفياً وإخبارا . والضمير فى وجوهها : للأيام ؛ وفى أخمصه : للممدوح ؛ والأخمص: باطن القدم ، ووجوهها : مبتدأ ؛ ونعل : خبر ؛ ولأخمصه : متعلق بنعل . يقول : إنه غلب الأيام بعزه ، وذلت له الأيام ذل من يطؤه بأخمصه حتى يصير تحت رجله كالنعل فى الذل فالأيام لا تقدر أن تخالفه . أو تعيب فعله .

(٣) عزه : غلبه وأعجزه . وقوله «وإن عز» أى قل وجوده . يقول : انه لا يعجزه أمر يحاوله وإن قل وجوده إلا أن يكون ذلك الأمر المراد وجدان نظير له فإنه يعجز عنه لعدم نظيره ، وهذا كما يقول البحترى :

كل الذى تَبغى الرجالُ تصيبهُ ۞ حَتى تُبَغّى أنْ يُرَى شَرواهُ

« شرواه : أى مثله » ويقول أيضاً :

وَلـئِنْ طَلَبْتُ شَبِيهَهَ إنى إذاً ۞ لمكلِّفٌ طلب المحالِ ركابى

(٤) ثعل : بطن من طيء ، وهم رهط الممدوح ، وهو مفعول كفى ، وفخرا تمييز ، وأنك منهم : فاعل كفى ؛ والباء زائدة ، مثلها فى قوله تعالى « وكفى بالله شهيدا » . يقول كفاهم فخرا أنك منهم : وارتفع دهر بفعل مضمر دل عليه أول الكلام ، كأنه قال

---

(١) أبو قابوس : كنية النعمان بن المنذر . يقول ؛ كنت لليتامى فى إحسانك إليهم بمنزلة الربيع الذى به عيش الناس ، والعصمة ما يعتصم به الإنسان من الهلاك ونجز: فنى وذهب ، أى انقضى وقت الضحى لأنه مات فى ذلك الوقت

وَوَيْلٌ لِنَفْسٍ حاوَلَتْ مِنْكَ غِرَّةً ‏ وَطُوبَى لِعَيْنٍ ساعَةً مِنكَ لاَ تَخْلُو (١)
فَمَا بِفَقِيرٍ شامَ بَرْقَكَ فَاقَةٌ ‏ وَلاَ فِي بِلاَدٍ أَنْتَ صَيِّبُها مَحْلُ (٢)

وليفخر دهر أهل لأن أمسيت من أهله ، فأهل : صفة لدهر ؛ يعنى وليفخر دهر قد استحق أن تكون من أهله ، ولك أن تجعل دهر مبتدأ محذوف الخبر : أى وكذلك دهر . ويجوز رفع دهر عطفا على فاعل كفى ، وهو المصدر المقدر ، لأن « أن » مع خبرها بمعنى الكون لتعلق منهم باسم الفاعل المقدر الذى هو كائن تقديره كفى ثعلا فخراً كونك منهم ودهر مستحق لان أمسيت من أهله : أى وكفاهم فخراً دهر أنت فيه أى أنهم فخروا بكونك منهم وفخروا بزمانك لنضارة أيامه ، كما يقول أبو تمام :

* كَأَنَّ أَيَّامَهُمْ مِنْ حسنِها جُمَعُ *

وروى ابن فورجه ودهرا عطف على ثعلا ، قال : وأهل رفع لأنه خبر مبتدأ محذوف : أى هو أهل لأن أمسيت من أهله . وبعد فالمعنى : كفى ثعلا فخرا على سائر العرب كونك منهم ، وكذلك الدهر كفاه فخرا على سائر الأزمنة كونك من أهله .

(١) حاولت : طلبت ذلك بالحيلة ، وغرة : أى غفلة . يقول : ويل لنفس طلبت منك غفلة وطوبى لعين لا تخلو من إبصارك . وطوبى : فعلى من الطيب فقولهم طوبى لفلان أى العيش الطيب له ، وقيل طوبى له : حسنى له ، وقيل خير له ، وقيل طوبى : اسم الجنة بالهندية ، وقيل بالحبشية . وويل قال الجوهرى : «ويل» كلمة عذاب، وويح: كلمة رحمة ،وقيل هما بمعنى واحد،وهما مرفوعان بالابتداء : يقال ويل لزيد وويح لزيد ،ولك أن تقول ويلا لزيد وويحا لزيد ، فتنصبهما بإضمار فعل ؛ وكأنك قلت ألزمه الله ويحا وويلا ونحو ذلك ، ولك أن تقول ويحك وويح زيد . وويلك وويل زيد ــ بالإضافة ــ فتنصبهما أيضاً بإضمار فعل ، وعبارة الزجاج : الويل كلمة تقال لكل من وقع فى عذاب أو هلكة . قال : وأصل الويل فى اللغة العذاب والهلاك ؛ والويل : الهلاك يدعى به لمن وقع فى هلكة يستحقها . ومنه : « ويل للمطففين » فإن وقع فى هلكة لم يستحقها. قلت : ويح لزيد يكون فيه معنى الترحم . ومنه قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « ويح ابن سمية تقتله الفئة الباغية »

(٢) شام البرق : نظر إليه وتطلع إلى سحابه يؤمل إمطاره ، والفاقة : الحاجة . والصيب : المطر الشديد . والمحل : الجدب . يقول : لافاقة بفقير يرجى عطاءك لأنك محقق مرجوه ، ولا جدب حيث كنت لأن جودك خصيب حيث كان ، وشام برقك : مثل لتوجيه الأمل إليه كما يشام برق السحاب .

وقال يمدح عبد الرحمن بن المبارك الأنطاكى :

صِلَةُ الْهَجْرِ لِي وَهَجْرُ الْوِصَالِ ... نَكَسَانِي فِي السُّقْمِ نُكْسَ الْهِلَالِ (١)

فَغَدَا الْجِسْمُ نَاقِصًا، وَالَّذِي يَنْقُصُ مِنْهُ يَزِيدُ فِي بَلْبَالِي (٢)

قِفْ عَلَى الدِّمْنَتَيْنِ بِالدَّوِّ مِنْ رَيَّا كَخَالٍ فِي وَجْنَةٍ جَنْبَ خَالِ (٣)

بِطُلُولٍ كَأَنَّهُنَّ نُجُومٌ ... فِي عِرَاصٍ كَأَنَّهُنَّ لَيَالِي (٤)

وَنُؤْيٍ كَأَنَّهُنَّ عَلَيْهِنَّ خِدَامٌ خُرْسٌ بِسُوقٍ خِدَالِ (٥)

---

(١) نكس المريض نكسا ونكسا ونكاسا : عاودته العلة بعد النقه والبرء : قال أمية بن أبي عائذ الهذلى :

خيالٌ لزينب قد هاج لى ... نُكاساً من الحب بعد اندمال

يقول : إن مواصلة هجر الحبيب لى وهجر وصاله إياى قدأعادانى إلى السقم بعدالصحة كما يعاد الهلال إلى المحاق بعد تمامه .

(٢) البلبال : الهم والحزن . يقول : إن جسمه ينقص بالهزال وبمقدار نقصان الجسم تكون زيادة الحزن : أى كلما نقص من جسمه شىء زاد بلباله بمقدارذلك النقص

(٣) الدمنة : ما اسود من آثار الديار ، والدو الصحراء . وقوله من ريا : أى من دمن ريا ، فـ«من» بيانية ، كقول زهير :

* أمِنْ أمِّ أوْفى دِمنةٌ لم تكلّم *

يريد من دمن أم أوفى . وريا : اسم المحبوبة . والخال : شامة ، أى بثرة سوداء ينبت حولها الشعر غالبا ، وتكون فى الخد . شبه دمنتيها فى الصحراء بخالين فى خد يقول : قف بدمنتى هذه المحبوبة لتنظرهما وتذكر من كان فيهما من أهليهما ، فقد بقيتا كأنهما خالان فى خد .

(٤) الطلول : ما بقى من آثار الديار وبطلول : متعلق بقف . والعراص : جمع عرصة ، ساحة الدار . يقول . قف بطلول لأمحات فى العراص كما تلوح النجوم فى الليالى. يعنى أن الطلول الشاخصة الباقية من ديار الأحباب تلوح فى عراص خالية كما تلوح النجوم فى الليالى المظلمة .

(٥) النؤى : جمع نؤى ، وهو ما يحفر حول الخباء يقيه ماء المطر أن يدخله

لاَ تَلُمْنِي فَإِنَّنِي أَعْشَقُ الْعُشَّاقِ فِيهَا يَا أَعْذَلَ الْعُذَّالِ (١)
مَا تُرِيدُ النَّوَى مِنَ الْحَيَّةِ الذَّوَّا قِ حَرَّ الْفَلاَ، وَبَرْدَ الظِّلاَلِ (٢)
فَهُوَ أَمْضَى فِي الرَّوْعِ مِنْ مَلَكِ الْمَوْ تِ، وَأَسْرَى فِي ظُلْمَةٍ مِنْ خَيَالِ (٣)
وَلِحَتْفٍ فِي الْعِزِّ يَدْنُو مُحِبٌّ، وَلِعُمْرٍ يَطُولُ فِي الذُّلِّ قَالِي (٤)

كالخندق . والخدام : جمع خدمة ـ بفتحتين ـ الخلخال . وخرس : يريد لاصوت لها ؛ والسوق : جمع ساق ، والخدال : الغلاظ السمان . شبه النؤى حول آثار الاخبية فى استدارتها بالخلاخيل حول الأسوق الغليظة ، وإذا غلظت الساق لم يتحرك فيها الخلخال فلم يسمع له صوت ، ومن ثم وصف الخلاخيل بالخرس . وهذا إخبار بأن النؤى لم تدفن فى التراب ، وأن ما أحدقت به ملأها كما تملأ الساق الغليظة الخلخال ، وهذا من قول أبي تمام :

أثافٍ كالخدودِ لُطمنَ حُزناً ، ونؤىٌ مِثلُ ما انقصم السوار

فنقل اللفظ من السوار إلى الخدام ، وأصله من قول الأول :

نُؤى كما نقصَ الهلالَ مِحاقهُ أو مثلُ ما قصمَ السوارَ المعصمُ

(١) فيها ، فى المحبوبة ، أى فى هواها : متعلق بتلمنى : أى لا تلمنى فى هواها فإنى أعشق العشاق وإن كنت أنت أعذل العذال .

(٢) النوى: البعد والفراق. وعنى بالحية نفسه، والحية تطلق على الذكر والأنثى. يريد: أنه قد تمرس بحر الفلوات فى النهار وبرد الليل ، والليل ظل كله ، يعنى أنه تعود السير فى الحر والبرد فلا تؤثر فيه الأسفار ، قال الواحدى : وهذا شكاية من الفراق وأنه مبتلى به .

(٣) أمضى : أنفذ . والروع . الفزع والهول وأسرى من السرى ، وهو السير ليلا، شبه نفسه بملك الموت لأنه يخوض غمار الحروب لأخذ الأرواح من غير خوف ، والخيال يوصف بالسرى ولا يكترث لبعد المسافات .

(٤) الحتف : الهلاك ؛ واللام الداخلة عليه للتقوية متعلقة بمحب ، ويدنو : صفة لحتف ، ومحب : عطف على أمضى ـ فى البيت السابق ـ والقالى : المبغض يقول إنه محب للحتف القريب إذا كان فى العز ، ومبغض للعمر فى الذل وإن طال ذلك العمر ، يعنى أن الموت فى العز أحب إليه من الحياة فى الذل .

نَحْنُ رَكْبٌ مِلْجِنِّ فى زِىِّ نَاسٍ   فَوْقَ طَيْرٍ لَهَا شُخُوصُ الْجِمَالِ (١)

مِنْ بَنَاتِ الْجَدِيلِ تَمْشِى بِنَا فى الـبِيدِ مَشْىَ الأَيَّامِ فى الآجَالِ (٢)

كُلُّ هَوْجَاءَ لِلدَّيَامِيمِ فِيهَا   أَثَرُ النَّارِ فى سَلِيطِ الذُّبَالِ (٣)

عَامِدَاتٍ لِلْبَدْرِ وَالْبَحْرِ وَالضِّرْ   غَامَةِ ابْنِ الْمُبَارَكِ الْمِفْضَالِ (٤)

مَنْ يَزُرْهُ يَزُرْ سُلَيْمَانَ فى الْمُلْـكِ جَلَالًا وَيُوسُفًا فى الْجَمَالِ

وَرَبِيعًا يُضَاحِكُ الْغَيْثُ فِيهِ

زَهَرَ الشُّكْرِ مِنْ رِيَاضِ الْمَعَالِى (٥)

---

(١) الركب : جمع الراكب . وقوله ملجن : أراد من الجن ، فحذف النون لسكونها وسكون اللام من الجن ، وهذا كقولهم بلعنبر فى «بنى العنبر» وبلقين فى بنى القين والزى : الهيئة . يقول : إنهم كالجن فى إلفة المجاهل والفلوات وركائبهم كالطير فى سرعة قطع المسافات . وهذا من قول أبى تمام :

فى ثُبَةٍ إن سَرَوا فجنٌّ   أو يمموا شُـقة فطير

« الثبة : الجماعة ؛ والشقة : السفر البعيد »

(٢) الجديل : فحل كريم كانت العرب تنسب إليه الإبل . والبيد . الصحراوات . يقول : إن هذه الجمال التى هى كالطير فى السرعة من بنات هذا الفحل الكريم تقطع بنا المفاوز قطع الأيام للآجال حتى تفنيها . وهذا من قول صريع الغوانى :

مُوفٍ علَى مُهَجٍ واليوم ذو رَهَجٍ   كأنه أجـل يسعى إلى أملِ

(٣) الهوجاء: الناقة التى لاتستوى فى سيرها للنشاطها وخفتها كالريح الهوجاء والدياميم: جمع ديمومة ، وهى المفازة لا ماء بها ؛ والسليط : الزيت ؛ والذبال جمع ذبالة وهى الفتيلة . يقول : كل ناقة قد أثرت فيها الفلوات تأثير النار فى دهن الفتيلة ، والمعنى قد أفناها السير كما تفنى النار دهن الفتيلة ، وعبارة بعض الشراح . إن المفاوز قد ألهبتها بالظمأ والحر فأثرت فيها أثر النار فى دهن الفتيلة .

(٤) عامدات : قاصدات ؛ والضرغامة : الأسد : شبه الممدوح بالبدر فى الحسن والشرف والعلو ، وبالبحر فى الجود والكرم . وبالأسد فى البأس والشجاعة ، ثم قال نه مفضال أى كثير الفضل .

(٥) وربيعا : عطف على مفعول يزر ــ فى البيت السابق ــ جعل الممدوح ربيعا ــ

نَفَحَتْنَا مِنْهُ الصَّبَا بِنَسِيمٍ   رَدَّ رُوحاً فِى مَيِّتِ الآمَالِ (١)
هَمُّ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ نَفْعُ المَوَالِى   وَبَوَارُ الأَعْدَاءِ وَالأَمْوَالِ (٢)
أَكْبَرُ العَيْبِ عِنْدَهُ البُخْلُ وَالطَّعْـ   ـنُ عَلَيْهِ التَّشْبِيهُ بِالرِّئْبَالِ (٣)

وهو الزمن المعروف ويطلق على الخصب ، وجعل عطاءه غيثا ـ مطرا ـ لذلك الربيع ، وجعل شكر الشاكرين زهرا يضاحك الغيث ، لأن الزهر إنما يتفتح ويحسن بعد مجىء الغيث كالشكر يكون بعد العطاء ، ثم استعار لمعاليه رياضا لتجانس الألفاظ ، وكأن هذا الزهر قد طلع من رياض معاليه لأنه لولا كرمه وحبه للجود ما أثنى عليه الشاكرون يقول : إن جوده يمطر على السائلين فتبتسم له ثغور الثناء ابتسام الزهر بعد المطر .

(١) نفحت الريح : هبت أو نسمت ، ونفح الرياح : هبوبها فى البرد ؛ واللفح : هبوبها فى الحر . ونفح المسك ينفح : فاحت ريحه ؛ والصبا : ريح مهبها جهة الشرق . وقوله منه : أى من الربيع المذكور . لما شبه الممدوح بالربيع شبه ما انتشر من ذكر مكارمه بالنسيم الذى يهب فى الربيع . يقول : هبت علينا نسمة من أخبار كرمه أحيت مامات من آمالنا .

(٢) الموالى : جمع مولى . وهو الحليف والصديق ، والبوار : الهلاك

(٣) عنده أى فى رأيه واعتقاده ، والرئبال : الأسد . يقول : هو يرى أن أكبر العيوب : البخل ، ومن ثم يتجنبه ويتحاماه ، وإذا شبهه أحد بالأسد كان ذلك كالطعن عليه لأن الأسد دونه بأسا وإقداما ، وقال العكبرى ـ تفسيراً لصدر البيت ـ أكبر عيب يعيب به أحدا عنده البخل لأنه كريم فلا يحب بخيلا ، فإذا عاب إنسانا قال هو بخيل . هذا : والرئبال مهموز ـ وقد سمع مخففاً ؛ والجمع : الرآبيل والرابيل ـ على الهمز وتركه ـ قال بعضهم : يجوز فيه ترك الهمز ، وأنشد لجرير :

رَبابيلُ البلاد يخفنَ منى   وحيةُ أريحاء لِىَ استجابا (١)

ومثله لأبى حية النميرى .

ويلقى كما كنا يداً فى قتالنا   رَبابيلَ ما فينا كهام ولا نِكسُ

ويقال فلان يترأبل : أى يغير على الناس ويفعل فعل الأسد .

(١) أريحاء : بيت المقدس .

وَالْجِرَاحَاتُ عِنْدَهُ نَغَمَاتٌ سَبَقَتْ قَبْلَ سَيْبِهِ بِسُؤَالِ [1]
ذَا السِّرَاجُ الْمُنِيرُ هٰذَا النَّقِيُّ الْـجَيْبِ هٰذَا بَقِيَّةُ الأَبْدَالِ [2]

---

(١) النغمات : جمع نغمة ، وهى هنا الصوت ؛ والسيب : العطاء : يقول : عادته أن يعطى بغير سؤال فإن سبقت عطاءه نغمة من سائل بلغ ذلك منه مبلغ الجراحة من المجروح أسفا على أن عطاءه تأخر حتى أتى يطلبه ؛ يعنى أنه يشق عليه نغمة السائل قبل الإعطاء ؛ ويحكى أن الحسن بن على عليهما السلام أتاه مال من معاوية ، فقسمه فلم يبق إلا خمسمائة دينار ، فأراد أن يقوم بها من مجلسه ، فالتفت وإذا أعرابى قد جاء على ناقة له ، فقال الحسن لغلامه : ادفع إليه هذه الدنانير وقل له إنك أتيت ولم يبق عندنا سواها فأخذها الأعرابى وقال له : يابن بنت رسول الله ! والله ماأتيتك إلا قاصدا، فماذا أعلمك بحالى ؟ فقال له: إنا أناس نعطى قبل السؤال شحا على مارجاه السائل لنا ، ثم أنشد :

نحنُ أناس جَنابُنا خَضِل يُسرع فيه الرجاء والأملُ
نبذُل قبل السؤل نائلَنا شُحًّا على ما رجاه من يَسَلُ

ومثل هذا المعنى قول مروان بن أبى حفصة يرثى معن بن زائدة :

ثوى مَن كان يحملُ كل ثِقل ويسبقُ فيضُ راحته السؤالا

وقال الخطيب التبريزى : المعنى : يلتذ بنغمات السائل كما يلتذ الجراح[1] وقد روى اليازجى هذا البيت هكذا :

والجراحات عنده نِعمات سُبقت قبل سيبه بسؤال

وشرحه هكذا : يجوز فى « نعمات » كسر العين على الاتباع ، وفتحها للتخفيف أو على أنها جمع نعم ، فتكون جمع الجمع ؛ وبسؤال : متعلقة بسبقت . يريد : أن عادته سبق عطائه للسؤال ، فإذا سبق السؤال عطاءه ؛ كان ذلك مؤلما له كالجراحة عند المجروح

(٢) جعله سراجا منيراً لأنه برأيه يهتدى فى مشكلات الخطوب ودجنات الأمور . أو بعلمه يهتدى إلى ما أشكل من المسائل ، والجيب : ما انفتح من القميص على النحر ، والنقى الجيب : عبارة عن الطاهر من العيب ؛ أى أن ثوبه لا يشتمل على دنس .

---

(١) لعل الإمام التبريزى يريد كما يلتذ بالجراحات التى تصيبه فى الوغى : أى أنه كريم شجاع .

فَخُذَا مَاءَ رِجْلِهِ وَانْضَحَا فِى الْـــمُدْنِ تَأْمَنْ بَوَائِقَ الزِّلْزَالِ (١)
وَامْسَحَا ثَوْبَهُ الْبَقِيرَ عَلَى دَا ئِكُمَا تُشْفَيَا مِنَ الإِعْلَالِ (٢)
مَالِئًا مِــــنْ نَوَالِهِ الشَّرْقَ وَالْغَرْ
بَ وَمِنْ خَوْفِهِ قُــلُوبَ الرِّجَالِ (٣)
قَابِضًا كَفَّهُ الْيَمِينَ عَلَى الدُّنْـيَا ، وَلَوْ شَاءَ حَازَهَا بِالشِّمَالِ (٤)
نَفْسُهُ جَيْشُهُ وَتَدْبِيرُهُ النَّصْـرُ ، وَأَلْحَاظُهُ الظُّبَى وَالْعَوَالِى (٥)
وَلَهُ فِى جَمَاجِمِ الْمَالِ ضَرْبٌ وَقْعُهُ فِى جَمَاجِمِ الأَبْطَالِ (٦)

والأبدال : العباد الزهاد ، سموا بذلك لأنهم أبدال من الأنبياء فى إجابة دعواتهم ونصحهم للخلق ، وقيل لأنه إذا مات أحدهم أبدل الله مكانه آخر .

(١) النضح : الرش . والبوائق : جمع بائقة ، وهى الداهية . والزلزال ـ بفتح الزاى ـ الاسم ، وبكسرها : المصدر . يقول ـ مخاطباً صاحبيه ـ : رشا الماء الذى يسيل من رجله إذا توضأ على المدائن تصر آمنة من الزلزال ببركة صلاحه .

(٢) البقير : قميص يشق بلا كمين ، وهو بيان للثوب . والإعلال : مصدر أعله الله إذا أصابه بعلة ، وهى المرض . يقول : واستشفيا بثوبه تبركا به حتى تشفيا مما بكما من الإعلال

(٣) مالئا : حال مضمرة العامل ، أى هو موصوف بما ذكر حالة كونه قد ملأ الأرض من عطائه وملأ القلوب من خوفه .

(٤) يقول : إنه زاهد فى الدنيا لحقارتها ولو شاء ضمها إليه كلها لملكها .

(٥) الظبى . جمع ظبة . حد السيف . والعوالى : الرماح . يقول : نفسه لشجاعته وقوته تقوم مقام الجيش ، وتدبيره بإصابته فى الرأى يكفل له النصر ، وهيبته إذا نظر تقوم مقام السيوف والرماح .

(٦) قال الواحدى : يعنى أنه يفرق ماله بالعطاء فإذا فنى المال أتى أعداءه فضرب جماجمهم وأغار على أموالهم ، كما يقال هو مفيد ومتلاف ، فوقع ضربه فى رءوس أمواله يكون فى الحقيقة فى رءوس الأبطال ، لأنه لو لم يفرق ماله ما عاد إلى قتالهم واستباحة أموالهم ، وهذا كقوله :

فالسلمُ يكسرُ مِنْ جناحَى ماله بنوالِهِ ما تجبرُ الهيجاءُ

فَهُمُوا لِأُتقَانِهِ الدَّهْرَ فى يَوْ مِ نِزَالٍ وَلَيْسَ يَوْمَ نِزَالِ (١)
رَجُلٌ طِينُهُ مِنَ الْعَنْبَرِ الْوَرْ دِ وَطِينُ الْعِبَادِ مِنْ صَلْصَالِ (٢)
فَبَقِيَّاتُ طِينِهِ لَاقَتِ الْمَا ءَ فَصَارَتْ عُذُوبَةً فى الزُّلَالِ (٣)
وَبَقَايَا وَقَارِهِ عَافَتِ النَّا سَ فَصَارَتْ رَكَانَةً فى الْجِبَالِ (٤)
لَسْتُ مِمَّنْ يَغُرُّهُ حُبُّكَ السِّلْمَ وَأَنْ لا تَرَى شُهُودَ الْقِتَالِ (٥)
ذَاكَ شَىْءٌ كَفَاكَهُ عَيْشُ شَانِيكَ ذَلِيلاً وَقِلَّةُ الْأَشْكَالِ (٦)
وَاغْتِفَارٌ لَوْ غَيَّرَ السُّخْطُ مِنْهُ جُعِلَتْ هَامُهُمْ نِعَالَ النِّعَالِ (٧)

---

(١) يقول : هم أبداً يخافونه حتى كأنهم فى يوم حرب لشدة خوفهم وليس الوقت يوم حرب ، وقال ابن جنى : أى فهم الدهر يتقونه لإعماله رأيه ومضائه فيهم ، وإن لم يباشرهم بحرب ولا لقاء .

(٢) العنبر الورد : الذى يضرب لونه إلى الحمرة . والصلصال : الطين اليابس الذى يعمل منه الفخار . يقول : إنه لنقائه وطهارته خلق من العنبر وسائر الناس خلقوا من طين صلصال ، وشتان ما بينهما .

(٣) المـاء الزلال : البارد السائغ . يقول : إن الماء إنما استفاد العذوبة منه لأن ما بقى طينته التى خلق منها اجتمع مع الماء فصار عذبا .

(٤) عاف الشىء : كرهه ، والركانة : الرسوخ والسكون . يقول : وإن ما بقى مما أعطى من الحلم والرزانة كره وأنف أن يحل فى الناس فحل فى الجبال فأفادت بذلك ثباتها وركانتها .

(٥) يغره : يخدعه . والسلم : ضد الحرب ، وترى من الرأى ؛ والشهود : مصدر بمعنى الحضور . وتتمة المعنى فى البيت التالى .

(٦) الإشارة بقوله ذاك : إلى القتال وكفاكه : أغناك عنه ؛ والشانى : هو الشانئ — بالهمز — أى المبغض ؛ وذليلا : حال ، والأشـكال : الأشباه والأمثال . يقول : لا يغرنى ما أراه من محبتك السلم وأنك لا ترى حضور القتال ، فأقول إن ذلك من الجبن وإنما كفاك القتال وأغناك عنه أن من عاداك قد ذل وأن ليس هناك أكفاء لك يستحقون أن تنازلهم فى حرب :

(٧) واغتفار : عطف على فاعل كفاكه ، و«من» فى منه زائدة : أى لو غيره السخط والهام : الرءوس ، والـكناية فى هامهم تعود إلى الأعداء ، دل عليه قوله عيش شانيك .

لِجِيَادٍ يَدْخُلْنَ فى الحَرْبِ أَعْرَا ءً وَيَخْرُجْنَ مِنْ دَمٍ فى جِلَالِ (١)
وَاسْتَعَارَ الحَدِيدُ لَوْنًا وَأَلْقَى لَوْنَهُ فى ذَوَائِبِ الأَطْفَالِ (٢)
أَنْتَ طَوْرًا أَمَرُّ مِنْ نَاقِعِ السُّمِّ وَطَوْرًا أَحْلَى مِنَ السَّلْسَالِ (٣)

يقول : وكفاك القتال عفوك وتجاوزك ولو غير السخط ذلك الاغتفار والعفو لدست رءوسهم بحوافر خيلك حتى تصير هامهم نعالا لنعالها . وقال ابن جنى : لو احفظوك وحملوك على ترك الاغتفار لأهلكتهم ، ولقد أحسن فى كنايته عن الحفيظة بقوله : لوغير السخط منه ، ومثله :

ولو ضرَّ خلقاً قبله ما يسرُّهُ لأثَّرَ فيه بأسه والتكرُّمُ

كنى عن الضرر باثر فيه .

(١) لجياد : متعلق بمحذوف حال من نعال ـ فى البيت السابق ـ ففيه تضمين ، وقد عابه عليه قوم . والأعراء : جمع عرى ، وهو الذى لا سرج عليه . يقال فرس عرى وأفراس أعراء ، والجلال : جمع جل ، وهو ما تلبسه الدابة . يقول : إنها تدخل الحرب أعراء من الجلال ثم تخرج منها وعليها جلال من الدم الذى جف عليها ، كما قال جرير :

وتُنكر يومَ الروْع ألوان خيلنا من الطعن حتى تحسب الجونَ أشقرا

(٢) استعار . معطوف على جواب « لو » ، والمراد بالحديد : السيوف . والذوائب جمع ذؤابة ، الخصلة من الشعر . يقول : إن سيوفه تستعير وتعير فإن لون الذوائب ـ وهو السواد ينتقل إليها ، وذلك أن الدماء إذا جفت عليها اسودت ، ولونها ـ وهو البياض ـ ينتقل إلى الذوائب فإنها بالروع تشيب الأطفال .

(٣) الطور : التارة ، ونصب على الظرفية ؛ والناقع من السم : الثابت فى بدن شاربه لا يزايله حتى يقتله ؛ والسلسال : الماء العذب الذى يتسلسل فى الحلق يقول : أنت سم لأعدائك حلو لاوليائك ، وهذا المعنى طرقه كثير من الشعراء ، قال أبو دؤاد :

فهـم للملاينين أناة وعُرام إذا يُرام العُرامُ

وقال أبو نواس :

حَذَر امرىء نُصِرَت يداهُ على العِدَا كالدَّهْرِ فيه شراسة وليانُ

ونقله أبو الشيص إلى السيف قال :

وكالسيفِ إن لا ينتَهُ لان متنُهُ وحَدَّاهُ إن خاشَنته خشِنانِ

إنما النَّاسُ حَيْثُ أَنْتَ وَمَا النَّا سُ بِنَاسٍ فِي مَوْضِعٍ مِنْكَ خَالِي (١)

* * *

وقال وقد دخل على أبي على الأوراجي يوماً فقال له: وددنا يا أبا الطيب لو كنت اليوم معنا ، فقد ركبنا ومعنا كلب لابن ملك ، فطردنا به ظبياً ، ولم يكن لنا صقر . فاستحسنت صيده ، فقال : أنا قليل الرغبة فى مثل هذا ، فقال أبو على : إنما اشتهيت أن تراه فتستحسنه ، فتقول فيه شيئاً من الشعر ، قال : أنا أفعل ، أفتحب أن يكون الآن ، قال : أيمكن مثل هذا ؟ قال : نعم . وقد حكمتك فى الوزن والقافية ؛ قال : لا ، بل الأمر فيهما إليك ، فأخذ أبو الطيب درجاً ، وأخذ أبو على درجاً آخر يكتب فيه كتاباً فقطع عليه أبو الطيب الكتاب وقال :

وَمَنْزِلٍ لَيْسَ لَنَا بِمَنْزِلِ وَلاَ لِغَيْرِ الْغَادِيَاتِ الْهُطَّلِ (٢)

نَدِي الْخُزَامَى ذَفِرِ الْقَرَنْفُلِ مُحَلَّلٍ مِلْوَحْشِ لَمْ يُحَلَّلِ (٣)

---

(١) يقول : أنت الناس فإذا غبت عن موضع غاب عنه الناس .

(٢) ومنزل : أى ورب منزل . والغاديات : السحائب المنتشرة صباحا ؛ والهطل : جمع هاطلة ، وهى الكثيرة الماء . يقول : رب منزل نزلناه ليس لنا بمنزل على الحقيقة لانا نرتحل عنه وليس بمنزل لشىء غير السحاب الباكرة الماطرة ، يعنى روضا نزلوه . وقد أسلفنا القول على واو «رب» فى هذا الشرح

(٣) الندى : الرطب ؛ والخزامى والقرنفل : نبتان طيبان . والأذفر : الذكى الرائحة . والمحلل : الذى يحل كثيرا . وقوله ملوحش : أى من الوحش ، فحذف النون لسكونها وسكون اللام . يقول : يحله الوحش دون الناس فهو محلل من الوحش غير محلل من الإنس . قال الجوهرى : مكان محلل : إذا أكثر الناس به الحلول ، قال امرؤ القيس :

كَبِكْرِ المقاناةِ البياضِ بِصُفْرَةٍ غَذَاهَا نمير الماء غيرُ المحلَّلِ (١)

---

(١) أراد بقوله «بكر المقاناة» درة غير مثقوبة أو لم ير مثلها، ثم قال غذا هذه الدرة

عَنَّ لَنَا فِيهِ مُرَاعِي مُغْزِلِ ... مُحَيَّنُ النَّفْسِ بَعِيدُ الْمَوْئِلِ (١)
أَغْنَاهُ حُسْنُ الْجِيدِ عَنْ لُبْسِ الْحُلِي ... وَعَادَةُ الْعُرْيِ عَنِ التَّفَضُّلِ (٢)
كَأَنَّهُ مُضَمَّخٌ بِصَنْدَلِ ... مُعْتَرِضاً بِمِثْلِ قَرْنِ الْأَيِّلِ (٣)

---

(١) عن : ظهر؛ والمراعى . الذى يرعى مع غيره . يقال : راعت الظبية أختها : أى راعت معها ، والمغزل : الظبية لها ولد والمحين : من الحين ، وهو الهلاك ، يقال حينه الله : أى أهلكه والموئل : المنجا . يقول : ظهر لنا فى هذا الموضع ظبى يرعى مع ظبية مغزل قد حان أجله ، وفاته موضع ينجو إليه من صيدنا لأننا ندركه حيثما ذهب :

(٢) الجيد : العنق ، والحلى بضم فكسر وبكسرتين وأصله بتشديد الياء ، مخفف للقافية . جمع حلى بفتح فسكون ماتتزين به المرأة من ذهب وفضة وجوهر والتفضل أن تلبس المرأة ثوبا يبتذل فى المنزل ، ومنه قول امرىء القيس :

وتُضحى فتيتُ المسكِ فوق فراشها ... نَؤومُ الضُّحى لم تنتطِقْ عن تفضل (١)

وفى حديث امرأة أبى حذيفة ، قالت يارسول الله : إن سالم مولى أبى حذيفة يرانى فضلا — أى متبذلة فى ثياب مهنق — وليس لنا إلا بيت واحد ، فما تأمرنى فى شأنه ؟ فقال أرضعيه خمس رضعات . يقول : أغنى هذا الظبى حسن جيده عن أن يلبس حليا يتزين بها وقد تعود العرى فاستغنى بهذا عن اتخاذ اللباس

(٣) ضمخه بالطيب طلاه به والصندل طيب يشبه لونه لون الظباء ، ومعترضا : حال مضمرة العامل ، أى أصفه بما ذكر فى حال كونه معترضا ،والايل: الذكر من الأوعال ، وفيه ثلاث لغات أيل وإيل وأيل ، والجمع أيابيل ، وربما قالوا فى إيل «إجل» يبدلون الياء جيما ، قال أبو النجم :

ماء غير عذب لم يكثر حلول الناس عليه فيكدره ذلك ، والمقاناة الخلط ، وكل شىء خالط شيئا فقد قاناه ، ويروى البيت بنصب البياض وخفضه ، على حد قولهم : زيد الحسن الوجه . فى البيت آراء كثيرة فى معناه (انظر الزوزنى واللسان مادة قنى)

(١) لم تنتطق عن تفضل : أى لم تنتطق بعد تفضل : أى لم تشد وسطها بنطاق بعد لبسها ثوب المهنة ، يريد أنها مخدومة منعمة ، تخدم ولا تخدم .

يَحُولُ بَيْنَ الْكَلْبِ وَالتَّأَمُّلِ ... فَحَلَّ كَلَّابِي وَثَاقَ الأَحْبُلِ (١)
عَنْ أَشْدَقٍ مُسَوْجَرٍ مُسَلْسَلِ ... أَقَبَّ سَاطٍ شَرِسٍ شَمَرْدَلِ (٢)
مِنْهَا إِذَا يُثْغَ لَهُ لَا يَغْزَلِ ... مُوَجَّدِ الْفِقْرَةِ رِخْوِ الْمَفْصِلِ (٣)

كأن فى أذنابهن الشــوّل ... من عَبَس الصيف قُرُون الأجّل (١)

قال أبو عمرو بن العلاء : بعض الأعراب يجعل الياء المشددة جيما . ويروى قرون الإيل ، شبه المتنبى لونه بلون الصندل يقول . اعترض لنا بقرن طويل كقرن الأيل .

(١) الكلاب الذى يسوس الكلاب . والوثاق ما يشد به . والأحبل : جمع حبل. يقول : إنه لسرعته لا يتمكن الكلب من النظر إليه فلا يستطيع تأمله ، فيحل الكلاب ما كان يشد به الكلب ويطلقه عليه .

(٢) عن أشدق : متعلق بـ«حل» ، أى حل الأحبل عن كلب أشدق ، والأشدق : الواسع الشدق . والمسوجر الذى فى رقبته ساجور ، وهو قلادة الكلب التى فيها مسامير والمسلسل : الذى فى عنقه سلسلة والأقب : الضامر ؛ والساطى : الذى يسطو على الصيد أى يصول ، عليه ، وقال ابن جنى : هو البعيد الأخذ فى الأرض ، والشرس : السيء الخلق . والشمردل : القوى السريع الفتى الحسن الخلق ؛ يقول : إنه حل الأحبل عن كلب بهذه الأوصاف .

(٣) الضمير فى « منها » للكلاب المفهومة من قوله كلابى : أى صاحب كلابى؛ وقوله إذا يثغ من الثغاء ؛ وهو صوت الشاة ونحوها ؛ ولا يغزل : أى لا يفتر عن الطلب . وذلك أن الكلب إذا دنا من الظبى وكاد يأخذه : ثغا فى وجهه فغزل الكلب — أى تحير — ووقف مكانه من صوت الغزال ، وجزم الفعلين — يثغ ويغزل — بإذا على تضمنها معنى الشرط ، وهو من التجوزات الخاصة بالشعر . يقول : إن هذا الكلب، لا يفرق من صوت الغزال ولا يفتر عنه إذا ثغا ، ثم قال : موجد الفقرة رخو المفصل ، فالموجد : الموثق القوى ؛ والفقرة : — بكسر الفاء وفتحها — ومثلها الفقارة — بالفتح : واحدة فقار الظهر ، وهو ما انتضد من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العجب ، والجمع فقر وفقار ، وقيل فى الجمع: فقرات وفقرات وفقرات. يعنى أنه قوى الظهر لين المفاصل وذلك أسرع لأخذه .

---

(١) العبس : — ما يبس على هلب الذنب من البول والبعر .

لَهُ إِذَا أَدْبَرَ لَحْظُ الْمُقْبِـــلِ كَأَنَّمَا يَنْظُرُ مِنْ سَجَنْجَلِ (١)
يَعْدُو إِذَا أَحْزَنَ عَدْوَ الْمُسْهِلِ إِذَا تَلَا جَاءَ الْمَدَى وَقَدْ تُلِى (٢)
يُقْعِى جُلُوسَ الْبَدَوِىِّ الْمُصْطَلِى بِأَرْبَعٍ مَجْدُولَةٍ لَمْ تُجْدَلِ (٣)
فُتْلِ الْأَيَادِى رَبِذَاتِ الْأَرْجُلِ آثَارُهَا أَمْثَالُهَا فِى الْجَنْدَلِ (٤)
يَكَادُ فِى الْوَثْبِ مِنَ التَّفَتُّلِ يَجْمَعُ بَيْنَ مَتْنِهِ وَالْكَلْكَلِ (٥)

---

(١) السجنجل : المرآة . يقول : إنه يرى ما أدبر عنه كما يرى ما أقبل عليه وذلك لسرعة التفاته وشدة تيقظه ، وقد شبه صفاء حدقته بالمرآة ويروى فى سجنجل . أى كأن أمامه مرآة ينظر فيها فتريه ما خلفه أمامه .

(٢) يعدو : يجرى ، وأحزن : سلك فى الحزن : أى الوعر : وأسهل : سلك فى السهل ؛ وتلا : تبع ؛ والمدى : الغاية . يقول : إنه يعدو فى الحزن من الأرض عدو الذى هو فى السهل لقوة قوائمه ، وإذا تبع سائر الكلاب فى طلب صيد بلغ الغاية التى يريدها ، وقد تقدم الكلاب فصارت خلفه فصار متلوا بعد أن كان تالياً .

(٣) الإقعاء . أن يجلس الكلب على إليته ، والبدوى إذا اصطلى بالنار استدفأ بها ـ أقعى على أسته ونصب ركبتيه لتصل الحرارة إلى بطنه وصدره وجلوس مفعول مطلق معنوى ، وقوله بأربع مجدولة لم تجدل : أى بأربع قوائم ؛ والحرف: متعلق بـ«يقعى» ، والمجدولة : المفتولة ، يريد بقوائم محكمة الخلق لم يجدلها أحد ، وإنما هى كذلك خلقة .

(٤) فتل الأيادى : صفة لأربع ، يقال يدفتلاء إذا تباعدت عن الصدر فلم يمسها عند العدو ، وذكر يديه بلفظ الجمع ، وكذلك الأرجل ، والعرب تفعل مثل ذلك فى التثنية . هذا : والأيادى أكثر ما تستعملها العرب فى النعم يقولون لفلان عندى يد وأياد والربذات الخفيفات السريعات . والجندل الصخر . يقول : إن قوائمه مفتولة سريعة فى العدو شديدة الوطء لقوتها ، وإذا وطئت الصخر أثرت فيه آثارا مثل صورتها . هذا : وقد قالوا: إن الكلاب لا يوصف بثقل الوطء ،وإنما هذا فى الخيل والإبل ، فنقله المتنبى إلى الكلب .

(٥) التفتل : كالانفتال ، والمتن : جانب الظهر عند الصلب ، والكلكل : الصدر . يقول : لسرعته ولين أعطافه إذا انفتل للوثوب على الصيد يلتوى بعضه على بعض حتى يكاد يجتمع صدره وظهره فى آن واحد .

وَبَيْنَ أَعْلاهُ وَبَيْنَ الأَسْفَلِ شَبِيهُ وَسْمِيٍّ حِضَارٍ بِالوَلِي (١)
كَأَنَّهُ مُضَبَّرٌ مِنْ جَرْوَلِ مُوَثَّقٌ عَلَى رِمَاحٍ ذُبَّلِ (٢)
ذِي ذَنَبٍ أَجْرَدَ غَيْرِ أَعْزَلِ يَخُطُّ فِي الأَرْضِ حِسَابَ الجُمَّلِ (٣)
كَأَنَّهُ مِنْ جِسْمِهِ بِمَعْزِلِ
لَوْ كَانَ يُبْلِي السَّوْطَ تَحْرِيكٌ بَلِي (٤)

---

(١) الوسمى : أول المطر ، والولى : مايليه . والحضار : العدو الشديد ، مصدر حاضره إذا جاراه فى الحضر وهو العدو ، وبين أعلاه : خبر مقدم ؛ وشبيه مبتدأ مؤخر ويريد بأعلاه : رأسه ؛ وبأسفله : قوائمه ، كنى بما بينهما عن جسمه ، وشبه تتابع حركته فى الوثوب بتتابع المطر بعد المطر . يقول : إن عدوه الثانى فى القوة والسرعة كعدوه الأول ، يعنى أنه لا يعيا ولا يفتر .

(٢) المضبر : المشدود المحكم الخلق ومثله الموثق ، والجرول الحجر ومنه سمى الحطيئة جرولا كما سموا حجرا وصخرا : يقول كأنه قد خلق من الحجارة لقوته واجتماعه ، وعنى بالرماح الذبل قوائمه اللينة .

(٣) الأجرد : القليل الشعر ، وهكذا تكون كلاب الصيد ، والأعزل الذى لا يكون ذنبه على استواء مع فقاره ، وذلك عيب فى الكلاب والخيل ، وإذا لم يكن أعزل كان أشد لمتنه ، ثم قال : إن آثار ذنبه فى الأرض كآثار الكاتب إذا كتب حساب الجمل وحساب الجمل معروف . قال العكبرى : لأنه يحكى حروفا غير حروف الكتابة يعلم بها العشور والمئين والألوف وهو خط قبطى ؛ وذى ذنب : بدل من قوله أشدق .

(٤) يقول : كأن ذنبه منفصل عن جسمه لكثرة تلويه وحركته ، وهو على ذلك لا تبليه كثرة تحريكه إياه ، كما أن السوط يكثر تحريكه ولا يبليه هذا التحريك ؛ وقد ذهب ابن جنى إلى أن المعنى أنه ـ الكلب ـ من سرعته وحدته يكاد يترك جسمه ويتميز عنه ، قال : وقد لاذ فى هذا بقول ذى الرمة إلا أنه تجاوزه :

لا يذخران من الإيغال باقيةً حتى تكاد تفرّى عنهما الأُهُبُ

وبقول أبى نواس :

تراهُ فى الحُضْرِ إذا هاهىَ بهِ يكادُ أن يخرُجَ مِنْ إهَابِهِ (١)

---

(١) هاهى به : زجره والضمير : لكلابه ؛ والإهاب : الجلد .

نَيْلُ الْمُنَى وَحُكْمُ نَفْسِ الْمُرْسِلِ ... وَعُقْلَةُ الظَّبْيِ وَحَتْفُ التَّتْفُلِ (١)

فَانْبَرَيَا فَذَّيْنِ تَحْتَ الْقَسْطَلِ ... قَدْ ضَمِنَ الآخِرُ قَتْلَ الْأَوَّلِ (٢)

فِى هَبْوَةٍ كِلَاهُمَا لَمْ يَذْهَلِ ... لَا يَأْتَلِى فِى تَرْكِ أَنْ لَا يَأْتَلِى (٣)

فهذان ذكرا الإهاب ـ الجلد ـ وهو ذكر جميع الجسد ، قال ابن جنى وقوله لو كان يبلى الخ : أى هو كالسوط فى الصلابة والجدل ، فلا يؤثر فيه العدو كما لا يؤثر فى السوط التحريك .

(١) نيل المنى أى به نيل المنى ، أو هو نيل المنى : أى به ينال الصائد مناه ، والذى يرسله على الصيد يدرك به حكم نفسه والعقلة ما يعقل به الشىء من قيد ونحوه؛ والحتف الهلاك ؛ والتتفل : ولد الثعلب . يقول : إنه يدرك الظبى فيمنعه عن الإفلات ؛ وهو من قول امرىء القيس :

* بمُنْجَرِدٍ قيدِ الأوابدِ هيكلِ *

ثم قال : ويدرك ولد الثعلب فيهلكه .

(٢) فانبريا : أى الكلب والظبى : أى اعترضا للناظرين فى عدوهما فذين : أى فردين . يريد أنه لم يكن مع الكلب كلب آخر ولا مع الظبى ظبى آخر وعنى بالقسطل: الغبار الذى ثار من عدوهما ؛ وعنى بالآخر : الكلب ؛ وبالأول : الظبى ، لأنه كان سابقاً بالعدو فراراً من الكلب . وضمان الكلب شدة حرصه وعدوه خلفه ، فجعل ذلك ضماناً منه .

(٣) الهبوة : الغبرة . ويقال ما ألوت فى كذا وما ائتليت وما أليت : أى ماقصرت والذهول : الغفلة عن الشىء ، و « لا » فى « أن لا يأتلى » زائدة ، وهى تزاد فى مواضع كثيرة للعلم بها ، كما فى قوله تعالى « لئلا يعلم أهل الكتاب » والتقدير : ليعلم . وقال الراجز : * فى بئر لا حور سرى وماشعر ( ) *

---

(١) من أرجوزة طويلة للعجاج يمدح بها عمر بن عبيد الله بن معمر ، وكان عبد الملك بن مروان قد وجهه لقتال أبى فديك الحرورى ، فأوقع به وبأصحابه ، ومطلعها:

قد جبرَ الدينَ الإلهُ فجبرْ ... وعوّر الرحمن من ولى العوَرْ

إلى أن قال :

مُقْتَحِماً عَلَى الْمَكَانِ الْأَهْــوَلِ
يَخَالُ طُولَ الْبَحْرِ عَرْضَ الْجَدْوَلِ [١]
حَتَّى إِذَا قِيلَ لَهُ نِلْتَ افْعَلِ إِفْتَرَّ عَنْ مَذْرُوبَةٍ كَالْأَنْصُلِ [٢]
لَا تَعْرِفُ الْعَهْدَ بِصَقْلِ الصَّيْقَلِ مُرَكَّبَاتٍ فِي الْعَذَابِ الْمُنْزَلِ [٣]
كَأَنَّهَا مِنْ سُرْعَةٍ فِي الشَّمْأَلِ كَأَنَّهَا مِنْ ثِقَلٍ فِي يَذْبُلِ [٤]

أى فى بئر حور ؛ و « لا » زائدة « والحور الهلكة » يقول : كل واحد من الكلب والظبى لم يشتغل عن صاحبه ، فالظبى مجد فى الهرب ، والكلب مجد فى الطلب ولا يقصر الكلب فى ترك التقصير ، وإذالم يقصر فى ترك التقصير فقد جد .

(١) مقتحما : حال من ضمير يأتلى ؛ والاقتحام : الدخول فى الأمر الشديد؛والجدول النهر الصغير . يقول : إن هذا الكلب فى وثوبه وسرعة عدوه لا يبالى بما يستقبله من هول . فهو يقتحم الهول حتى لو استقبله بحر لظنه جدولا ، فوثب إلى الشط الآخر كما يثب إذا قطع عرض الجدول .

(٢) افتر : كشر : والمذروبة : الأنياب المحددة والأنصل : جمع نصل . يقول :حتى إذا دنا الكلب من الصيد ، وقيل له ــ بلسان الحال ــ أدركت فافعل ما تريد فعله من القبض عليه : كشر عن أنياب محددة كأنها نصال السيوف .

(٣) لما شبه أنيابه بالنصال قال إنها لم تصقل ولا عهد لها بالصقل كالسيوف المصنوعة إذ هى محددة مصقولة خلقة ، وعنى بالعذاب المنزل خطمه [١] فانه كالعذاب المنزل على الصيد لشدة أخذه وهول ما ينال الصيد منه .

(٤) يذبل : جبل فى الحجاز . يقول : كأن أنيابه مركبة فى ريح الشمال من خفة

واختار فى الدين الحرورىّ البطر فى بئر لاحورٍ سَرَى وما شعر
بإفكه حتى رأى الصبحَ جَشَرَ

قوله وعور الرحمن الخ : أى أفسد الله من ولاه الفساد ؛ والحرورى : أراد به أبا فديك الخارجى. وقوله بإفكه : الباء سببية متعلقة بسرى ؛ والإفك :الكذب ؛وجشر الصبح : انفلق وأضاء .

(١) الخطم من كل دابة نحو الكلب والبعير : مقدم أنفها وفمها

كَأَنَّهَا مِنْ سَعَةٍ فِي هَوْجَلِ كَأَنَّهُ مِنْ عِلْمِهِ بِالْمَقْتَلِ (١)
عَلَّمَ بُقْرَاطَ فِصَادَ الأَكْحَلِ (٢)
فَحَالَ مَا لِلْقَفْزِ لِلتَّجَدُّلِ وَصَارَ مَا فِي جِلْدِهِ فِي الْمِرْجَلِ (٣)
فَلَمْ يَضِرْنَا مَعْهُ فَقْدُ الأَجْدَلِ إِذَا بَقِيتَ سَالِمًا أَبَا عَلِي (٤)
فَالْمُلْكُ لِلَّهِ الْعَزِيزِ ثُمَّ لِي (٥)

* * *

الكلب وسرعته فى العدو ، وكأنها من ثقل الكلب على الصيد مركبة فى جبل . جعل الكلب فى خفة العدو كالريح ، وفى ثقله على الصيد كالجبل .

(١) و (٢) الهوجل : المفازة ؛ والمقتل : الموضع الذى إذا أصيب قتل صاحبه ؛ والأكحل : عرق فى الذراع من عروق الفصاد . يقول : كأن أنيابه من سعة فمه فى صحراء ، وكأنه من تمييزه وعلمه بمقاتل الصيد من غيرها علم بقراط — وهو الطبيب المعروف — علم التشريح ، فصار يعلم المواضع التى يجوز فصدها كعرق الأكحل ؛ وبعبارة أخرى : لما ذكر أنه عالم بالمقاتل لزم منه أن يكون عالما بغيرها أيضا ، وإلا لم تتميز له فصار فى دعواه عالما بتشريح الأعضاء ، وما يترتب على شقها من المنفعة أو الأذى ، ولما تم له ذلك قال كأن بقراط تعلم منه التشريح ، فصار يعلم المواضع التى يجوز فصدها كهذا العرق ، هذا هو المعنى ، وبذا انتفى نقد الصاحب بن عباد هذا البيت إذ يقول ليس الأكحل بمقتل لأنه من عروق الفصد ، وهو يصف الكلب بالعلم بالمقتل . . .

(٣) حال : انقلب ؛ والقفز : الوثوب . والتجدل : السقوط على الجدالة — أى الأرض — والمرجل : القدر ؛ والمراد بما للقفز : قوائمه ؛ وبما فى جلده : لحمه . يقول : إن قوائم هذا الظبى التى كانت للوثوب صارت للتمرغ فى التراب حين أخذه الكلب وصار لحمه فى القدر .

(٤) و (٥) ضاره الأمر يضيره : كضره ومعه : أى مع الكلب . والأجدل : الصقر . يقول : لم يضرنا مع وجود هذا الكلب فقدان الصقر ، لأنه فعل فعله فأغنانا عنه . ثم قال — مخاطبا الممدوح — : إذا بقيت سالما سدت بك الناس كلهم ، فيكون الملك بعد الله لى بك .

وقال يمدح بدر بن عمار، وقد فصد لعلة، فغاص المبضع فوق حقه، فأضر به ذلك:

أَبْعَدُ نَأْيِ المَلِيحَةِ البَخَلُ ... فى البُعْدِ مَا لاَ تُكَلَّفُ الإِبِلُ(١)

مَلُولَةٌ مَا يَدُومُ لَيْسَ لَهَا ... مِنْ مَلَلٍ دَائِمٍ بِهَا مَلَلُ(٢)

---

(١) أبعد: تفضيل؛ والنأى: البعد؛ و«ما»: نكرة موصوفة بمعنى شىء. يقول: أبعد ما يكون من بعد المليحة بخلها، إذ لا يمكن قطع مسافة البخل كمسافة المكان البعيد. ثم قال: فى البعد أى فى جملة البعد وأنواعه ما لا تكلف الإبل قطعه وهو البعد بالبخل، لأن الابل لا تقرب هذا البعد، وفى مثل هذا يقول أبو تمام:

لا أظلم النأى قد كانت خلائقها

من قبل وشك النوى عِندى نوًى قذفا

ويقول أيضا:

ففراقٌ جرعته من فراق ... وفراقٌ جرعته من صدودِ

ويقول البحترى:

على أن هِجران الحبيب هو النوى ... لدى وعِرفان المسىء هو العذل

ويقول أيضا:

دنتْ بأناس عن تنـاء زِيارةٌ ... وشطَّ بِليلى عن تدانٍ مَزارُها

ويقول إبراهيم بن العباس:

وإن مُقيماتٍ بمُنعـرج اللوَى ... لأقرب من مَىّ وهاتيك دارها

والأصل فى هذا قول المثقب العبدى:

أفاطمُ قبلَ بَينكِ مَتِّعينى ... ومنعُكِ ما سألتُ كأنْ تبينى

(٢) ملولة: أى هى ملولة؛ والتاء فيها: للمبالغة، لأنه يقال: رجل ملول وامرأة ملول؛ و«ما»: مفعول به؛ و«لها»: خبر ليس مقدم؛ وملل — آخر البيت — اسمها مؤخر، ومن ملل: متعلق به. يقول: إنها تمل كل شىء يدوم إلا مللها الدائم، فإنها لا تمله، ولو هى ملته لتركته وعادت إلى الوصل. ومن روى تدوم —بالتاء— كانت «ما» للنفى: أى ليست تدوم على حال.

كَأَنَّمَا قَدُّهَا إِذَا انْفَتَلَتْ ... سَكْرَانُ مِنْ خَمْرِ طَرْفِهَا ثَمِلُ[(١)]

يَجْذِبُهَا تَحْتَ خَصْرِهَا عَجُزٌ ... كَأَنَّهُ مِنْ فِرَاقِهَا وَجِلُ[(٢)]

بِي حَرُّ شَوْقٍ إِلَى تَرَشُّفِهَا ... يَنْفَصِلُ الصَّبْرُ حِينَ يَتَّصِلُ[(٣)]

الثَّغْرُ وَالنَّحْرُ وَالْمُخَلْخَلُ وَالْمِعْصَمُ دَائِي وَالْفَاحِمُ الرَّجِلُ[(٤)]

وَمَهْمَهٍ جُبْتُهُ عَلَى قَدَمِي ... تَعْجِزُ عَنْهُ الْعَرَامِسُ الذُّلُلُ[(٥)]

---

(١) انفتلت ، تثنت وتمايلت ، وطرفها : لحظها ؛ ورجل ثمل : أخذ منه الشراب . يقول: إنها تمايل فى مشيها تمايل السكران ، فكأن قدها نظر إلى طرفها فسكر من خمر عينيها كما يسكر منه عاشقوها .

(٢) وجل : خائف . يقول : إن عجزها ـ ردفها ـ ثقيل بكثرة اللحم ، فهو يجذبها ـ إذا همت بالنهوض ـ إلى القعود فكأن عجزها فى ارتعاده واضطرابه ـ لكثرة لحمه ـ خائف من فراقها ، والخائف يوصف بالارتعاد ، وكذلك العجز إذا كثر لحمه ، كما قال :

* إذا ماست رأيتُ لها ارتجاجا *

أما تفسير ابن جنى المصراع الثانى بقوله : أى كأن عجزها وجل من فراقها فهو متساقط متجدل قد ذهبت منته وتماسكه : فهو بعيد .

(٣) إلى ترشفها : أى إلى ترشف فمها ؛ أى مص ريقها . يقول: إذا اتصل بى ذلك الشوق انفصل الصبر : أى أن صبره يفارقه إذا اتصل به ذلك الشوق ؛ وقد طابق بين الانفصال والاتصال .

(٤) الثغر : مقدم الأسنان ؛ والنحر : أعلى الصدر ؛ والمخلخل : موضع الخلخال من الساق ؛ والمعصم : موضع السوار من اليد ؛ والفاحم : الشديد السواد ، يريد به الشعر ؛ والرجل ـ بفتح فكسر وبفتحتين ـ الذى بين السبط والجعد . يقول . إنه يحب هذه الأشياء وهذه المواضع من بدنها ، وهى داؤه .

(٥) ومهمه : أى ورب مهمه ـ أى فلاة ـ وجبته : قطعته . والعرامس : النوق الصلاب الشديدة ، واحدتها عرمس . والذلل : المذللة بالعمل المروضة بالسير ـ جمع ذلول ـ يستوى فيه المذكر والمؤنث . يصف شدة سيره وأنه يجوب الفلاة ـ التى تعجز عنها النوق الصلاب التى اعتادت السير ـ على قدمه .

بِصَارِمِي مُرْتَدٍ بِمَخْبُرَتِي   مُجْتَزِئٌ ، بِالظَّلَامِ مُشْتَمِلُ[1]

إِذَا صَدِيقٌ نَكِرْتُ جَانِبَهُ   لَمْ تُعيِنِي فِي فِرَاقِهِ الحِيَلُ[2]

فِي سَعَةِ الخَافِقَيْنِ مُضْطَرَبٌ ،   وَفِي بِلَادٍ مِنْ أُخْتِهَا بَدَلُ[3]

---

(١) الصارم : السيف ؛ ومرتد : أى متقلد ، خبر مبتدأ محذوف : وكذلك مجتزىء ومشتمل : أى أنا مرتد بصارمى مجتزىء - أى مكتف - بمخبرتى - أى معرفتى - مشتمل بالظلام . يقول : جبت هذا المهمه وأنا متقلد بسيفى مكتف بعلمى وخبرتى فلم أحتج إلى دليل يهدينى الطريق ، مشتمل بثوب الظلام كما يشتمل الرجل بثوب أو كساء .

(٢) نكر الشىء وأنكره : استغربه ، وصديق : فاعل لفعل محذوف يقدر من لازم ما بعده : أى إذا تغير صديق على ونحو ذلك . وأعياه الأمر : أعجزه ، ويقال عى بأمره وعيي : إذا لم يهتد لوجهه ، والإدغام أكثر ، ويقال فى الجمع عيوا - مخففا - وعيوا أيضا - بالتشديد - وأعيانى الأمر ، قال عمرو بن حسان من بنى الحارث ابن همام :

فإنَّ الكُثْرَ أعيانى قديماً ،   ولم أُقتِرْ لدُنْ أنِّى غُلام[1]

يقول : إذا تغير صديق وحال عن مودته وأنكرت عليه أحواله لم تعجزنى الحيلة فى فراقه ، أى فارقته ولم أقم عليه .

(٣) الخافقان : قطرا الهواء ، وهما المشرق والمغرب . والمضطرب موضع الاضطراب ، وهو الذهاب والمجىء . يقول : الأرض واسعة والبلاد كثيرة ، فإذا لم يطب لى موضع تحولت إلى غيره ولم أقيد نفسى بمكان بعينه . وهذا معنى مطروق ، قال القائل :

إذا تَنكَّرَ خِلٌّ فاتخذ بدلا   فالأرضُ من تُربةٍ والناسُ من رَجل

وقال البحترى :

فإذا ما تنكرتْ لى بلاد   أو صديق فإننى بالخيار

وقال عبدالصمد بن المعذل :

إذا وطن رابنى   فكل بلاد وطن

---

(١) يقول : كنت متوسطاً لم أفتقر فقراً شديداً ، ولا أمكننى جمع المال الكثير ؛ ويروى « أعنانى » أى أذلنى وأخضعنى .

وَفِى اُعْتِمَارِ ٱلأَمِيرِ بَدْرِ بْنِ عَمَّا رٍ عَنِ الشُّغْلِ بِٱلْوَرَى شُغُلُ(١)
أَصْبَحَ مَالٌ كَمَالِهِ لِذَوِى الْـحَاجَةِ لاَ يُبْتَدَى وَلاَ يُسَلُ(٢)

وما أجمل قول بشار بن برد فيما يتصل بهذا المعنى .

إذا أنكرتنى بلدة أو نكرتها خرجتُ مع البازى عَلَىَّ سواد(١)

(١) الاعتمار : الزيارة يقال أتانا فلان معتمرا : أى زائرا ، قال أعشى باهلة :

وجاشتِ النفسُ لما جاء فلهُمُ وراكب جاء من تثليثَ معتمر(٢)

ويقال : اعتمر الأمر : أى أمه وقصده . قال العجاج يمدح عمر بن عبيد الله ابن معمر القرشى :

لقد سما ابن مَعمر حين اعتمر مغزًى بعيداً من بعيد وَضَبَرْ
تَقَضِّىَ البازِى إذا البازى كسَرَ(٣)

يقول : قصدى إياه يشغلنى عن قصد غيره لأنى صببت رجائى عليه وعلقت آمالى به ، ويروى اعتماد – بالدال – ومعناه الاعتماد بالسير إليه وتعليق الرجاء به .

(٢) كماله : صفة لمال ؛ ولذوى الحاجات : خبر أصبح ؛ ويسل : أى يسأل – حذفت الهمزة ، ونقلت حركتها إلى السين – يقول : إن المال المبذول مثل ماله قد صار ملكا للعفاة يأخذونه متى شاءوا : فلا هو يبتدئهم بالعطا ، ولا هم يسألونه ، لأنه مالهم – لا ماله – ويروى : أصبح مالا – بالنصب – : أى أصبح للناس نافعا كما أصبح ماله نافعا لذوى الحاجات ، أى أنه ينفعهم بنفسه وماله ، فهو لهم مال ، وكما أن ماله يؤخذ بلا إذن : كذلك لا يستأذن فى الدخول عليه ، فكل من ورد عليه أخذ ماله بلا ابتداء ولا مسألة من الوراد .

---

(١) يقول : إذا لم يقدرنى أهل بلدة أو لم أعرفهم فارقتهم مصاحبا للبازى الذى هو أبكر الطيور مشتملا على بقية من الليل غير منتظر لإسفار الصبح .

(٢) قال الأصمعى : معتمر : أى زائر ؛ وقال أبو عبيدة : هو متعمم بالعمامة ، وتسمى العمارة .

(٣) يقول : ارتفع قدره حين غزا موضعا بعيداً من الشام ، وجمع لذلك جيشا ، وضبر – أى جمع قوائمه – ليثب ؛ وكسر الطائر : ضم جناحيه حتى ينقض يريد الوقوع .

هَانَ عَلَى قَلْبِهِ الزَّمَانُ فَمَا يَبِينُ فِيهِ غَمٌّ وَلاَ جَذَلُ(١)

يَكَادُ مِنْ طَاعَةِ الحِمَامِ لَهُ يَقْتُلُ مَنْ مَادَنَا لَهُ أَجَلُ(٢)

يَكَادُ مِنْ صِحَّةِ العَزِيمَةِ مَا يَفْعَلُ قَبْلَ الفِعَالِ يَنْفَعِلُ(٣)

تُعْرَفُ فِي عَيْنِهِ حَقَائِقُهُ كَأَنَّهُ بِالذَّكَاءِ مُكْتَحِلُ(٤)

أُشْفِقُ عِنْدَ اتِّقَادِ فِكْرَتِهِ عَلَيْهِ مِنْهَا أَخَافُ يَشْتَعِلُ(٥)

---

(١) الجذل : السرور . يقول : لرجحان لبه ورحابة صدره يستخف بطوارق الدهر وحدثان الأيام علما منه أنها لا تبقى على غم ولا سرور ، ومن ثم لا يكون لها أثر فيه فلا يبطر لدى السرور ، ولا يجزع عند الحزن .

(٢) الحمام : الموت . ودنا : قرب . والأجل منتهى الحياة . يقول : إن الموت طائع أمره ، فلو شاء أن يقتل من لم يتم أجله لساعده الموت على ذلك على الرغم من أن فيه تمرداً على المقدور وخرقا له .

(٣) « ما » : اسم موصول ، اسم يكاد ؛ والخبر : ينفعل ؛ وقبل : متعلق بينفعل. يقول : لصحة تقديره ونفاذ عزيمته يكاد فعله يسابقه ، فما يفعله ينفعل قبل فعله ، وبعبارة أخرى : إنه لسداد رأيه وصحة عزمه تكاد أفعاله تسبق وجودها ، لأنه لا يعزم على شيء إلا بعد التروى فيه والقطع بقضائه ، ولعل هذا ينظر إلى قول القائل :

سَدِكَتْ به الأقدارُ حتى إنها لتكاد تفجؤه بما لم يُقدرَ

« سدكت به: لزمته »

(٤) يقول : إن حقائق الخصال والمعانى التى طبعه الله عليها تعرف بالنظر إلى عينه فكأن ذكاءه وفطنته وحدة ذهنه قد اكتحلت بها عينه ، فهى ظاهرة فيها ظهور الكحل؛ وعبارة بعض الشراح : إن حقائق ما طبع عليه — من حدة الذهن وذكاء النفس — تعرف من نظرة عينه حتى كأن عينه مكتحلة بالذكاء ، فهو ظاهر فيها ظهور الكحل .

(٥) الإشفاق : الخوف ، والظرف والحرفان متعلقة بأشفق ؛ وأخاف : بدل من أشفق . وأخاف يشتعل : أى أخاف أن يشتعل ، فحذف « أن » ورفع الفعل . يقول: إذا اضطرمت فكرته واحتد ذهنه عند التروى أشفقت عليه أن يشتعل بنار فكرته هذه لشدة اتقادها وذكاء حدتها فيصير ناراً متوقدة ، كما قال ابن الرومى :

* أخشى عليك اضطرامَ الذهنِ لا حذراً *

أَغَرُّ أَعْدَاؤُهُ إِذَا سَلِمُوا بِالْهَرَبِ اسْتَكْبَرُوا الَّذِي فَعَلُوا(١)
يُقْبِلُهُمْ وَجْهَ كُلِّ سَابِحَةٍ أَرْبَعُهَا قَبْلَ طَرْفِهَا تَصِلُ(٢)
جَرْدَاءَ مِلْءِ الْحِزَامِ مُجْفَرَةٍ تَكُونُ مِثْلَيْ عَسِيبِهَا الْخُصَلُ(٣)
إِنْ أَدْبَرَتْ قُلْتَ لَا تَلِيلَ لَهَا أَوْ أَقْبَلَتْ قُلْتَ مَا لَهَا كَفَلُ(٤)
وَالطَّعْنُ شَزْرٌ وَالْأَرْضُ وَاجِفَةٌ كَأَنَّمَا فِي فُؤَادِهَا وَهَلُ(٥)

---

(١) أى هو أغر ؛ والأغر : السيد الكريم ، وأعداؤه : مبتدأ ؛ خبره : ما بعده . يقول : هو سيد شريف ، وأعداؤه إذا سلموا من القتل بهربهم من بين يديه : أعظموا فعلهم واستكثروه ، لأن الهرب من بين يديه شجاعة لهم . وقوله إذا سلموا بالهرب : إشارة إلى أنهم لا يمكن أن يسلموا مع الثبات .

(٢) أقبلته وجهى : حولته إليه وجعلته قباله ، والسابحة : الفرس تسبح فى جريها ؛ وأربعها : أى قوائمها الأربع ، يقول : يستقبلهم بوجه كل فرس تسبق قوائمها طرفها : أى تضع قوائمها وراء منتهى بصرها ؛ وهذا من قول أبى نواس :

* يسبقُ طرفَ العين فى التهابه *

« أى فى شدة عدوه » . قال ابن جنى : أسرف فى المبالغة حتى خرج إلى مايستحيل وقوعه لأن القوائم إذا وصلت قبل الطرف فقد وصف النظر بالضعف .

(٣) الجرداء : القليلة الشعر ، والمجفرة : الواسعة الجنبين ؛ والجفرة : سعتهما ؛ والعسيب : عظم الذنب ؛ والخصل : جمع الخصلة من الشعر . يقول : إنها تملأ الحزام بسعة جنبيها وعظم بطنها وإن شعر ذنبها أطول من عسيبها ، ويستحب فى الخيل قصر العسيب وطول شعره .

(٤) التليل : العنق ؛ والكفل : الردف ، ويستحب فيهما الإشراف . يقول : إنها مشرفة الكفل عريضة الصدر ، فإذا أدبرت منع إشراف كفلها من رؤية عنقها ، وإذا أقبلت منع اتساع صدرها من رؤية كفلها ؛ وعبارة الواحدى : من حيث تأملتها وجدتها مشرفة عند إقبالها بعنقها وعند إدبارها بعجزها ، كما قال على ابن جبلة :

تحسبهُ أقعدَ فى استقباله حتى إذا استدبرتهُ قلت أكبْ

يريد : هذه الفرس من حيث تأملتها رأيتها حسنة فى إقبالها وإدبارها .

(٥) والطعن شزر : جملة حالية : أى يقبلهم وجه كل سابحة فى هذه الحال ؛ والطعن الشزر : ما كان عن يمين وشمال ؛ وذلك أشد الطعن ، وواجفة : مضطربة

قَدْ صَبَغَتْ خَدَّهَا الدِّمَاءُ كَمَا ... يَصْبُغُ خَدَّ الْخَرِيدَةِ الْخَجَلُ،(١)
وَالْخَيْلُ تَبْكِى جُلُودُهَا عَرَقًا ... بِأَدْمُعٍ مَا تَسُحُّهَا مُقَلُ،(٢)
سَارٍ وَلاَ قَفْرَ مِنْ مَوَاكِبِهِ ... كَأَنَّمَا كُلُّ سَبْسَبٍ جَبَلُ،(٣)
يَمْنَعُهَا أَنْ يُصِيبَهَا مَطَرٌ ... شِدَّةُ مَا قَدْ تَضَايَقَ الأَسَلُ،(٤)

لشدة الحرب : أى ترى أن الأرض تتحرك كأن فى قلب الأرض وهلا ـ أى فزعا ـ فهى ترعد من الخوف . ولما وصف الأرض بالحركة من الخوف استعار لها قلبا . وعبارة بعض الشراح : واجفة : أى مضطربة يريد اضطراب الفرسان عليها إقبالا وإدبارا حتى كأنها تمور بهم .

(١) الضمير فى « خدها » للأرض ؛ والخريدة : الحية ، شبه وجه الأرض متلطخا بالدماء بخد الجارية الحيية إذا خجلت فاحمر لونها ، واستعار للأرض خدا لمشاكلة ما فى الشطر الثانى .

(٢) السح : السكب ، والمقل : جمع مقلة . وهى شحمة العين التى تجمع البياض والسواد . يريد أن الخيل ـ من شدة الطراد وما هى فيه من هول الحرب ـ قد عرقت ، فجعل العرق مثل الدمع . إلا أنه لم ينزل من عيون ولا جفون ، ولكنه جار من الجلود .

(٣) سار : يروى بكسر فتنوين : اسم فاعل . من السرى ، ويروى بالفتح : فعلا ماضيا ، والمواكب : الجيوش ؛ والسبسب الفلاة الواسعة . يقول : قد عم القفار والأماكن الخالية بجيوشه فملأها حتى لم يبق قفر . وشبه السبسب بالجبل لكثافة جيوشه وارتفاعها بالخيل والأسلحة والرماح . يعنى أن مواكبه تراكمت فى السهول على خيولها حتى صارت السهول كالجبال .

(٤) الأسل : الرماح ، يقول : إن رماحهم اشتبكت وتضايق ما بينها حتى لو أصابهم مطر لم ينفذ إليهم من خلال تلك الرماح لشدة اتصالها والتحامها ؛ وأصل هذا المعنى لقيس بن الحطيم :

لو أنك تُلقى حنظلاً فوق بيضنا ... تدحرج عن ذِى سامِه المتقارِب

« عن ذى سامه : أى على ذى سامه ؛ والهاء فى « سامه » : ترجع إلى البيض ؛ يعنى البيض المموه بالذهب ، لأن السام عروق الذهب . يقول قيس : أنهم تراصوا

يَا بَدْرُ يَا بَحْرُ يَا غَمَامَـــةُ يَا لَيْثَ الشَّرَى يَا حِمَامُ يَا رَجُلُ(١)
إِنَّ الْبَنَانَ الَّذِى تُقَلِّبُـــهُ عِنْدَكَ فِى كُلِّ مَوْضِعٍ مَثَلُ(٢)

فى الحرب حتى لو وقع حنظل على رءوسهم — على إملاسه واستواء أجزائه — لم ينزل إلى الأرض » . ثم قال ابن الرومى :

فلو حصبتهُمْ بالفضاء سحابة لظلت على هاماتِهِمْ تتدحرج

فنزل عن الحنظل إلى البرد ، وبالغ فى ذلك ثم نزل المتنبى عن البرد إلى المطر ، وهو ألطف منه ثم أخذ السرى الرفاء هذا المعنى فقال :

تضايق حتى لو جرى الماء فوقه حماهُ ازدحامُ البَيْضِ أن يتسربا

فنقله من المطر إلى الماء .

(١) ليث الشرى : أسد الشرى ؛ والشرى : مكان يوصف بكثرة الأسود . والحمام : الموت . يقول : أنت بدر فى الحسن ، بحر فى الجود ، سحاب فى كثرة العطاء ، أسد فى الشجاعة والبأس ، موت للعدو ، ورجل فى الحقيقة ، يعنى جمعت هذه الأوصاف وأنت رجل .

(٢) عندك : صلة تقلبه ؛ وفى كل موضع : صلة مثل . يقول إن كفك التى تقلبها وأنت فى بلدك وتصرفها فى العطايا والهبات قد اشتهر ذكرها فى كل موضع حتى صارت مثلا فى الجود . ويروى — نقبله — من التقبيل أى نقبله نحن والناس أجمعون ، والرواية الأولى أجود . هذا : والبنان : الأصابع ، وقيل أطرافها ؛ والبنام : لغة فيها . قال عمر بن أبى ربيعة :

* فقالت وعضَّت بالبنامِ فَضَحْتَنى *

وواحدة البنان : بنانة ، وجمع القلة : بنانات ؛ وربما استعاروا بناء أكثر العدد لأقله ، أنشد سيبويه :

قد جعلت مَىّ على الظـــرار خَمْسَ بَنانٍ قانىء الأظفار(١)

---

(١) قال الشنتمرى : الشاهد فيه إضافة الخمس إلى البنان ، وهو اسم يستغرق الجنس على تقدير : خمس من البنان . والظرار : جمع ظرر ، وهى حجارة مستديرة محددة ؛ يقال أرض مظرة : إذا كانت كثيرة الظرار ؛ ويروى على الطرار — بطاء غير معجمة —

إنكَ مِنْ مَعْشَرٍ إذَا وَهَبُوا ... مَا دُونَ أعْمَارِهِمْ فَقَدْ بَخِلُوا(١)

قُلُوبُهُمْ فِي مَضَاءِ مَا امْتَشَقُوا ... قَامَاتُهُمْ فى تَمَامِ مَا اعْتَقَلُوا(٢)

أنتَ نَقِيضُ اسْمِهِ إذَا اخْتَلَفَتْ ... قَوَاضِبُ الهِنْدِ وَالقَنَا الذُّبُلُ(٣)

أنْتَ لَعَمْرِى البَدْرُ المُنِيرُ وَلَـٰكِنَّكَ فِي حَوْمَةِ الوَغَى زُحَلُ(٤)

يريد خمسا من البنان ؛ ويقال بنان مخضب ، لأن كل جمع بينه وبين واحده الهاء فإنه يوحد ويذكر .

(١) أى بخلوا عند أنفسهم ، إذ لم يفعلوا الواجب عليهم بحكم جودهم حيث لم يهبوا الأعمار وبعبارة أخرى : إن مقتضى جودهم أن لا يبقوا على شىء فإذا أعطوا كل ما يملكون ولم يهبوا أعمارهم لم يبرئوا أنفسهم من البخل .

(٢) امتشق السيف : استله وأسرع الطعن والضرب ؛ واعتقل الرمح : جعله بين ساقه وركابه . يقول : إن لقلوبهم مضاء سيوفهم ، ولقاماتهم طول رماحهم . وقال ابن وكيع — وأنت تعلم مقدار تجنيه على المتنبي وولوعه بالتشهير به وبسرقاته — أخذ هذا من قول عوف بن محلم الشيبانى :

إن الثمانينَ وبُلِّغْتَهـــا ... قد أحوجت سمعى إلى تَرْجُمَانِ

وبدلتنى بالشطاط انحِنـــا ... وكنتُ كالصعْدَةِ تحت السنان

(٣)و(٤) قواضب الهند : أى السيوف القواطع ، والذبل : الطوال الصلاب ، وحومة كل شىء : معظمه ؛ والوغى : الحرب . وزحل : من كواكب النحس ، والقمر : سعد يقول : أنت رجل نقيض اسمه فى الحرب ، لأن البدر الذى هو اسمك من كواكب السعد ولكنك فى الحرب نحس على أعدائك . لأنك هلاك لهم .. أو تقول — كما قال بعض الشراح — : إن البدر منير فيهتدى به فى الأسفار ، وأنت فى الحرب نقيض اسمك ، إذ تقتل الناس وتثير الغبار بالخيل فتظلم الأرض ، ففعلك فى الحرب نقيض فعلك فى السلم .

جمع طرة ، وهى عقيصة من مقدم الناصية ، ترسل تحت التاج فى صدغ الجارية ، وربما اتخذت من رامك ، وهو ضرب من الطيب ، وهذا أشبه بمعنى البيت . والبنان : جمع بنانة ، وهى الإصبع ؛ والقانىء : الشديد الحمرة من الخضاب .

كَتِيبَةٌ لَسْتَ رَبَّهَا نَفَـــلٌ ... وَبَلْدَةٌ لَسْتَ حَلْيَهَا عُطُلُ (١)

قُصِدَتْ مِنْ شَرْقِهـــا وَمَغْرِبِهَا ... حتّى اشْتَكَتْكَ الرِّكَابُ وَالسُّبُلُ (٢)

لَمْ تُبْقِ إلاَّ قَلِيــلَ عافِيَةٍ ... قَدْ وَفَدَتْ تَجْتَدِيكَهَا العِلَلُ (٣)

عُــذْرُ المُلُومَيْنِ فِيكَ أَنَّهُمَا ... آسٍ جَبَانٌ وَمِبْضَعٌ بَطَلُ (٤)

---

(١) الكتيبة : القطعة من الجيش ؛ وكتيبة : مبتدأ ؛ والخبر : نفل ؛ وكذا فى المصراع الثانى ؛ والنفل : الغنيمة ؛ والحلى : الزينة . والعطل : التى لاحلى لها يقول : كل جيش لست صاحبه وأميره هو نفل للعدو ، وكل بلدة لست زينتها هى عطل لا زينة لها .

(٢) شرقها ومغربها : أى الأرض ، وإن لم يجر لها ذكر للعلم به . والركاب : الإبل . يقول : قصدك الناس من شرق الأرض وغربها طمعاً فى عطائك وحرصاً على لقائك حتى اشتكتك الإبل لكثرة ما امتطيت إليك والطرق بكثرة ما وطئت وذللت بالخفاف والحوافر والأقدام ، وقال بعض الشراح : لأنها ضاقت بكثرة القاصدين والسالكين .. وليس بشىء ، وشكوى الإبل كثيرة فى الشعر قال أبو العتاهية :

إن المطايا تشتكيك لأنها ... قطعت إليكَ سباسباً ورِمالاً

وقال البحترى :

تشكّى الوجي والليلُ مُلتبسُ الدجى ... غُريرية الأنساب مَرْتٌ بقيعُها

«الوجى : الحفا ؛ والمرت : المفازة لانبات فيها ؛ والبقيع : الموضع فيه أصول الشجر من ضروب شتى » .

أما اشتكاء الطرق فهو من اختراعات المتنبى .

(٣) قليل عافية : أى عافية قليلة ، فهو من إضافة الصفة للموصوف وتجتديكها : أى تستوهبك إياها ؛ والعلل : الأمراض . يقول : بذلت كل مالك ولم يبق لك إلاقليل من العافية فقدمت العلل عليك تستوهبه منك ، وهذا كقوله لسالف :

وبذلت ما ملكتهُ نفسُكَ كُلَّهُ ... حتى بذلتَ لهــذهِ صِحّاتِها

(٤) الآسى : الطبيب ؛ والمبضع : حديدة الفاصد ؛ والبطل : الشجاع ؛ ويريد بالملومين : ماذكره بعد من الآسى والمبضع . وقد كان الفصاد فصده وأخطأ فى فصده

مَدَدْتَ فى رَاحَةِ الطَّبِيبِ يَدًا … وَمَا دَرَى كَيْفَ يُقْطَعُ الأَمَلُ(١)

إنْ يَكُنِ الْبَضْعُ ضَرَّ بَاطِنَهَا … فَرُبَّمَا ضَرَّ ظَهْرَهَا الْقُبَلُ(٢)

ونفذت حديدته فى يده وأصابه لذلك مرض ، وجعل الطبيب وللبضع ملومين فى ذلك الخطأ الحاصل منهما ، ثم قال عذرهما فيك أن الطبيب كان جبانا فارتعدت يده هيبة لك والمبضع كان شجاعا ــ أى حاداً نافذاً ــ فتولدت العلة من هذين ، ثم ذكر للطبيب عذراً آخر فى البيت التالى .

(١) يقول : إنما وقع للطبيب الخطأ لأن يدك أمل الناس جميعا ، منها يرجون الإحسان والعطاء ، فلم يدر الطبيب كيف يقطع الأمل ؛ لانه إنما تعود قطع العروق ، لاقطع الآمال . وقال ابن المعتز فيما يتصل بهذا المعنى للقاسم بن عبيد الله :

يا قاصداً لِيَدٍ جلَّتْ أياديهـا … ونال منها الذى يرجوه راجيها

يَدُ الغِنى هى فارفقْ لاتُرِقْ دمها … فإنَّ أرزاقَ طُلاب الغِنَى فيها

وقال أيضا للخليفة المعتمد :

يا دماً سـال من ذراع الإمام … أنت أذكى من عنبر ومدام

قد حسبناك إذ جريت إلى الطسـ … ـت دموعا من مُقلتى مستهام

إنمـا غيب الطبيبُ شَبا المِبـ … ـضع فى نفس مهجة الإسلام

(٢) البضع : الفصد ؛ والقبل : جمع قبلة ؛ وهى الاسم من التقبيل . وأراد بضر القبل : كثرة تقبيل الناس ظهر كفه حتى أثر فيه وضره . قال الواحدى : وقد أكثر الشعراء من ذكر تقبيل اليد ولم يذكر أحد أنها استضرت بالقبل غير أبى الطيب ، وهذا من مبالغاته ، قال ابن الرومى :

فامْـدُدْ إلىَّ يداً تعوَّد بطنُهَا … بذل النوالِ وظهرُها التقبيلا

وقال إبراهيم بن العباس للفضل بن سهل :

لفضل بن سهلٍ يَدٌ … تقاصَرَ عنها المثَـلْ

فباطِنُهَا للنـدى … وظاهرها للقُبَـلْ

وقال أبو الضياء الحمصى :

وما خُلقَتْ كَفَّاك إلا لأربع … وما فى عبادِ الله مِثلك ثانِ

يَشُقُّ فى عِرْقِهَا الْفِصَادُ وَلاَ يَشُقُّ فى عِرْقِ جُودِهَا الْعَذَلُ(١)
خَامَرَهُ إذْ مَدَدْتَهَا جَزَعٌ كَأَنَّهُ مِنْ حَذَاقَةٍ عَجِلُ(٢)
جَازَ حُدُودَ اجْتِهَادِهِ فَأَتَى غَيْرَ اجْتِهَادٍ لِأُمِّهِ الْهَبَلُ(٣)
أَبْلَغُ مَا يُطْلَبُ النَّجَاحُ بِهِ الطَّبْعُ وَعِنْدَ التَّعَمُّقِ الزَّلَلُ(٤)
ارْثِ لَهَا إنَّهَا بِمَا مَلَكَتْ وَبِالَّذِى قَدْ أَسَلْتَ تَنْهَمِلُ(٥)

لتجريد هِنْدِيٍّ وإسداء نائلٍ وتقبيل أفواه وأخْذِ عِنان

وقد ملح من قال :

يَدٌ تَرَاهَا أبدًا فَوْق يد وتحت فَمْ
ما خُلقت بنانها إلا لسيف أو قلم

(١) الفصاد : هو الفصد ؛ وأراد بالشق : التأثير والنفاذ . ومن ثم عداه بفى ، واستعار لجوده عرقا لما ذكر عرق يده ؛ والعذل : الملام . يقول : إن الفصد يؤثر فى يده ، ولكن لايؤثر الملام فى جودها ، أى لاينجع قول اللائمين فيه . وقد نظر فى هذا إلى قول أبى تمام :

خلائقُ كالزَّغْفِ المضاعف لم يكن لِيُنقِذَهَا يوماً شَباةُ اللوائم

(٢) خامره : خالطه ، والجزع : الفزع وقلة الصبر ؛ والحذاقة : مصدر كالحذق ؛ والعجل : المستعجل . يقول : خامرى الطبيب — حين مددت يدك إليه للفصد — جزع من هيبتك فعجل فى الفصد ولم يتأن كأنه عجل من حذقه ، وهو على الحقيقة عجل من خوفه .

(١) جاز الشىء : تعداه ؛ وغير اجتهاد . مفعول أتى ؛ والهبل : الثكل . يقول : بالغ فى الاجتهاد حتى جاوزحد الاجتهاد ففعل ماهو غير اجتهاد لأن الخطأ من فعل المقصرين المتهاونين ، ثم دعا عليه فقال لأمه الثكل .

(٢) التعمق : بلوغ عمق الشىء — وهو أقصاه — يريد به المبالغة ومجاوزة الحد . يقول : إن النجاح فى الأمور مقرون بما يفعله الإنسان حسب مقتضى طبعه وحين يرسل نفسه على سجيتها ، فإذا تكلف وبالغ وتعمق زل فأخطأ .

(٣) ارث لها : رق ؛ وبما وبالذى :متعلقان بتنهمل . يقول مخاطبا الطبيب — : ارفق

مِثْلُكَ يا بَدْرُ لاَ يَكُونُ وَلاَ تَصْلُحُ إلاَّ لِمِثْلِكَ الدُّوَلُ(١)

* * *

وقال أيضاً يمدحه :

بَقَائِى شَــاءَ لَيْسَ هُمُ ارْتِحَالاَ وَحُسْنَ الصَّبْرِ زَمُّوا لاَ الْجِمَالاَ(٢)

بهذه اليد فإنها يد تسيل بما ملكته : أى تجود بمالها على العفاة وتسيل بمثل ما أسلته منها أى بالدم الذى تسفكه من الأعداء .

(١) إلا لمثلك : أى إلا لك . يقول : لا يخلق الله مثلك ولا تصلح الدولات إلا لك فى جودك وكرمك وإحسانك إلى الناس ، وصاحب الدولة يجب أن يكون كريما سخيا لينتفع الناس بدولته .

(٢) زم البعير : خطمه بالزمام ، واسم ليس : ضمير الشأن ، وهم : مبتدأ ، وخبره محذوف : أى ليس الأمر والخبر هم شاءوا . فحذف «شاءوا» لتقدمه فى أول الكلام ، ويجوز أن يكون « هم » : اسم ليس ، إلا أنه استعمل الضمير المنفصل موضع المتصل ضرورة ، والتقدير : بقائى شاء الارتحال ليسوا شاءوا ، ويجوز أن تكون «ليس» هنا حرفا عاطفاً فلا يكون لها اسم ولا خبر . يقول : لما ارتحلوا عنى ارتحل بقائى ، فكأن بقائى شاء ارتحالا ؛ لاهم شاءوا ذلك ، وكأنهم زموا صبرى للمسير ، لاجمالهم ، لأنى فقدت الصبر بعدهم ، وإنما نفى الارتحال عنهم لأن ارتحال بقائه أهم وأعظم شأنا ، فكأن ارتحالهم ليس ارتحالا عند ارتحال بقائه ، ولأنهم ربما يعودون ، والبقاء إذا ارتحل لم يعد ، وكذلك مسير صبره أعظم من مسير الجمال ، فلم يعتد بسير جمالهم مع سير صبره عنه . وعبارة بعض الشراح : لما ارتحل الأحبة ارتحلت حياته لأنه غير باق بعدهم ؛ فبقاؤه هو الذى أراد الارتحال ، لاهم . ولما جعل حياته راحلة جعل مطيتها حسن الصبر ، لأنه لو صبر لم يكن لرحيل حياته سبب ، وإنما أثبت الرحيل لحياته دونهم بناء على أن الحياة والأحبة شىء واحد ، فليس هناك حياة وأحبة ولا صبر وجمال ، وإنما هم الحياة عينها ، ومطيهم الصبر نفسه ؛ وقال ابن القطاع : بقاء شاء ؛ أى سبق ارتحالهم ، يقال شاءه : وشآه : إذا سبقه ، ولولا ذلك لمت أسفاً ، وهذا على المبالغة . وقيل المعنى بقائى أراد رحيلهم ، فشاء من المشيئة ، فليتنى مت ولم أره يتأسف ، إذ لم يمت عند رحيلهم .

تَوَلَّوْا بَغْتَــةً فَـكَأَنَّ بَيْناً تَهَيَّبَنى فَفَاجَأَنى اغْتِيـالاَ(١)
فَـكَانَ مَسِيرُ عِيسِهِمِ ذَمِيلاً وَسَيْرُ الدَّمْعِ إِثْرَهُمُ انْهِمَالاَ(٢)
كَأَنَّ الْعِيسَ كَانَتْ فَوْقَ جَفْنِى مُنَاخَاتٍ فَلَمَّا ثُرْنَ سَالاَ(٣)
وَحَجَّبَتِ النَّوَى الظَّبَيَاتِ عَنِّى فَسَاعَدَتِ الْبَرَاقِـعَ وَالْحِجَالاَ(٤)
لَبِسْنَ الْوَشْىَ لاَ مُتَجَمِّلاَتٍ وَلَـكِنْ كَىْ يَصُنَّ بِهِ الْجَمَالاَ(٥)

---

(١) تولوا : أدبروا ؛ والبين : الفراق ؛ وتهيبنى : هابنى . والاغتيال أخذ الإنسان من حيث لايدرى . يقول : كأن البين هابنى ففاجأنى باغتياله ، يريد فاغتالنى اغتيال مفاجأة .

(٢) العيس : الكرام من الإبل ؛ وروى عيرهم ، وهى الإبل التى تحمل الميرة ، والذميل : السير المتوسط . والانهمال الانسكاب . يقول : كانت إبلهم تسير الذميل ودمعى ينصب فى أثرهم انصبابا ، يتوجع ويتحسر . ومثله لابن الرومى :

لهم على العيس إمعان يشُطُّ بهم وللدموع على الخدين إمعـانُ

(٣) أناخ البعير : أبركه ؛ وثرن : أى نهضن للمسير ؛ والبيت مبنى على ماقبله . يقول : كنت لا أبكى قبل فراقهم ، فكأن إبلهم كانت تمسك دمعى عن السيلان ببروكها فوق جفنى ، فلما فارقونى سال دمعى ، فكأنها ثارت للرحيل من فوق جفنى فسال ما كانت تمسك من دموعى . وهو تخيل بديع .

(٤) النوى : البعد والفراق ؛ والحجال : الخدور . يقول : لما ارتحلوا حجبتهم النوى عن عينى ، فساعدت النوى ما كان يحجبهن عنى قبل من البراقع والخدور .

(٥) الوشى : الثياب المنقوشة ؛ وحجر به وشى : أى حجر من معدن فيه ذهب ، أنشد ابن الأعرابى لأحيحة بن الجلاح يرثى ابنا له :

وما هِـبْرِزِىٌّ من دنانير أيلة بأيدى الوُشاةِ ناصع يتأكلُ
بأحسن منهُ يوم أصبح غادياً ونفسنى فيهِ الحِمـامُ المعجلُ

« الوشاه الصرافون : يعنى ضراب الذهب ؛ ونفسنى فيه : رغبنى ، والهبرزى الدينار الجديد » والتجمل : التزين . يقول : هن غنيات بحسنهن عن التجمل بلبس الديباج ولكن يلبسنه ليصن به جمالهن عن أعين الناظرين . قيل للصاحب أغرت على أبى الطيب فى قولك :

وَضَفَرْنَ الْغَدَائِرَ لاَ لِحُسْنٍ ... وَلَـٰكِنْ خِفْنَ فِى الشَّعَرِ الضَّلاَلاَ(١)

بِجِسْمِى مَنْ بَرَتْهُ فَلَوْ أَصَارَتْ ... وِشَاحِى ثَقْبَ لُؤْلُؤَةٍ لَجَالاَ(٢)

وَلَوْلاَ أَنَّنِى فى غَـيْرِ نَوْمٍ ... لَـكُنْتُ أَظُنُّنِى مِنِّى خَيَالاَ(٣)

لبِسْن بُرُود الوشى لا لتجملٍ ... ولـكن لصون الحسن بين برود

فقال : نعم ، كما أغار هو فى قوله :

ما بال هـــذى النجوم حائرةً ... كأنها العُمْىُ مالهـــا قائدْ

على بشار فى قوله :

والشمسُ فى كبدِ السماء كأنها ... أعمى تحـــير ما لديه قائدُ

(١) التضفير : فتل الذوائب ؛ والغدائر : جمع غديرة ، وهى الخصلة من الشعر . يقول : لم ينسجن ذوائبهن طلباً للتحسين ، ولـكن خفن أن يضللن فيها لو أرسلنها لأنها تغشاهن كالليل : قال ابن جنى : قد وصفت الشعراء الشعر بالـكثرة ، ولـكن لم تفرط فى ذلك مثل المتنبى ، قال ابن المعتز :

دعت خلاخيلها ذوائبُهـــا ... فجئن من قرنها إلى القـــدم

(٢) بجسمى : أى أفدى بجسمى ؛ وبرته : هزلته ؛ والوشاح : شبه قلادة تشده المرأة بين العاتق والـكشح . يقول : أفدى بجسمى التى هزلته حتى لو جعلت وشاحى ثقب لؤلؤة لوسعنى حتى يدور على إذا شئت أن أديره ، يصف دقته ونحوله ، ومثل هذا يقول الآخر :

قد كان لى فيما مضى خاتم ... والآن لو شئت تمنطقتُهُ

(٣) يقول : لولا أنى يقظان لـكنت أظن نفسى خيالا ، يعنى أنه كالخيال فى الدقة ، إلا أن الخيال لا يرى فى اليقظة ، فقوله أظننى : أى أظن نفسى وقوله منى : متعلق بخيالا : أى خيالا منى ، كما تقول : جاءنى خيال من المحبوب قال الواحدى : قوله منى : أى من دقق ، ويبعد أن يقال من نفسى ، لأنه قال أظننى ، ومعناه أظن نفسى ، ولا يقال أظن نفسى خيالا من نفسى . هذا : والعرب تقول ظننتنى وخلتنى وعلمتنى ، ولم يروعنهم ضربتنى ، لأن الفعل لما كان يتعدى إلى مفعولين اتسعوا فى أحدهما لقوة تعديته . وقد جاءت عدمتنى شاذة فى قول جران العود :

بَدَتْ قَمَراً وَمَالَتْ خُوطَ بَانٍ وَفَاحَتْ عَنبَراً وَرَنَتْ غَزَالاً(١)

وَجَارَتْ فِي الْحُكُومَةِ ثُمَّ أَبْدَتْ

لَنَا مِنْ حُسْــنِ قَامَتِهَا اعْتِدَالاً(٢)

كَأَنَّ الْحُزْنَ مَشْغُوفٌ بِقَلْبِي

فَسَــاعَةَ هَجْرِهَا يَجِدُ الْوِصَالاً(٣)

لقد كان لى فى ضَرَّتين عدِمْتُنِي وما أنا لاقٍ منهما مُتَزَحْزِحُ

(١) الخوط : الغصن الناعم : ورنت : نظرت ؛ والمنصوبات فى البيت أسماء وضعت موضع الحال . كأنه قال : بدت مشرقة ، ومالت متثنية ، وفاحت طيبا ، ورنت مليحة ؛ أو تقول المعنى : بدت مشبهة قمرا فى حسنها ، ومالت مشبهة غصن بان فى تثنيها ، وفاحت مشبهة عنبراً فى طيب رائحتها ، ورنت مشبهة غزالا فى سواد مقلتها . وهذا يسمى التدبيج فى الشعر ، ومثله :

سَفَرْنَ بُدُوراً وانتقبن أهِــلَّةً ومِسْن غصوناً والتفتن جآذِرَا

(٢) جار عن الطريق : مال ؛ وكثر استعماله فى الظلم لأنه جور عن الحق . يقول: هى فى حكمها جائرة ، ولكن قدها معتدل لاجور فيه .

(٣) يقول : كأن الحزن يعشق قلبي ، وإنما يجد الوصال إذا هجرتنى ، يعنى كما هجرتنى واصل الحزن قلبي وعلق به . هذا : وقوله «مشغوف» روى بالعين المهملة ، وبالغين المعجمة ؛ وقد قرىء قوله تعالى «قد شغفها حبا» بالعين وبالغين ، فمن قرأها بالعين فمعناه تيمها ، ومن قرأها بالغين يعنى أصاب شغاف قلبها أو غشى الحب قلبها ؛ وشغاف القلب وشغفه : غلافه . قال قيس بن الخطيم :

إنى لأهواكِ غَــيْرَ ذِى كَذِبٍ قد شَفَّ مِنِّى الأَحْشَاءَ والشَغَفُ

أما الشغف : فهو إحراق الحب القلب مع لذة يجدها ، كما أن البعير إذا هنى بالقطران يجد له لذة مع حرقة .

قال امرؤ القيس :

لتقتلنى وقد شَعَفْتُ فؤادَها كما شَعَفَ المهنوءَةَ الرجُلُ الطالى

« يعنى أحرقت فؤادها بحبي كما أحرق الطالى هذه المهنوءة ففؤادها طائر من لذة الهناء ، لأن المهنوءة تجد للهناء لذة مع حرقة » .

كَذَا الدُّنْيَا عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلِي ... صُرُوفٌ لَمْ يُدِمْنَ عَلَيْهِ حَالَا(١)
أَشَدُّ الْغَمِّ عِنْـــدِي فِي سُرُورٍ ... تَيَقَّنَ عَنْـهُ صَاحِبُهُ انْتِقَالَا(٢)
أَلِفْتُ تَرَحُّلِي وَجَعَلْتُ أَرْضِي ... قُتُودِي وَالْغُرَيْرِيَّ الْجُلَالَا(٣)
فَمَا حَاوَلْتُ فِي أَرْضٍ مُقَامًا ... وَلَا أَزْمَعْتُ عَنْ أَرْضٍ زَوَالَا(٤)
عَلَى قَلَقٍ كَأَنَّ الرِّيحَ تَحْتِي ... أُوَجِّهُهَا جَنُوبًا أَوْ شَمَالَا(٥)

---

(١) كذا : خبر مقدم عن «الدنيا» وصروف : خبر عن محذوف : أى هى صروف ؛ والصروف : الأحداث : يقول : إن الدنيا كانت على من كان قبلى كما أراها الآن : أى كما هى على الآن ، ثم بين ذلك فقال : هى صروف لا تدوم على حاله واحدة

(٢) فى سرور : خبر «أشد» والجملة بعده : نعت سرور . يقول : إن السرور الذى يتيقن صاحبه الانتقال عنه هو عندى أشد الغم لأنه يترقب وقت زواله فلا يطيب له ذلك السرور .

(٣) قتودى : جمع قتد . وهو خشب الرحل ، والغريرى : المنسوب إلى غرير ، فحل من الإبل كان فى الجاهلية تنسب إليه كرام الإبل والجلال : كالجليل ـ أى العظيم ـ كما يقال : طوال ، وطويل . يقول : تعودت الارتحال حتى ألفته ، وصارت الرحال أرضا لى ، لأنى أبداً على الرحال ، فهى لى كالأرض للمقيم .

(٤) المقام : مصدر ميمى ، بمعنى الإقامة . وأزمع الأمر : وأزمع عليه : مضى فيه ؛ وثبت عليه عزمه ؛ وقال الكسائى : يقال أزمعت الأمر ، ولا يقال أزمعت عليه . قال الأعشى :

أَأَزْمَعْتَ مِنْ آلِ لَيْلَى ابْتِكَارَا ... وَشَطَّتْ عَلَى ذِي هَوًى أَنْ تُزَارَا

وقال الفراء : أزمعته وأزمعت عليه : بمعنى ، مثل أجمعته وأجمعت عليه يقول : ما طلبت الإقامة فى أرض لأنى أبداً على سفر ، ولا عزمت على الرحيل عنها . لأن الرحيل إنما يكون بعد الإقامة ، ولا إقامة لى حتى أرحل .

وقال ابن جنى : المعنى إذا كان ظهره — أى البعير — كالوطن لى فأنا — وإن جبت البلاد — كالقاطن فى داره

(٥) على قلق : القلق الاضطراب ؛ والجار والمجرور : فى موضع الحال من التاء فى ألفت ؛ ويروى على قلق ـ بكسر اللام ـ أى بعير قلق . يقول : لا أستقر فى مقام

إِلَى الْبَدْرِ بْنِ عَمَّارِ الَّذِى لَمْ ... يَكُنْ فِى غُرَّةِ الشَّهْرِ الْهِلاَلاَ (١)
وَلَمْ يَعْظُمْ لِنَقْصٍ كَانَ فِيهِ ... وَلَمْ يَزَلِ الْأَمِيرَ وَلَنْ يَزَالاَ
بِلاَ مِثْلٍ وَإِنْ أَبْصَرْتَ فِيهِ ... لِكُلِّ مُغَيَّبٍ حَسَنٍ مِثَالاَ (٢)
حُسَامٌ لِابْنِ رَائِقٍ الْمُرَجَّى ... حُسَامِ الْمُتَّقِى أَيَّامَ صَالاَ (٣)
سِنَانٌ فى قَنَاةِ بَنِى مَعَدٍّ ... بَنِى أَسَدٍ إِذَا دَعَوُا النِّزَالاَ (٤)

كأنى على ظهر الريح : أوجهها مرة إلى جانب الجنوب ومرة إلى جانب الشمال ، فعبر بالريحين عن الجانبين ، ويروى يميناً أو شمالا ، فتكون بكسر الشين .

(١) غرة الشهر : أراد أول الشهر ؛ وإلى البدر : يروى إلى بدر بن عمار ـ بدون أل ـ لأنه علم . ومن روى البدر : أراد بدر السماء ، لا الاسم العلم ، يعنى إلى الرجل الذى هو كالبدر ، ثم نسبه إلى أبيه ، لأنه ليس بدراً على الحقيقة ، وإن أشبهه : ألا ترى أنه قال لم يكن فى غرة الشهر الهلال ، ولا بدر إلا وكان هلالا أولا ؟ وهذا الذى عناه لم يكن هلالا قط ، وقد فسر هذا بقوله : ولم يعظم لنقص «البيت» . وترك التنوين من « عمار » ضرورة لسكونه وسكون اللام واللام فى قوله «لنقص» فى البيت التالى ـ بمعنى بعد كما فى قوله :

* لطول اجتماع لم نبت ليلة معا *

(٢) يقول: هو منقطع النظير لا مثل له ، وإن رأيت فيه من الصفات ما يمثل لك كل ماغاب عنك من المحاسن ، وذلك كالشجاعة مثلا والجود والحسن ، فإن هذه الصفات فيه تمثل لك الأسد والغيث والبدر ، ولكن هذه مع كونه يشبهها فى بعض صفاته لاشىء منها يشبهه فى جميع صفاته . يعنى أنه لم يجتمع فى أحد ما اجتمع فيه وإن كانت أشباهه متفرقة فى أشياء كثيرة : فكفه كالبحر ، وقلبه وعضده كالأسد ، ووجهه كالبدر .

(٣) حسام : أى هو حسام : سيف قاطع ؛ وحسام ـ الثانى ـ بدل من ابن رائق. يقول : هو حسام لأبى بكر بن رائق ؛ الذى كان حساماً للمتقى لله الخليفة العباسى حين صال به على بنى البريدى ، وقد كان المتقى حاربهم به فى خبر ليس هذا موضعه .

(٤) بنو معد : هم العرب ، لأن نسبهم ينتهى إلى معد بن عدنان . وبنى أسد : بدل من قوله بنى معد ، وهم رهط الممدوح . قال الواحدى : يقول إن الممدوح سنان فى قناة العرب الذين هم بنو معد ؛ ثم خصص بعض التخصيص وأبدل من بنى معد : بنى أسد فكأنه قال : هو سنان قناة بنى أسد عند الحرب ؛ والنزال : منازلة الأقران ـ

أَعَزُّ مُغَالِبٍ كَفّاً وَسَيْفاً ... وَمَقْدِرَةً وَمَحْمِيَةً وَآلا (١)

وَأَشْرَفُ فَاخِرٍ نَفْساً وَقَوْماً ... وَأَكْرَمُ مُنْتَمٍ عَمّاً وَخَالا (٢)

يَكُونُ أَحَقُّ إِثْنَاءٍ عَلَيْهِ ... عَلَى الدُّنْيَا وَأَهْلِيهَا مُحَالا (٣)

بعض إلى بعض – من الخيل عند شدة القتال . يقول : هو رئيسهم وصدرهم الذى به يقاتلون ، وفى مثل هذا المعنى يقول النامى – وقد قصر عنه المتنبى – :

إذا فاخَرَتْ بالمكرُماتِ قبيلة ... فتَغْلِبُ أبناءُ العُلَى بكَ تغلِبُ

قناةٌ مِنَ العَلياءِ أنتَ سِنانُها ... وتلكَ أنابيبٌ إليكَ وأكْعُبُ

وقال بعض الشراح : بنى أسد : بدل من قناة ، ثم قال : جعل بنى أسد – وهم رهط الممدوح – قناة – أى رمحا – لبنى معد ، وجعل الممدوح سناناً لهذه القناة : يعنى أن الممدوح عزة لقومه ، وهم عزة لسائر العرب . وروى بعض الشراح بنى أسد : بنى أسد – على أنه جمع أسد – وقال : يعنى أن بنى معد هم بنو أسود : أى شجعان ؛ وقال ابن جنى : يجوز أن يكون بنى أسد : منادى مضافا : يعنى أن بنى معد إذا نازلوا الأعداء ، قالوا يابنى أسد ، فيقوم لهم قولهم فى الغناء والدفع عنهم مقام سنان مركب فى قناتهم ، لأنهم إذا دعوهم أغنواعنهم .

(١) أراد بالعز – ههنا – الغلبة والامتناع ؛ ومقدرة – بتثليث الدال – أى قدرة : ومحمية . بمعنى حماية أى حماية الجار والحليف ومن يحق الذود عنه ؛ ويجوز أن تكون بمعنى الحمية : أى الأنفة وعزة النفس . ونصب المنصوبات الخمس على التمييز . يقول . هو أعز من يغالب الأقران كفا ، لأن يده فوق كل يد ، وسيفه أغلب السيوف ، وقدرته فوق قدرة الناس ، وحمايته لمن يحق عليه الذودعنه زائدة على حماية غيره ، وآله وأصحابه أغلب وأعز به من آل غيره .

(٢) منتم : منتسب . يقول : هو شريف حسيب إذا انتمى كان له الشرف هن أبيه وأمه .

(٣) الإثناء : مصدر أثنى عليه . يقول : إن المدح الذى يستعظم للدنيا وأهلها حق يكون لإفراطه محالا عليهــا إذا أطلق عليه كان حقا ، لاستحقاقه غاية الثناء . وبعبارة أخرى : إن أحق ما يصدق عليه من صفات المدح لو مدحت به الدنيا وأهلها لكان بالنسبة إليهم محالا . يعنى أن الناس كلهم لا يستحقون أدنى ما يستحقه من الثناء .

وَيَبْقَى ضِعْفُ مَا قَدْ قِيلَ فِيهِ إِذَا لَمْ يَتْرُكْ أَحَدٌ مَقَالاَ(١)
فَيَا ابْنَ الطَّاعِنِينَ بِكُلِّ لَدْنٍ
مَوَاضِعَ يَشْتَكِي الْبَطَلُ السُّعَالاَ(٢)
وَيَا ابْنَ الضَّارِبِينَ بِكُلِّ عَضْبٍ مِنَ الْعَرَبِ الْأَسَافِلَ وَالْقِلاَلاَ(٣)
أَرَى الْمُتَشَاعِرِينَ غَرُوا بِذَمِّي وَمَنْ ذَا يَحْمَدُ الدَّاءَ الْعُضَالاَ(٤)
وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ يَجِدْ مُرًّا بِهِ الْمَاءَ الزُّلاَلاَ(٥)

---

(١) ضعف الشيء : أن يزاد عليه مثله ؛ ويترك : يفتعل ، من الترك . يقول : إذا مدحه الناس غاية ما قدروا عليه حتى لم يترك أحد مقالا : بقى ضعف ما قالوه من المحاسن يعنى المادح والمثنى لا يبلغ فى مدحه مايستحقه ، كما قالت الخنساء .

وما بَلَغَ الْمُهْدُونَ نَحْوَكَ مِدْحَةً وَإِنْ أطنبوا إلاَّ وَمَا فِيكَ أَفْضَلُ

وقال أبو نواس :

إِذَا نَحْنُ أَثْنَيْنَا عَلَيْكَ بِصَالِحٍ فَأَنْتَ كَمَا نُثْنِي وَفَوْقَ الذى نُثْنِى

(٢) بكل لدن : أى بكل رمح لين المهز ، ومواضع : منصوب على الظرفية ، مضاف إلى الجملة بعده . يقول . ياابن الطاعنين بكل رمح صدور الأبطال ؛ وهذا ينظر إلى قول البحترى .

وَأَتبعْتُهَا أُخْرَى فَأَضْلَلْتُ نَصلها بحيثُ يكونُ اللبّ والرُّعبُ والحقدُ

(٣) العضب . السيف القاطع ؛ والقلال . جمع قلة ، أعلى الشيء والمراد هنا . الرءوس يقول . ياابن الضاربين بكل سيف رءوس العرب وأرجلها قال ابن جنى . وذلك لأنهم إذا ضربوا الفارس فى قلة رأسه نزل السيف إلى أسفل جسده ، وقيل أراد بالأسافل اللئام ، وبالقلال . الكرام ؛ أى ابن الذين يضربون الشريف والدنىء فلا يتركون أحداً ، أو لايهابون أحداً .

(٤) المتشاعرون: الذين يدعون الشعر وليسوا من أهله . وغرى بالشيء : أولع به ، والداء العضال : الذى لا دواء له يقول : إنه داء لهم يسقمون به حسدا ، ولذا لا يمكن أن يحمدوه .

(٥) الزلال : العذب الصافى الذى يزل فى الحلق . وهذا مثل ضربه . يقول : مثلهم معى كمثل المريض مع الماء الزلال يجده مرا لمرارة فمه ، كذلك هؤلاء إنما يذمونني

وَقَالُوا هَلْ يُبَلِّغُكَ الثُّرَيَّا ... فَقُلْتُ نَعَمْ إِذَا شِئْتُ اسْتِفَالَا (١)
هُوَ الْمُفْنِي الْمَذَاكِي وَالْأَعَادِي ... وَبِيضَ الْهِنْدِ وَالسُّمْرَ الطِّوَالَا (٢)
وَقَائِدُهَا مُسَوَّمَةً خِفَافًا ... عَلَى حَيٍّ تُصَبِّحُهُ ثِقَالَا (٣)
جَوَائِلَ بِالْقُنِيِّ مُثَقَّفَاتٍ ... كَأَنَّ عَلَى عَوَامِلِهَا الذُّبَالَا (٤)

لنقصانهم وغبائهم وعدم إدراكهم فضلى وشعرى ، فالنقص فيهم لا فى ولو صحت حواسهم لعرفوا فضلى ؛ قال حكيم : النفس الكريمة ترى الأشياء حسنة .

(١) يقول إن الحساد قالوا لى حسدا له على ولى عليه : هل برفعك الممدوح إلى الثريا ؟ إنكارا لأن يبلغنى بخدمته منزلة رفيعة ، فقلت : نعم يبلغنيها إذا أردت أن أنحط عن منزلتى : أى أنه رفعه إلى مافوق الثريا فإن استفل وانحط رجع إلى موضع الثريا وإلا فهو أعلى منها درجة بخدمة الممدوح . وهذا تخيل بديع . هذا : وسميت المجموعة المعروفة من الكواكب بالثريا ؛ قيل لغزارة نوئها ، وقيل لكثرة كواكبها مع صغر مرآتها ، فكأنها كثيرة العدد بالإضافة إلى ضيق المحل ، ولا يتكلم بالثريا إلا مصغرة ، وهو تصغير على جهة التكثير ، ويقال إن خلال أنجم الثريا الظاهرة كواكب خفية كثيرة العدد ، وقد ظن العطوى الشاعر كواكب الثريا ستة فقال :

خليلىَّ إنى للثريا لحاسد ... وإنى على ريب الزمان لواجد
أيجمعُ منها شملها وهى ستة ... وأفقدُ مَن أحببته وهو واحد

(٢) المذاكى : الخيل المسنة ، وهى التى أتى عليها بعد قروحها سنة . وبيض الهند : السيوف . والسمر : الرماح . يقول : هو الذى يفنى هذه الأشياء بكثرة الحروب ؛ وعبارة العكبرى : هو مفنى الخيل والأعادى بالطراد فى الحروب ، وقيل بالهيبة والسيوف والرماح بالضرب والطعن ، ويجوز بالهبة .

(٣) قائدها : معطوف على المفنى ؛ والضمير : للمذاكى : والمسومة : المعلمة . يقول : وهو قائد الخيل خفافا فى الركض ثقالا على الحى الذى تحل بساحته صباحاً للغارة ، أى ثقالا على الأعادى .

(٤) جوائل : بدل من مسومة ، وهى جمع جائلة : أى مترددة ، وجوائل بالقنى : أى تجول بأرماح فرسانها ، والقنى : جمع القنا . ومثقفات : أى مقومات بالثقاف ، وهو الحديد الذى يسوى به الرمح . والعوامل : مايلى الأسنة . والذبال : جمع ذبالة ، وهى الفتيلة التى فى السراج . شبه أسنتها فى اللمعان بالفتائل .

إذا وَطِئَتْ بأَيْدِيهَا صُخُوراً يَفِئْنَ لَوَطْءِ أَرْجُلِهَا رِمالاَ[١]
جَوَابُ مُسَائِلِى أَلَهُ نَظِيرٌ وَلاَ لَكَ فى سُؤَالِكَ لاَ أَلاَ لاَ[٢]
لَقَدْ أَمِنَتْ بِكَ الْإِعْدَامَ نَفْسٌ تَعُدُّ رَجَاءَهَا إيَّاكَ مَالاَ[٣]
وَقَدْ وَجِلَتْ قُلُوبٌ مِنْكَ حَتَّى غَدَتْ أَوْجَالُهَا فِيهَا وِجَالاَ[٤]

---

(١) يفئن : يعدن ويرجعن ؛ ويروى : يقين . يقول : إذا وطئت هذه الخيل الصخور بأيديها وأرجلها تفتتت من شدة وطأتها فصارت رمالا ، كما قال ابن المعتز :

* كأن حصى الصّمانِ من وقعِها رَمْلُ *

(٢) جواب : مبتدأ ؛ خبره : عجز البيت ، وقوله أله نظير : فى محل نصب حكاية السؤال . يقول : إذا سألنى سائل فقال : هل لهذا الممدوح نظير ؟ فجوابه : لا ، ولا لك أيضاً نظير فى هذا السؤال ، لأن أحداً لا يجهل هذا غيرك ، فأنت فى جهلك به بلانظير . وأراد «لا» و«لالك» فأخر المعطوف عليه ضرورة ، كما قال الأحوص :

ألا يا نخلةً مِن ذاتِ عِرْقٍ عليكِ ورحمةُ اللهِ السلامُ[١]

وكرر النفى بقوله « ألا لا » إشارة إلى أن جهل هذا السائل يوجب إعادة الجواب عليه .

(٣) الإعدام : الإقتار والفقر . يقول : كل نفس ترجو عطاءك وتعد هذا الرجاء مالا لها تأمن الفقر لأنك تبلغها آمالها ألبتة .

(٤) وجالا : جمع وجل ـ بكسر الجيم ـ أى خائف يقول : خافتك قلوب الأعداء حتى خاف خوفهم ووجلت أوجالهم ، وهذا كقولهم : جن جنونه ، قال :

جُنونك مجنون ولست بِواجِدٍ طبيباً يداوِى مِن جنونِ جنونِ

---

(١) بعده :

سألتُ الناسَ عَنْكِ فخبرونى هنَاً مِنْ ذاكَ تكرهه الكرامُ
وليس بما أحلَّ اللهُ بأسٌ إذا هو لم يخالطه الحرامُ

والنخلة : كناية جميلة عن المرأة ؛ وكنى بالهناة عن الرفث .

سُرُورُكَ أَنْ تَسُرَّ النَّاسَ طُرًّا ... تُعَلِّمُهُمْ عَلَيْكَ بِهِ الدَّلالاَ(١)
إِذَا سَأَلُوا شَكَرْتَهُمُ عَلَيْهِ ... وَإِنْ سَكَتُوا سَأَلْتَهُمُ السُّؤَالاَ(٢)
وَأَسْعَدُ مَنْ رَأَيْنَا مُسْتَمِيحٌ ... يُنِيلُ الْمُسْتَمَاحَ بِأَنْ يَنَالاَ(٣)
يُفَارِقُ سَهْمُكَ الرَّجُلَ الْمُلاَقِي ... فِرَاقَ الْقَوْسِ مَا لاَقَى الرِّجَالاَ(٤)
فَمَا تَقِفُ السِّهَامُ عَلَى قَرَارٍ ... كَأَنَّ الرِّيشَ يَطَّلِبُ النِّصَالاَ(٥)

---

(١) يقول : إنما يحصل لك السرور والفرح بأن تسر جميع الناس : وإذا كان هناك واحد لم تسره لم يحصل لك السرور ، فأنت تعلمهم الدلال عليك بهذا ، لأنه لو قال أحد الناس أنا غير مسرور اجتهدت حتى تسره وترضيه . فهم يدلون عليك، إذ عرفوا منك هذا .

(٢) يقول : أنت لكرمك تحب العطاء ، فإذا سألوك شكرتهم على السؤال وعددته منة عليك لحبك العطاء ، وإن هم سكتوا سألتهم أن يسألوك حتى لايفوتك لذة العطاء .

(٣) الاستماحة : طلب العطاء ؛ والسماحة ، الجود . يقول أسعد الناس سائل يعطي مسئوله بأن ينال منه شيئاً ، يعني أن مسئوله يفرح بأخذ عطائه حتى كأنه ينيله شيئا . والحاصل أن أسعد الناس من أخذ من معط يرى أن الأخذ منه عطاء له فيراه حقا عليه ويسر بذلك . قال البحترى :

فَيكون أولَ سنةٍ مأثورة
أن يَقبلَ الممدوحُ رِفدَ المادِح

(٤) «ما» نافية ، والجملة بعدها : حال من ضمير السهم محذوفا ، والتقدير فراقه للقوس وهو مالاقى الرجال . يقول : إن سهمه يفارق الرجل الذى يلاقيه نافذا منه ، وفيه نفس القوة التى فارق بها القوس حين لم يلاق أحدا بعد : أى إذا رمى رجلا بسهم خرج منه بعد النفاذ فيه وفيه قوة كقوته حين خرج عن كبد القوس يصفه بشدة نزع القوس وقوة الرمى وانطلاق السهم ؛ ويجوز أن تكون « ما » ظرفا ، كأنه قال : يكون الأمر كذلك مدة ملاقاته الرجال ، كما تقول : لا أكلمك ماطار طائر .

(٥) النصال ، جمع نصل ، الحديدة التى تكون فى السهم . يقول : إن سهامك إذا رميتها لاتقف عن مسيرها ، فكأن ريشها يطلب نصالها ليدركها فهى تمضى أبدا ، لأن الريش لايدرك النصل ، لتقدم النصل عليه .

سَبَقْتَ السَّابِقِينَ فَمَا تُجَارَى ... وَجَاوَزْتَ الْعُلُوَّ فَمَا تُعَالَى (١)

وَأُقْسِمُ لَوْ صَلَحْتَ يَمِينَ شَيْءٍ ... لَمَا صَلَحَ الْعِبَادُ لَهُ شِمَالاَ (٢)

أُقَلِّبُ مِنْكَ طَـرْفِي فِي سَمَاءٍ ... وَإِنْ طَلَعَتْ كَوَاكِبُهَا خِصَالاَ (٣)

وَأَعْجَبُ مِنْكَ كَيْفَ قَدَرْتَ تَنْشَا ... وَقَدْ أُعْطِيتَ فِي الْمَهْدِ الْكَمَالاَ (٤)

* * *

وهذا من قول ليلى الأخيلية :

ولمـا أن رأيتَ الخيلَ قُبْلاً ... تبارِى بالخـدودِ شبا العوالِى

نسيتَ وصاله وصـددت عنه ... كما صد الأزبُّ عن الظلال (١)

فنقل المعنى من الخيل والخدود والعوالى : إلى السهام والريش والنصال .

(١) جاراه : جرى معه ؛ وعالاه : غالبه فى العلو . يقول : سبقت الذين سبقوا فى مراحل المساعى والمكارم حتى شأوتهم فليس يجاريك أحد ، وعلوت حتى جاوزت العلو المألوف فليس يعاليك أحد ، إذ لايبلغ أحد مبلغك . ويجوز أن يكون معنى السابقين : الأولين : أى الذى غبروا ومضوا .

(٢) يفضله على جميع الناس ، ويقول : إنه لو كان يمين شىء ماصلح الناس كلهم أن يكونوا شمالا لذلك الشىء ، وفى مثل هذا المعنى يقول أبو النجم :

لو كان خلقُ الله جنباً واحـداً ... وكنت فى جنبٍ لـكنت زائدا

نباهة ونائلا ووالدًا

(٣) يقول أنت فى علو قدرك سماء وإن كانت كواكب تلك السماء خصالا ، جعله كالسماء ، وخصاله فى الشهرة والحسن نجومها ، كما قال البحترى :

وبلوتُ منك خلائقاً محمودةً ... لو كُنَّ فى فلكٍ لـكُنَّ نجوماً

(٤) وأعجب : عطف على أقلب ـ فى البيت السابق ـ وتنشا : أصله تنشأ ـ بالهمزـ فلينه للوزن ، وأراد أن تنشا ، فحذف «أن» . يقول : أنت قد ولدت كاملا ، فـكيف استطعت أن تزداد بعد الـكمال ؟

---

(١) قالت ليلى هذين البيتين فى فائض بن عقيل وكان قد فر عن توبة يوم قتل ؛ وقد مر شرحهما .

وخرج بدر بن عمار إلى أسد ، فهرب الأسد منه ، وكان قد خرج قبله إلى أسد آخر ، فهاجه عن بقرة افترسها بعد أن شبع وثقل ، فوثب إلى كفل فرسه ، فأعجله عن استلال سيفه ، فضربه بالسوط ، ودار به الجيش ، فقال أبو الطيب :

فِي الْخَدِّ أَنْ عَزَمَ الْخَلِيطُ رَحِيلاَ ... مَطَرٌ تَزِيدُ بِهِ الْخُدُودُ مُحُولاَ(١)
يَا نَظْرَةً نَفَتِ الرُّقَادَ وَغَادَرَتْ ... فِي حَدِّ قَلْبِي مَا حَيِيتُ فُلُولاَ(٢)
كَانَتْ مِنَ الْكَحْلاَءِ سُؤْلِي إِنَّمَا ... أَجَلِي تَمَثَّلَ فِي فُؤَادِي سُولاَ(٣)

---

(١) أن عزم : أى لأجل أن عزم . والخليط : الذى يخالطك ويعاشرك ، والمراد به الحبيب ؛ والخليط أيضا : القوم الذين أمرهم واحد ؛ قال الشاعر :

إن الخليط أجدُّوا البين فانجردوا ... وأخلفوكَ عِدى الأمر الذى وعدوا

وجمع الخليط : خلطاء وخلط ، قال وعلة الجرمى فى جمعه على خلط :

سائِل مجاورَ جَرمٍ هل جنيت لهم ... حرباً تُفرِّق بين الجِيرةِ الخُلُطِ

يقول : إن فى خده — لأن عزم الحبيب فراقاً — مطرا — يعنى الدمع — تزيد الخدود به محولا — جدبا — ومحول الخدود : شحوبها وتخدد لحمها وذهاب نضرتها والمطر من شأنه أن تخصب به البلاد وتخضر العشب ، أما الدمع فهو مطر صنيعه على الضد من هذا وفيه نظر إلى قول بعضهم :

لو نبت العُشبُ مِن دموعٍ ... لكان فى خدَّىَ الربيعُ

(٢) نفت : أذهبت . وغادرت : تركت . والفلول : الثلوم : أى ما يلحق حد السيف من كثرة الضرب . يقول : إن نظرته إلى الحبيب لدى الفراق ذهبت بنومه وأورثته السهاد وذهبت بحدة قلبه ، يعنى أثرت فى لبه ، وعبارة بعض الشراح : وتركت قلبه كالسيف المفلول لا يقوى على مقاومة النوائب واتقائها ، ويجوز أن يكون المراد بالنظرة : النظرة الأولى التى نظرها الحبيب وسببت له العشق والهيام .

(٣) الضمير فى «كانت» : للنظرة ، والكحلاء : السوداء الجفون خلقة . والسؤل ما يطلبه الإنسان ويتمناه ، وهو خبر «كانت» ومن الكحلاء : متعلق بسؤلى ؛ ولين السول — فى آخر البيت — للقافية . يقول : كانت هذه النظرة مرادى ومطلوبى من

أَجِدُ الْجَفَاءَ عَلَى سِوَاكِ مُرُوءَةً ... وَالصَّبْرَ إِلاَّ فِي نَوَاكِ جَمِيلاَ[1]

وَأَرَى تَدَلُّلَكِ الْكَثِيرَ مُحَبَّباً ... وَأَرَى قَلِيلَ تَدَلُّلٍ مَمْلُولاَ[2]

تَشْكُو رَوَادِفَكِ الْمَطِيَّــةُ فَوْقَهَا ... شَكْوَى الَّتِي وَجَدَتْ هَوَاكِ دَخِيلاَ[3]

وَيُغِيرُنِي جَذْبُ الزِّمَامِ لِقَلْبِهَا ... فَمَهَا إِلَيْكِ كَطَالِبٍ تَقْبِيلاَ[4]

هذه المرأة الكحلاء . ولكنها كانت فى الحقيقة أجلى تصور مرادا فى قلبى ، يعنى أن نظرته إليها حال التوديع ذهبت بنفسه وأتت عليه .

(١) الجفاء : الإعراض ، وقد ضمنه معنى النبو والامتناع ، ولذلك وصله بعلى . والنوى : البعد . يقول : إنى أجد إعراضى عن النساء مروءة إلا عنك ، والصبر على نازلة جميلا إلا على بعدك ، كما قال البحترى :

ما أحسنَ الصبرَ إلا عندَ فُرْقةِ مَنْ ... ببينهِ صِرْتُ بين البثِّ والحَزَنِ

(٢) يقول : إنى آمل دلال غيرك وإن قل ، وأحب دلالك وإن كثر ، كما قال جرير :

إن كان شـــأنُكم الدلال فإنه ... حسن دلالُكِ يا أُمَيمَ جَميلُ

(٣) الروادف : الكفل وما حوله ، جمع رادفة ، لأنها تردف الإنسان : أى تكون خلفه ، كالرديف الذى يكون خلف الراكب . يقول : تشكو المطية ثقل روادفك فوقها شكوى النفس التى وجدت هواك مداخلها ، يعنى العاشق لها ، يعنى نفسه .

(٤) يقول ـ مخاطباً حبيبته ـ : يحملنى على الغيرة جذبك زمامها إليك لأنها تقلب فمها إليك كأنها قبلة ، كما قال مسلم بن الوليد :

والعيسُ عاطفة الرؤُوسِ كأنّما ... يطلبنَ سِرًّا مُحدِّثٍ فى الأحْلسِ

هذا ، والغيرة : الحمية والأنفة ، لعلها من غار النهار : إذا اشتد حره ، يقال : غار الرجل على امرأته ، والمرأة على بعلها تغار غيرة وغيرا وغاراً وغياراً ؛ قال أبو ذؤيب يصف قدوراً :

لهنّ نشيجٌ بالنشيل كأنها ... ضرائرُ حِرْمِيّةٍ تفاحش غارها[1]

---

(١) نشل اللحم من القدر : انتزعه منها وهو النشيل ، والنسبة إلى الحرم حرمى وهو من المعدول الذى يأتى على غير قياس . قال المبرد : يقال امرأة حرمية وحرمية

حَدَقُ الحِسَانِ مِنَ الغَوَانِى هِجْنَ لِى ... يَوْمَ الفِرَاقِ صَبَابَةً وَغَلِيلاَ(١)
حَدَقٌ يُذِمُّ مِنَ القَوَاتِلِ غَيْرَهَا ... بَدْرُ بْنُ عَمَّارِ بْنِ إِسْمَاعِيلاَ(٢)
الفَارِجُ الكُرَبَ العِظَامَ بِمِثْلِهَا ... وَالتَّارِكُ المَلِكَ العَزِيزَ ذَلِيلاَ(٣)

وأغار الرجل أهله : تزوج عليها فغارت ، والعرب تقول أغير من الحمى : أى أنها تلازم المحموم ملازمة الغيور لبعلها . هذا : والفم أكثر ما يستعمل بغير الميم مع الإضافة ، فإذا أضيف قلت فوك وفاك وفيك ، إلا أنه قد جاء بالميم مضافا عن العرب ، قال :

كالحوت لا يكفيه شىء يلهمه ... يصبح عطشان وفى البحر فمه

(١) الحدق : جمع حدقة ، وهى سواد العين الأعظم ، وواحدة الحسان : حسناء . والغوانى : جمع غانية ، وهى التى غنيت بحسنها عن التجمل . والصبابة : رقة الشوق . والغليل : حرارة العطش ، والمراد به هنا : لاعج الوجد .

(٢) حدق : خبر عن محذوف ، يرجع إلى حدق — الأولى — ويذم : يجير ويعطى الذمام ؛ وغيرها : يجوز فيه النصب على الاستثناء ، أو الحال ، والجر على التبعية وبدر ابن عمار . فاعل يذم . يقول ، إنه يجير من كل ما يقتل إلا من أحداق الحسان ، فإنه لا يستطيع الإجارة منها ، كما قال .

وُقِىَ الأميرُ هوى العيونِ فإنهُ ... ما لا يزولُ بباسهِ وسخائهِ

وقد تجاوز هذا فى مدح عضد الدولة بأمن بلاده فى قوله .

فلو طُرِحتْ قلوبُ العِشقِ فيها ... لما خافت مِنَ الحَدَقِ الحِسانِ

(٣) يقول : إنه يفرج الكرب العظام عن أوليائه بإنزال مثلها بأعدائه ، يعنى أنه يقتل أعداءه ليدفعهم عن أوليائه ويفقرهم ليغنى أولياءه فيزيل عنهم الفقر . ويقال فرج عنه يفرج وأفرج يفرج وفرج يفرج تفريجاً : إذا أزال عنه الغم وكشفه ، والكرب وما بعده بالنصب بإعمال اسم الفاعل ، وروى بالخفض تشبيها بالحسن الوجه .

وأصله من قولهم ، وحرمية البيت وحرمة البيت : قالوا إن أهل الحرم — وهم قريش — أول من اتخذ الضرائر . شبه غليان القدور بصخب الضرائر

مَحِكٌ إِذَا مَطَلَ الْغَرِيمُ بِدَيْنِهِ جَعَلَ الْحُسَامَ بِمَا أَرَادَ كَفِيلاَ(١)
نَطِقٌ إِذَا حَطَّ الْكَلاَمُ لِثَامَهُ أَعْطَى بِمَنْطِقِهِ الْقُلُوبَ عُقُولاَ(٢)
أَعْدَى الزَّمَانَ سَخَاؤُهُ فَسَخَا بِهِ وَلَقَدْ يَكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بَخِيلاَ(٣)

---

(١) المحك : اللجوج . والمحك اللجاج عند الغضب والمساومة ونحوهما ، وقد محك يمحك ومحك محكا ومحكا فهو ماحك ومحك وتماحك البيعان والخصمان تلاحا ، قال الفرزدق يهجو جريراً :

يا ابن المراغةِ والهجاء إذا التقتْ أعنـــاقهُ وتماحك الخصمانِ
ما ضرَّ تغلبَ وائلٍ أهجوتهـــا أمْ بُلت حيثُ تناطح البحرانِ(١)

يقول . إنه يلج فى تقاضى ماله على الناس من حق الطاعة والخضوع ولا يتوانى فى ذلك ؛ فإذا مطلوه بهذا الدين جعل سيفه كفيلا له بقضائه ، يعنى إذا لم يخضعوا له طوعا أخضعهم قهراً .

(٢) النطق ـ كالمنطيق ـ اللسن البليغ ؛ والضمير فى « لثامه » . الممدوح ، قال الواحدى . وكانت العرب تلثم بعمائمها ، فإذا أرادوا أن يتكلموا كشفوا اللثام عن عن أفواههم . يقول : إذا وضع الكلام لثامه عن فمه عند النطق أفاد منطقه قلوب السامعين عقولا ، يعنى أنه يتكلم بالحكمة وبما يستفاد منه العقل .

(٣) قال ابن فورجه : يعنى أن الزمان سخا ـ جاد ـ به على وكان بخيلا به ، فلما أعداه سخاؤه أسعدنى الزمان بضمى إليه وهدايتى نحوه ، والمصراع الأول من قول ابن الخياط .

لمستُ بكفِّى كفّهُ أبتغى الغِنى ولم أدرِ أنّ الْجُودَ مِن كفِّه يُعْدِى
فلا أنا منهُ ما أفادَ ذوُو الغِنى أفدتُ وأعدانى فأتلفتُ ما عندِى

وقال أبو تمام :

علمنى جُـــودك السماح فما أبقيْتُ شيئاً لدىَّ مِنْ صِلتِكْ

وقال أيضا :

لستُ يحيَى مُصافِحاً بسلام إننى إن فعلتُ أتلفتُ مالى

---

(١) المراغة : الأتان التى لا تمتنع من الفحول ، وبذلك لقب الأخطل أم جرير فسماه ابن المراغة : أى يتمرغ عليها الرجال .

وَكَأَنَّ بَرْقًا فِي مُتُونِ غَمَامَةٍ ... هِنْدِيُّهُ فِي كَفِّهِ مَسْلُولَا(١)
وَمَحَلُّ قَائِمِهِ يَسِيلُ مَوَاهِبًا ... لَوْ كُنَّ سَيْلًا مَا وَجَدْنَ مَسِيلَا(٢)

وأبو الطيب نقل المعنى إلى الزمان ، والمصراع الثانى من قول أبى تمام :

هيهاتَ لا يأتى الزمانُ بمثلهِ ... إنّ الزّمان بمثلهِ لبخيلُ

وقال ابن جنى : المعنى تعلم الزمان من سخائه فسخا به وأخرجه من العدم إلى الوجود ولولا سخاؤه الذى استفاده منه لبخل به على أهل الدنيا واستبقاه لنفسه ، فإن قيل : السخاء لا يكون إلا فى الموجود ، وهذا معدوم فالجواب : أن الزمان كأنه علم مايكون فيه من السخاء إذا وجد ، فكأنه استفاد منه ما تصور كونه فيه بعد وجوده . ولولا ما تصور من السخاء لبقى أبدا بخيلا ، والشىء إذا تحقق كونه لا محالة أجرى عليه فى حالة عدمه كثير من الأوصاف التى يستحقها بعد وجوده قال ابن فورجه : هذا تأويل فاسد وغرض بعيد ، والسخاء بغير الموجود لا يوصف بالعدوى ، ثم فسر البيت بما أسلفنا . هذا والسخاء الجود ، يقال سخا يسخو سخاء وسخوا وسخى يسخى سخاء وسخوة قال الجوهرى وقول عمرو بن كلثوم

مشعشعةً كأن الُحصَّ فيها ... إذا ما الماء خالطها سخينا(١)

أى جدنا بأموالنا ، قال وقول من قال سخينا من السخونة نصب على الحال فليس بشىء .

(١) جعل اسم «كأن» نكرة ؛ وخبرها معرفة ضرورة . والمتون جمع متن ، وهو الظهر . والغمامة السحابة . والهندى السيف المصنوع من حديد الهند ، وفى كفه ومسلولا حالان . وقد عكس التشبيه فى هذا البيت ، لأن الأصل أن يشبه السيف بالبرق ، وهنا شبه البرق بالسيف فقال كأن برقا فى ظهور الغمام سيفه إذا سله فى يده ، مبالغة فى بريقه ولمعانه .

(٢) محل قائمه أى قائم السيف أى مقبضه هو يد الممدوح ؛ ومواهبا تمييز . يقول : إن كفه تسيل نعما وهبات لو كانت مطرا لما وجدت موضعا تسيل فيه لكثرتها ولعله ينظر فى هذا إلى قول أبى تمام :

---

(١) شعشع الشراب مزجه بالماء ؛ والحص الورس ، نبات له نوار أحمر . يشبه الزعفران ، يقول اسقى الخمر ممزوجة بالماء كأنها من شدة حمرتها بعد امتزاجها بالماء التى فيها نور هذا النبات الأحمر ، وإذا شربناها وسكرنا جدنا بمالنا .

رَقَّتْ مَضَارِبُهُ فَهُنَّ كَأَنَّمَا
يُبْدِينَ مِنْ عِشْقِ الرِّقَابِ نُحُولاَ (١)

أَمُعَفِّرَ اللَّيْثِ الْهِزَبْرِ بِسَوْطِهِ ... لِمَنِ ادَّخَرْتَ الصَّارِمَ الْمَصْقُولاَ (٢)

وَقَعَتْ عَلَى الْأُرْدُنِّ مِنْهُ بَلِيَّةٌ ... نُضِدَتْ بِهَا هَامُ الرِّفَاقِ تُلُولاَ (٣)

وَرْدٌ إِذَا وَرَدَ الْبُحَيْرَةَ شَارِباً ... وَرَدَ الْفُرَاتَ زَئِيرُهُ وَالنِّيلاَ (٤)

مُتَخَضِّبٌ بِدَمِ الْفَوَارِسِ لَابِسٌ ... فِي غِيلِهِ مِنْ لِبْدَتَيْهِ غِيلاَ (٥)

أفاد من العُليا كُنوزاً لو انها ... صَوامِتَ مالٍ ما درَى أين تجعلُ

(١) مضاربه ـ جمع ـ مضرب ـ حد السيف الذى يضرب به الرقاب ؛ ويبدين : يظهرن . أراد : أن سيوفه تلازم الرقاب فوصفها بالعشق لأنه أدعى الأشياء إلى اللزوم والرقة . يقول : إن سيوفه رقيقة ماضية ، فكأنما هى ـ لرقتها ـ تبدى نحولا من عشقها الرقاب ، كما ينحل العاشق من جراء العشق ؛ وعبارة بعض الشراح : يصف هذا السيف بالرقة والمضاء . يقول : إن مضاربه لكثرة ملازمتها للرقاب صارت عاشقة لها فأثر فيها هذا العشق نحولا ، فرقتها من ذلك النحول .

(٢) عفره : مرغه فى التراب . والهزبر : الشديد . والصارم : السيف القاطع . وكان بدر بن عمار ـ كما أسلفنا ـ هاج أسدا عن بقرة قد افترسها فوثب على كفل فرسه وأعجله عن سل السيف فضربه بسوطه ، ودار الجيش به فقتله . يقول : إذا كنت تصرع الأسد بالسوط ـ وهو أشد الحيوان بأسا ـ فلمن خبأت سيفك ؟

(٣) نضدت : جمع بعضها فوق بعض ؛ والهام : الرءوس . والرفاق : جمع رفقه : الجماعة فى السفر . وتلولا : حال : أى مماثلا للتلول ، جمع تل : الجبل الصغير . يقول : إن هذا الأسد كان بلية وقعت على أهل هذا النهر ، فقد عصف بالمسافرين وأكثر القتلى منهم حتى ترك رؤوسهم كالتلول المجتمعة من التراب .

(٤) الورد : الذى يضرب لونه إلى الحمرة ، وكذلك الأسد . والمراد بالبحيرة : بحيرة طبرية ؛ والزئير : صوت الأسد . يقول : إذا زأر فى طبرية بلغ زئيره العراق ومصر ، وقد جانس بين ورد وورد .

(٥) الغيل : الأجمة ـ الغابة ـ واللبدة : الشعر المجتمع على كتف الأسد . يقول : إنه لكثرة ما قتل من الفوارس قد تلطخ بدمائهم ، ثم قال : وهو من غيله من الشجر

مَا قُوبِلَتْ عَيْنَاهُ إلاَّ ظُنَّتَا تَحْتَ الدُّجى نَارَ الْفَرِيقِ حُلولاَ (١)

كأنه فى غيل آخر من لبدتيه لكثافة ما على كتفيه من الشعر وكثرته . شبه لبدتيه بالغابة .

(١) الفريق : الجماعة ، وهو أكثر من الفرقة ؛ وحلولا - أى حالين نازلين - حال من « الفريق » ؛ وتحت الدجى : فى موضع الحال من نائب « ظنتا » . يقول : ما استقبلت عين هذا الأسد فى الظلام إلا ظنت ناراً أوقدت لجماعة نزلوا موضعا ؛ وهو معلوم أن عين الأسد وعين السنور وعين الحية تتراءى فى ظلمة الليل بارقة هذا : وقد قلنا إن « حلولا » حال من الفريق ، وهو معلوم أن الحال من المضاف إليه قليل ضعيف وإن كان قد جاء فى شعر العرب القدامى ، كقول النابغة الجعدى من قصيدة يصف فرسا :

كأن حَوَامِيَهُ مُـــدْبِراً خَضِبْنَ وإن لم تـكن تخضَبَ

حِجارةَ غَيْـــلٍ بِرضْرَاضة كُسِينَ طِلاَءً مِنَ الطُّحْلُبِ (١)

وكقول زيد الفوارس :

عَوْذٌ وبُهثَةُ حاشدون عليهم حلقُ الحديدِ مُضاعفاً يتلَهَّبُ (٢)

وقول تأبط شراً :

سَلَبْتَ سِلاحى بائساً وشتَمْتَنى فيا خيرَ مسلوبٍ ويا شرَّ سالِبِ (٣)

---

(١) الحوامى : جمع حامية ، ما عن يمين الحافر وشماله ؛ وتخضب بدل من « تـكن » والغيل : الماء الجارى على وجه الأرض ؛ والرضراضة : الأرض الصلبة شبه حوافر الفرس بحجارة مقيمة فى ماء قليل وذلك أصلب لها . والنون من « كسين » للحجارة ؛ والطلاء كل ما يطلى به ، والطحلب ، خضرة تعلو الماء المزمن ؛ ومدبراً حال من الهاء فى « حواميه » وهو محل الشاهد .

(٢) عوذ وبهثة . اسما رجلين ، وحلق الحديد الدروع ، مضاعفا حال من « الحديد » وهو الشاهد وجائز أن يجعل « يتلهب » فى موضع الحال ، ومضاعفا ، حال من المضمر فى « يتلهب » . ويتلهب حال من الحلق ويتلهب أى يشعل استعير للمعان الدرع .

(٣) والشاهد هو مجىء بائسا حالا من المضاف إليه ، وهو الياء من « سلاحى » وجائز أن يكون حالا من مفعول « سلبت » المحذوف ، والتقدير سلبتنى بائسا سلاحى

فِى وَحْدَةِ الرُّهْبَانِ إلاَّ أَنَّهُ
لاَ يَعْرِفُ التَّحْرِيمَ وَالتَّحْلِيلا[١]

يَطَأُ الثَّرَى مُتَرَفِّقاً مِنْ تِيهِهِ ؛ فَكَأَنَّهُ آسٍ يَجُسُّ عَلِيلاَ[٢]
وَيَرُدُّ عُفْرَتَهُ إِلَى يَافُوخِهِ حَتَّى تَصِيرَ لِرَأْسِهِ إِكْلِيلاَ[٣]
وَتَظُنُّهُ مِمَّا يُزَمْجِرُ نَفْسُهُ عَنْهَا لِشِدَّةِ غَيْظِهِ مَشْغُولاَ[٤]

قَصَرَتْ مَخَافَتُهُ الْخُطَى فَكَأَنَّمَا
رَكِبَ الْكَمِيُّ جَوَادَهُ مَشْكُولاَ[٥]

---

(١) يقول : هو فى غيله منفرد انفراد الرهبان فى متعبداتهم ، غير أنه لا يعرف حراما ولا حلالا . والأسد إذا كان قويا هزبراً لم يسكن معه فى غيله غيره من الأسود .

(٢) الثرى ويروى البرى : التراب ، والتيه : الزهو والعجب . والآسى : الطبيب والأسد لعزته فى نفسه وقوته لا يسرع المشى لأنه لا يخاف شيئا ، وقد شبهه فى لين مشيه بالطبيب الذى يجس العليل ـ المريض ـ فإنه يرفق به ولا يعجل .

(٣) العفرة : الشعر المجتمع على قفاه . واليافوخ : الرأس . والإكليل : التاج . يقول : ويرد ذلك الشعر إلى هامته حتى يجتمع عليها فيصير ذلك لرأسه كالاكاليل ، وإنما يفعل ذلك إذا غضب واغتاظ يجمع قوته فى أعالى بدنه .

(٤) نفسه : فاعل « تظنه » وزمجر الأسد : ردد زئيره . ومشغولا : مفعول ثان للظن ؛ وعنها : صلة مشغولا يقول : إن نفسه تظنه مشغولا عنها لكثرة ما يزمجر من شدة غضبه وغيظه . ووقع فى بعض الروايات : نفسه ـ بالنصب ـ أى يزمجر لنفسه ؛ والرواية الأولى أصح .

(٥) القصر ـ هنا ـ ضد التطويل : والمخافة : مصدر مضاف إلى المفعول ؛ والخطى : جمع خطوه ، وهى مسافة مابين القدمين ، والكمى : البطل المستتر فى سلاحه ؛ والمشكول : المقيد بالشكال . قال الواحدى : وذو الحافر إذا رأى الأسد وقف وفحج[١] وبال . يقول : كأن الشجاع ركب فرسه بشكاله[٢] فلا يخطو ولا يتحرك خوفا منه ، قال : هذا تفسير الناس لهذا البيت ، قال : وقال ابن فورجه : المعنى لما خاف منك الأسد تقاصرت خطاه هيبة ونازعته نفسه إليك جراءة تخلط إقداما بإحجام ، فكأنه فارس

---

(١) فحج : باعد ما بين رجليه ليبول (٢) الشكال الحبل الذى تشد به قوائم الدابة

أَلْقَى فَرِيسَتَهُ وَبَرْبَرَ دُونَهَا ، وَقَرُبْتَ قُرْباً خَالَهُ تَطْفِيلاَ[١]
فَتَشَابَهَ الْخُلُقَانِ فِي إِقْدَامِهِ ، وَتَخَالَفَا فِي بَذْلِكَ الْمَأْكُولاَ[٢]
أَسَدٌ يَرَى عُضْوَيْهِ فِيكَ كِلَيْهِمَا
مَتْناً أَزَلَّ وَسَاعِداً مَفْتُولاَ[٣]
فِي سَرْجِ ظَامِئَةِ الْفُصُوصِ طِمِرَّةٍ يَأْبَى تَفَرُّدُهَا لَهَا التَّمْثِيلاَ[٤]
نَيَّالَةِ الطَّلِبَاتِ لَوْلاَ أَنَّهَا تُعْطِي مَكَانَ لِجَامِهَا مَا نِيلاَ[٥]

كمى ركب فرسه مشكولا ، فهو يهيجه للاقدام بجرأة ، والفرس يحجم عجزاً عما يسومه لمكان شكاله .

(١) الفريسة : صيد الأسد ، وهو ما يفترسه . يريد البقرة التى هاجه عنها . والبربرة : الصياح والبربرة ـ فى الأصل ـ كلام المغضب استعارها لزمجرة الأسد . وخاله : ظنه . والتطفيل : الدخول على الآكلين من غير دعوة . قال الليث : التطفيل من كلام أهل العراق . يقولون : هو يتطفل فى الأعراس . يقول : لما قصدته ألقى الفريسة وزمجر دونها ، يعنى ذودا عنها ، لأنه ظن أنك تتطفل على صيده لتأكل منه .

(٢) الخلقان : الطبعان . يريد خلق الأسد وخلق الممدوح ، والضمير من « إقدامه » للأسد . يقول : تشابهما فى الجرأة والإقدام وتخالفتما فى أن الأسد شحيح بطعامه وأنت جواد باذل له ، كما قال البحترى .

شاركته فى البأس ثم فضلته بالجود محقوقاً بذاك زعيما

(٣) يريد بعضويه ما ذكره بعد من المتن والساعد ، والمتن : جانب الصلب ؛ والأزل : الأرسح ـ أى القليل لحم العجز والفخذين ـ وامرأة زلاء : لا عجيزة لها ؛ والسمع الأزل : الذئب الأرسح يتولد بين الذئب والضبع ، وهى صفة لازمة له كما يقال الضبع العرجاء والمفتول المندمج الشديد كأنه فتل أى لوى ـ يقول : إن هذا الأسد يرى قوته وشجاعته فيك فمتنه ممسوح وساعده مفتول فقد أشبهه منك هذان العضوان .

(٤) ظامئة الفصوص : يعنى فرسا دقيقة المفاصل ليست برهلة رخوة . يقال خيل ظماء الفصوص . والطمرة : الوثابة . يقول : قربت منه وأنت راكب فى سرج فرس بهذه الصفة وتفردها بالكمال يأبى أن يكون لها نظير فلا تمثل بغيرها من الخيل .

(٥) نيالة : فعالة من النيل ؛ والطلبات : جمع طلبة ـ بفتح فكسر ـ الحاجة

تَنْدَى سَوَالِفُهَا إِذَا اُسْتَحْضَرْتَهَا وَيُظَنُّ عَقْدُ عِنَانِهَا مَحْـلُولاَ(١)

مَا زَالَ يَجْمَعُ نَفْسَهُ فِي زَوْرِهِ
حَتَّى حَسِبْتَ الْعَرْضَ مِنْهُ الطُّولاَ(٢)

وَيَدُقُّ بِالصَّدْرِ الْحِجَارَ كَأَنَّهُ
يَبْغِي إِلَى مَا فِي الْحَضِيضِ سَبِيلاَ(٣)

والشيء المطلوب . ومكان لجامها : كناية عن رأسها ؛ وما نيل : نفي . يقول : إن هذه الفرس تدرك ما تطلبه لشدة حضرها ـ جريها ـ وهي طويلة العنق مشرفة الرأس لولا أنها تحط رأسها للجام ما نيل رأسها ؛ وقال الخطيب التبريزي : هذه الفرس إذا طلبت عدوا أو وحشا نالته ، وهي مع هذا عزيزة النفس تدل للراكب ما قدر عليها . وفيه نظر إلى قول زهير :

ومُلجَمُنا ما إنْ ينـالُ قذاله ولاقدماهُ الأرضَ إلاَّ أنامِـلُهْ

(١) السوالف : جمع سالفة ، وهي صفحة العنق . واستحضرتها : من الحضر ، وهو الركض . والعنان : سير اللجام . يقول : إذا ركضتها جدت حتى يعرق عنقها وما حوله ، وإذا جذبت عنانها طاوعت ولان عنقها حتى تظن العنان محلول العقد ، لأنها لا تجاذبك العنان لمطاوعتها ، وقال الواحدي : يجوز أن يكون هذا وصفا لطول العنق ؛ بمعنى أنها إذا رفعت رأسها استرخى العنان وطال ، لأنه على قدر طول عنقها ، فيصير العنان كأنه محلول . وقال بعض الشراح : إنما تدير عنقها ورأسها كيف شاءت ، وتغلب فارسها فلا يقدر على رد رأسها بالعنان ، فكأن عقد العنان محلول غير مشدود ، لأنه لو كان مشدوداً قدر الفارس على ضبطها ، قال الواحدي : وما أبعد هذا إذ فسر بغير المراد .

(٢) الزور : وسط الصدر حيث تلتقي عظامه ، عاد إلى وصف الأسد يقول : ما زال هذا الأسد حين لقيك يجمع قوى نفسه في صدره حتى صار عرضه في قدر طوله وكذلك يفعل الأسد إذا أراد الوثوب على الصيد .

(٣) يدق . يكسر ، والحجار والحجارة والأحجار : جمع حجر ، وهو الصخرة ؛ والحضيض : قرار الأرض عند سفح الجبل ، وقيل هو في أسفله ؛ وكتب يحي بن يعمر عن يزيد بن المهلب إلى الحجاج : إنا لقينا العدو ففعلنا واضطررناهم إلى عرعرة الجبل ونحن بحضيضه ، وقال عمر عبدالعزيز : أجملوا في الطلب ، فلو أن رزق أحدكم في

وَكَأَنَّهُ غَرَّتْهُ عَيْنٌ فَادَّنَى ... لاَ يُبْصِرُ الْخَطْبَ الْجَلِيلَ جَلِيلاَ[1]

أَنَفُ الْكَرِيمِ مِنَ الدَّنِيَّةِ تَارِكٌ ... فِي عَيْنِهِ الْعَدَدَ الْكَثِيرَ قَلِيلاَ[2]

وَالْعَارُ مَضَّاضٌ وَلَيْسَ بِخَائِفٍ ... مِنْ حَتْفِهِ مَنْ خَافَ مِمَّا قِيلاَ[3]

سَبَقَ الْتِقَاءَكَهُ بِوَثْبَةِ هَاجِمٍ ... لَوْ لَمْ تُصَادِمْهُ لَجَازَكَ مِيلاَ[4]

عرعرة جبل أو حضيض أرض لأتاه قبل أن يموت ؛ وعرعرة الجبل : أعلاه . يقول : إنه لغضبه يضرب الأرض بصدره فيدق الحجر كأنه يريد أن يحفر الأرض ويتخذ سبيلا إلى قرارها .

(١) ادنى : افتعل ، من الدنو : أى اقترب . يقول : كأن هذا الأسد غرته عينه ولم تصدقه النظر إليك ولو صدقته لما دنا منك هيبة لك ، ولكنه مغرور ، ظن الخطب الجليل ــ وهو مقاتلتك ــ غير جليل .

(٢) الأنف والأنفة : الاستنكاف ، قال ابن جنى : من عادته ــ أى المتنبى ــ أن يعترض ما هو فيه بمثل يضربه إذا كان مسدداً لما هو فيه ، كقول الآخر :

وقد أدركتنى والحوادث جمة ... أسنة قوم لاضعاف ولا عزل

فالحوادث جمة: جملة اعترض بها بين الفاعل وفعله ، وهو تسديد لما هو فيه. يقول: إن الكريم يأنف من الدنية فلا يهرب ، بل يقدم على العدد الكثير حتى كأنه قليل فى عينه : قال العكبرى : وهذا عذر للأسد . يقول : لم يهرب الأسد وأنفته جعلت فى عينه العدد الكثير قليلا حتى كأنه فى عينه قليل . وقال اليازجى يقول : إن أنفة الكريم فى أن يعاب بالجبن تحمله على تعريض نفسه للهلكة حتى يصير العدد الكثير فى عينه قليلا ، يشير إلى ثبات الممدوح وإقدامه على الاسد خوفا من عار الهزيمة .

(٣) مضاض : مؤلم موجع ؛ والحتف : الهلاك . يقول : إن العار موجع فمن خافه لم يخف الهلاك ، وهذا كقولهم من أنف من الدنية لم يحجم عن المنية وهذا البيت مثل الذى قبله فى الاعتراض كما قال ابن جنى .

(٤) المصادمة مفاعلة من الصدم وهو الصك ، والميل من الأرض : قدر منتهى مد النظر ، وقيل مسافة من الأرض متراخية ليس لها حد معلوم ، والجمع ؛ أميال وميول، يقول : أنه أعجلك من التقائك له فوثب على ردف فرسك وثبة لولا مصادمتك له عند وثبته هذه لتجاوزك مسافة ميل من شدتها .

خَــذَلَتْهُ قُوَّتُهُ وَقَدْ كَافَحْتَهُ
فَاسْتَنْصَرَ التَّسْلِيمَ وَالتَّجْــدِيلاَ[١]

قبضت مَنِيتــه يَدَيْهِ وَعُنْقَهُ فَكَأَنَّمَا صَادَفْتَهُ مَغْــلُولاَ[٢]

سَمِعَ ابْنُ عَمَّتِهِ بِهِ وَبِحَالِهِ فَنَجَا يُهَرْوِلُ مِنْكَ أَمْسِ مهولاَ[٣]

وَأَمَرُّ مِمَّا فَرَّ مِنــه فراره ، وَكَقَتْلِهِ أَنْ لاَ يَمُوتَ قَتِيلاَ[٤]

---

(١) خذله : خانه ولم ينصره ، وكافحه استقبله فى الحرب بوجهه . والاستنصار طلب النصرة والتجديل : مصدر جدله إذا طرحه على الجدالة . وهى الأرض : أى صرعه ، يقول ؛ خانته قوته حين قاتلته : أى ضعفت فلم تسعفه فطلب نصرته من التسليم إليك ــ الانقياد وترك الخصومة ــ وانطرح أمامك على الأرض ، فكأنه رأى النصر فى ذلك ، وهذا من التهكم .

(٢) مغلولا : أى مقيدا بالغل ، وهو القيد . يقول : إن منيته حانت على يديك فقبضت على يده وعنقه لايستطيع وثوبا ولا فرارا ، فكأنك لقيته مقيدا ، قال الواحدى: أساء أبو الطيب فى هذا حين لم يجعل أثرا للممدوح ولاغناء فى قتل الأسد وقال كأنه كان مغلول اليد والعنق بقبض المنية عليه ، وقد أساء الواحدى فى نسبة الإساءة إلى المتنبى ، لأن المعنى بديع ــ كما ترى ــ ولا غبار عليه .

(٣) الهرولة : الاضطراب فى العدو ؛ ومهولا : يريد خائفا مذعورا . وأراد بابن عمته : أسداً كان قد هرب منه بعد ذلك ؛ ولم يرد تحقيق النسب ، إنما أراد أسدا آخر من جنسه . يقول : لما سمع بقتل الأسد الأول هرب ونجا برأسه خائفا منك .

(٤) مما فر منه : أى من الهلاك ؛ وكقتله : خبر مقدم عن المصدر المتأول بعده . يقول : إن فراره من الهلاك أمر من الهلاك ، لما فيه من الذل والنقيصة وعدم موته قتيلا مثل القتل ، لأنه إنما سلم بالهرب ، والهرب : مثل القتل لدى الشجاع ، بل أمر به والمقتول بالسيف خير من المقتول بالذم والعاب ، وهذا من قول أبى تمام :

أَلِفُوا المنايا فالقتيــلُ لديهمِ مَن لم يُخلَّ العيش وهْو قتيــل

وله أيضا :

لو لم يَمُت بين أطــراف الرماح إذن
لمات إذ لم يَمت من شــدة الحَزَن

تَلَفُ الَّذِى اتَّخَذَ الْجَرَاءَةَ خُلَّةً
وَعَظَ الَّذِى اتَّخَذَ الْفِرَارَ خَلِيلاً(١)

لَوْ كَانَ عِلْمُكَ بِالإلٰهِ مُقَسَّماً فِى النَّاسِ مَا بَعَثَ الإلٰهُ رَسُولاً(٢)

لَوْ كَانَ لَفْظُكَ فِيهِمِ مَا أَنْزَلَ الْقُرْآنَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإنْجِيلاَ

لَوْ كَانَ مَا تُعْطِيهِمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُعْطِيهِم لَمْ يَعْرِفُوا التَّأْمِيلاَ(٣)

---

(١) الخلة : الخليل ، يستوى فيه المذكر والمؤنث ، وكذلك الواحد والجمع ، لأنه فى الأصل مصدر قولك خليل بين الخلة والخلولة . وقال أوفى بن مطر المازنى :

ألا أبلغا خُلّتى جابراً بأنّ خليلك لم يُقتل
تخطأتِ النبلُ أحشاءه وأخّر يومى فلم يعجل(١)

ومثله قول الحماسى :

ألا أبلغا خُلّتى راشداً وصِنوِى قديماً إذا ما تصل(٢)

يقول : إن تلف الأسد الذى اجترأ عليك فهلك وعظ الأسدالذى فر منك ،وحبب إليه الفرار .

(٢) يقول : لو عرف الناس ربهم معرفتك به لم يبعث الله تعالى رسولا يدعوهم إليه ويعلمهم دينه ، وقد أفرط فى هذا البيت والذى بعده وتجاوز الحد

(٣) يقول : لو وصل عطاؤك إلى الناس قبل إعطائك إياهم لكانوا لا يعرفون الأمل ، لأن الموجود لا يؤمل : أى فكانوا يستغنون بما نالوا منك ، لأنك تعطى فوق الأمل فلا يحتاجون إلى تأميل بعد ذلك ، وقد أخذ ابن نباتة السعدى هذا المعنى فقال :

لم يُبق جُودُك لى شيئاً أؤمِّله تركْتَنِي أصحبُ الدنيا بلا أمل

هذا وقد أسكن الياء من الفعل المنصوب ـ وهو تعطيهم الثانية ـ ضرورة قال

---

(١) تقدم شرحهما .
(٢) يقول : أبلغا ابن عمى راشدا صديق من عهد قديم ، إذا وصلت إليه ؛ وبعده :

بأن الدقيقَ يهيجُ الجليلَ وأن العزيز إذا شاء ذل

فَلَقَدْ عُرِفْتَ ، وَمَا عُـــرِفْتَ حَقِيقَةً ،
وَلَقَدْ جُهِلْتَ ، وَمَا جُهِلْتَ خُمُـــولا(١)

نَطَقَتْ بِسُـؤْدُدِكَ الْحَمَامُ تَغَنِّيًا ، وَبِمَا تُجَشِّمُهَا الْجِيَادُ صَهِيـلا(٢)

مَا كُلُّ مَنْ طَلَبَ الْمَعَـالِيَ نَافِذًا فِيهَا وَلَا كُلُّ الرِّجَالِ فُحُولا(٣)

* * *

وقال وقد نظر إلى جانبه خلعة مطوية فسأل عنها فقيل هي خلع الولاية ، وكان أبو الطيب عند وصولها عليلا :

أَرَى حُلَلًا مُطَوَّاةً حِسَـانًا عَدَانِي أَنْ أَرَاكَ بِهَا اعْتِلَالِي(٤)

العكبرى : وهذا كثير إذا كان فى حرفى العلة ـ الواو والياء ـ ومثله بيت الكتاب ـ كتاب سيبويه ـ :

كَأَنَّ أَيْدِيهِنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقْ أَيْدِي نِسَاءٍ يَتَعَاطَيْنَ الْوَرِقْ(١)

(١) حقيقة منصوبة على التمييز ؛ وخمولا : مفعول لأجله ؛ وحقيقة الشىء ما ثبت من أمره ؛ والخامل : الساقط الذى لا نباهة له ولا شهرة . يقول : إن الناس عرفوك بما ظهر من سخائك وجودك ، ولكنهم لم يعرفوك حق معرفتك ، لأنهم لا يبلغون كنه قدرك ، وإذا لم يعرفوك حق المعرفة فقد جهلوك ، فليس جهلهم إياك لأنك خامل الذكر :

(٢) السؤدد : السيادة والرفعة . وتجشمت الأمر : تكلفته على مشقة . يقول : قد بلغت من الشهرة ما عرفه ما لا يعقل فضلا عن العاقل ؛ فالحمام إذا غنت فإنما تنطق بسيادتك ، والخيل إذا صهلت فإنما تنطق بغزواتك التى تكلفها إياها ، والبيت تتميم وتأكيد للبيت السابق .

(٣) نافذا وفحولا : منصوبا بما على أنها حجازية ، والنفاذ جواز الشىء والخلوص ومنه نفذ ينفذ نفاذاً ونفوذا ، ورجل نافذ فى أمره ونفوذ ونفاذ : ماض فى جميع أمره وأمره نافذ : أى مطاع ، ونفذ السهم الرمية ونفذ فيها ينفذها نفذا ونفاذاً : خالط جوفها ثم خرج طرفه من الشق الآخر وسائره فيه ، ونفذ الكتاب إلى فلان نفاذاً ونفوذاً . يقول : ليس كل من رام الرفعة والمعالى يبالغها ، ولا كل الرجال بأبطال شجعان ، وإنما ذلك مما يخص الله به من يشاء من عباده .

(٤) عدانى : منعنى ؛ واعتلالى : فاعل عدانى ؛ وأراك بها : أى أراك وهى عليك

---

(١) يصف إبلا بسرعة السير والقرق المكان المستوى أو الذى لا حجارة فيه .

وَهَبْكَ طَوَيْتَهَا وَخَرَجْتَ عَنهـا ... أَتَطْوِى مَا عَلَيْكَ مِنَ الْجَمَالِ (١)
لَقَدْ ظَلَّتْ أَوَاخِـرُهَا الأَعَالِى ... مَعَ الأُولَى بِجِسْمِكَ فى قِتَالِ (٢)
تُلَاحِظُكَ الْعُيُونُ وَأَنتَ فِيهـا ... كَأَنَّ عَلَيْكَ أَفْئِدَةَ الرِّجَالِ (٣)
مَتَى أَحْصَيْتُ فَضْلَكَ فى كَلَامٍ ؛ ... فَقَدْ أَحْصَيْتُ حَبَّاتِ الرِّمَالِ (٤)
وَإِنَّ بِهَا ، وَإِنَّ بِهِ لَنَقْصًـا ... وَأَنتَ لَهَا النِّهَايَةُ فى الْكَمَالِ (٥)

* * *

ومعك ، كما يقال خرج بثيابه ؛ وإنما قال هذا : لأنه رأى الخلع مطوية إلى جانبه ولم يره فيها لأنه كان ذلك اليوم الذى لبس فيه الخلعة عليلا .

(١) يقول : افرض أنك طويتها ولم تلبسها . أتقدر أن تزيل جمالك ؟ يعنى أنه إنما يتجمل بجماله لا بثيابه ، فإذا طوى ثيابه بقى عليه من الجمال مالا يطوى ولا يزول .

(٢) يصفه حين كانت الخلع عليه : يريد بأعالى الثياب : ما ظهر منها للأعين . يقول أقامت أعالى ثيابك تحسد الذى يلى جسمك منها لأنه ينال من مس بدنك ما لا تناله فبينهما قتال لذلك .

(٣) فيها : أى فى الحلل : أى إن العيون تنظر إليك نظر المحبة والسرور وأنت فى هذه الحلل كأنك فى قلوب أصحاب العيون ، وهى لباس عليك ، مكان تلك الحلل وقال ابن جنى : قوله كأن عليك الخ : أى فهم يحبونك كما يحب الإنسان فؤاده ؛ وقال ابن فورجه : يعنى استحسان القلوب لها وتعلقها به وبها من ناحية الاستحسان . وقال غيرها : أى يدعون النظر إليك ، فإن العين تبع القلب تنظر إلى حيث يميل القلب إليه فالعيون إنما تنظر إليك لأن القلوب تحبك — كما قال ابن جنى — أو تستحسن الخلع — كما قال ابن فورجه .

(٤) يقول : فضائلك لا تحصى وإن قلت إنى أحصيها فكأنى أقول إنى أحصى الرمل ، وهذا مالا تقبله العقول ، لأنه محال .

(٥) الضمير فى « بها » : للخلع . وفى « به » : للكلام . يقول : إن هذه الخلع لا تزال ناقصة الجمال فى نفسها ، كما أن كلامى لا يزال ناقصا إذ لم يستوف فضلك ؛ وإنما تبلغ نهاية الكمال فى الحسن بلبسك إياها لأنها تتجمل بك .

وقال فيه أيضاً :

عَذَلَتْ مُنَادَمَةُ الأَمِيرِ عَوَاذِلِي
فى شُرْبِهَا وَكَفَتْ جَوَابَ السَّائِلِ (١)
مَطَرَتْ سَحَابُ يَدَيْكَ رِىّ جَوَانِحِى
وَحَمَلْتُ شُكْرَكَ وَاصْطِنَاعُكَ حَامِلِي (٢)
فَمَتَى أَقُومُ بِشُكْرِ مَا أَوْلَيْتَنِى وَالقَوْلُ فِيكَ عُلُوُّ قَدْرِ القَائِلِ (٣)

* * *

---

(١) العذل الملام ، وكفيته الأمر أغنيته عنه ، وأول مفعولى كفت محذوف أى كفتنى . يقول : من لامنى على شرب الخمر لامته منادمتى للأمير ، لأن منادمته شرف، وليس للعاذل أن يعذل على مايورث الشرف ، وأغنتنى جواب سائل يسأل فيقول : لم تشرب الخمر ، هذا : ويقال نادم فلانا منادمة ونداما : جالسه على الشراب فهو نديمه وندمانه ، قال النعمان بن نضلة العدوى ، ويقال للنعمان بن عدى ، وكان عمر قد استعمله على ميسان :

فإنْ كنت ندمانى فبالأكبر اسقِنى ، ولا تسقنى بالأصغر المتثلم

لعل أميرَ المؤمنين يسوؤه تنادُمنا فى الجوسَق المتهدم

وجمع النديم : ندام وندماء ، وجمع الندمان : ندامى ، والمرأة ندمانة ، والنسوة ندامى ، ويقال : المنادمة مقلوبة من المدامنة ، لأنه يدمن شرب الشراب مع نديمه ، لأن القلب فى كلامهم كثير كالقسى من القووس ، وجذب وجبذ وما أطيبه وأيطبه ؛ وخنز اللحم وخزن .

(٢) الجوانح الأضلاع التى تحت الترائب : وهى مما يلى الصدر .والاصطناع المعروف والإحسان . يقول : أروانى سحاب جودك ، أى أغنانى جودك . فحملت شكرك على هذا الإحسان ، وإحسانك حملنى ـ لأنه كفانى المؤنة ـ وتحمل أثقالى .

(٣) أوليتنى ، أعطيتنى . ويعنى بالقائل : نفسه . ومتى سؤال عن الزمان ، كأنه قال ـ منكراً ـ أى زمان أقوم بشكر ماأعطيتنى ؟ أى لا أقوم به ، لأنى كلما أثنيت عليك وشكرتك حصلت على نعمة لك جديدة ، وهو أن ذلك يكسبنى علوا ورفعة : أى أن شكريك يرفع قدرى .

وقال يمدحه :

بَدْرٌ فَتًى لَوْ كَانَ مِنْ سُـؤَّالِهِ ... يَوْماً تَوَفَّرَ حَظُّــهُ مِنْ مَالِهِ (١)

تَتَحَيَّرُ الأفْعَـالُ فى أفْعَـالِهِ ، ... وَيَقِـلُّ مَا يَأْتِيـهِ فى إقْبَالِهِ (٢)

قَمَرًا نَرَى وَسَحَابَتَيْنِ بِمَوْضِعٍ ... مِنْ وَجْهِهِ وَيَمِينِهِ وَشِمَالِهِ (٣)

سَفَكَ الدِّمَاءَ بِجُودِهِ لا بَأْسِهِ ... كَرَماً لأنَّ الطَّيْرَ بَعْضُ عِيَالِهِ (٤)

---

(١) كان بدر بن عمار قد تاب من الشراب مرة بعد أخرى ، ثم رآه أبو الطيب يشرب ؛ فقال ارتجالا :

* يا أيها الملك الذى ندماؤه *

إلى أن قال :

والصِّدقُ من شيم الكرام فقل لنا ... أمن الشراب تتوب أم من تركه (١)

فقال بدر : بل من تركه : فقال أبو الطيب هذه الأبيات .

يقول : إن حظ سؤاله من ماله أكثر من حظه هو منه ، فلو كان من سؤال نفسه لكان حظه من ماله أوفر .

(٢) يقول : إن أفعال الناس تتحير فيما يفعله لقصورها عنه وإرباء ما يفعله على فعلهم وما يفعله مع ذلك قليل فى جانب دولته لاقتضائها الزيادة على ما فعل .

(٣) فسر المصراع الأول بالمصراع الثانى . قال ابن جنى : أى إن يمينه تسح العطاء، وشماله الدماء ؛ قال ابن فورجه : الرجل لا يقاتل بشماله والفعل يكون لليمين فى كل شىء ؛ وإنما يكون عمل الشمال كالمعاونة لليمين ، وإنما يريد أن يديه جميعا كالسحابتين عطاء وسح دماء .

(٤) يقول : إنه سفك دماء الأعداء ليرزق الطير من لحومهم ، لأن الطير لما عودها من إطعامها لحوم الأعداء صارت عيالا له ، فالباعث له على قتلهم هو الجود ، وهذا كقوله :

ما به قتلُ أعاديه ولكن ... يتقى إخلاف ما ترجو الذئاب

وقد زاد بذكر الجود والعيال على ماقاله الشعراء من إطعام الطير لحوم الأعداء .

---

(١) انظر قافية الكاف .

إنْ يُفنِ ما يحْوِى فقدْ أبقى بهِ ذِكْراً يزُولُ الدَّهْرُ قَبلَ زَوالِهِ(١)

***

وسأله حاجة فقضاها له ، فنهض فقال :

قَدْ أُبْتُ بِالحَاجَةِ مَقْضِيَّةً وعِفْتُ فى الجَلْسَةِ تَطْوِيلَهَا(٢)

أنتَ الذِى طُولُ بَقَاءٍ لَهُ خَيْرٌ لِنَفْسِى مِنْ بَقَائِى لَهَا

***

وقال يمدح القاضى أبا الفضل أحمد بن عبد الله الأنطاكى :

لَكِ يا مَنَازِلُ فى القُلوبِ مَنازِلُ أقْفَرْتِ أنتِ وهُنَّ مِنكِ أواهِلُ(٣)

وقال ابن جنى : أبلغ من هذا فى المدح أنه ينحر ويذبح ليأ كل الطير مما يجده من اللحم، فكأنه سفك الدماء بجوده لا ببأسه .

(١) قال ابن جنى : لو قال دون زواله لكان أحسن ، وكان مثل قول الآخر :

بقلبى غرام لست أبلغ وصفه على أنه ما كان فهوَ شديد

تمر به الأيامُ تسحبُ ذيلها فتبلَى به الأيامُ وهْوَ جديدُ

قال : وله أن يحتج عنه فيقال : إن الأيام بعض الدهر ، وليست هذه الأيام جميعه؛ وقد يجوز أن يذهب بعض الدهر ويبقى بعضه فيبقى الغرام بحاله مع بقاء المحب ، فقال إن الغرام باق بقلبى فإذا مازال زال معه الذكر ، وقول أبى الطيب بقى الذكر له إنما يصح ببقاء الناس ، فإذا زال الناس والدهر عدم الذكر .

(٢) أبت : رجعت . وعفت : كرهت . يقول : لم أطول فى جلوسى عنده لأنى رجعت وقد قضيت حاجتى .

(٣) أقفرت : خلوت ورحل عنك أهلوك . وأواهل : عامرة ذوات أهل . يقول: مخاطباً منازل الأحبة — : قد تمثل خيالك فى قلوب المحبين فكانت لك فيها منازل ، غير أنك قد أقفرت من أهلك ، أما القلوب فما برحت آهلة بك ، لأن مثالك لا يزايلها . وعبارة الواحدى : لم تدرس منازلك فى القلوب وإن أقفرت أنت ، يعنى تجدد ذكرها فى قلبه . وهذا من قول أبى تمام :

وقفتُ وأحشائى منازِلُ للأسى به وهْو قفر قد تعفت منـازِله

يَعْلَمْنَ ذَاكَ وَمَا عَلِمْتِ وَإِنَّمَا ... أَوْلَا كُمَا يُبْكَى عَلَيْهِ الْعَاقِلُ[١]

وَأَنَا الَّذِى اجْتَلَبَ الْمَنِيَّةَ طَرْفُهُ ... فَمَنِ الْمُطَالَبُ وَالْقَتِيلُ الْقَاتِلُ[٢]

ومثله للبحترى :

* عفَت الديارُ وما عفَت أحشاؤه *

وقال ابن المعتز :

بؤساً لدهر غيّرتكَ صُرُوفه ... لم يَمْحُ من قلبى الهوى ومحا كا

قال ابن جنى : بيت المتنبى أجمع من بيت أبى تمـام ، لأنه ذكر منازل الحزن فخص، والمتنبى ذكر المنازل فعم ، ولقد أحسن ابن المعتز إذ جمع المعنى فى كلمتين .

(١) قوله يبكى عليه : يروى يبكى عليه ، أى أولا كما بأن يبكى عليه ؛ لحذف الجار ثم حذف «أن» ، وأولا كما : أى أحقكما ، مبتدأ ، خبره : العاقل . وذاك : خطاب للمنازل . يقول : إن القلوب التى هى منازل لديار الأحبة تعلم أن الأحبة قد رحلوا وتركوها خالية ، أما الديار فلا تعلم ذلك والذى يعلم ـ وهو القلوب ـ هو الأولى بأن يبكى عليه لعلمه بما ألم به . وعبارة الواحدى : إن منازلك التى فى القلب تعلم إقفارك وخلوك من الأحبة وأنت لا تعلمين ، والأحق منكما بالبكاء عليه هو العاقل ، يعنى القلب ، أى أن قلبى أحق بأن يبكى عليه منك لأنك جماد لا تعلمين ما حل بك ، أما هو فعليم به ، وقال ابن جنى . أى إن منازل الحزن بقلبى تعلم ما يمر بهـا من ألم الهوى وأنت تجهلين ذلك .

(٢) اجتلب : افتعل من الجلب ، والمنية : الموت ، والطرف : النظر ؛ قال اللغويون الطرف اسم جامع للبصر . لا يثنى ولا يجمع ، لأنه فى الأصل مصدر فيكون واحداً ، ويكون جماعة ، قال تعالى « لا يرتد إليهم طرفهم » يقول : إن طرفى هو الذى جلب المنية إلى بالنظر ، فمن أطالب بدمى وأنا الذى قتلت نفسى ؟ وهذا كما يقول قيس بن ذريح :

وما كنتُ أخشَى أنْ تَكونَ منيتى ... بكَفّىَّ إلا أنّ ما حانَ حائنُ[١]

(١) قبله :

وإنى لمفنٍ دمعَ عينىَّ بالبكا ... حذاراً لما قد كانَ أوْ هو كائنُ

وقالوا غداً أوْ بعد ذاك بليلةٍ ... فراقُ حَبيبٍ لم يبن وهو بائنُ

وفى الأغانى :

* بكفيك إلا أنَّ من حانَ حائنُ *

« والحائن الهالك .

تَخْلُو الدِّيَارُ مِنَ الظِّبَاءِ وَعِنْدَهُ ... مِنْ كُلِّ تَابِعَةٍ خَيَالٌ خَاذِلُ(١)
اللَّاءِ أَفْتَكُهَا الْجَبَانُ بِمُهْجَتِي ... وَأَحَبُّهَا قُرْبًا إِلَيَّ الْبَاخِلُ(٢)
الرَّامِيَاتُ لَنَا وَهُنَّ نَوَافِرٌ ... وَالْخَاتِلَاتُ لَنَا وَهُنَّ غَوَافِلُ(٣)
كَافَأْنَنَا عَنْ شِبْهِهِنَّ مِنَ الْمَهَا ... فَلَهُنَّ فِي غَيْرِ التُّرَابِ حَبَائِلُ(٤)

ويقول دعبل :

لا تَعْجبِي يا سَلْمُ مِنْ رجلٍ ... ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرأسِهِ فَبَكَى
لا تأخُذا بِظُلامَتِي أحداً ... قلبي وطرْفي في دَمِي اشتركا

(١) الضمير فى « وعنده » للذى اجتلب — فى البيت السابق — يعنى نفسه . والظباء أى الحبائب الشبيهات بالغزلان . والتابعة : التى تتبع أمها فى المرعى . أراد : الصغيرة السن من الظباء ؛ وظبية خاذل وخذول : وهى التى تتخلف فى المرعى عن صواحبها . يقول: تخلو الديار من حسانها ، وتفارقها وخيال من أهواه لايفارقنى . وقال الواحدى : تخلو الديار من النساء الحسان وعندى من كل صغيرة منهن خيال يأتينى كأنه تأخر عنهن .

(٢) اللاء : أى اللواتى ، نعت للظباء ، أو بدل « من كل تابعة » ؛ وأفتكها : مبتدأ ؛ والجبان : خبره ؛ وبمهجتى : صلة « أفتكها » ؛ وكان الوجه تقديم « بمهجتى » على « الجبان » ولكنها الضرورة ؛ وقال الخطيب التبريزى : الباء من قوله « بمهجتى » متصلة فى المعنى بأفتكها ، إلا أنه لايمكن تعلقها به ، لأنه قد أخبر عنه بقوله : الجبان ، ومحال أن يخبر عن الاسم وقد بقيت منه بقية ، فلما امتنع ذلك علق الباء بمحذوف دل عليه أفتكها ، فكأنه أضمر بعد ذكر الجبان فتكت بمهجتى ؛ ويريد بالجبان : النافرة من الرجال ، لأنها تخافهم . يقول : إن أفتك هؤلاء الظباء بمهجتى هى النفور التى أنا مغرم بها . والبخيلة منهن بالوصل هى أحبهن إلى قربا .

(٣) الراميات : أى هن الراميات ، ولك أن تجرها على التبعية ، ومثلها الخاتلات . والختل : أخذ الصيد من حيث لا يدرى . يقول ترميننا بسهام لحاظهن وهن عنا نافرات غير مقبلات علينا ، وكذلك يختلننا — يصدننا — بحسنهن غير عالمات بذلك .

(٤) المها : بقر الوحش ، تشبه الحسان بها لحسن عيونها . والحبائل : جمع حبالة الشرك ينصب للصيد ، يقول : هؤلاء يشبهن بقر الوحش فى سواد حدقهن وسعة عيونهن

مِنْ طَاعِنِى ثُغَرِ الرِّجَالِ جَآذِرٌ ... وَمِنَ الرِّمَاحِ دَمَالِجٌ وَخَلَاخِلُ(١)

وَلِذَا اسْمُ أَغْطِيَةِ الْعُيُونِ جُفُونُهَا ... مِنْ أَنَّهَا عَمَلَ السُّيُوفِ عَوَامِلُ(٢)

كَمْ وَقْفَةٍ سَجَرَتْكَ شَوْقًا بَعْدَمَا

غَرِىَ الرَّقِيبُ بِنَا وَلَجَّ الْعَاذِلُ(٣)

ونحن نصيد بقر الوحش ، فجازيننا عنهن وأخذن بثأرهن فى صيدنا شبههن فصدننا بحبائل نصبنها فى غبر التراب ، يعنى بأعينهن .

(١) الثغر : جمع ثغرة ، وهى نقرة النحر التى بين الترقوتين ، والجآذر ، جمع جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية ؛ والمراد بالجآذر : النساء والدمالج : جمع دملج وهو حلى يلبس فى العضد . والخلاخل : جمع خلخل ، لغة فى خلخال . وجآذر وخلاخل : مبتدآن ، خبرهما : الجار والمجرور قبلهما . يقول : إنهن يفعلن بمحسنهن مايفعل الطاعن بالرمح : أى يقتلن بهواهن ، وحليهن تفعل ماتفعل الرماح ، وعبارة ابن جنى والواحدى : نساء مثل الجآذر بحليهن يفعل مايفعل الطاعن بالرمح ، كما قال الآخر :

هلْ يَغلبَنِّى واحد أقاتلهْ ... رِيمٌ عَلَى لَبَّاتِهِ سلاسلُه

* سِلاحُهُ يومَ الوَغى مكاحِلُهُ *

وقال صريع الغوانى .

بارَزْته وسِلاحُه خَلْخالُهُ ... حتى فَضَضْت بكَفِّىَ الخلخالا

(٢) يقول : إنما سميت أغطية العيون جفونا لأنها تضمن أحداقا تعمل ما تعمله السيوف فسميت أغطيتها باسم غطاء السيف ، وهو الجفن ؛ ومن أنها : بيان لذا ، والضمير — من قوله أنها — للعيون . وعمل مفعول مطلق وعوامل : خبر أن .

(٣) سجرتك : ملأتك ، ومنه : «والبحر المسجور » ويجوز أن تكون بمعنى ألهبتك ويروى شجرت : أى حبستك عن الكلام ، ويقال ما شجرك عنه : أى ما صرفك : من قولهم شجرت الدابة : إذا أصبت شجرها — والشجر ما بين اللحيين — باللجام لتكفها ، ويروى سحرتك أى جعلتك مسحوراً بالشوق أو أنها أصابت سحرك : أى رئتك . وغرى به : أولع ؛ واللجاج : التمادى فى المماحكة . يقول — مخاطباً نفسه — . كم وقفة لك مع الحبيبة تركتك على هذه الحال ؟ وتمام الكلام فى البيت التالى .

دونَ التَّعانُقِ ناحِلَيْنِ كَشَكْلَتَيْ ... نَصْبٍ أَدَقَّهُما وَضَمَّ الشَّاكِلُ(١)
إِنْعَمْ وَلَذَّ فَلِلأُمُورِ أَواخِرٌ ... أَبَداً إِذا كانَتْ لَهُنَّ أَوائِلُ(٢)
ما دُمْتَ مِنْ أَرَبِ الحِسانِ فَإِنَّما ... رَوْقُ الشَّبابِ عَلَيْكَ ظِلٌّ زائِلُ(٣)
لِلَّهْوِ آوِنَةٌ تَمُرُّ كَأَنَّها ... قُبَلٌ يُزَوَّدُها حَبِيبٌ راحِلُ(٤)
جَمَحَ الزَّمانُ فَما لَذِيذٌ خالِصٌ ... مِمَّا يَشُوبُ وَلا سُرُورٌ كامِلُ(٥)
حَتَّى أَبُو الفَضْلِ بْنُ عَبْدِ اللهِ رُؤْ ... يَتُهُ المُنَى وَهِيَ المَقامُ الهائِلُ(٦)

---

(١) ناحلين : حال محذوف بعد وقفة : أى كم وقفة وقفناها ناحلين ؟ والشاكل : الذى يشكل الكتاب . أى يعجمه . يقول : كم وقفنا ناحلين دون التعانق ؟ أى دنا بعضا من بعض ولم نتعانق خشية الرقيب والعاذل على الرغم مما نحن فيه من شدة الشوق . ثم شبههما واقفين متدانيين ناحلين كشكلتى نصب — أى فتحتين — قد دقق الكاتب رسمهما وضم بينهما فقرب إحداهما من الأخرى ، وهذا منقول من قول الآخر :

إنى رأيتك فى نومى تعانقنى ... كما تعانق لامُ الكاتبِ الألفا

ومثله لأبى إسحق الفارسى :

ضممتُها ضمّةً عُدنابها جسداً ... فلو رأتنا عيونٌ ما خشيناها

(٢) يقول : تمتع بالنعمة واللذة ما بقى لك شبابك فله آخر من حيث كان له أول ؛ أنه يفنى ولا يبقى .

(٣) الأرب : الحاجة ؛ وروق الشباب وريقه : أوله وأفضله . وقوله مادمت : لما مصدريه زمانية ، والظرف المتأول منها صلة « انعم » . يقول ؛ انعم ولذ مادام للحسان أرب فيك : يعنى مادمت شابا ، فإن روق الشباب ظل يزول ولا يبقى .

(٤) آونة : جمع أوان كزمان وأزمنة ؛ والقبل : جمع قبلة . يقول : للهو ساعات سريعة المرور كتزويد الحبيب الراحل من عندك قبلا ؛ فهى لذيذة ولكنها وشيكة الانقضاء كذلك ساعات اللهو وأوقات السرور .

(٥) و (٦) جمح الفرس : غلب فارسه ، وجمح الرجل : ركب هواه فلا يمكن رده قال الشاعر :

خلعتُ عِذارى جامحاً لا يردُّنى
عن البيض أمثالِ الدُّمى زجرُ زاجر

مَمْطُورَةٌ طُرْقِي إلَيْهَا دُونَهَا ... مِنْ جُودِهِ فِي كُلِّ فَجٍّ وَابِلُ(١)

مَحْجُوبَةٌ بِسُرَادِقٍ مِنْ هَيْبَةٍ ... تَثْنِي الْأَزِمَّةَ وَالْمَطِيُّ ذَوَامِلُ(٢)

وجمحت المرأة تجمح جماحا من زوجها : خرجت من بيته إلى أهلها قبل أن يطلقها ومثله طمحت طماحا ، قال :

إِذَا رَأَتْنِي ذَاتُ ضِغْنٍ حَنَّتِ ... وَجَمَحَتْ مِنْ زَوْجِهَا وَأَنَّتِ

وجمح إليه : أسرع ، وقوله تعالى « لولوا إليه وهم يجمحون » قال الزجاج : أى يسرعون إسراعا لا يرد وجوههم شىء ؛ ومن هذا قيل : فرس جموح ، قال الأزهرى : فرس جموح له معنيان أحدهما يوضع موضع العيب ؛ وذلك إذا كان من عادته ركوب الرأس لا يثنيه راكبه ، وهذا من الجماح الذى يرد منه بالعيب ؛ والمعنى الثانى أن يكون سريعاً نشيطاً مرحا ، وليس هذا بعيب يرد منه ، ومصدره الجموح . و «ما» من قوله « مما يشوب » نكرة موصوفة بمعنى شىء . ويشوب : يخلط . وأبو الفضل : كنية الممدوح ؛ والمنى : جمع منية ، ما تتمناه ؛ والهائل : المهوب المخوف . يقول : جمح الزمان — أى قهر وغلب — فما تخلص لذة من أذى يشوبها حتى إن هذا الممدوح رؤيته منى كل أحد ، ولكنها مع ذلك مقام هائل مهوب ، فلم تخلص هذه المنية من شائب ينغصها ، قال ابن جنى : هذا خروج — مخلص — ماروى أغرب منه

(١) ممطورة : خبر مقدم عن طرقى ؛ وإليها : صلة طرقى ؛ ودونها : خبر مقدم عن وابل : والفج : الطريق الواسع بين جبلين ؛ والوابل ؛ المطر الغزير : يقول : إن طرقى إلى رؤية الممدوح ممطورة بآثار إحسانه ، يعنى أنه يصل إلى إحسانه قبل وصوله إليه ، ودون الوصول إلى رؤيته — أى بينى وبينها — وابل من جوده قد ملأ كل فج ، فالضمير فى « بها ، ودونها » لرؤيته ، وروى « إليه ودونه » والضمير : للممدوح.

(٢) الأزمة : جمع زمام ، ماتقاد به الدابة وذوامل : مسرعات . يقول : إن رؤيته محجوبة بما يغشاها من المهابة التى ترد الأبصار عن النظر إليه ، حتى لو أن مطيا أسرعت فى سيرها واعترضتها هذه الهيبة : لارتدت عن مسيرها ولم تقدم إشفاقا من الإقدام ؛ قال الواحدى : وهذا إلى الهجاء أقرب منه إلى المدح ، وقد عدل ابن جنى عن ظاهر الكلام فقال : كأن على الطرق إليه سرادقا يمنع من العدول عنه إلى غيره ، والناس أبدا ينحون نحوه . هذا : والسرادق — وجمعه سرادقات — هو كل ما أحاط بشىء ، نحو الشقة فى المضرب . أو الحائط المشتمل على شىء ، أو الخباء ؛ قال فى الصحاح : السرادق

لِلشَّمْسِ فِيهِ وَلِلرِّيَاحِ وَلِلسَّحَا ... بِ وَلِلْبِحَارِ وَلِلْأُسُودِ شَمَائِلُ(١)

وَلَدَيْهِ مِلْعِقْيَانِ وَالْأَدَبِ الْمُفَا ... دِ وَمِلْحَيَاةِ وَمِلْمَمَاتِ مَنَاهِلُ(٢)

لَوْ لَمْ يُهَبْ لَجَبُ الْوُفُودِ حَوَالَهُ ... لَسَرَى إِلَيْهِ قَطَا الْفَلَاةِ النَّاهِلُ(٣)

الذى مد فوق صحن الدار ، وكل بيت من كرسف ـ أى قطن ـ فهو سرادق : قال رؤبة :

يَا حَكَمُ بنَ الْمُنْذِرِ بنِ الجارودْ ... أَنْتَ الجوادُ بنُ الجوادِ المحمودْ
سُرَادِقُ الْمَجْدِ عليكَ مَمْدُودْ

وقال سلامة بن جندل : يذكر قتل كسرى للنعمان بن المنذر :

هُوَ الْمُدْخِلُ النُّعْمَانِ بيتًا سَمَاؤُه ... صدور الفيولِ بَعْدَ بيتٍ مُسَرْدَقِ

(١) الشمائل : الخلائق والطبائع : جمع شمال . يقول : فيه إضاءة الشمس ومنفعتها وبهاؤها ؛ وجود السحاب والبحار وبأس الأسود ، وتصرف الرياح فى أحياء البلاد وسوق الأمطار : يريد عموم نفعه وعموم تصرفه وإسراعه فى العطاء .

(٢) ملعقيان يريد من العقيان . حذف النون لالتقاء الساكنين ، وخصت النون بالحذف لمناسبتها حروف العلة بالغنة ؛ ومثله : ملحياة وملممات ؛ والعقيان : الذهب . والمناهل الموارد . يقول : إن الناس يردون منه على هذه الأشياء كما يردون مناهل الماء ، ومن الحياة : أى لأوليائه ؛ ومن الممات : أى لأعدائه ، وقد زاد على أبى تمام فى قوله :

تَرْمِي بِأَشْبَاحِنَا إِلَى مَلِكٍ ... نَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِن أَدَبِهْ

لأنه ذكر الموت والحياة .

(٣) اللجب . الضجيج ؛ والوفود ؛ الذين يفدون عليه يطلبون العطاء ؛ وحواله ؛ كحوله وحواليه ؛ والقطا ؛ الطائر المعروف ، والفلاة ؛ الصحراء ؛ والناهل . الوارد على منهل الماء ؛ قال ابن جنى ؛ يعنى لولم يخف القطا أصوات الوفود ببابه لسرى إليه ليشرب منه ، وقال ابن فورجه ؛ يعنى أن القطا يراه ماء معينا فيهم بوروده ويشفق من لجب وفوده على عادة الطير ؛ قال الواحدى بعد أن ساق كلامهما ؛ المعنى أنه لعموم نفعه تهم الطير بالورود عليه لتنقع غلتها ، ليس أنه ماء يشرب منه أو تراه الطير ماء كما ذكر الشيخان .

يَدْرِى بِمَا بِكَ قَبْلَ تُظْهِرُهُ لَهُ ... مِنْ ذِهْنِهِ وَيُجِيبُ قَبْلَ تُسَائِلِ (١)
وَتَرَاهُ مُعْـتَرِضًا لَهَا وَمُوَلِّيًا ... أَحْدَاقُنَا وَتَحَارُ حِينَ يُقَابِلِ (٢)
كَلِمَاتُهُ قُضُبٌ وَهُنَّ فَوَاصِلٌ ... كُلُّ الضَّرَائِبِ تَحْتَهُنَّ مَفَاصِلِ (٣)
هَزَمَتْ مَكَارِمُهُ المَكَارِمَ كُلَّهَا ... حَتَّى كَأَنَّ المَكْرُمَاتِ قَنَابِلِ (٤)
وَقَتَلْنَ دَفْراً وَالدُّهَيْمَ فَمَا تُرَى ... أُمُّ الدُّهَيْمِ وَأُمُّ دَفْرٍ هَابِلِ (٥)

---

(١) أراد قبل « أن » فى الموضعين فحذف « أن » فارتفع الفعل . ومن ذهنه : صلة يدرى . يقول : هو ـ لذكائه وحدة ذهنه ـ يدرى ما تطلب قبل أن تظهره له ويجيب قبل أن تسائل .

(٢) أحداقنا : فاعل تراه ؛ ومعترضاً : حال . يقول : تراه عيوننا إذا اعترض لها أو تولى ؛ يعنى أن الأبصار إذا واجهته تحيرت ولم تستوف النظر إليه من الهيبة ، وإنما تراه فى حال اعتراضه وتوليه لا نحرافه عنها حينئذ .

(٣) القضب جمع قضيب ، وهو السيف . وفواصل : قواطع ؛ والضرائب جمع ضريبة ، وهى المضروب بالسيف . والمفاصل : جمع مفصل ، ملتقى العظمين . يقول : كلماته سيوف قواطع أينما أصابت فصلت ، فكأن كل موضع تقع عليه مفصل : يعنى أنها تفصل بين الحق والباطل كما يفصل السيف إذا وقع على المفاصل .

(٤) القنابل : جمع قنبلة ، الطائفة من الخيل : أى الجماعة من الجيش . يقول : إن مكارمه غلبت مكارم الناس حتى كأنها جيوش : يعنى أنه يغلب كل جيش . كذلك مكارمه غلبت أيضاً مكارم غيره : وقنابل : يروى قبائل .

(٥) يقال للداهية : أم دفر وأم الدهيم ؛ والدفر ـ فى الأصل ـ النتن ، ثم سميت به الداهية لخبثها ، ومن هنا يقال للدنيا : أم دفر . والدهيم ؛ ـ فى الأصل ـ اسم ناقة كانت لعمرو بن الريان بن الذهلى ، خرج بنوه فى طلب إبل لهم ، فلقيهم كثيف بن زهير فضرب أعناقهم ، ثم حمل رءوسهم فى جوالق وعلقه فى عنق الدهيم هذه ، ثم خلاها فى الإبل فراحت على أبيهم عمرو ، فقال لما رأى الجوالق : أظن بنى صادوا بيض نعام ثم أهوى بيده فأدخلها فى الجوالق ، فإذا رأس ، فلما رآه قال : آخر البز على القلوص . فذهبت مثلا ، فقيل : أشأم من الدهيم ، وأطلقت على الداهية ، والهابل : الثاكل ، وهى التى فقدت ولدها . يريد أن يقول : إن مكارمه أفنت الدواهى والشدائد حتى فقدت فكأن أمها صارت ثاكلا ، ومن ثم لا تعرف الخطوب والبأساء والشدائد ، لأن مكارمه

عَلاَّمَـــةُ العُلَمَـاءِ وَاللُّجُّ الَّذِى لاَ يَنْتَهِى وَلِـكُلِّ لُجٍّ سَـاحِلُ[(١)]
لَوْ طَابَ مَوْلِدُ كُلِّ حَيٍّ مِثْلَهُ وَلَدَ النِّسَاءُ وَمَا لَهُنَّ قَوَابِلُ[(٢)]
لَوْ بَانَ بِالْـكَرَمِ الجَنِينُ بَيَانَهُ لَدَرَتْ بِهِ ذَكَرٌ أَمُ انْثَى الحَامِلُ[(٣)]
لِيَزِدْ بَنُو الحَسَنِ الشِّرَافُ تَوَاضُعاً هَيْهَاتَ تُكْتَمُ فِى الظَّلاَمِ مَشَاعِلُ[(٤)]

عصفت بها . هذا : وقد اضطربت كلمة الشراح فى إعراب البيت ، ولعل الأوجه أن يقال إن أم الدهيم نائب فاعل « ترى » أى أن أم الدهيم لا ترى بعد ذلك ، ثم ابتدأ وقال : وأم دفر هابل . وقال ابن جنى : فما ترى أراد فما تريان فاكتفى بضمير الواحد من الاثنين ، وقال : صدر البيت يتم به الكلام وأم الدهيم : ابتداء ، وهابل خبر لأم دفر وأم الدهيم ، وتقديره أم الدهيم هابل ، وأم دفر كذلك ؛ ويجوز أن يكونا اكتفى بضمير الواحد ، كما قال الآخر :

لِمَنْ زُحْلوقَةٌ زُلٌّ بِهـــا العَيْنَانِ تَنْهَلُّ[(١)]

فلم يقل تنهلان لاكتفائه بأحد الضميرين .

(١) اللج : معظم الماء . يقول : هو علامة العلماء الذى يرجعون إليه فى مسائلهم ، وهو فى جوده لج ليس له منتهى ، وكل لج له منتهى ينتهى اليه إلا هذا .

(٢) مثله : نعت لمصدر محذوف : أى طيباً مثل طيب مولده وطهارته ؛ والقوابل: جمع قابلة ، وهى التى تشارف المرأة عند الولادة . يقول : إنه خرج من بطن أمه طيباً طاهراً ، فلو ولدت النساء أولادهن كما ولدته أمه لما احتجن إلى القوابل فى تلك الحال:

(٣) الجنين : الولد فى بطن أمه ؛ وبيانه : مفعول مطلق : أى كبيانه ؛ وضمير « به » : للجنين ، والحامل : فاعل درت . وقوله ذكر أم أنثى : أراد أذكر هو أم أنثى فحذف همزة الاستفهام لدلالة « أم » عليها ووصل همزة « أنثى » بعد نقل حركتها إلى الميم . يقول : لو بان الجنين بيانه بالكرم – أى كما بان كرمه حين كان جنيناً – لما التبس على الحامل الذكر بالأنثى : يعنى أنه حين كان جنيناً كان ظاهر الكرم يعرف أنه مولود كريم ، فلو بان حال كل جنين بيان كرمه لعرف الذكر من الأنثى .

(٤) المشاعل : جمع مشعل ، وهو ما يضرم فيه النار ليهتدى به فى الأسفار وغيرها

---

(١) زحلوقة زل : أى زلق ؛ وزحلوقة – بالقاف – تروى زحلوفة – بالفاء – وهما لغتان ، وهى آثار تزلج الصبيان من فوق إلى أسفل .

سَتَرُوا النَّدَى سَتْرَ الْغُرَابِ سِفَادَهُ ... فَبَدَا وَهَلْ يَخْفَى الرَّبَابُ الْهَاطِلُ(١)
جَفَخَتْ وَهُمْ لاَ يَجْفَخُونَ بِهَا بِهِمْ ... شِيَمٌ عَلَى الْحَسَبِ الْأَغَرِّ دَلاَئِلُ(٢)
مُتَشَابِهِى وَرَعِ النُّفُوسِ كَبِيرُهُمْ ... وَصَغِيرُهُمْ عَفُّ الْإِزَارِ حُلاَحِلُ(٣)
يَا افْخَرْ فَإِنَّ النَّاسَ فِيكَ ثَلاَثَةٌ ... مُسْتَعْظِمٌ أَوْ حَاسِدٌ أَوْ جَاهِلُ(٤)

قال الواحدى : يأمرهم أن يزيدوا تواضعاً ، فإن فضائلهم لا تخفى بالتواضع . وقد ضرب لذلك المثل بكتمان المشاعل فى الظلام ، فإنها لا تخفى ، ومتى كان الظلام أشد كانت المشاعل أظهر ؛ كذلك : متى كان تواضعهم أكثر كانت فضائلهم أكثر . وقال التبريزى : كان لهذا الممدوح نسب فى ولد الحسن بن على عليهما السلام ، فأمرهم بالتواضع ، لأنهم كلما ازدادوا فى التواضع ظهر شرفهم ، وإن أخفوا نسبهم لا ينكتم ، كما أن المشاعل لا تنكتم فى الظلام .

(١) السفاد : نزو الذكر على الأنثى . والرباب : غيم يتعلق بأسافل السحاب إذا كثر ماؤه . يقول : إنهم يكتمون معروفهم كما يكتم الغراب سفاده . ثم ذلك لا ينكتم ، كما لا يخفى السحاب الهاطل .

(٢) جفخت : فخرت وتكبرت ؛ وشيم : فاعل جفخت ؛ وبهم : متعلق بجفخت ، وجملة وهم لا يجفخون بها : معترضة ؛ والشيم : جمع شيمة ، وهى الخلق والطبيعة ؛ والحسب : ما يعد من مآثر الآباء ؛ والأغر السيد الكريم . يقول : إن لهم شيما كريمة تدل على مالهم من الحسب الشريف ، وهذه الشيم تفخر بهم وهم لا يفخرون بها لبعدهم عن الزهو والخيلاء .

(٣) متشابهى : كأنه منصوب على الحال من ضمير « يجفخون » ؛ والورع التقوى وعف الإزار وعفيفه : متنزه عن الفحشاء ؛ والحلاحل : السيد العظيم . يقول : هم سواء فى التقوى والورع ، وكل من كبيرهم وصغيرهم عفيف ذو سيادة وعظمة .

(٤) يا افخر : يريد : يا هذا افخر ؛ فحذف المنادى : ويجوز أن تكون «يا» للتنبيه كقوله تعالى « ألا يا اسجدوا لله الذى يخرج الخبء » كأنه قال «ألا اسجدوا» وكقول ذى الرمة :

أَلا يا اسْلَمِى يا دارَمَىَّ عَلَى الْبِلَى ... ولا زال مُنْهَلاً بِجَرعائِكِ الْقَطْرُ

ويروى : فافخر ، ثم قال : إن الناس فيك ثلاثة أقسام : إما مستعظم يستعظمك . لما يرى من عظمتك ، أو حاسد يحسدك على فضلك ، أو جاهل يجهل قدرك .

وَلَقَدْ عَلَوْتَ فَمَا تُبَالِي بَعْدَمَا عَرَفُوا : أَيَحْمَدُ أَمْ يَذُمُّ الْقَائِلُ(١)

أُثْنِي عَلَيْكَ وَلَوْ تَشَاءُ لَقُلْتَ لِي قَصَّرْتَ فَالْإِمْسَاكُ عَنِّيَ نَائِلُ(٢)

لاَ تَجْسُرُ الْفُصَحَاءُ تُنْشِدُ هٰهُنَا بَيْتًا وَلٰكِنِّي الْهِزَبْرُ الْبَاسِلُ(٣)

مَا نَالَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ كُلُّهُمْ شِعْرِي وَلاَ سَمِعَتْ بِسِحْرِيَ بَابِلُ(٤)

وَإِذَا أَتَتْكَ مَذَمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّيَ كَامِلُ(٥)

---

(١) يقول : بعد أن ظهر علوك وعرفه الناس لا تكترث لذم الحاسد لأنه لا ينقص من قدرك ، ولا لحمد الحامد لأنه لا يزيدك علواً : فقوله بعد ماعرفوا : أى بعد الذى عرفوه — فالضمير للناس ، والعائد إلى «ما» محذوف :

(٢) النائل : العطاء . يقول : إمساكك عن إسكاتى نائل منك عندى بعد ما عرفت تقصيرى . وبعبارة أخرى : إنى قصرت فى الثناء عليك ، فكان حقك أن تؤاخذنى بهذا التقصير ، ولكنك أمسكت عنى تكرماً وتفضلا فعددت ذلك عطاء منك لو لم تتجاوزه لكفانى .

(٣) تنشد : أى أن تنشد ، فحذف « أن » فرفع الفعل ، والهزبر : الأسد والباسل الشديد . يقول : لهيبتك وعلمك بالشعر وتمييزك جيده من رديئه لا يجرؤ الشعراء على أن ينشدوا بين يديك ، ولكنى — لجودة شعرى واقتدارى — أجرؤ على ذلك . قال الواحدى : وقول أبى نصر بن نباتة فى هذا المعنى أحسن وأجود حيث يقول :

وَيْلُمِّهَا عِنْدَ السُّرَادِقِ هَيْبَةً لو سابَقَتْ قَصَبَ العِظَامِ فضائلى

نفضَتْ عَلَيَّ مِنَ الْقَبُولِ مَحَبَّةً قامَتْ بِضَبْعِي فِي المَقَامِ الهائِلِ

(٤) بابل : هى المدينة المشهورة ، وإليها ينسب السحر ، وفيها نزل الملكان اللذان كانا يعلمان الناس السحر بها — كما جاء فى القرآن الكريم — . يقول . ما نال شعراء الجاهليه جميعاً شعرى ولا سمع أهل بابل بمثل سحرى فى الشعر .

(٥) يقول : إذا ذمنى ناقص كان ذمه دليل كمالى وفضلى . لأن الناقص لا يحب الكامل الفاضل ، لما بينهما من التفاضل ، قال أبو تمام :

لقدْ آسف الأعداء فضْلُ ابنِ يوسُفٍ

وذو النقْص فى الدنيا بـذى الفضل مولَع

مَنْ لِي بِفَهْمِ أُهَيْلِ عَصْرٍ يَدَّعِي ... أَنْ يَحْسُبَ الهِنْدِيَّ فِيهِمْ بَاقِلُ(١)

وَأَمَا وَحَقِّكَ وَهْوَ غَايَةُ مُقْسِمٍ ... لَلْحَقُّ أَنْتَ وَمَا سِوَاكَ الْبَاطِلُ(٢)

الطِّيبُ أَنْتَ إِذَا أَصَابَكَ طِيبُهُ ... وَالْمَاءُ أَنْتَ إِذَا اغْتَسَلْتَ الْغَاسِلُ(٣)

وقد أخذ أبو تمام هذا المعنى من قول مروان بن أبي حفصة :

ما ضرّني حسَدُ اللئامِ ولَمْ يزلْ ... ذو الفضل يَحْسُده ذوو التقصير

وأصل هذا المعنى من قول الطرماح :

لقدْ زادَني حُبًّا لنفسيَ أنــني ... بغيض إلى كلِّ امرىء غيرِ طائل

وَأَنِّي شــقيٌّ باللئام ولا ترى ... شقيًّــا بهم إلا كريم الشمائل

(١) أهيل : تصغير أهل ، صغره تحقيراً لهم . وفاعل يدعى: يعود على أهيل ، لأن لفظ « أهل » واحد ؛ ولك أن تقول إن فاعل يدعى : باقل . وباقل : رجل من العرب كان يوصف بالعى ، وفيه جرى المثل : أعيا من باقل . يقال إنه كان اشترى ظبياً بأحد عشر درهما ، فقيل له بكم اشتريته؟ فعي عن الجواب بلسانه ، ففتح يديه ، وفرق أصابعهما وأخرج لسانه ، يريد أحد عشر درهما ـ فأفلت الظبي . يقول : من يكفل لى بفهم أهل عصر يدعون أن « باقلا » يعلم حساب الهند مع سوء علمه بالحساب ؟ يعنى أنهم جهال لا يعرفون الجاهل من العالم ، ولا الناقص من الفاضل ؛ أو تقول : من لى باهل عصر لا يفرقون بين العالم والجاهل حتى لو ادعى « باقل » بينهم معرفة الحساب لم نجد فيهم من يكذب دعواه ؟ قال ابن جنى ناقداً : « وباقل » هذا لم يؤت من سوء حسابه ، وإنما أتى من سوء عبارته ، فلو هو قال أن يفحم الخطباء فيهم « باقلا » أو نحو هذا لكان أسوغ قال الواحدى ـ رداً عليه ـ : وليس كما قال فإن « باقل » كما أتى من البيان أتى من البنان فإنه لو بنى من سبابته وإبهامه دائرة ومن خنصره عقدة لم يفلت منه الظبي ، نصح قول أبي الطيب فى نسبته إلى جهل الحساب .

(٢) مقسم : يروى بكسر السين ـ على أنه اسم فاعل ـ وبفتحها ـ على أنه مصدر ميمى بمعنى القسم .

(٣) تقدير البيت : الطيب أنت طيبه إذا أصابك ، والماء أنت الغاسل له إذا اغتسلت فالطيب : مبتدأ : وأنت : مبتدأ ثان : وطيبه : خبر أنت ؛ والجملة : خبر الطيب ؛ ومثله الشطر الثانى ؛ وروى ابن جنى ، والمــاء أنت ـ بنصب المــاء ـ قال : وتقديره وتغسل أنت المــاء ، دل على هذا المضمر قوله الغاسل . يقول : إذا أصابك الطيب فانت طيب

مَا دَارَ فِى الْحَنَكِ اللِّسَانُ وَقَلَّبَتْ
قَلَمــاً بِأَحْسَنَ مِنْ نَثَاكَ أَنَامِلُ (١)

***

وقال يهجو قوما توعدوه :

أَمَاتَــكُمُ مِنْ قَبْــلِ مَوْتِكُمُ الْجَهْلُ
وَجَرَّكُمُ مِنْ خِفَّــةٍ بِكُمُ النَّمْلُ (٢)
وُلَيْدَ أُبَىِّ الطَّيِّبِ الْكَلْبِ مَالَــكُمْ
فَطِنْتُمْ إِلَى الدَّعْوَى وَمَالَــكُمْ عَقْلُ (٣)

له وإذا اغتسلت بالماء فأنت الغاسل له . يعنى أنت أطيب من الطيب وأطهر من الماء كما قال الآخر :

وإذا الدُّرُّ زَانَ حُسْنَ وُجُوهٍ كَانَ لِلدُّرِّ حسنُ وَجْهِكِ زَيْنا
وتَزِيدِينَ أَطْيبَ الطيبِ طيبا أن تَمَسِّيه أينَ مِثْلُكِ أينا

(١) النثا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أوسىء - يقال فلان حسن النثا ، وقبيح النثا ، ومنه نثا الحديث والخبر نثواً حدث به وأظهره وأشاعه . ويروى ثناك . يقول : مادار اللسان فى الحنك وما قلبت أنامل قلما بأحسن من أخبارك ؛ كأنه يقول : ما قيل ولا كتب أحسن من مدحك وذكر أوصافك .

(٢) يقول : أماتكم الجهل قبل أن تموتوا : أى أنتم موتى من جهلكم وإن كنتم أحياء ؛ وليس لكم وزن ولا قدر ، ولخفة وزنكم تستطيع النمل أن تجركم ، والسفيه الأحمق الخفيف العقل يوصف بخفة الوزن ، كما أن الحليم الرزين يوصف بثقل الوزن .

(٣) وليد تصغير ولد ، وهو يقع على الواحد والجماعة ، الذكور والإناث والمراد هنا الجماعة وهو منصوب ، لأنه نداء مضاف ؛ والكلب : نعت أبى الطيب ؛ والدعوى : الادعاء فى النسب ، وهو أن ينتسب الرجل إلى غير أبيه . يقول : يا أولاد هذا الرجل الخسيس أنتم لا عقل لكم تعقلون به شيئا ، فكيف فطنتم للانتساب إلى من لستم منه فى شىء ؟ أى إلى غير أبيكم .

وَلَوْ ضَرَبَتْكُمْ مَنْجَنِيقِي وَأَصْلُكُمْ
قَوِيٌّ لَهَدَّتْكُمْ فَكَيْفَ وَلاَ أَصْلُ(١)

وَلَوْ كُنْتُمُ مِمَّنْ يُدَبِّرُ أَمْرَهُ
لَمَّا كُنْتُمُ نَسْلَ الَّذِى مَا لَهُ نَسْلُ(٢)

***

(١) المنجنيق : آلة ترمى بها الحجارة . قال صاحب اللسان : المنجنيق – بفتح الميم وكسرها – والمنجنوق : دخيل أعجمى معرب ، وأصلها بالفارسية : من جى نيك : أى ما أجودنى ، وهى مؤنثة ، قال زفر بن الحارث :

لقدْ تركتْنِي مَنْجنيقُ ابن بَحْدل أحيدُ عَنِ العُصفور حين يطيرُ

وتقديرها منفعيل ، لقولهم : كنا نجنق مرة ونرشق أخرى . قال الفراء : والجمع منجنيقات ، وقال سيبويه : هى فنعليل ، الميم من نفس الكلمة أصلية ، لقولهم فى الجمع مجانيق وفى التصغير مجينيق ، ولانها لو كانت زائدة والنون زائدة لاجتمعت زائدتان فى أول الاسم ، وهذا لا يكون فى الأسماء ولا الصفات التى ليست على الأفعال المزيدة ولو جعلت النون من نفس الحرف صار الاسم رباعيا ، والزيادات لا تلحق ببنات الأربعة أولا إلا الأسماء الجارية على أفعالها نحو مدحرج ، ومنهم من قال : إن الميم والنون زائدتان ، لقولهم جنق يجنق : إذا رمى ، والمتنبى يريد بالمنجنيق هنا : هجاءه . ورفع « أصل » على إعمال « لا » عمل « ليس » . على حد قول الحماسى :

مَنْ صَدَّ عن نيرانها فأنا ابنُ قَيْسٍ لا بَراحُ(١)

يقول : لو ضربتكم بهجائى وأصلكم قوى لكسرتكم وأهلكتكم فكيف ولا أصل لكم يعرف ؟

(٢) يقول : لو كنتم عقلاء لما انتسبتم إلى من يعرف أنه لا نسل له ولا عقب : أى فقد ظهرت دعواكم بهذا الانتساب وأنكم كذابون فيما تدعون . يهجو قوما يزعمون أنهم شرفاء .

(١) من أبيات لسعد بن مالك تراها فى الحماسة ، وقد تقدم شرحها وأولها :

يَا بُؤْسَ للحرب التى وَضَعَتْ أراهطَ فاستراحوا

وقال : وقد جعل أبو محمد بن طغج يضرب بكمه البخور ، ويقول سَوْقاً إلى أبي الطيب :

يَا أَكْرَمَ النَّاسِ فِي الْفَعَالِ وَأَفْصَحَ النَّاسِ فِي الْمَقَالِ (١)
إِنْ قُلْتَ فِي ذَا الْبَخُورِ سَوْقاً فَهَكَذَا قُلْتَ فِي النَّوَالِ (٢)

* * *

وقال وقد بلغه أن إسحاق بن كيغلغ يتهدده وهو ببلاد الروم ، وكان أبو الطيب بدمشق (*) :

أَتَانِي كَلَامُ الْجَاهِلِ ابْنِ كَيَغْلَغٍ يَجُوبُ حُزُوناً بَيْنَنَا وَسُهُولَا (٣)
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ ابْنِ صَفْرَاءَ حَائِلٌ وَبَيْنِي سِوَى رُمْحِي لَكَانَ طَوِيلَا (٤)

---

(١) قال الليث : الفعال اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه ، وقال ابن الأعرابي : الفعال فعل الواحد خاصة فى الخير والشر ، يقال فلان كريم الفعال وفلان لئيم الفعال ، قال : والفعال — بكسر الفاء — إذا كان الفعل بين الاثنين .

(٢) البخور — بفتح الباء — قال البكرى : والعامة تضمها ، وقلت — ههنا — بمعنى أشرت ، ويقال قال بكمه : أى أشار ، وقال برأسه نعم : أى أشار ، والنوال : العطاء . يقول : إن أشرت فى هذا البخور أن يساق إلى سوقا فهكذا قلت وفعلت فى العطاء .

* كان من خبر هذا الرجل أنه لما قدم أبو الطيب من الرملة يريد إنطاكية مر به وهو فى طرابلس — وكان محافظاً على الطريق — فسأله أن يمدحه فلم يفعل ، فاعتاقه عن سفره ثلاثة أيام ، فلما فارقه هجاه بالقصيدة التى مطلعها :

لِهَوَى النفوس سريرة لا تُعْلَمُ عرضاً نظرت وخِلت أنى أسلم

وستمر بك فى قافية الميم ، وهى من عيون قصائده .

(٣) يجوب الأرض : يقطعها . والحزن : الغليظ من الأرض . يقول : أتانى وعيده من مسافة بعيدة .

(٤) صفراء : اسم أمه ، وقيل صفراء : كناية عن الاست ، والعرب تسب بنسبة الرجل إلى الاست ، كما قال :

* بأنّ بَنِي أُستها نذروا دمى *

وَإِسْحٰقُ مَأْمُونٌ عَلَى مَنْ أَهَانَهُ ... وَلٰكِنْ تَسَلَّى بِالْبُكَاءِ قَلِيلَا[1]
وَلَيْسَ جَمِيلاً عِرْضُهُ فَيَصُونَهُ ... وَلَيْسَ جَمِيلاً أَنْ يَكُونَ جَمِيلَا[2]
وَيَكْذِبُ مَا أَذْلَلْتُهُ بِهِجَائِهِ ... لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِ الْهِجَاءِ ذَلِيلَا[3]

* * *

وقال يمدح أبا العشائر :

لَا تَحْسَبُوا رَبْعَكُمْ وَلَا طَلَلَهْ ... أَوَّلَ حَيٍّ فِرَاقُكُمْ قَتَلَهْ[4]

يقول : إنه على البعد يوعدنى ، ولو لم يحل بينى وبينه إلا رمحى لـكان ما بينى وبينه طويلا بعيداً لأنه لا يتمكن من الوصول إلى ولا يستطيع الإقدام على لجبنه .

(١) يقول : إنه غير مخوف على من يهينه ولا يـكترث له ، وقصاراه إذا مسه الهوان أن يبكى ، ولا يلجأ فى الجزاء إلى غير البكاء فيتعزى به عن الإهانة .

(٢) يقول : إن عرضه ليس جميلا حتى يستحق أن يصان ، لأنه إنما يصان الجميل، وعرضه لا يجمل أن يجمل .

(٣) يقول : هو كاذب فى دعواه أنى أذللته بهجائى ، فهو ذليل حقير من قبل هجائى إياه ، فقوله ما أذللته بهجائه : كلام مستأنف ، و«ما» : نافية .

(٤) الربع : المنزل ؛ والطلل : ما شخص من آثار الديار . جعل كون الأحبة فى الربع حياة له وارتحالهم عنه قتلا ، لأن الأمكنة إنما تحيا بالعمارة والسكان ، فإذا خلت من العمار فهى ميتة ، وفى الحديث « من أحيا مواتا فهو أحق به » الموات : الأرض التى لم تزرع ولم تعمر ، ولا جرى عليها ملك أحد ، وإحياؤها : مباشرة عمارتها . يقول رحلتم : فخرب ربعـكم وعفا طللـكم ، ولـكنهما ليسا أول حى قتل من جراء فراقكم ثم بين ذلك فيما يلى . هذا : وحسب الشيء يحسب : أى ظنه ، بفتح السين وكسرها ، فى المضارع ، قال فى التهذيب : والـكسر أجود اللغتين ، وقال الجوهرى : ويقال أحسبه ـ بالـكسر ـ وهو شاذ ، لأن كل فعل كان ماضيه مكسورا فإن مستقبله يأتى مفتوح العين ، ـ نحو علم يعلم ـ إلا أربعة أحرف جاءت نوادر : حسب يحسب ، ويئس ييئس وبئس يبئس ، ونعم ينعم ، فإنها جاءت من السالم بالـكسر والفتح ومن المعتل ما جاء ماضيه ومستقبله جميعا بالـكسر : ومق يمق ، ووفق يفق ، ووثق يثق ، وورع يرع ، وورم يرم ، وورث يرث ، وورى الزند يرى ، وولى يلى .

قَدْ تَلِفَتْ قَبْلَهُ النُّفُوسُ بِكُمْ — وَأَكْثَرَتْ فِي هَوَاكُمُ الْعَذَلَهْ(١)

خَلاً وَفِيهِ أَهْلٌ وَأَوْحَشَنَا — وَفِيهِ صِرْمٌ مُرَوِّحٌ إِبِلَهْ(٢)

لَوْ سَارَ ذَاكَ الْحَبِيبُ عَنْ فَلَكٍ — مَا رَضِيَ الشَّمْسَ بُرْجُهُ بَدَلَهْ(٣)

أُحِبُّهُ وَالْهَوَى وَأَدْوُرَهُ — وَكُلُّ حُبٍّ صَبَابَةٌ وَوَلَهْ(٤)

يَنْصُرُهَا الْغَيْثُ وَهْيَ ظَامِئَةٌ — إِلَى سِوَاهُ وَسُحْبُهَا هَطِلَهْ(٥)

---

(١) العذلة : جمع عاذل . يقول : قد تلفت نفوس العشاق قبل الربع بسببكم أو بهواكم أو بفراقكم ، وأكثر العاذلون ـ اللائمون ـ عذلهم فى هواكم لما رأوا من تهالكهم فيكم .

(٢) الصرم : الجماعة من البيوت بمن فيها ، وجمعه أصرام . والمروح : الذى يروح إبله من المرعى . يقول : إن الربع موحش خال وإن كان فيه ناس ونعم لارتحال أحبابنا عنه : يعنى أنه وإن كان قد حله ناس بعدهم يعد فى حق كالخالى الموحش لى ، فكأنه قفر لا أحد فيه ؛ وإن كان عامراً بأهليه .

(٣) الضمير فى « برجه » : للحبيب . ورضى : بمعنى اختار وأحب ، فلذلك عداه بغير حرف الجر . يقول : لو سار هذا الحبيب الجميل عن فلك من أفلاك السماء لما اختار هـذا الفلك الذى كان فيه أن تحله الشمس بدلا منه ، لأنها لا تغنى غناءه ، إذ لا تعادله فى المحاسن .

(٤) لك أن تجعل « والهوى » عطفاً على الضمير المنصوب فى قوله «أحبه» فيكون من قبيل قوله :

وإنى لأعشقُ من عِشقِكم — نُحولى وكلَّ فتًى ناحِلِ

ولك أن تجعله قسما ، كقول البحترى :

* أما وهواكِ حِلفةَ ذى اجتهادِ *

والأدؤر : جمع دار ؛ والصبابة : رقة الشوق ؛ والوله : ذهاب العقل : أى أحبه وأحب كل ما يرتبط به ، ثم قال : إن الحب صبابة تملك قلب العاشق ووله : أى فهو يجمل كل شىء للحبيب .

(٥) ينصرها : أى الأدؤر ؛ والهطل : الكثير السكب . يقول : يسقيها السحاب وعطشها إنما هو إلى غير المطر ، وهو الحبيب الذى سار عنها وكان ينزل بها ويقال نصر الغيث الأرض نصراً : أغاثها وسقاها وأنبتها ، قال الشاعر :

وَاحَرَبَا مِنْكِ يَا جَـــدَايَتِهَا مُقِيمَةً فَاعْلَمِي وَمُرْتَحِلَهْ[١]

لَوْ خُلِطَ الْمِسْكُ وَالْعَبِيرُ بِهَا وَلَسْتِ فِيهَا لَخِلْتُهَا تَفِلَهْ[٢]

أَنَا ابْنُ مَنْ بَعْضُهُ يَفُوقُ أَبَا الْـــبَاحِثِ وَالنَّجْلُ بَعْضُ مَنْ نَجَلَهْ[٣]

وَإِنَّمَا يَذْكُرُ الْجُـــدُودَ لَهُمْ مَنْ نَفَرُوهُ وَأَنْفَدُوا حِيَلَهْ[٤]

من كان أخطأهُ الربيعُ فإنمـــا نُصر الحجازُ بغيثِ عبد الواحد

ونصرت البلاد : إذا مطرت ، فهى منصورة : أى ممطورة ؛ ونصر القوم : إذا غيثوا .

(١) الحرب - بالتحريك - فى الأصل نهب مال الإنسان وتركه لا شىء له، والمراد هنا : الهلاك . يقول الواقع فى الهلاك : واحربا والجداية : ولد ، الظبى . ومقيمة : حال من الضمير فى « منك » . وفاعلى : معترضة . يقول : واحربا منك ياظبية هذه الدار أقمت أو رحلت : لأنك إن أقمت منعنا عنك الصد ، وإن رحلت حال بيننا وبينك النأى - البعد فانت تهجرين عند الإقامة وتفارقين عند الرحيل ، فقربك وبعدك سيان فى هلاكى

(٢) العبير : أخلاط تجمع من طيب ؛ والضمير فى « بها » للأدؤر . والتفلة : المنتنة الريح . يقول : إنما كانت ديارك تطيب بك فإذا خلت منك لم يطب لى رياها وكانت عندى تفلة ، ولو خلطوا ترابها بالمسك والعبير ، كما قال :

وكيف التذاذى بالأصائل والضُّحى إذا لم يعد ذاكَ النسيمُ الذى هبَّا

(٣) النجل : الولد : ونجله أبوه : ولده . يقول : أنا ابن الذى بعضه - أى ولده - يفوق أبا الباحث عن نسبي ، أى أنا فوق أب الذى يبحث عن نسبي ، وقوله والنجل الخ: أراد به أن يبين أن المراد ببعضه الولد .

(٤) نافرت فلانا فنفرته : أى فاخرته ففخرته؛ وأصل ذلك أن الرجلين من العرب كانا يحتكمان فى الجاهلية إلى من عرف بالرياسة والفضل والصدق فيقولان له : أى نفرينا أفضل ؟ فإذا فضل أحدهما على الآخر فالمغلوب منفور والغالب نافر ، قال الأعشى :

بان الذى فيــــه تماريتما واعترف المنفورُ للنـــافر[١]

---

(١) يروى : قد قلت شعرى فمضى فيكما واعترف ... الخ

وهو للأعشى يمدح عامر بن الطفيل ويحمل على علقمة بن علاثه وكانا قد تنافرا إلى هرم بن سنان المرى ؛ والمنفور ؛ المغلوب ؛ والنافر ؛ الغالب .

فَخْراً لِعَضْبٍ أَرُوحُ مُشْتَمِلَهْ وَسَمْهَرِيٍّ أَرُوحُ مُعْتَقِلَهْ(١)

وَلْيَفْخَرِ الْفَخْرُ إِذْ غَدَوْتُ بِهِ مُرْتَدِياً خَيْرَهُ وَمُنْتَعِلَهْ(٢)

أَنَا الَّذِى بَيَّنَ الْإِلٰهُ بِهِ الْأَقْدَارَ وَالْمَرْءُ حَيْثُمَا جَعَلَهْ(٣)

جَوْهَرَةٌ يَفْرَحُ الْكِرَامُ بِهَا وَغُصَّةٌ لَا تُسِيغُهَا السَّفِلَهْ(٤)

وأنفدوا : أفرغوا وأفنوا . يقول : إنما يذكر الأجداد للقوم الباحثين والمفاخرين من غلبوه بالفخر ولم يجد حيلة فافتخر بالآباء ؛ يعنى إنما يحتاج إلى الفخر بجدوده من لا فضيلة له فى نفسه .

(١) العضب : السيف القاطع ؛ واللام الداخلة عليه زائدة لبيان الفاعلية وفخرا ؛ مفعول مطلق نائب عن فاعله . أى ليفخر فخرا ؛ ومشتمله ؛ أراد مشتملا به . والاشتمال أن يتقلد السيف فتكون حمائله على منكبه كالثوب الذى يشتمل به . والسمهرى ؛ الرمح واعتقل الرمح ؛ جعله بين ساقه وركابه . يقول . إن سيفى ورمحى يفتخران بى ، لا أنا بهما .

(٢) خيره ؛ أى أفضله ، يروى «حبره» أى زينته وجماله . يقول . لبست الفخر فصار رداء على منكبى ، ونعلا تحت قدمى ، فجدير به إذن أن يفخر بى .

(٣) يقول : بى بين الله أقدار الناس فى الفضل ، لأنى أصف كل أحد بما فيه ؛ أو لأن من أكرمنى وأحسن إلى : دل ذلك على مروءته ، وميله إلى ذوى الفضل ، ومن استخف بى ، ولم يكترث لى ؛ دل ذلك على خسة قدره ولؤم نحيزته كما قال البحترى :

وإن مُقامى حيثُ خَيَّمْتُ مِحْنَةٌ تدلُّ على فهم الكرام الأجاودِ

وقوله والمرء حيثما جعله : أى حيثما جعل نفسه ؛ فمن صان نفسه ، ورفع قدرها ؛ رفع الناس كذلك قدره ، ومن تعرض للهوان أهين ، كما قال :

إذا ما أهان امرُؤٌ نفسه فلا أكرم الله من أكرمه

وقدما قيل :

وأُكْرِمُ نفسى إننى إن أهنتُها وَحَقِّكَ لم تُكْرَمْ على أحدٍ بعدِى

ويجوز أن يكون المعنى ، والمرء حيثما جعله الله : أى لا يستطيع أحد أن يتقدم منزلته التى وضعه الله بها .

(٤) جوهرة : أى أنا جوهرة ؛ والغصة : ما يغص به الإنسان فلا يسيغه والسفلة ـ بكسر الفاء ـ كسفلة ـ بسكونها وكسر السين ـ أسافل الناس وغوغاؤهم والسقاط منهم

إنَّ الكِذَابَ الَّذِى أُكَادُ بِهِ　　أَهْوَنُ عِنْدِى مِنَ الذِى نَقَلَه[1]
فَلاَ مُبَالٍ وَلاَ مُدَاجٍ وَلاَ　　وَانٍ وَلاَ عَاجِزٌ وَلاَ تُكَلَه[2]
وَدَارِعٍ سِفْتُهُ فَخَرَّ لَقًى　　فِى الْمُلْتَقَى وَالْعَجَاجِ وَالْعَجَلَه[3]

يقول : أنازينة الناس إذ أنوه بمناقبهم ، وأشيد بذكر محاسنهم ؛ فأنا جوهرة يفرح بها ، وشجى فى حلوق اللئام لا يقدرون على إساغتى ، لأنى أقول فيهم ما أذلهم به وأكشف عن نقائصهم .

(١) الكذاب : الكذب : يقال : كذب يكذب كذباً وكذباً وكذاباً وكذاباً ، ورجل كاذب ، وكذاب ، وتكذاب وكذوب ، وكذوبة ، وكذبة ـ مثال همزة ـ وكذبان ، وكيذبان ، ومكذبان ؛ ومكذبانة وكذبذبان ، وكذبذب وكذبذب قال جريبة بن الأشيم :

فإذا سمعت بأننى قد بعتكم　　بوصال غانية فقل كُذُّبْذُب

والكذب : جمع كاذب ، مثل راكع وركع ، قال أبو دواد الرؤاسى :

متى يقل تنفع الأقوامَ قولتُه　　إذا اضمحلّ حديث الكُذَّبِ الولعه[1]
أليس أقربَهُمْ خيراً وأبعدهُمْ　　شرًّا وأسمحهُمْ كفا لِمَنْ مَنَعَه
لا يحسدُ الناسَ فضلَ اللهِ عندهُم　　إذا تَشوه نفوس الحُسَّد الجَشِعَه

والكذب : جمع كذوب ، مثل صبور وصبر ، ومنه قرأ بعضهم قوله تعالى « ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب » فجعله نعتا للألسنة ، وأكاد به : أقصد به على وجه الكيد بى . يعرض بقوم وشوابه إلى أبى العشائر . يقول : ذلك الكذب أهون عندى من راويه وناقله : أى لا أكترث له ولا لمن رواه .

(٢) مبال : خبر عن محذوف : أى فلا أنا مبال ؛ والمداجى : الذى يساتر العداوة ؛ والوانى : المقصر ؛ وتكلة : بمعنى وكلة ، وهو الذى يكل أمره إلى غيره . ينفى عن نفسه هذه الصفات ، يقول : فلا أنا مبال بأعدائى ولا مداج لهم ، ولا أنا مقصر فى أمرى ، وفيما يجب على مراعاته وحفظه ، ولا عاجز عن مكافأة المسىء ، ولا ضعيف أكل أمرى إلى غيرى ،

(٣) الدارع . لابس الدرع . وسفته : ضربته بالسيف ؛ واللقى : الشىء المطروح ؛

---

(١) الولعة : جمع والع ، مثل كاتب وكتبة ، والوالع : الكاذب .

وَسَامِعٍ رُعْتُــــهُ بِقَافِيَةٍ يَحَارُ فِيهَا الْمُنَقِّحُ الْقُوَلَهْ[(١)]

وَرُبَّمَـــا أُشْهِدُ الطَّعَـــامَ مَعِى
مَنْ لاَ يُسَاوِى أُلْخُبْزَ الَّذِى أَكَلَهْ[(٢)]

والعجاج : الغبار : والعجلة : يجوز أن يراد بها الاستعجال الذى يكون من الضارب والطاعن فى الضرب والطعن ، ويجوز أن تكون بمعنى الثكل ـ من قولهم ناقة عجول: إذا فقدت ولدها ـ قال علماء اللغة : والعجول من النساء والإبل : الواله التى فقدت ولدها الثكلى لعجلتها فى جيئتها وذهابها جزعا ، قالت الخنساء .

فما عجولٌ على بوٍّ تُطيفُ بِهِ لهـا حنينانِ إعلانٌ وإسْرَارُ[(١)]

ويجوز أن يكون بمعنى الطين ، قيل فى قوله تعالى «خلق الإنسان من عجل » أى من طين ؛ وقال الشاعر :

والنَّبْعُ فِى الصخرةِ الصّماء منبتهُ والنَّخْلُ ينبُتُ بين الماء والعجلِ

يقول : رب دارع ضربته بالسيف فتركته مطروحا كالشىء الملقى وقت التقائنا .

(١) رعته : أعجبته أو أرهبته . والقافية هنا : القصيدة ؛ والمنقح : الذى يهذب القول ويختاره ، والقولة الجيد القول . يقول : إنه يبده السامع بالقافية الجيدة يرتاع لها ويتحير فى حسنها الشاعر المجيد :

(٢) أشهد : بمعنى أحضر ، والطعام : مفعول ثان مقدم ؛ و « من » مفعول أول ، وأشهد يروى يشهد : ويروى أشهد ـ مضارع شهد ، فتكون « معى » بحذف واو الحال أى ومعى : وقد تحذف : كما تقول مررت بزيده على يده باز . ويريد بذلك الرجل الذى وشى به ، وكان يقال له المسعودى ، كان المتنبى قد وصله بأبى العشائر فصار نديمـا له ، ثم تناوله عند أبى العشائر :

---

(١) بعده :

ترتع ما رتعت حتى إذا ادّكرت فإنما هى إقبــــال وإدبار

يوماً بأوجـــد منى يوم فارقنى صخرٌ وللعيشِ إحلاءٌ وإمرارُ

وترتع مارتعت : يروى ترتع ما غفلت ، والبو : جلد ولد الناقة إذا مات حين تلده أمه يحشى تبنا وهى لا تراه ، ويدنى منها فتشمه وترأمه فتدر عليه اللبن .

وَيُظهِرُ الجَهْلَ بِي وَأعْرِفُهُ   وَالدُّرُّ دُرٌّ بِرَغْمِ مَنْ جَهِلَهْ(١)

مُسْتَحْيِياً مِنْ أبِي العَشائِرِ أنْ   أسْحَبَ فِي غَيْرِ أرْضِهِ حُلَلَهْ(٢)

أسْحَبُهَا عِنْدَهُ لَدَى مَلِكٍ   ثِيابُهُ مِنْ جَلِيسِهِ وَجِلَهْ(٣)

وَبِيضُ غِلْمَانِهِ كَنَائِلِهِ   أوَّلُ مَحْمُولِ سَيْبِهِ الحَمَلَهْ(٤)

مَالِيَ لا أمْدَحُ الحُسَيْنَ وَلا   أبْذُلُ مِثْلَ الوُدِّ الَّذِي بَذَلَهْ(٥)

أأخْفَتِ العَيْنُ عِنْدَهُ خَبَرًا   أمْ بَلَغَ الكَيْذُبَانُ مَا أمَلَهْ(٦)

---

(١) لعل هذا ينظر إلى قول جميل :

إذا ما رأونى طالعاً من ثنية   يقولون من هذا وقد عرفونى

(٢) الحلل : الثياب : ومستحييا : أى إنما أفعل ماذكرت مستحييا : فهو حال ، العامل فيها مقدر . يقول : إنما أقمت مع الأعداء فى بلد لأنى أستحيي من أبى العشائر أن ألبس خلعه فى غير بلده .

(٣) وجلة : خائفة . يقول : إن ثيابه لا تحب أن تفارقه لتشرفها به فهى تخاف أن يخلعها على جليسه .

(٤) النائل : العطاء : وكذلك السيب . يقول : إن غلمانه البيض كعطائه فى أنه يهبهم — أى غلمانهم — أى أنه يهب غلمانه كما يهب أمواله ، فيكون أول ما يحمله إليك من العطاء ، أولئك الذين يحملون ذلك العطاء — وهم الغلمان —

(٥) ويروى : أبذل ملود مثل ما بذله : أى من الود ، فحذف النون . وهذا كالمعاتبة مع نفسه ، والإقرار بالتقصير فى مدحه ، ومعارضته بمثل الود الذى يبذله .

(٦) الكيذبان : الكذاب — وقد وفينا القول على هذه المادة قريبا — يقول : أكذبتنى عينى فيما أدت إلى من محاسنه ، أم وجد الكاذب فرصة فغير ما بيننا ؟ ويجوز أن يريد بالعين : الرقيب ، وأنث : جريا على اللفظ . يقول : هل أخفى الرقيب عنده خبراً من أخبارى فى حبى إياه وميلى إليه ؟ وقال بعض الشراح : يقول . هل أخفت عينه عليه أثراً من آثار خدمتى فجحدها على . أم أعار الكاذب سمعه فبلغ عندهما يأمله من الوشاية بى ؟ وهذا استفهام إنكار . أى ليس الأمر على ما ذكر ؛ وإذن : لا أقصر فى حقه ولا آلو جهدا فى مدحيه . هذا : ويقال أمل خيره يأمله أملا ، وكذا أمله تأميلا أى رجاه .

أَمْ لَيْسَ ضَرَّابَ كلِّ جُمْجُمَةٍ مَنْخُوَّةٍ ساعَةَ الْوَغَى زَعِلَهْ(١)

وَصاحِبَ الْجُودِ ما يُفارِقُهُ لَوْ كانَ لِلْجُودِ مَنْطِقٌ عَذَلَهْ(٢)

وَرَاكِبَ الْهَوْلِ لا يُفَتِّرُهُ لَوْ كانَ لِلْهَوْلِ مَحْزِمٌ هَزَلَهْ(٣)

وَفَارِسَ الْأَحْمَرِ الْمُكَلَّلَ فى طَيِّءٍ الْمُشْرَعَ الْقَنَا قِبَلَهْ(٤)

---

(١) منخوة : أى ذات نخوة — أى عظمة وكبر — والرأس يوصف بالكبر ، يقال فى رأسه نخوة والزعلة : النشيط ، والزعلة أيضا . البطرة الأشرة . يقول . أليس الممدوح ضراب كل رأس متكبر بطر يوم الوغى والقتال ؟ .

(٢) عذله : أى لامه على إسرافه وكثرة عطاياه .

(٣) الهول : الأمر العظيم الشديد ؛ ولا يفتره : أى لا يفتره الهول وإن كثر ركوبه إياه . والمحزم : مايقع عليه الحزام من الدابة . لما جعله راكباً والهول مركوبا أجراه مجرى المركوب من الدواب : أى أنه جهده بالركوب حتى لو كان له محزم لظهر عليه الهزال ، وإنما خص المحزم لأن الدابة إذا هزلت اتسع حزامها لما لحقها من الضمور .

(٤) قال الواحدى : أراد بالأحمر : فرسه الذى ركبه فى وقعته بأنطاكية ؛ والمكلل الحاد الماضى فى الأمر ؛ يقال حمل فكلل : أى مضى قدما . ولم يحم ، أنشد الأصمعى :

حَسَمَ عِرْقَ الداء عنه فقضبْ تكليلةَ الليثِ إذا الليثُ وَثب

قال الأصمعى : وقد يكون كلل بمعنى جبن ؛ يقال حمل فما كلل : أى فما كذب وما جبن كأنه من الأضداد ، وأنشد أبو زيد لجهم بن سبل :

ولا أُكَلِّلُ عن حربٍ مُجَلِّحَةٍ ولا أُخَدِّرُ لِلْمُلْقِينَ بالسلم

ويقال إن الأسد يهلل ويكلل ، وإن النمر يكلل ولا يهلل ، والمكلل : الذى يحمل فلا يرجع حتى يقع بقرنه ، والمهلل ؛ يحمل على قرنه ثم يحجم فيرجع . ويقال انكل الرجل انكلالا : أى تبسم ، وانكلت المرأة تنكل انكلالا : إذا ابتسمت قال الأعشى :

وينكل عن غُرٍّ عِذاب كأنها جَنى أقحوان نبته متناعِم

وقال عمر بن أبى ربيعة :

وتنكلُّ عن عذب شقيت نباته له أشُرٌ كالأقحوان المنوَّرِ

ومن روى « المكلل » — فى البيت — بفتح اللام : أراد المتوج . ويجوز فى « المشرع »

لَمَّا رَأَتْ وَجْهَهُ خُيُولُهُمُ   أَقْسَمَ باللهِ لا رَأَتْ كَفَلَهْ(١)
فَأَكْبَرُوا فِعْلَهُ وَأَصْغَرَهُ   أَكْبَرُ مِنْ فِعْلِهِ الّذِى فَعَلَهْ(٢)
الْقَاطِعُ الْوَاصِلُ الْكَمِيلُ فَلَا
بَعْضُ جَمِيلٍ عَنْ بَعْضِهِ شَغَلَهْ(٣)

النصب على أنه نعت للفارس ، والخفض على أنه نعت للأحمر : يعنى الذى أشرع الأعداء نحوه رماحهم .

(١) الضمير من « وجهه » : للفرس ، وضمير « أقسم » . للممدوح . ويقول . لما رأت خيولهم وجه فرسه فى حومة الوغى أقسم بالله لا ارتد عنهم ولا رأوا كفله حتى يأتى عليهم قتلا . ولعل هذا المعنى من قول الآخر .

حتى يظنوه إنساناً بغير قفا   وأنه راكب طرفاً بلا كفل

(٢) يقال أكبرت الشىء إذا استكبرته ، وأصغره . يروى بفتح الراء على أنه فعل ماض أى استكبروا فعله واستصغره هو ، وتم الكلام ههنا ثم استأنف فقال . أكبر من فعله الذى فعله . أى هو أكبر من فعله وهذا هو تفسير ابن جنى . قال العروضى على هذا التفسير لايكون مدحا ، لأن من المعلوم أن كل فاعل أكبر من فعله ، والخالق تعالى ذكره فوق المخلوقين ، وقالوا إن خيرا من الخير فاعله ، وإن شرا من الشر فاعله ولكن معنى البيت . إن الناس استكبروا فعله واستصغره هو ، فكان استصغاره لما فعل أحسن من فعله : كما تقول أعطانى فلان كذا وكذا واستقله ، فكان استقلاله لذلك أحسن من إعطائه قال العروضى : ثم العجب أنه غلط فى صناعة هو إمامها المقدم فيها ، وذلك أن « الذى » يصلح أن يكون بمعنى « من » وبمعنى « ما » . تقول رأيت الذى دخل ، ورأيت الذى فعلت ، وكان يجب أن يذهب فى هذا إلى «ما» فذهب إلى «من» ففسد المعنى ؛ ولك أن تقول : أكبر من فعله الذى فعله : أى أن الذى فعل هذا الفعل هو أكبر منه : أى أنه إنما استصغره بالنسبة إلى عظم قدره . وروى الخوارزمى : وأصغره بضم الراء — على أنه مبتدأ مخبر عنه بما بعده : أى وأصغر فعله أكبر مما استعظموه .

(٣) القاطع : يروى : القائل ، والقاتل . والكميل : بمعنى الكامل ؛ أنشد سيبويه :

على أننى بعد ما قد مضى   ثلاثون للهجر حولا كميلا

فَوَاهِبٌ وَالرِّمَاحُ تَشْجُرُهُ ، وَطَاعِنٌ وَالهِبَاتُ مُتَّصِلَه [١]

وَكُلَّمَا آمَنَ البِلَادَ سَرَى وَكُلَّمَا خِيفَ مَنْزِلٌ نَزَلَه [٢]

يذَكِّرنيك حنين العجولِ ونوحُ الحمامة تدعو هديلا [١]

وكل — بفتح العين وضمها — يكل — بالضم — فى مضارعهما : وكمل — بكسر العين — يكمل — بالفتح — لا غير . قال الجوهرى : والكسر أردؤها . يقول : يقطع ويصل كما يشاء ولا يشغله فعل جميل عن فعل جميل آخر . وقد فسر البيت فيما يلى .

(١) تشجره : تنفذ فيه وتخالطه . ومنه قول شريح بن أوفى العبسى :

يذكرنى حاميمَ والرُّمحُ شاجرٌ فهلا تلا حاميمَ قبل التقدُّم [٢]

يقول : لا تمنعه الحرب عن الجود ولا الجود عن الطعان .

(٢) يقول : كلما آمن بلاده من مهاجمة الأعداء سرى فى طلب الغزو والفتح ، وكلما خيف مكان نزله فدفع عنه المخافة وآمنه .

---

(١) يقول : لم أنس عهدك على بعده ، فكلما حنت عجول — وهى الفاقدة ولدها من الإبل وغيرها — أو ناحت حمامة ، رقت نفسى فذكرتك ؛ والهديل هنا صوت الحمامة ونصبه على المصدر ، والعامل فيه يدعو ، لأنه بمنزلة تهدل . ويجوز أن يكون الهديل الفرخ الذى يزعم الاعراب أن جارحا صاده فى سفينة نوح فالحمام يبكى عليه ، كما قال طرفة :

* كداعى هديل لا يُجابُ ولا يُمل *

فالهديل هنا الفرخ ، لأن الحمام تدعوه نائحة عليه فلا يجيبها ولا تمل دعاءه .

(٢) قبله :

وأشعثَ قوّامٍ بآيات ربِّه قليلِ الأذى فيما ترى العينُ مسلمِ

شككت له بالرمح جيب قميصه فخر صريعاً لليدين وللفم

على غير شىء غير أن ليس تابعاً علياً ومن لا يتبع الحق يظلمِ

يذَكرنى حاميم ... ... [البيت]

قال شريح هذه الأبيات يوم الجمل حين أمر أبو طلحة محمد بن طلحة أن يبرز للقتال وكان من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان كلما حمل عليه رجل قال نشدتك بحاميم — لما فيها من آية « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى » حتى حمل

وَكُلَّمَا جَاهَرَ الْعَــدُوَّ ضُحًى ... أَمْـكَنَ حَــتَّى كَأَنَّهُ خَتَـلَهْ(١)
يَحْتَقِرُ الْبِيضَ وَاللِّــدَانَ إِذَا ... سَنَّ عَلَيْهِ الدِّلَاصَ أَوْ نَثَـلَهْ(٢)
قَدْ هَذَّبَتْ فَهْمَهُ الْفَقَــاهَةُ لِي ... وَهَذَّبَتْ شِـعْرِيَ الْفَصَاحَةُ لَهْ(٣)

---

(١) الختل : الأخذ خدعة ؛ أى على بغتة . يقول : كلما حارب أعداءه جهاراً تمكن منهم وظفر بهم حتى كأنه خادعهم وأتاهم بغتة ؛ وضمير « أمكن » للعدو : أى أمكنه من نفسه .

(٢) البيض ـ بكسر الباء ـ السيوف ، وتروى بفتح الباء : جمع بيضة ، وهى الخوذة التى تجعل على الرأس . واللدان : الرماح اللينة ، جمع لدن . وسن عليه درعه : إذا صب الدرع على نفسه بأن لبسها . والدلاص : الدرع اللينة الملساء . ونثل الدرع : ألقاها عنه : قال ابن جنى : وذكر الدرع بقوله نثله ضرورة أو يكون ذهب إلى البدن يقول : إنه يحتقر السيوف والرماح ـ دارعا كان أو حاسراً ـ وسن بالسين المهملة ـ يروى بالشين المعجمة ، وكلتاهما بمعنى صب ، يقال سن عليه الماء : أى صبه ، وسن عليه الدرع يسنها سناً : كذلك إذا صبها عليه ، قال الجوهرى : سننت الماء على وجهى : أى أرسلته إرسالا من غير تفريق ، فإذا فرقته بالصب قلت « بالشين » ويقال شن عليهم الغارة : إذا فرقها .

(٣) الفقاهة : الفهم والفطنة والعلم : فقه الرجل يفقه فقاهة . يقول : إن فقاهة الممدوح هذبت فهمه لى ، فهو يفهم شعرى ويعرف جيده ، وفصاحتى هذبت شعرى له ، فانا آتيه به فصيحاً لا عاب فيه .

عليه العبسى هذا ، فقتله ، ثم قال هذه الأبيات : يقول ورب أشعث من أثر العبادة كثير القيام والعمل بآيات ربه ، أو القيام فى الليل بتلاوتها قليل الأذى . وروى السكرى أى النوم ، وروى القذى وهو ما يتساقط فى العين فيغمضها ، كنى بقلته عن قلة النوم فيما ترى العين : أى فى رأى العين ، شككت : أى خرقت له بالرمح جيب : أى طوق قميصه كناية عن طعنه به فى صدره ومن خلفه حتى نفذ من صدره فسقط مطروحا على يديه ووجهه وعبر بالفم مبالغة فى التنكيل ، ولأنه أول ما يلقى الأرض من الوجه ، وذلك بلا سبب ، غير أنه ليس تابعاً لعلى بن أبى طالب ، وهكذا حال كل من لم يتبع الحق يذكرنى حاميم ، والحال أن رمحى قد اختلط بأضلاعه ؛ وقد كان من حقه أن يذكرنيها قبل ذلك .

فَصِرْتُ كَالسَّيْفِ حَامِداً يَدَهُ   لا يَحْمَدُ السَّيْفُ كُلَّ مَنْ حَمَلَهْ(١)

* * *

واستأذن كافوراً فى المسير إلى الرملة ليخلص مالا كتب له به ، وإنما أراد أن يعرف ما عند كافور فى مسيره ؛ فقال : لا والله لا نكلفك المسير ، نحن نبعث فى خلاصه ونكفيك ، فقال أبو الطيب :

أَتَحْلِفُ لا تُكَلِّفُنِى مَسِيراً   إِلَى بَلَدٍ أُحَاوِلُ فِيهِ مَالاَ

وَأَنْتَ مُكَلِّفِى أَنْبَى مَكَاناً ،   وَأَبْعَدَ شُقَّةً وَأَشَدَّ حَالاَ(٢)

إِذَا سِرْنَا عَلَى الْفُسْطَاطِ يَوْماً   فَلَقِّنِىَ الْفَوَارِسَ وَالرِّجَالاَ(٣)

---

(١) يقول : أنا أحمده حمد السيف إياه ، والسيف لا يحمد كل حامل له . وكذلك أنا : لا أحمد كل يد .

(٢) وأنت مكلفى : حال : وأنبى : تفضيل — من قولهم نبا به المكان : إذا لم يوافقه ، ونبا السيف : كل عن الضريبة ؛ والشقة : المسافة . يقول : تمنعنى من المسير خوفا على أن ينبو بى المكان الذى أنا قاصده وتتعبنى مشقة السفر وأنت تكلفنى من الإقامة عندك بما هو أنبى بى وأطول تعبا وأشد حالا من السفر البعيد .

(٣) الفسطاط ، مدينة مصر قديما . وأراد بلقنى اجعلهم يلقوننى : أى ابعثهم خلفى ليردونى إليك . يريد إذا سرت عنك لم تقدر على ردى إليك. هذا : والرجال الرجالة قال تعالى « فرجالا أو ركبانا » يقال رجل الرجل رجلا فهو راجل ورجل ورجل ورجيل ورجل ورجلان : إذا لم يكن له ظهر فى سفر يركبه وشاهد رجلان :

علىَّ إذا لاقيتُ ليلى بخلوة   أن ازدارَ بيت الله رَجْلان حافيا

والجمع رجال ورجالة ورجال ورجالى ورجالى ورجلان ورجلة ورجلة ورجلة وأرجلة وأراجل وأراجيل ؛ قال أبو ذؤيب :

أهمَّ بنيه صيفهم وشتاؤهم   وقالوا تعدَّ واغزُ وسْط الأراجل(١)

قال ابن برى : الأراجل هنا جمع أرجال ، وأرجال جمع راجل — مثل صاحب

---

(١) يقول : أهمهم نفقة صيفهم وشتائهم ، وقالوا لأبيهم تعد أى انصرف عنا وحارب وسط الرجالة . وقال الجوهرى : أراجل هنا جمع رجل ، خلاف المرأة .

لِتَعْلَمَ قَدْرَ مَنْ فَارَقْتَ مِنِّى ... وَأَنَّكَ رُمْتَ مِنْ ضَيْمِى مُحَالاً[1]

وقال يمدح أباشجاع فاتكا(*) وكان قد قدم من الفيوم إلى مصر فوصل أبا الطيب وحمل إليه هدية قيمتها ألف دينار :

وأصحاب وأصاحيب ـ إلا أنه حذف الياء من الأراجيل ، لضرورة الشعر قال أبو المثلم الهذلى :

يا صخرُ واردَ ماء قد تتابعَه ... سَومُ الأراجيل حتى ماؤه طَحِل[1]

والرجلان بمعنى الراجل ، جمعه رجلى ورجال ـ مثل عجلان وعجلى وعجال ـ ويقال رجل ورجالى : مثل عجل وعجالى ؛ وامرأة رجلى : مثل عجلى ؛ ونسوة رجال مثل عجال ، ورجالى مثل عجالى . أما الرجل خلاف المرأة فجمعه رجال ؛ ورجالات . جمع الجمع . قال الجوهرى فى جمع الرجل : أراجل ، واستشهد ببيت أبى ذؤيب المتقدم ويقال للمرأة « رجلة » قال الشاعر :

كلُّ جار ظـل مغتبطاً ... غير جيرانِ بنى جَبَـله

خـرَقوا جَيبَ فتاتِهم ... لم يبالوا حرمة الرجـله[2]

(١) منى : تجريد . يريد أنه بطل شجاع لا يقبل الضيم ـ الظلم ـ وإن فوارسه ورجالاته لا يقدرون على رده إليه .

* قال ابن خلكان : هو « فاتك » الكبير المعروف بالمجنون ، كان روميا أخذ صغيراً من بلاد الروم بقرب موضع يعرف بذى الكلاع ، وهو ممن أخذه الأخشيد من سيده بالرملة كرها بلا ثمن وأعتقه ، فكان حراً عنده فى عدة المماليك ، وكان كريم النفس ، بعيد الهمة ، شجاعا كثير الإقدام ، ولذلك قيل له « المجنون » ، وكان رفيق الأستاذ كافور فى خدمة الأخشيد ، فلما مات مخدومهما وتقرر كافور فى خدمة ابن الأخشيد أنف « فاتك » من الإقامة بمصر كيلا يكون كافور أعلى رتبة منه ويحتاج أن يركب فى خدمته ، وكانت الفيوم وأعمالها إقطاعا له فانتقل إليها ـ وهى بلاد وبيئة كثيرة الوخم ـ فاعتل بها جسمه وأحوجته العلة إلى دخول مصر للمعالجة ، فدخلها وبها المتنبى ، وكان أبو الطيب يسمع بكرم « فاتك » وشجاعته ، إلا أنه لا يقدر على قصد

---

(١) سوم الأراجيل : أى جر الرجالة ؛ وماء طحل : كدر .

(٢) عنى بجيب فتاتهم : هنها .

لا خَيْـلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلاَ مَالُ فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ(١)

خدمته خوفا من كافور ، و « فاتك » يسأل عنه ويراسله بالسلام ثم التقيا فى الصحراء مصادفة وجرى بينهما مفاوضات فلما رجع « فاتك » إلى داره حمل إلى أبى الطيب هدية قيمتها ألف دينار ، ثم أتبعها بهدايا بعدها ، فاستأذن « المتنبى » الأستاذ كافور فى مدحه فأذن له ، فمدحه فى التاسع من جمادى الآخر سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة بهذه القصيدة . انتهى ولعل فى هذه القصة ما يفسر به قول المتنبى :

فأمسك لا يطال له فيرعى [البيت]

كأنه يقول لا يباح له أن يقصد خدمة غير كافور بمصر ، ولا كافور يرضيه ، ولا يطلق سراحه فيرحل عن مصر .

(١) الإسعاد : الإعانة : يقول ـ مخاطباً نفسه ـ : ليس عندك من الخيل والمال ما تهديه إلى الممدوح جزاء له على إحسانه إليك فليسعدك النطق : أى فامدحه ، وجازه بالثناء عليه إن لم تعنك الحال : أى على مجازاته بالمال ؛ وفى مثل هذا المعنى يقول يزيد المهلبى :

إن يُعجزِ الدهرُ كفِّى عن جزائكم فإننى بالهوى والشكر مجتهدُ

قال العكبرى : «وهذا من الابتداء الذى يكرهه السامع بأن يقول للمدوح : لا خيل عندك تهديها ولا مال . وهو أول ما يقول له وقال فى إعراب « لا خيل » نصب الخيل بلا لأنها تنصب النكرات بغير تنوين ، وقال سيبويه والخليل : يجوز أن ترفع النكرات بالتنوين » وأنشد العجاج :

تالله لولا أن تَحُشَّ الطُّبَّخُ بِىَ الجحيمَ حين لا مُسْتصرَخُ(١)

وما ارتفع بعدها عند بعض النحاة على الابتداء ، وفى قراءة من قرأ : « فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج » برفع الثلاثة أنه على الابتداء ، والخبر فى « الحج » وقرأ بعضهم برفع « الرفث . والفسوق ، ونصب ، الجدال » ، وهو كقول أمية بن أبى الصلت .

فلا لغو ولا تأثيمَ فيها وما فاهوا به لهمُ مقيمُ(٢)

---

(١) يريد بالطبخ : الملائكة الموكلين بالعذاب ، وحش النار بالحطب : أوقدها ، ومنه حش الحرب يحشها حشا : إذا أسعرها وهيجها تشبيها بإسعار النار .

(٢) قالوا فى قوله تعالى « لا لغو فيها ولا تأثيم » أن تأثيم يجوز أن يكون مصدراً

وَاجزِ الأمِـــيرَ الَّذِى نُعْمَاهُ فَاجِئَةٌ
بِغَيْرِ قَوْلٍ وَنُعْمَى النَّـــاسِ أَقْوَالُ(١)

وقرأ آخرون بنصب الأولين ورفع الثالث وهو كبيت أبي الطيب . ومثله :

هـــذا لعَمْرُكُمُ الصغار بعينِهِ   لا أمَّ لى إن كان ذاك ولا أبُ(١)

وهذا محمول على الموضع , لأن موضع الأول رفع بالابتداء ،ويكون «لا» بمعنى «ما» فكأنك قلت : ما رجل ولا غلام فى الدار .

(١) يقول : واجزه بالمدح والثناء عليه والشكر له فإن إنعامه يأتى فجأة من غير تقدم سؤال وانتظار ، وغيره من الناس اقتصر على القول دون الفعل ، قال المهلبى :

وكم لك نائلا لم أحتسبهُ   كما يُلقى مفاجأةً حبيبُ

والنعمى والنعماء والنعمة : المال واليد والصنيعة ، وما أنعم الله به عليك والخفض والدعة ; ضد البأساء والبؤس ، والنعمى إذا كانت على فعلى : قصرت وإذا كانت على فعلاء : مدت .

قال ابن سيدة : ولم أسمع به ، قال : ويجوز أن يكون اسما كما ذهب سيبويه فى التثبيت والتمتين .

(١) هو لرجل من مذحج يقال له هنى بن أحمد الكنانى ، وكان هنى هذا ممن يبر أمه ويخدمها ، وكانت مع ذلك تؤثر أخا له عليه يقال له جندب فقال :

هل فى القضية أن إذا استغنيتم   وأمِنتم فأنا البعيـــد الأجنب
وإذا الكتائب بالشدائد مرة   حَجَرَتكم فأنا الحبيب الأقربُ
ولجُندَبٍ سهلُ البلاد وعذبُها   ولىَ المِلاحُ وحَزْنهن المُجْدِب
وإذا تكونُ كريهة أدعى لها   وإذا يحاسُ الحيْس يُدْعى جُندبُ
عجباً لتلك قضـــيةً وإقامتى   فيكم على تلك القضـيَّةِ أعجبُ
هذا لعمركم الصغار ... ... [البيت]

الحيس هو الطعام المتخذ من التمر والأقط والسمن ، و«عجبا» يروى عجب .

فَرُبَّمَا جَــزَى الإِحْسَانَ مُولِيَهُ　　خَرِيدَةٌ مِنْ عَذَارَى الحَيِّ مِكْسَالُ(١)

وَإِنْ تَكُنْ مُحْكَمَاتُ الشُّكْلِ تَمْنَعُنِي
ظُهُورَ جَرْيٍ فَلِي فِيهِنَّ تَصْهَــالُ(٢)

---

(١) الخريدة الجارية الحيية . والمكسال ، من النساء : الفاترة القليلة التصرف ؛ وخريدة : فاعل جزى ؛ والإحسان : مفعول ثان مقدم ؛ ومولیه ـ أى معطيه ـ مفعول أول . يقول : ربما حازت بالإحسان من يولى ـ يعطى ـ الإحسان امرأة عاجزة عن كل شيء ؛ يعنى إن لم تمكن المكافأة فعلا فهى ممكنة قولا كالمكافأة من هذه المكسال ، يحث نفسه على الجزاء وترك التقصير فيما يمكن ، ثم ضرب لهذا مثلا فيما يلى . هذا : والجزاء المكافأة على الشيء جزاه به ، وعليه جزاء ، وجازاه مجازاة ـ قال الجوهرى جزيته بما صنع جزاء وجازيته : بمعنى ، ويقال جازيته فجزيته : أى غلبته وقوله تعالى « لا تجزى نفس عن نفس شيئاً » : يعنى يوم القيامة لا تقضى فيه نفس عن نفس شيئا ، يقال جزيت فلانا حقه : أى قضيته . وفى الحديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لأبى بردة بن نيار حين ضحى بالجذعة « تجزى عنك ولا تجزى عن أحد بعدك » أى تقضى قال الأصمعى : هذا مأخوذ من قولك قد جزى عنى هذا الأمر ولا همز فيه ، قال ومعناه لا تقضى عن أحد بعدك ويقال جزت عنك شاة : أى قضت ، وبنو تميم يقولون أجزأت عنك شاة ـ بالهمز ـ أى قضت ، وقيل فى قوله تعالى « لا تجزى نفس عن نفس شيئا » : لا تغنى .

(٢) الشكل ـ بالضم ـ جمع شكال ، وهو الحبل تشد به قوائم الدابة ؛ وبالفتح : مصدر شكل الدابة إذا شدها بالشكال ، والظهور جمع ظهر ، والتصهال بمعنى الصهيل أخرجه مخرج تسيار ونحوه : ضرب لنفسه المثل فى عجزه عن المكافأة بالفعل والاجتزاء عنه بالقول ، بفرس أحكم شكاله فعجز عن الجرى لكنه يصهل . يقول : إن لم يكن عندى الفعل فعندى مكافأة بالقول يعنى إن لم أقدر على المكاشفة بنصرتك على كافور فإنى أمدحك إلى أوان ذلك كما أن الجواد إذا شكل عن الحركة صهل شوقا إليها ، وقال المعرى : إن كانت حالى ضيقة عن مكافأتك فعلا جازيتك قولا وجعل التصهال مثلا لثنائه على الممدوح : وكان « فاتك » هذا يسر خلافا للأسود ـ كافور ـ وينطوى على بغضه ومعاداته ، وكان أبو الطيب يحبه ويميل إليه ، ولكن لا يمكنه إظهار ذلك خوفا من كافور

وَمَا شَكَرْتُ لِأَنَّ المَالَ فَرَّحَنِي ... سِيَّانِ عِنْدِيَ إِكْثَارٌ وَإِقْلَالُ(١)
لَكِنْ رَأَيْتُ قَبِيحاً أَنْ يُجَادَ لَنَا ... وَأَنَّنَا بِقَضَاءِ الْحَقِّ بُخَّالُ(٢)
فَكُنْتُ مَنْبِتَ رَوْضِ الْحَزْنِ بَاكَرَهُ ... غَيْثٌ بِغَيْرِ سِبَاخِ الْأَرْضِ هَطَّالُ(٣)
غَيْثٌ يُبَيِّنُ لِلنُّظَّارِ مَوْقِعُهُ ... أَنَّ الْغُيُوثَ بِمَا تَأْتِيهِ جُهَّالُ(٤)
لَا يُدْرِكُ الْمَجْدَ إِلَّا سَيِّدٌ فَطِنٌ ... لِمَا يَشُقُّ عَلَى السَّادَاتِ فَعَّالُ(٥)
لَا وَارِثٌ جَهِلَتْ يُمْنَاهُ مَا وَهَبَتْ ... وَلَا كَسُوبٌ بِغَيْرِ السَّيْفِ سَئَّالُ(٦)

---

(١) سيان : مثنى « سى » بمعنى مثل ، والإكثار : الغنى ، والإقلال : الفقر : يقول ليس شكريك عن فرح بما أهديته إلى ، لأن الغنى والفقر عندى سواء لقلة مبالاتى بالدنيا قال ابن جنى : ما رأيت أبا الطيب أشكر لأحد منه لفاتك . وكان يقول حمل إلى ماقيمته ألف دينار فى وقت واحد .

(٢) بخال : جمع باخل . يقول : إنما أشكر لأنى رأيت من القبيح أن يجاد لى بالبر والنعمة وأنا بخيل بقضاء الحق ساكت عن الشكر والحمد : وقوله : « وأننا » يجوز فيه فتح الهمزة على العطف ، وكسرها على الحال .

(٣) الحزن : خلاف السهل . والسباخ : جمع سبخة ، وهى الأرض لا تنبت لأنها ذات نز وملح ، وهطال : ساكب . يقول : لما وصل إلى بره ونعمته كنت كمنبت روض الحزن جاده بالبكرة غيث هطال فأفاده ، نضرة وذكاء . يعنى أن مطر بره لم يصادف منى سبخة لا تنبت ، وخص روض الحزن لأنها أنضر لبعدها عن الغبار والنز والعمق والمعنى أن بره صادف منى من يعرف حقه ويذيع شكره .

(٤) يقول إن موقع إحسانه منى يبين للناظرين أن غيره من المحسنين يخطئون مواقع الإحسان لأنهم لا يقلدونه من يستأهله ويقوم بشكره . ولك أن تبقى الغيوث على معناها الحقيقى : يعنى أن الممدوح أحكم من الغيوث لأنه يضع إحسانه فى موضعه أما هى فإنها تمطر التربة الصالحة والرديئة .

(٥) لما يشق : أى لما يصعب ، متعلق بفعال والسادات : جمع سادة ، جمع سيد .

(٦) وارث : صفة أخرى لسيد ، وسئال : طلاب ؛ وبغير السيف : صلة . سئال ، يقول : لا يدرك المجد إلا سيد لم يرث أباه مالا — والممدوح لم يرث أباه لأنه كان جوادا فلم

قَالَ الزَّمَانُ لَهُ قَوْلاً فَأَفْهَمَهُ ... إِنَّ الزَّمَانَ عَلَى الإِمْسَاكِ عَذَّالُ(١)
تَدْرِى الْقَنَاةُ إِذَا اهْتَزَّتْ بِرَاحَتِهِ ... أَنَّ الشَّقِىَّ بِهَا خَيْـلٌ وَأَبْطَالُ(٢)
كَفَاتِكٍ وَدُخُولُ الْـكَافِ مَنْقَصَةٌ ... كَالشَّمْسِ قُلْتُ وَمَا لِلشَّمْسِ أَمْثَالُ(٣)

يخلف مالا — وعينه تجهل ماوهب لكثرته ، وليس هو كسوبا ولا منالا بغير السيف أى لا يطلب حاجته إلا بالسيف لما فيه من المشقة والمخاطرة بالروح

(١) الضمير فى « له » للسيد ؛ والجملة : نعت آخر له : أى قال الزمان له — بلسان حاله — إن المال لا يبقى على مالكه ، ففهم هذه المقالة عنه وفرق ماله فى سبيل المجد . وعبارة الواحدى : وقوله إن الزمان الخ : كلام مستأنف ؛ وعذال : مبالغة ، من العذل وهو اللوم . يقول : إن الزمان يلوم على البخل لأن البخيل يفوت على نفسه كسب المحمدة والذكر باستبقاء ماليس بباق . وقال ابن جنى : أكرم الناس من تعب فى جمع الأموال بالسيف ثم يهبها بعد ؛ وقال التبريزى : من رأى المسكين وموتهم عن الأموال وتخليتها للأعداء فقد أراه الزمان فيهم العبر فكأنه حذره عن الإمساك ، والزمان لم يقل قولا حقيقة ، وإنما رأى تصاريفه فاتعظ فكان كمن قال له .

(٢) القناة : الرمح والبيت فى صفة السيد أيضا . يقول : يعلم الرمح فى يده أنه سيشقى به خيل وأبطال إذ قد عوده ذلك .

(٣) فاتك : هو اسم الممدوح ، وأراد بالكاف : كاف التشبيه الداخلة على « فاتك » والمنقصة : النقص . يقول : لا يدرك المجد إلا سيد صفاته هذه التى ذكرت ، ثم استدرك فقال : دخول الكاف عليه تنقص من قدره فى الظاهر ، لأنه يوهم أن له شبيها ، وإنما هو كالشمس إذا شبهت بها أحدا ، والشمس لا شبيه لها وهذه الكاف هى التى يقال لها كاف الاستقصاء ، ذكرها أهل العربية ، ومثلوا لها بقولهم : من الحروف ما لا يقبل الحركة كالألف . وقال ابن جنى : إذا قيل كفاتك ودخول الكاف منقصة جعل له شبيه ، فانتقص بذلك ، وإنما قولى كالشمس — وإن كانت لاشبيه لها والكاف زائدة — كقول رؤبة :

* لَوَاحِقُ الأَقْرَابِ فِيهَا كَالْمَقَقْ(١) *

---

(١) من أرجوزة لرؤبة أولها

* وَقَاتِمِ الأَعْمَاقِ خَاوِى الْمُخْتَرَقْ *

راجعها فى أراجيز العرب للبكرى ، وفى خزانة الأدب للبغدادى ؛ ولواحق الأقراب ؛ خماص البطون . قد لحقت بطونها بظهورها ، والمقق : الطول :

أَلْقَائِدِ الأُسْدَ غَذَّتْهَا بَرَائِنُهُ بِمِثْلِهَا مِنْ عِدَاهُ وَهِيَ أَشْبَالُ (١)
أَلْقَاتِلِ السَّيْفَ فِي جِسْمِ الْقَتِيلِ بِهِ وَلِلسُّيُوفِ كَمَا لِلنَّاسِ آجَالُ (٢)
تُغِيرُ عَنْهُ عَلَى الْغَارَاتِ هَيْبَتُهُ وَمَالُهُ بِأَقَاصِي الأَرْضِ أَهْمَالُ (٣)

أى فيها مقق ، وهو الطول ، ولا يقال فيها كالطول إلا على زيادة الكاف وقد أنكر الواحدى كلام ابن جنى هذا وقل : لم يعرف ابن جنى وجه دخول الكاف فى كفاتك ، فقال الكاف ههنا زائدة ، وإنما معناه وتقديره : فاتك أى هذا الممدوح فاتك ، مع أن جميع البيت مبنى على هذه الكاف ، فكيف يقام إنها زائدة ؟ وعبارة الإمام التبريزى: لا يدرك المجد إلا رجل صفاته هذه التى ذكرت ، ثم شبهه بفاتك ثم استدرك ذلك بقوله: ودخول الكاف منقصة : أى كاف التشبيه الداخلة على « فاتك » : أى أن دخول الكاف عليه ينقص من قدره ، لأنه يوهم أن له شبيها ، وليس له شبيه ، فهو كالشمس ، يشبه بها الشىء المستحسن على الظاهر ، وليس لها مثل .

(١) البرائن من السباع والطير بمنزلة الأصابع من الإنسان ؛ وبمثلها صلة غذته . والأشبال : جمع شبل ، وهو ولد الأسد . يقول : الذى يقود إلى الحرب رجالا هم أسود تغذوهم براثنه ــ يعنى سيوفه وسلاحه فهن له كالبرائن . ــ برجال مثلهم من الأعداء أى أنه بغنمهم الأبطال وجعلهم كالأشبال له لأنه يقوم بتغذيتهم ، قال الشراح : يشير إلى غلمانه الذين رباهم وضراهم بأسلاب أعدائه منذ كانوا أشبالا إلى أن صاروا أسدا .

(٢) به صلة القتيل ؛ وللسيوف خبر مقدم عن آجال . وقوله كما للناس : فما مصدرية وللناس : خبر عن محذوف ، والتقدير : للسيوف آجال كما للناس آجال . يقول : لجودة ضربه يقتل المقتول ويقتل ما يقتله به وهو السيف . يريد أنه يكسره فى جسمه . فجعل ذلك قتلا للسيف ، ثم قال : وإن للسيوف آجالا كما أن للناس آجالا .

(٣) وماله : يريد نعمه ؛ والأهمال : جمع همل ، وهى الإبل بلا راع . قال الجوهرى الهمل ــ بالتحريك ــ الإبل بلا راع : مثل النفش ؛ إلا أن الهمل يكون ليلا ونهاراً ، والنفش لا يكون إلا ليلا ، يقال إبل همل وهاملة وهمال وهوامل ، وتركتها هملا أى سدى إذا أرسلتها ترعى ليلا بلا راع . وفى المثل : اختلط المرعى بالهمل . والمرعى : الذى له راع يقول : إن هيبته تمنع الإغارة ، على ماله فكأنها تغير على الغارة وماله مهمل لا راعى له بأقاصى الأرض لا يغار عليه لهيبته . ويجوز أن يكون المعنى : أن القوم يغيرون على الأموال فيحملونها إليه هيبة له ، فكأن هيبته تغير على غارة غيره ، ثم قال: وماله بأقاصى الأرض أهمال لا يغار عليها . وجملة المعنى أنه ــ لجلالة قدره ونباهة شأنه وعظمه فى النفوس ــ تنهيبه الفرسان فى غاراتها فلا تقدم على مقاتلة أهماله .

لَهُ مِنَ الوَحْشِ ما اخْتارَتْ أَسِـــنَّتُهُ
عَـــيْرٌ وَهَيْقٌ وَخَنْســاءُ وَذَيّالُ (١)

تُمْسِي الضُّيُوفُ مُشَهّاةً بِعَقْوَتِهِ كَأَنَّ أَوْقاتَهـا فى الطِّيبِ آصالُ (٢)

لَوِ اشْتَهَتْ لَحْمَ قارِيها لَبادَرَها خَرادِلٌ مِنْهُ فى الشِّيزَى وَأَوْصالُ (٣)

---

(١) العير : حمار الوحش ، وهو بدل تفصيل من «ما» ؛ والهيق : الظليم ـ ذكر النعام ـ والخنساء : البقرة الوحشية ، سميت بذلك لخنس أنفها ـ والخنس قريب : من الفطس ، وهو قصر الأنف ولزوقه بالوجه . والذيال : الثور الوحشى لأنه يجر ذنبه كالذيل . يقول : يقدر على صيد ما يختاره من الوحش لحذقه واقتداره ، وجعل الاختيار للأسنة مجازا ، لأنه يطلب الصيد بها ، فكأنها هى التى تختار . وعبارة العكبرى : يعنى أنه كان ملازم الحروب فى الفلوات ، وكان يتقوت بلحوم الوحش ، وكان عارفا بصيدها ، فما اختاره منها لا يفوت رغبته ولا يسبق أسنته .

(٢) مشهاة : أى تعطى ما تشتهيه ، وإنما يقال فى هذا المعنى أشهاه ـ بالألف ـ تقول تشهت المرأة على زوجها فأشهاها : أى أنالها شهواتها ، ولكن المتنبى استعمل « فعل » فى موضع « أفعل » والعقوة : الساحة . والآصال : جمع أصل : جمع أصيل، آخر النهار ، وهو مستطاب لدى العرب لغروب الشمس وانقطاع الحر وهبوب النسيم. يقول : إن أضيافه يعطون ما يشتهون إذا نزلوا بداره فتطيب أوقاتهم عنده كأنها آصال؛ وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

أيامُنا مَصقولة أطرافُها بِكَ والليالى كلها أسْحار

(٣) القارى : المضيف ، وقاريها : يعنى الممدوح ، والخرادل القطع ـ كأنها مقصورة من قولهم : لحم خراديل : أى مقطع ـ وهو من الجموع التى لا واحد لها والذال فيه : لغة . وقال كعب بن زهير :

يَغْدُو فَيَلْحَمُ ضِرْغامَينِ عيشُهما لَحْمٌ من القَومِ مَعفورٌ خَراديلُ (١)

---

(١) من قصيدة «بانت سعاد» التى مدح بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف أسدا . يقول : يذهب هذا الأسد أول النهار يتطلب صيداً لولديه فيطعمهما لحمها. والعيش هنا : القوت ؛ ولحم معفور : أى ملقى فى العفر ـ بفتحتين ـ وهو التراب ؛ وخراديل : مقطع .

لاَ يَعْرِفُ الرُّزْءَ فِي مَالٍ وَلاَ وَلَدٍ إلاَّ إذَا حَفَزَ الأَضْيَافَ تَرْحَالُ[(١)]

يُرْوِي صَدَى الأَرْضِ مِنْ فَضْلاَتِ مَا شَرِبُوا مَحْضُ اللِّقَاحِ وَصَافِي اللَّوْنِ سَلْسَالُ[(٢)]

تَقْرِي صَوَارِمُهُ السَّاعَاتِ عَبْطَ دَمٍ كَأَنَّمَا السَّاعُ نُزَّالٌ وَقُفَّالُ[(٣)]

والأوصال : جمع وصل ، وهو العضو ؛ والشيزى : خشب أسود تعمل منه الجفان ـ القصاع ـ يقول : لو اشتهت أضيافه لحمه لما بخل به عليهم ولأتاهم وشيكا ، قطع من لحمه حرصاً منه على مسرتهم . قال العكبرى : وهذا من الإفراط الذى يجسر فيه بما لا يكون إشارة إلى استيفاء الغاية فيما يمكن .

(١) الرزء : المصيبة وحفزه واحتفزه : دفعه من خلفه يحفزه حفزاً ، قال الراجز :

تُرِيحُ بَعْدَ النفَسِ المَحْفُوزِ إرَاحَةَ الجِدَايَةِ النَّفُوزِ[(١)]

يقول : إن المصيبة عنده فى المال والولد هى ارتحال الأضياف من داره أى أنه يناله من ذلك ما ينال من يرزأ فى ماله وولده .

(٢) الصدى : العطش . وكان الوجه أن يقول فضلات ـ بفتح الضاد ـ ولكنه سكنها للضرورة . والمحض من اللبن : الخالص الذى لم يشب بماء ؛ واللقاح : جمع لقحة ؛ وهى الناقة الحلوب ؛ ومحض اللقاح : فاعل يروى . وأراد بصافى اللون : الخمر والسلسال : الذى يسهل جريه فى الحلق . يقول : إنه يكثر لهم من اللبن والخمر فيفضل عنهم ما يروى الأرض من سؤر أقداحهم الذى يراق ، وقال ابن جنى : إذا انصرف أضيافه أراق بقايا ما شربوه ولم يدخره لغيرهم . لأنه يلقى كل وارد بقرى جديد من اللبن والخمر . وعبارة ابن الأقليلى : يروى عطش الأرض بفضلات ما يسقيه أضيافه من اللبن والخمر وما يتابع لهم من الألطاف والبر ، فيفضل عنهم من ذلك ما يقوم للأرض مقام السقى . وما يحل لها محل المطر ، وهذا التفسير وما ذهبنا إليه قريب من قريب ، وهو أوجه مما ذهب إليه ابن جنى .

(٣) تقرى : تضيف ؛ وصوارمه : سيوفه ؛ والعبط والعبيط : الطرى من الدم ، والساع : جمع ساعة . ونزال وقفال : الاضياف ـ منهم من ينزل ، ومنهم من يرحل .

---

(١) يريد بالنفس المحفوز : النفس الشديد المتتابع كأنه يحفز : أى يدفع والجداية : الظبية ؛ ونفز الظبى : جمع قوائمه ثم وثب .

تَجْرِى النُّفُوسُ حَوَالَيْهِ مُخَلَّطَةً   مِنْهَا عُـــدَاةٌ وَأَغْنَامٌ وَآبَالُ(١)
لاَ يَحْرِمُ الْبُعْدُ أَهْلَ الْبُعْدِ نَائِلَهُ   وَغَيْرُ عَاجِزَةٍ عَنْهُ الْأُطَيْفَالُ(٢)
أَمْضَى الْفَرِيقَيْنِ فِى أَقْرَانِهِ ظُبَةً   وَالْبِيضُ هَادِيَةٌ وَالسُّمْرُ ضُلَّالُ(٣)

قال الواحدى : كل ساعة تأتى عليه يجدد فيها ذبحا ، كأن الساعات نزال ينزلون عليه ؛ وقفال : رجعوا من سفر : يعنى أنه لا يطعم أضيافه اللحم الغب ، بل يجدد لهم الذبح والنحر كل ساعة فيجرى دما عبيطا ؛ وقال ابن جنى : يقول هو كل ساعة يريق دما طريا من أعدائه ، فكأنه يقرى الساعات ، وكأنها قوم ينزلون عليه . فجعل ابن جنى الدم العبيط من الأعداء .

(١) أراد بالنفوس : الدماء قال السموءل بن عادياء .

تَسيلُ على حَـدِّ الظباتِ نفوسُنا   وليْسَتْ على غيرِ الظبات تسِيل(١)

وأغنام : جمع غنم ؛ وآبال : جمع إبل . يقول : تجرى الدماء حوله مختلطة دماء الأعداء بدماء الذبائح للأضياف ، كما قال البحترى :

ما انفكَّ مُنتضِياً سَيْفَيْ وغىً وَقِرًى   على الـكَواهِلِ تَدْمَى والعَراقيبِ

(٢) نائله : عطاءه . والأطيفال : تصغير أطفال يصف عموم بره ، وأن القريب والبعيد فيه سواء ، حق الأطفال التى لا تقدر على النهوض إليه والتعرض لمعروفه ، فبره يصل إلى كل أحد .

(٣) الأقران جمع قرن ، وهم الأكفاء فى الحرب . والبيض : السيوف . والظبة : حد السيف . وهادية ـ من هدى اللازم ـ أى مهتدية . والسمر : الرماح . يقول : إذا التقى الجيشان جيشه وجيش عدوه ، وتدانى الفريقان فأصبحت السيوف هادية ـ لأنها تمضى قدما على استواء ـ والرماح ضالة لأنها تذهب يمينا وشمالا فى الطعن ، وهو الطعن الشزر . فهو أمضى الفريقين سيفاً فى أقرانه . وقال العكبرى : أراد أن القوم إذا دنا بعضهم من بعض تجالدوا بالسيوف ، فكأن الرماح ضالة فى الرجال ، فقصرت الرماح وضلت عن مقاصدها ، وضاق المجال عن التطاعن بها ، وصار الامر إلى المجالدة

---

(١) من أبياته التى يقول فى مطلعها :

إذا المرء لم يَدْنسْ من اللؤم عرضه   فكل رداء يرتديه جميـــل

والظباة . جمع ظبة ؛ حد السيف والسنان والنصل والخنجر ، وما أشبه ذلك .

يُرِيكَ مَخْبَرُهُ أَضْعَافَ مَنْظَرِهِ بَيْنَ الرِّجَالِ وَفِيهَا الْمَاءُ وَالْآلُ[(١)]
وَقَدْ يُلَقِّبُهُ الْمَجْنُونَ حَاسِدُهُ إِذَا اخْتَلَطْنَ وَبَعْضُ الْعَقْلِ عُقَّالُ[(٢)]
يَرْمِي بِهَا الْجَيْشَ لَا بُدٌّ لَهُ وَلَهَا مِنْ شَقِّهِ وَلَوَ أَنَّ الْجَيْشَ أَجْبَالُ[(٣)]

بالسيوف فصارت السيوف هادية مبصرة ، والرماح ضالة مقصرة ، فحينئذ يكون أمضى الفريقين .

(١) الآل : السراب . يقول : إذا اختبرته رأيته يربى أضعافا على ما أراك منظره . ثم قال : وفى الرجال الماء والآل : يعنى فى الرجال من هو كالماء أى رجل على حق الرجال وفيهم من هو كالآل : أى يشبه الرجال بصورته ، وليس عنده ما عندهم من المعانى ، كالآل ، يشبه الماء وليس بماء .

(٢) اختلطن : أى البيض والسمر . والعقال : داء يأخذ الدواب فى أرجلها يمنعها من المشى . يقول : إذا اختلطت السيوف والرماح لدى الحرب لقبه حاسده بالمجنون حسدا له على فرط شجاعته التى تشبه الجنون ، والعقل ليس فى كل وقت محموداً ، لأنه فى مثل هذه الحال يمنع من الإقدام ، فيكون لصاحبه كالعقال . قال ابن جنى : ولم يفضل الجنون على العقل بأحسن من هذا ، وقال العكبرى : كان «فاتك» يلقب بالمجنون ، ففسره أبو الطيب تفسيراً أذهب قبحه وحسن عند المنكر له أن يتلقب بمثله . وقد نظر فى لفظ البيت إلى قول أبى تمام :

وَإِنْ يَبنِ حيطانا عليهِ فإنما أولئكَ عُقالاتُهُ لا مَعاقله[(١)]

وفى معناه إلى قول الكلابى :

ألا أيها المغتابُ عِرضِى تَعيبنى تُسَمِّينىَ المجنونَ فى الجِد واللعبِ
أنا الرجل المجنون والرجلُ الذى به تُتَّقى يومَ الوَغى غِرَّةُ الحربِ

(٣) يقول : يرمى الجيش الذى يناصبه بالبيض — السيوف — ولا بد له ولتلك السيوف من شق ذلك الجيش ، ولو كان فى القوة والثبات كالجبال ، فالضمير فى «بها»

---

(١) عقالاته : قيوده . وقبل البيت :

إذا مارقٌ بالغدرِ حاوَلَ غدرة فذاكَ حرِىٌّ أن تئيم حلائله
فإنْ باشَر الأصحار فالبيض والقنا قِراه وأحواض المنـايا مناهله

إذَا الْعِدَى نَشِبَتْ فِيهِمْ مَخَالِبُهُ ... لَمْ يَجْتَمِعْ لَهُمُ حِلْمٌ وَرِئْبَالُ[(١)]

يَرُوعُهُمْ مِنْهُ دَهْرٌ صَرْفُهُ أَبَداً

مُجَاهِرٌ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تَغْتَالُ[(٢)]

أَنَالَهُ الشَّرَفَ الْأَعْلَى تَقَدُّمُهُ ... فَمَا الَّذِى بِتَوَقِّى مَا أَتَى نَالُوا[(٣)]

إِذَا الْمُلُوكُ تَحَلَّتْ كَانَ حِلْيَتَهُ ... مُهَنَّدٌ وَأَصَمُّ الْكَعْبِ عَسَّالُ[(٤)]

لابيض ، قال بعض الشراح : الضمير للخيل ، وقوله : لا بد بالرفع على إعمال « لا » عمل « ليس » .

(١) نشبت : علقت ؛ والمخلب ، للسبع والطير : بمنزلة الظفر للانسان . أثبت له المخالب على إضمار تشبيه بالأسد والحلم : الأناة والعقل . والرئبال : الأسد . قال الواحدى : هذا كأنه عذر للذى يلقبه بالمجنون من أعدائه ، لأنهم يرونه كالأسد فى الشجاعة والأسد لا يوصف بالحلم . كذلك هذا الممدوح : يبعد عنه الحلم إذا قاتل الأعداء . يقول : هو أسد على أعدائه إذا أنشبت فيهم مخالبه زايله الحلم . لأن الحلم والأسد لا يجتمعان ، وقال ابن القطاع : إذا أنشب مخالبه فى قوم ذهب عنهم التدبير والشجاعة .

(٢) يروعهم : يفزعهم ؛ ومنه : تجريد ؛ وصروف الدهر : حدثانه ؛ والاغتيال الإهلاك على غفلة . يقول : هذا الممدوح دهر يغول الأعداء ، إلا أنه يغولهم جهاراً ، أما الدهر فإنه يغتال بصروفه ولا يؤذن بخطوبه ، وجعله كالدهر تعظيما لشأنه ، ثم بالغ وفضله على الدهر » .

(٣) « ما » : خبر مقدم عن « الذى » ؛ ونالوا : الضمير للعدى ؛ والجملة صلة « الذى » يقو« : هو بجرأته وإقدامه واقتحامه الحروب والمهالك نال الشرف الأعلى ، فما الذى نال أعداؤه بإحجامهم وتوقيهم ما يأتيه من المخاوف والأهوال ؟

(٤) المهند : السيف الهندى القاطع . وأصم الكعب : الرمح ؛ والأصم : الصلب ؛ والكعب ؛ الناشز بين أنبوبى الرمح . والعسال : المهتز المضطرب . يقول : إذا تزينت الملوك بالتيجان ونحوها تزين هو بالسيف والرمح . يعنى أنه احتاز الرياسة مغالبة بنفسه واستحقها بشجاعته وإقدامه . هذا . و« حليته » تروى بالنصب على أنه خبر كان ، و « مهند » اسمها ، وهو وإن كان نكرة إلا أنه عطف عليه ، فكأنه أراد وصفه ، فقربه من المعرفة ، وتروى « حليته » ، بالرفع ، فتكون مبتدأ . خبرها ما بعدها . والجملة خبر كان ، واسمها ضمير الشان أو ضمير الممدوح .

أَبُو شُجَاعٍ أَبُو الشُّجْعَانِ قَاطِبَةً ... هَوْلٌ نَمَتْهُ مِنَ الْهَيْجَاءِ أَهْوَالُ(١)

تَمَلَّكَ الْحَمْدَ حَتَّى مَا لِمُفْتَخِرٍ ... فِى الْحَمْدِ حَاءٌ وَلاَ مِيمٌ وَلاَ دَالُ(٢)

عَلَيْهِ مِنْهُ سَرَابِيلٌ مُضَاعَفَةٌ ... وَقَدْ كَفَاهُ مِنَ الْمَاذِىِّ سِرْبَالُ(٣)

وَكَيْفَ أَسْتُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنٍ ... وَقَدْ غَمَرْتَ نَوَالاً أَيُّهَا النَّالُ(٤)

لَطَّفْتَ رَأْيَكَ فِى بِرِّى وَتَكْرِمَتِى ... إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْعَلْيَاءِ يَحْتَالُ(٥)

حَتَّى غَدَوْتَ وَلِلأَخْبَارِ تَجْوَالُ ... وَلِلْكَوَاكِبِ فِى كَفَّيْكَ آمَالُ(٦)

---

(١) أبو شجاع . كنية الممدوح ، وهو خبر عن محذوف . أى هو أبو شجاع وأبو الشجعان . بدل وقاطبة . جميعا ، والهول . ما أخاف وأفزع وهو خبر آخر ونمته . غذته وربته أو نسب إليها ، يقال . نماه جد كريم ونميته إلى فلان . والهيجاء . الحرب يقول . هو أبو شجاع كنية ، وهو أبو الشجعان كلهم حقيقة لأنهم كلهم دونه ، وهو هول عند الحرب فى أعين الأعداء . ونمته أهوال الحرب لأنه نشأ فيها فصارت له كالغذاء ، أو قد صار ينسب إليها ويعرف بها .

(٢) يقول : إن الحمد كله له وليس لغيره جزء منه . يعنى أنه المحمود فى أفعاله وأقواله وليس يحمد دونه أحد .

(٣) السربال : الثوب ؛ والماذى : الدرع اللينة . يقول : يكفيه فى الحرب سربال واحد من الدرع ، أما الحمد فعليه منه سرابيل كثيرة : يعنى أنه يتوقى الذم بأكثر مما يتوقى الحرب .

(٤) أوليت : أعطيت ؛ والنوال : العطاء ، وهو تمييز . والنال : الرجل الكثير النوال ، وهذا كما يقال : كبش صاف : أى كثير الصوف ، ويوم طان : أى كثير الطين ويوم راح : كثير الريح ؛ ورجل خاف : كثير الخوف . يقول : لا أستطيع أن أستر إحسانك وقد غرقتنى فيه : أى هو أشهر من أن يستتر .

(٥) يقول : توصلت إلى إكرامى بالبر والإحسان بلطف وتدبير ورأى تحصيلا لثنائى عليك ؛ وكذلك الكريم : يحتال على تحصيل ما يفيده شرفا وذكرا ، يشير إلى ما وصله به «فاتك» وأنه كان وسيلة لاستئذان كافور فى مدحه ، لأن أبا الطيب لم يكن يجسر أن يمدحه ابتداء خوفا من كافور .

(٦) غدوت — هنا — تامة ، والتجوال : مصدر بمعنى الجولان . يقول : لم تزل

وَقَدْ أطَالَ ثَنَائِى طُولُ لَابِسِهِ إنّ الثَّنَاءَ عَلَى التِّنْبَالِ تِنْبَالُ(١)

إنْ كُنتَ تَكْبُرُ أنْ تَخْتَالَ فِى بَشَرٍ

فَإنَّ قَدْرَكَ فِى الْأَقْدَارِ يَخْتَالُ(٢)

كَأَنَّ نَفْسَكَ لَا تَرْضَاكَ صَاحِبَهَا إلَّا وَأَنْتَ عَلَى الْمِفْضَالِ مِفْضَالُ(٣)

وَلَا تَعُدُّكَ صَوَّانًا لِمُهْجَتِهَا إلَّا وَأَنْتَ لَهَا فِى الرَّوْعِ بَذَّالُ(٤)

لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمُ أَلْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإقْدَامُ قَتَّالُ(٥)

تختال على العلياء حتى غدوت والأخبار تجول فى الآفاق بحسن ذكرك والثناء عليك ، وصار لكل أحد أمل فى كفيك حتى الكواكب تأملك .

(١) التنبال : القصير ، وجمعه تنابل وتنابلة ، لما جعل الثناء لباساً للممدوح : عبر عن طول معانيه بطول الممدوح وعن قصرها بقصره . يقول : إنما طال ثنائى لطول ما يتضمنه من وصف مناقب الممدوح . وعبارة الواحدى يقول : مدح الشريف يشرف الشعر ، ومدح اللئيم يؤدى إلى لؤم الشعر ، يعنى أن شعرى قد شرف بشرف هذا الممدوح . وزاد على ذلك العكبرى فقال : أى قد طال لسانى بالثناء ، وفتح لى باب المدح والإطراء ، جلالة قدر من مدحته ، وكثرة فضائل من وصفته ، وإنما أنا فى ذلك ذاكر لما عاينت والثناء إنما يقصر عن القصير الحال، الراغب عن الكرم والإفضال

(٢) اختال الرجل : أدركه الزهو والعجب فمشى الخيلاء . تختال وقوله أن تختال أى عن أن تختال فحذف . يقول : إن كنت لكرمك وتواضعك وفضلك تترفع عن عن الكبر والعجب بين الناس ، فإن قدرك يختال ويزهى بين أقدار الناس ، لأنك أعظم قدراً من كل أحد .

(٣) المفضال : الكثير الفضل . يقول : لما جبلت عليه من الكرم وعلو الهمة كانت نفسك كأنها لا ترضاك صاحباً لها حتى تفضل كل مفضال وتربى عليهم .

(٤) المهجة : دم القلب . والروع : الفزع . والبذال : مبالغة من البذل ، ضد الصيانة . يقول : وكأن نفسك لا تعدك قائماً بحق صيانتها حتى تبذلها وتجود بها فى الروع فتقتحم المهالك ، وتتعرض لمواجهة الحروب والمتالف .

(٥) يقول : لولا أن فى السيادة مشقة لصار الناس كلهم سادة ، ثم بين المشقة التى فى السيادة ، فقال : من جاد افتقر ، ومن أقدم على الحرب قتل ، ولا سيادة دون

وَإِنَّمَا يَبْلُغُ الْإِنْسَانُ طَاقَتَهُ ... مَا كُلُّ مَاشِيَةٍ بِالرَّحْلِ شِمْلَالُ (١)
إِنَّا لَفِي زَمَنٍ تَرْكُ الْقَبِيحِ بِهِ ... مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانٌ وَإِجْمَالُ (٢)
ذِكْرُ الْفَتَى عُمْرُهُ الثَّانِي وَحَاجَتُهُ ... مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ (٣)

الجود والشجاعة . والبيت مفرع على البيتين السابقين – كما لا يخفى – وهو من قول منصور النمرى :

الجودُ أخشنُ مسًّا يابنى مطرٍ ... مِن أن تَبزَّكُمُوه كفُّ مستلِبِ
ما أعلمَ الناسَ أنّ الجودَ مكسبة ... للمجد لكنه يأتى على النَّشب

(١) الطاقة : اسم – من أطاقه : إذا قدر عليه – والشملال : الناقة القوية الخفيفة المشى السريعة . يعتذر عمن لم يسد من الناس . يقول كل إنسان يجرى فى السيادة على على قدر طاقته ، فليس كل أحد أهلا للاضطلاع بأعباء السيادة حتى يستطيع أن يسود ويبلغ مبلغ الممدوح ، كما أنه ليس كل ناقة مشت بالرحل شملالا .

(٢) يقول : من يتجنب معك القبيح ولا يعاملك به فى هذا الزمان فقد أحسن إليك وفعل جميلا ، لكثرة من يعاملك بالقبيح ، وقد أخذ هذا المعنى أبو فراس فقال .

وصرْنا نرى أنّ المُتاركَ مُحسِنٌ ... وأنّ خليلا لا يضرُّ وَصول

وقال العكبرى : وهذا من قول الحكيم « من لم يقدر على فعل الفضائل فلتكن فضائله ترك الرذائل » .

(٣) يقول : إذا ذكر الإنسان بعد موته كان ذلك حياة ثانية له ، وما يحتاج إليه فى دنياه قدر القوت ، وما فضل عن القوت فهو شغل له لا حفل به ولا غناء فيه ، كما قال سالم بن وابصة :

غنَى النفس ما يكفيك من سَدِّ خَلّةٍ ... فإنْ زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقرا

قال ابن جنى : مثله ما يحكى عن بعض ولد عمر بن عبد العزيز أنه رؤى يستق ماء فقيل له : بعد الخلافة ؟ فقال إنما فقدنا الفضول ..

تم – بعون الله – الجزء الثالث ؛ ويليه – إن شاء الله – الجزء الرابع

فهرست

قوافي الجزء الثالث من شرح ديوان المتنبي

مطلع القصيدة : صفحة